٨١ قصة الخضر
٨٨ قصة البقرة
٩٠ ذكر وفاة هارون عليه السلام
٩١ ذكر وفاة موسى عليه السلام
٩٤ ذكر السبب فى ملك داود عليه السلام
٩٧ ذكر قصة أوريا
١٠٣ ذكر بناء داود مسجد بيت المقدس
١٠٦ ملك سليمان عليه السلام
١٠٦ بناء سليمان مدينة بيت المقدس ومسجدها
١١٢ ذكر السلسلة
١١٣ طلسم الحيات
١١٤ قصة بلقيس
١٢٥ ذكر فتنة سليمان عليه السلام
١٢٩ ذكر وفاته عليه السلام
١٣١ ذكر خراب بيت المقدس على يد بخت نصر
١٣٦ ذكر عمارة بيت المقدس الثانية
١٣٨ قصة أرمياء عليه السلام
١٤٠ ذكر سيدنا يونس بن متى عليه السلام
١٤٢ ذكر زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام
١٤٥ نزول المائدة
١٤٨ ذكر صعود سيدنا عيسى الى السماء
١٥١ ذكر خراب بيت المقدس الخراب الثانى
١٥٢ ذكر عمارة بيت المقدس المرة الثالثة
١٥٤ قصة الفيل
١٥٥ ذكر سيد الاولين والآخرين

١٦ الهجرة الاولى
١٦١ أمر الصحيفة
١٦١ قصة المعراج
١٦٦ ابدا أمر الانصار وذكر الغزوات بالاختصار
١٦٧ ذكر الهجرة الشريفة النبوية
١٦٩ ذكر بناء المسجد الشريف النبوي
١٧٢ ذكر تحويل القبلة من صخرة بيت المقدس الى المسجد الحرام
١٧٣ ذكر غزوة بدر الكبرى
١٧٥ ذكر غزوة أحد
١٧٧ ذكر غزوة الخندق وغزوة بني قريظة
١٨١ عمرة القضا
١٨٢ نقض الصلح وفتح مكة
١٨٩ غزوة تبوك وهي غزوة العسرة
١٩ حج أبي بكر الصديق بالناس
١٩١ حجة الوداع
١٩٢ ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم
١٩٤ ذكر صفاته صلى الله عليه وسلم ونبذة من معجزاته
١٩٦ ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم
١٩٧ ذكر الاسود العنسي ومسيلمة وسجاح وطليحة
١٩٨ فصل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٩٩ ذكر آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم
٢ ١ ذكر فضائل المسجد الاقصى
٢ ٣ فصل الصلاة في بيت المقدس
٢ كراهة استقبال الصخرة ببول أو غائط
٢ ٦ بيت المقدس أرض المحشر والمنشر

٢٠٦ فضل اسراج بيت المقدس وفضل عمارته
٢٠٨ فضل الاذان في بيت المقدس
٢٠٨ فضل الصيام والاستغفار فيه
٢٠٨ فضل الدفن في بيت المقدس
٢٠٩ فضل الصخرة
٢ ٩ فضل الصلاة عن يمين الصخرة
٢٠٩ اليمين عند الصخرة
٢٠٩ فضل الصخرة ليلة الرجفة
٢١٠ نبذة من فضائل بيت المقدس
٢١٤ ذكر ما يستحب ان يدعى به عند دخول المسجد والصخرة الشريفة
٢١٥ ذكر الفتح العمري
٢٢٩ ذكر وفاة عمر رضي الله عنه
٢٣٠ ذكر من دخل بيت المقدس من الصحابة رضي الله عنهم
٢٣٦ ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان
٢٣٨ ذكر بناء عبد الملك بن مروان لقبة الصخرة والمسجد الاقصى
(وكتب هذا سهوا ٢٢٩)
٢٤١ ارسال الكتب الى سائر الامصار في بناء القبة على الصخرة
٢٤٣ ذكر عبد الله بن الزبير
٢٤٥ أخبار توسعة المسجد الحرام وعمارته
٢٤٧ عدد أبواب المسجد الحرام
٢٤٧ دخول أبي طاهر القرمطي مكة المكرمة وقتله الناس
٢٤٨ ذكر صفة المسجد الاقصى وما كان عليه في زمن عبد الملك
٢٥٢ ذكر أعيان التابعين والعلماء والزهاد ممن دخلوا بيت المقدس
٢٦٠ ذكر الامام الشافعي رضي الله عنه
٢٦٨ ذكر نبذة مما وقع في بيت المقدس من الحوادث

٢٧١ ذكر تغلب الافرنج على بيت المقدس واستيلائهم عليه

٢٧ ذكر الفتح الصلاحي

٢٨٤ فتح طبريه

٢٨٤ وقعة حطين

٢٨٦ فتح عكا

٢٨٧ فتح الناصرة وصفورية

٢٨٧ فتح قيسارية ونابلس

٢٨٨ فتح صيدا وبيروت

٢٨٩ هلاك القمص ودخول المركيس الى صور

٢٨٩ فتح عسقلان وغزة والرملة

٢٩ فتح بيت المقدس

٢٩٢ ذكر يوم الفتح

٢٩٤ ذكر أول خطبة بعد الفتح

٣ ٢ ذكر محراب داود عليه السلام

٣ ٣ ذكر رسالة السلطان صلاح الدين للخليفة

٣٩ ذكر ما تم على الاسطول

٣١ فتح حصن هونين

٣١١ ذكر حال الكرك من أول الفتح

٣١٣ فتح جبلة واللاذقية وحصن صهيون

٣١٤ فتح حصن دربساك وحصن بغراس

٣١٤ عقد الهدنة مع انطاكية

٣١٥ فتح الكرك وصفد

٣١٦ حصار كوكب وفتحها

٣١٧ مسير الافرنج الى عكا

٣١٨ نادرة

٣١٩ الوقعة الكبرى
٣٢٠ وصول ملك الالمان
٣٢١ ذكر نساء الافرنج
٣٢١ وقعة الرمل وفتح شقيف أرنون
٣٢٢ مقاتلة الافرنج عكا
٣٢٣ وصول الاسطول من مصر
٣٢٣ قصة ملك الالمان
٣٢٤ ذكر ما تجدد للافرنج بوصول الكندهري
٣٢٤ حريق المنجنيقات
٣٢٥ وصول ولد ملك الالمان الى الافرنج بعكا
٣٢٥ ذكر برج الذبان وذكر الكبش وحريقه
٣٢٦ نوبة رأس الماء
٣٢٧ وقعة الكمين
٣٢٧ ذكر بعض حوادث
٣٢٩ وصول ملك الافرنسيس
٣٢٩ قصة الرضيع
٣٣٠ وصول ملك الانكتير
٣٣٠ غرق البطة
٣٣٠ حريق الدبابة
٣٣١ ذكر المركيس ومفارقته
٣٣٢ استيلاء الافرنج على عكا
٣٣٤ غدر ملك الانكتير
٣٣٤ رحيل الافرنج صوب عسقلان
٣٣٤ وقعة قيسارية
٣٣٥ اجتماع الملك العادل وملك الانكتير

٢٣٥ وقعة أرسوف
٢٣٥ تخريب عسقلان
٢٣٦ ذكر ما تجدد للملك الانكتير
٢٣٧ وقعة الكمين
٢٣٧ اجتماع الملك العادل بملك الانكتير
٢٣٨ رحيل السلطان الى القدس
٢٣٨ ذكر ما اعتمده السلطان في عمارة القدس
٢٣٩ ذكر الحوادث مع الافرنج
٢٤ هلاك المركيس بصور
٢٤ استيلاء الافرنج على قلعة الداروم
٢٤١ كبسة الافرنج على عسكر مصر
٢٤٢ نزول السلطان على مدينة يافا وفتحها
٢٤٣ الهدنة العامة
٢٤٤ ذكر ما جرى بعد الصلح
٢٤٥ رحيل السلطان الى دمشق
٢٤٦ ذكر وفاة السلطان صلاح الدين وترجمة العماد الكاتب
٢٥ ذكر ما استقر عليه الحال بعد وفاة الملك صلاح الدين
٢٥٢ سلطنة الملك العادل
٢٥٣ وفاة القاضي الفاضل الزرزور والعماد الكاتب
٢٥٥ سلطنة الملك الكامل
٢٥٥ تخريب أسوار بيت المقدس
٢٥٦ وقعة الافرنج في دمياط وهجوم النيل عليهم
٢٥٧ سلطنة الملك الناصر صلاح الدين داود

كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل

تأليف قاضي القضاة أبو اليمن القاضي
مجير الدين الحنبلي رحمه الله تعالى
رحمة واسعة وجمع له بين
خيري الدنيا
والآخرة
آمين

من مواهب السيد الصدر السعيد شمس الدين الشهير [illegible] در [illegible]
حاج محمد [illegible] [illegible] عند السيد الكرام نخبة اهل السلام [illegible]
شهر ربيع الاول سنة ١٢٠١
حرره

الحمد لله المتفضل على خلقه بفتح أبواب الرحمة * المحسن الى أهل الملة
الحنيفية بترادف الحمر النعمة * الذي يسر لمن اختاره لتصديره بدينه أسباب
علو الهمة * وأنعم على عبيده بمكان البيت المقدس بما منحهم من الاقامة به
وكشف عنهم الغمة * أحمده سبحانه على ما من به علينا من المجاورة للمسجد
الشريف الاقصى * وأشكره على نعمه التي كثرت فلا تعد ولا تحصى *
وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الفعال لما يريد * وأشهد
أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي نصر به دينه وقمع به كل جبار عنيد *
صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين أيد الله بهم الاسلام * فشيدوا
قواعد الدين من بعده وقاموا بنصرته أعظم قيام * صلاة وسلاما دائمين
الى أن نلقاه ان شاء الله بدار السلام (أما بعد) فهذا مختصر استخرت الله
تعالى في جمعه * وسألته المعونة على تحصيله في ترتيب وضعه * سميته باتح

الدب

البيت المقدس * الذى هو على التقوى مؤسس * وقصة السيد الخليل * سيدنا ابراهيم الخليل * وابنائه السادة الكرام * وغيرهم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام * عنّ لى ان أجمع من كتب المتقدمين * وأهذب الفاظه من فوائد المؤرخين * وأذكر ما يتعلق ببيت المقدس من ابتداء أمره وبنائه * وما وقع من أخباره وأنبائه * من لدن سيدنا آدم عليه السلام * الى عصرنا هذا وهو آخر عام تسعمائة من هجرة النبى المصطفى خير الانام * وأضيف الى ذلك نبذة من الحوادث والاخبار * وتراجم الاعيان على وجه الاختصار * فاستعنت بالله سبحانه فيما قصدته * وتوكلت عليه فى تيسير ما تصورته * وشرعت فى ذلك طالبا من الله التوفيق * والمنّ بالهداية لأقوم طريق * فأذكر أوّلا نبذة يسيرة من تفسير أول سورة الاسرا واسماء المسجد الاقصى وبيت المقدس وما ورد من الخلاف فى ابتداء أمره * ثم أذكر أوّل ما خلق الله سبحانه وتعالى من مخلوقاته الى حين خلق آدم ثم أذكر سيدنا آدم عليه السلام ومن بعده من الانبياء الى سيدنا ابراهيم ونبذة يسيرة من أخبارهم * ثم أذكر قصة سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ومولده ونبوّته ونبذة من سيرته ومعجزاته وأولاده الكرام وهجرته وبناء الكعبة المشرفة وقصة الذبيح وشراء المغارة ووفاته وبناء السور السليمانى المحيط بقبره وكونه صار مسجدا وذرعه طولا وعرضا وأذكر صفة المسجد وما هو مشتمل عليه وترتيب قبور الانبياء عليهم السلام * ثم اذكر نبذة من أخبار السماط الكريم ونظامه * ثم اذكر ما بعد ابراهيم من الانبياء الى سيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام * ثم اذكر السبب فى ملك سيدنا داود عليه السلام ونبذة يسيرة من سيرته واهتمامه ببناء المسجد الاقصى الشريف باذن الله تعالى * ثم اذكر عمارة سيدنا سليمان عليه السلام لمدينة القدس والمسجد الاقصى وما كان عليه من الصفات والعجائب ونبذة من سيرة سيدنا سليمان * ثم اذكر تخريبه على يد بخت نصر والسبب فيه ثم أذكر عمارته الثانية على يد كورش

ملك الفرس وأذكر من كان من الانبيا من بعد سيدنا سليمان الى سيدنا
يونس عليهم السلام * ثم أذكر مولد سيدنا زكريا ويحيى وعيسى ابن مريم
عليهم السلام ونزول المائدة على عيسى وصعوده الى السما وشىء
من سيرته * ثم أذكر خراب بيت المقدس الثاني على يد طيطوس وزوال
دولة اليهود * ثم أذكر عمارته الثالثة * ثم أذكر مولد سيد الاولين
والآخرين وحبيب رب العالمين وشىء من سيرته الشريفة وقصة
المعراج وما وقع له ليلة الاسرا بالمسجد الاقصى الشريف وهجرته وبنا
مسجده الشريف وتحويل القبلة من صخرة بيت المقدس الى المسجد
الحرام وشىء من أخباره وغزواته ووفاته صلى الله عليه وسلم * ثم أذكر
شىء من فضائل المسجد الاقصى وما ورد فيه * ثم أذكر الفتح العمري الذي
يسره الله تعالى على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
وعمارته على يده ومن دخله من أعيان الصحابة واستوطنه * وأذكر
المهدي الذي يكون في آخر الزمان بالقدس الشريف * ثم أذكر بنا عبد
الملك بن مروان لقبة الصخرة الشريفة وبنا المسجد الاقصى وما وقع
في ذلك * وأذكر طرفا من أخبار عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وما وقع
له مع الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك وهدم الكعبة وبناها مرة
بعد اخرى وشىء من أخبارها وذرع المسجد الحرام طولا وعرضا وعدد
ابوابه ومنائره * ثم أذكر جماعة من أعيان التابعين والعلما والزهاد
ممن دخل بيت المقدس زائرا ومستوطنا قبل استيلا الافرنج عليه *
ثم أذكر تغلب الافرنج واستيلاهم على بيت المقدس بعد ذلك لضعف
دولة الفاطميين وسوء تدبيرهم * ثم أذكر الفتح الصلاحي الذي يسره الله
تعالى على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب
تغمده الله برحمته وما وقع له من الغزوات وشىء من سيرته ووفاته ثم أذكر
ما وقع بعده من تسليم القدس للافرنج وانتزاعه منهم مرة بعد اخرى
لوقوع الخلف بين ملوك بني أيوب * ثم أذكر صفة المسجد الاقصى

وما هو عليه في عصرنا وذرعه طولا وعرضا وكذلك صحن الصخرة الشريفة وارتفاع القبة ثم اذكر غالب ما في بيت المقدس من المدارس والمشاهد وما هو مجاور لسور المسجد الاقصى وغيره واسماء من عرفته من الواقفين للمدارس وما اطلعت عليه من تواريخ أوقافهم * ثم أذكر ما بظاهر بيت المقدس من عين سلوان وعين المقدوفات وبئر أيوب وطور زيتا وقبر مريم والساهرة وبيت لحم ورملة فلسطين ولد وغير ذلك * ثم أذكر نبذة من أخبار مدينة سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وما فيها وما حولها مما اشتهر من المشاهد والاماكن المقصودة للزيارة * وأذكر الاقطاع التميمي * ثم أذكر جماعة من اعيان ملوك الاسلام ممن تولى على بيت المقدس وبلد سيدنا الخليل عليه السلام وفعل فيهما الخير من أنواع البر والعمارة * ثم أذكر ما تيسر من اعيان علماء البلدتين من المذاهب الاربع ومن ولي فيهما المناصب الحكمية والوظائف الدينية ومن عرف منهم بالزهد والصلاح وأذكر في تراجمهم نبذة مما اطلعت عليه من الحوادث والاخبار مما لا يخلو من فائدة ان شاء الله تعالى ثم أختم الكتاب بذكر ترجمة ملك العصر والزمان مولانا السلطان الملك الاشرف أبو النصر قايتباي نصره الله تعالى وأذكر مدرسته الشريفة وأنها من محاسن بيت المقدس لا سيما كونها في المسجد الاقصى الشريف وهي آخر مدرسة بنيت فيه وأذكر ابتداء ولايته السلطنة واحوال بيت المقدس واحوال بلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام في ايامه وأذكر سبب بناء مدرسته وتولية مشيختها الشيخ الاسلام الشيخ كمال الدين أبي المعالي محمد بن أبي شريف الشافعي ادام الله النفع بعلومه وأذكر تاريخ مولده واسماء مصنفاته وما تيسر من ترجمته وأجتهد في ايجاز لفظ هذا الكتاب حسب الامكان طالبا للاختصار * وسميته بالانس الجليل * بتاريخ القدس والخليل * واذا منّ الله بكماله كان تاريخا للقدس والخليل خاصة ولغيرهما عامة فانه يكون فيه تاريخ المساجد الثلاثة وغيرها فالكعبة

الشريفة ذكرها بالنسبة الى ذكر قصة سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام
ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم ذكرته بالنسبة الى ذكره الشريف وغير
ذلك من الحوادث بالنسبة لارتباط الاخبار بعضها ببعض وحين جرى
على جمعه لم أقصد ذلك وانما قصدت ذكر ما يتعلق بالقدس والخليل فقط
ومن تأمل ما قصدت جمعه رأيت الحال يستطرق الى ذكر جميع ذلك الأمور
لا يخفى على من تأمل والله يعلم أني لم أقصد بذلك الفخر ولا أن يقال اني من
حملة المصنفين لعلمي بحقيقة حالي في التقصير وأن بضاعتي في العلم مزجاة
وانما فعلت ذلك لأن غالب بلاد الاسلام قد اعتنى بها الحفاظ وذكروا
ما يتعلق بتاريخها مما يفيد أخبارها الواقعة في الزمن السابق وبيت
المقدس لم أطلع له على شيء من ذلك يختص به وانما ذكروا في التواريخ
أشياء في أماكن متفرقة وبان الانفس مشوقة الى شيء من هذا النمط
الذي قصدت جمعه فان بعض الناس كتب شيئا يتعلق بالفضائل فقط
وبعضهم تعرض لذكر الفتح العمري وعمارة بني أمية وبعضهم ذكر الفتح
الصلاحي واقتصر عليه ولم يذكر ما وقع بعده وبعضهم كتب تاريخا تعرض
فيه لذكر بعض جماعة من أعيان بيت المقدس مما ليس فيه كبير فائدة
فأحببت أن أجمع بين ذكر البناء والفضائل وولاته وحكامه وتراجم الأعيان
وذكر بعض الحوادث المشهورة ليكون تاريخا كاملا والله سبحانه وتعالى
المسؤول وهو المأمول أن يمن على بتيسير اتمامه * ويوفقني لبدايته ويعينني
على اكماله وختامه * وأن ينفع به المسلمين كافة انه قريب مجيب
وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب *

﴿نبذة يسيرة من تفسير أول سورة الاسرا وذكر أسما المسجد الاقصى﴾

قال الله تعالى في كتابه العزيز بعد قوله تعالى وهو أصدق القائلين * بسم الله
الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير * قال
المفسرون رضي الله تعالى عنهم سبحان هي تنزيه الله تعالى عن كل سوء

ووصفه بالبراءة من كل نقص وتكون سبحان بمعنى التعجب * أسرى بعبده
ليلا أي سيره والعبد هو محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف في ذلك أحد
من الأمة * من المسجد الحرام يعني مكة إلى المسجد الأقصى هو مسجد
بيت المقدس * الذي باركنا حوله يعني بالأنهار والأشجار والأثمار *
وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله باركنا حوله فلسطين والأردن
ويأتي ذكر فلسطين فيما بعد إن شاء الله تعالى وأما الأردن فهو نهر
الشريعة المذكور في قوله تعالى إن الله مبتليكم بنهر وهو بضم الهمزة
وسكون الراء وضم الدال المهملة وتشديد النون * وقال أبو القاسم
السهيلي قوله الذي باركنا حوله يعني الشأم والشام بالسريانية الطيب
سميت بذلك لطيبها وخصبها وقيل باركنا حوله بمقار الأنبياء وقيل غير
ذلك وقيل سماه مباركا لأنه مقر الأنبياء وقبلتهم ومهبط الملائكة
والوحي وفيه يحشر الناس يوم القيامة وسمي الأقصى لبعد المسافة بينه
وبين المسجد الحرام وقيل كان هذا أبعد مسجد عن أهل مكة في الأرض
يعظم للزيارة وقيل لبعده عن الأقذار والخبائث * وروي أنه سمي
الأقصى لأنه وسط الدنيا لا يزيد شيئا ولا ينقص * وقوله تعالى والتين
والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين روي عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال أقسم ربنا جل جلاله بأربعة أجبل فقال والتين والزيتون
وطور سينين وهذا البلد الأمين قال التين طور سيناء مسجد دمشق
والزيتون طور زيتا مسجد بيت المقدس وطور سينين حيث كلم الله
موسى عليه السلام وهذا البلد الأمين جبل مكة * ومن أسماء بيت
المقدس إيلياء بهمزة مكسورة ثم ياء آخر الحروف ساكنة ثم لام مكسورة
ثم ياء آخر الحروف ثم ألف ممدودة ككبرياء وحكي فيها القصر ومعناه
بيت الله المقدس وبيت المقدس بفتح الميم وسكون القاف أي المكان المطهر
من الذنوب واشتقاقه من القدس وهي الطهارة والبركة ومعنى بيت
المقدس المكان الذي يتطهر فيه من الذنوب ويقال المرتفع المنزه عن

الشريف والبيت المقدس بضم الميم وفتح الدال المشددة أى المطهر وتطهيره اخلاؤه من الاصنام وبيت المقدس بضم الدال وسكونها لغتان * ومن اسماء بيت المقدس وريشلم بشين معجمة وتشديد اللام وروى بالمهملة وكسر اللام وروى سلم ومعناه بالعبرانية بيت السلام وصهيون بكسر الصاد المهملة ويقال له عد بيت المقدس الزيتون ولا يقال له الحرم وقد اختلف فى أول من بنى مسجد بيت المقدس فقيل داود عليه السلام * فروى بعض العلماء ان أول من بناه الملائكة بأمر الله تعالى وقيل ان الذى بناه اسرائيل عليه السلام * وقد روى المحدثون عن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله أى مسجد وضع فى الارض أولا قال المسجد الحرام قال قلت ثم أى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة فصل فان الفضل فيه وقد روى ان الملائكة بنوا المسجد الحرام قبل خلق آدم بألفى عام وكذا بنحوه * قال الامام أبو العباس القرطبى يجوز أن يكون بانيه يعنى مسجد بيت المقدس الملائكة بعد بنائها البيت المعمور باذن الله تعالى وظاهر الحديث يدل على ذلك والله أعلم * ومن العلماء من قال بنى مسجد بيت المقدس آدم عليه السلام ومنهم من قال أسسه سام بن نوح عليهما السلام ومنهم من قال أول من بناه وأرى موضعه يعقوب بن اسحاق عليهما السلام روى ان أباه اسحاق أمره ان لا ينكح امرأة من الكنعانيين وأمره ان ينكح من بنات خاله فلما توجه الى خاله لينكح ابنته أدركه الليل فى بعض الطريق فبات متوسدا حجرا فرأى فيما يرى النائم أن سلما منصوبا الى باب من أبواب السماء والملائكة تعرج فيه وتنزل فأوحى الله اليه * انى أنا الله لا اله الا أنا وقد ورثتك هذه الارض المقدسة وذريتك من بعدك ثم أنا معك أحفظك حتى أردك الى هذا المكان فاجعله مسجدا تعبدنى فيه فهو بيت المقدس وقد تأول بعض العلماء معنى الحديث الشريف الوارد أن بنا المسجد الاقصى كان بعد بنا المسجد الحرام بأربعين سنة على أن

المراد ببناء يعقوب عليه السلام لمسجد بيت المقدس بعد بناء ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الكعبة الشريفة والله أعلم * والحديث الشريف المتقدم وهذه الاقوال تدل على ان بناء داود وسليمان عليهما السلام اياه انما كان على اساس قديم لا انهما المؤسسان له بل هما مجددان وكل قول من الاقوال الواردة فى بناء المسجد الاقصى لا ينافى الآخر فانه يحتمل أن يكون بناه الملائكة أولا ثم جدده آدم عليه السلام ثم سام بن نوح عليهما السلام ثم يعقوب بن اسحاق عليهما السلام ثم داود وسليمان عليهما السلام فان كل نبى منهم بينه وبين الآخر مدة تحتمل ان يجدد فيها البناء المتقدم قبله والقول بأن سام بن نوح أسسه ظاهر فان سام بن نوح هو الذى اختط مدينة بيت المقدس وبناها وكان ملكا عليها فلا يبعد أن يكون اسس المسجد حين بنائه المدينة ولكن يحمل على تجديده للبناء القديم لا تأسيسه والله أعلم * وأما مدينة القدس فكانت أرضها فى ابتداء الزمان صحراء بين أودية وجبال وهى خالية لا بناء فيها ولا عمارة فأول من بناها واختطها سام بن نوح عليهما السلام وكان ملكا عليها وكان يلقب ملكيصادق بفتح الميم وسكون اللام وكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الصاد المهملة وبعدها ألف ثم دال مهملة مكسورة وبعدها قاف ومعناه بالعبرانية ملك الصدق * ومما حكى فى أمر بناء القدس فى تواريخ الامم السالفة ان ملكيصادق نزل بأرض بيت المقدس وقطن بكهف من جبالها يتعبد فيه واشتهر أمره حتى بلغ ملوك الارض الذين هم بالقرب من أرض بيت المقدس وبالشأم وسدوم وغيرهما وعدتهم اثنا عشر ملكا فحضروا اليه فلما رأوه وسمعوا كلامه اعتقدوه وأحبوه حبا شديدا ودفعوا له مالا ليعمر به مدينة القدس فاختطها وعمرها وسميت روشلم وتقدم ان معناه بالعبرانية بيت السلام فلما انتهت عمارتها اتفقت الملوك كلهم ان يكون ملكيصادق ملكا عليها وسموه بأبى الملوك وكانوا جميعهم تحت طاعته واستمر حتى مات بها

وسيأتي ذكر مولده ووفاته عند ذكر والده نوح إن شاء الله تعالى ولما بنيت مدينة بيت المقدس كان محل المسجد وسطها وهو صعيد واحد والصخرة الشريفة قائمة في وسطه حتى شاده داود ثم سليمان كما سنذكر إن شاء الله تعالى

﴿ذكر أول ما خلق الله سبحانه وتعالى﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما أول ما خلق الله تعالى اللوح المحفوظ فحفظه بما كتب الله فيه مما كان ويكون لا يعلم ما فيه إلا الله عز وجل وهو من درة بيضاء دفتاه ياقوتتان حمراوان وهو في عظم لا يوصف * وخلق الله له قلما من جوهرة طولها مسيرة خمسمائة عام مشقوق السن ينبع منه النور كما ينبع من أقلام أهل الدنيا المداد ثم نودي القلم أن اكتب فاضطرب من هول النداء حتى صار له رجيع كرجيع الرعد ثم جرى في اللوح بما هو كائن وما هو فاعله في الوقت الذي يفعله إلى يوم القيامة فامتلأ اللوح وجف القلم بسعد من سعد وشقي من شقي * وخلق الله الماء ثم خلق الله من بعد ذلك درة بيضاء في عظم السموات والأرضين ثم ناداها الرب سبحانه وتعالى فاضطربت وذابت من هول النداء حتى صارت ماء تموج بعضها في بعض ثم نودي أن اسكني فاستقر وهو ماء صاف لا كدر فيه ولا موج ولا زبد ﴿خلق العرش والكرسي والريح﴾ ثم خلق الله تعالى العرش والكرسي من جوهرتين عظيمتين ووضعهما على سار الماء قال الله تعالى وكان عرشه على الماء قال ابن عباس رضي الله عنهما كل صانع يبني الأساس فإذا تم عقد عليه السقف وإن الله تعالى خلق السقف أولا ثم خلق الأساس لأنه خلق العرش قبل السموات والأرضين ثم خلق الله الريح وجعل لها أجنحة لا يعلم كم هي إلا الله وأمرها أن تحمل هذا الماء وكان العرش على الماء والماء على الريح ثم خلق الله حملة العرش وهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله بأربعة أخرى لذلك قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم في عظم لا يوصفون ثم خلق الله حول العرش حية محدقة به رأسها من درة بيضاء وجسدها من ذهب وعيناها ياقوتتان لا يعلم عظم

تلك الحجبة الا الله تعالى فالعرش عرش العظمة والكبرياء والكرسي كرسي الجلال او البهاء لان الله تعالى لا حاجة له اليهما فقد كان قبل تكوينهما الا على مكان * (خلق الارضين والجبال والبحار) لما أراد الله خلق الارضين أمر الريح أن تضرب الماء بعضه في بعض فلما اضطرب أزبد وارتفعت أمواجه وعلا بخاره وأمر الله الزبد أن يجمد فصار يابسا فهو الارض فدحاها على وجه الماء في يومين وذلك قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين ثم أمر تلك الامواج فسكنت فهي الجبال فجعلها عمادا الارض وذلك قوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بكم فلولاها لمادت الارض بأهلها وعروق هذه الجبال متصلة بعروق جبل قاف وهو الجبل المحيط بالارض ثم خلق الله تعالى سبعة أبحر وأولها محيط بالارض وراء جبل قاف وكل بحر منها محيط بالبحر الذي تقدمه واما هذه البحار التي على وجه الارض فانها بمنزلة الخليج لها وفي تلك البحار من الخلائق والدواب ما لا يعلم عدده الا الله تعالى وخلق الله تعالى هذه البحار وما فيها من الدواب في اليوم الثالث ثم خلق الله تعالى أرزاقها وقدرها في اليوم الرابع وذلك قوله تعالى وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين وهي سبع أرضين كل أرض تلي الاخرى وكانت الارض تموج بأهلها كالسفينة تذهب وتجيء لانه لم يكن لها قرار فأهبط الله ملكا ذا بهاء عظيم وقوة وأمره الله أن يدخل تحتها فيحملها على منكبه فأخرج الله له يدا في المشرق ويدا في المغرب فقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله له صخرة مرتفعة من ياقوتة خضراء وأمرها حتى دخلت تحت قدمي الملك فاستقرت أقدام الملك عليها ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله للصخرة ثورا عظيما صفته لا يحيط بها الا الله تعالى لعظمها وأمره أن يدخل تحتها فحملها على ظهره وقيل على قرونه ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله له حوتا عظيما لا يقدر أحد أن ينظر اليه لعظمه ولبروق

عينيه وأمره الله تعالى أن يصير تحت قوائم الثور واسم هذا الحوت
يهموت ثم جعل قراره على الماء وتحت الما الهوا وتحت الهوا الظلمة
والارضون كلها على منكبي الملك والملك على الصخرة والصخرة على الثور
والثور على الحوت والحوت على الما والما على الهوا والهوا على الظلمة
ثم انقطع علم الخلائق بما تحت الظلمة ﴿العقل﴾ ثم خلق الله تعالى
العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال له وعزتي
وجلالي ما خلقت خلقا أحب إلي منك بك آخذ وبك أعطي وعليك
أثيب وبك أعاقب * وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
العاقل هو الصادق الطويل صمته الذي يسلم الناس من شره فإن الله
تعالى يدخله الجنة وإن الله تعالى ليعاقب العاقل يوم القيامة بما لا
يعاقب به الجاهل وإن الجاهل هو الكاذب بلسانه الخائض
فيما لا يعنيه وإن كان قاريا وكان صائما قال ما يرى العبد به أحسن
من العقل وما شيء أقبح من الجهل فالعقل ما يحصل به التمييز وهو
بعض العلوم الضرورية وهو غريزة نص عليه الامام أحمد رضي الله
عنه والمشهور عنه أنه في الدماغ وفاقا للحنفية وعند أصحاب أحمد
والشافعي والاطبا ان محله القلب وله اتصال بالدماغ قال أصحاب
أحمد العقل يختلف فعقل بعض الناس أكثر ﴿خلق الله السموات
وسكانها وصفة الملائكة وخلق الشمس والقمر﴾ قال ابن عباس رضي الله
عنهما أمر الله تعالى البخار الذي علا من الما ان يعلو الهوا فخلق الله
تعالى منه السما في يومين فكانت ارضا واحدة في يومين وسما واحدة
في يومين وما بينهما في يومين أيام ثم فتق السما والارض خوفا من ربها
فصارت سبع سموات وسبع أرضين وذلك قوله تعالى أولم ير الذين
كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم قال فقضاهن
سبع سموات في يومين وأوحى في كل سما أمرها * فالسما الاولى من
زبرجدة خضرا وسكانها ملائكة على صورة البقر * والسما الثانية
من ياقوتة حمرا وسكانها ملائكة على صورة العقبان * والسما الثالثة

من ياقوتة حمراء وسكانها ملائكة على صورة النسور * والسماء الرابعة من فضة بيضاء وسكانها ملائكة على صورة الخيل * والسماء الخامسة من ذهب وسكانها ملائكة على صورة الحور العين * والسماء السادسة من درة بيضاء وسكانها ملائكة على صورة الولدان * والسماء السابعة من نور يتلألأ وسكانها ملائكة على صورة بني آدم وهؤلاء الملائكة لا يفترون عن التسبيح وذلك قوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وأفضلهم جبريل وهو الروح الأمين له ستة أجنحة في كل جناح مائة جناح وله وراء ذلك جناحان أخضران ينشرهما ليلة القدر وجناحان ينشرهما عند هلاك القرى والأجنحة كلها من أنواع الجواهر * ويليه اسرافيل وهو ملك عظيم الشأن وله أربعة أجنحة جناح يسد به المشرق وجناح يسد به المغرب والثالث يسد به ما بين السماء والأرض والرابع قد التثم به قدماه تحت الأرض السابعة ورأسه قد انتهى الى أركان قوائم العرش وبين عينيه لوح من جوهرة فاذا أراد الله أن يحدث في عباده أمرا أمر القلم أن يخط في اللوح ثم يدلي اللوح الى اسرافيل فيكون بين عينيه ثم ينتهي الوحي الى جبريل عليه السلام وهو أقرب من اسرافيل ومن وراء البيت المعمور ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى وفي السماء السابعة البحر المسجور وأما ملك الموت عزرائيل فسكنه في سماء الدنيا وقد خلق الله له أعوانا بعدد من يذوق طعم الموت رجلاه في تخوم الأرض ورأسه في السماء العليا عند آخر الحجب ووجهه مقابل للوح المحفوظ وهو ينظر اليه وكل الخلق بين عينيه ولا يقبض روح مخلوق الا بعد أن يستوفي رزقه ويقضي أجله * (خلق الشمس والقمر) ثم خلق الله الشمس والقمر فالشمس من نور عرشه والقمر من نور حجابه الذي يليه وأثنى الله تعالى عليهما فقال وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ثم وكل بهما جمعا من الملائكة يرسلونهما بمقدار ويقبضونهما بمقدار وذلك قوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل فانقص من أحدهما زاد في الآخر وقال أهل التوراة

ابتدأ الله تعالى الخلق في يوم الأحد وانتهى في السبت فاستوى على
العرش فيه فاتخذوا السبت عيدا وقالت النصارى وقع الابتداء في
يوم الاثنين والانتهاء في الأحد ثم استوى على العرش فيه فاتخذوا الأحد
عيدا * قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الابتداء في السبت والانتهاء
يوم الجمعة سيد الأيام وهو عيد الله أعظم من يوم الفطر ويوم الأضحى وفيه
ست خصائل فيه خلق الله آدم عليه السلام وفيه نفخ الروح فيه وفيه تاب
الله عليه وفيه توفاه وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا أعطاه الله إياه
ما لم يكن حراما وفيه تقوم الساعة ﴿ذكر الجنة والنار وما فيهما﴾ ثم خلق
الله الجنة وهي ثمان جنات * أولها دار الجلال من اللؤلؤ الأبيض * ثم دار
السلام وهي من الياقوت الأحمر * ثم جنة المأوى وهي من الزبرجد
الأخضر * ثم جنة الخلد وهي من المرجان الأصفر * ثم جنة النعيم وهي من
الفضة البيضاء * ثم الفردوس وهي من الذهب الأحمر ثم جنة دار القرار
وهي من المسك * ثم جنة عدن وهي من الدر وهي مشرفة على الجنان لها
بابان من ذهب بين كل مصراع كما بين السماء والأرض وبناؤها لبنة من
ذهب ولبنة من فضة ملاطها المسك وترابها العنبر وحشيشها الزعفران
وقصورها اللؤلؤ وغرفها الياقوت وأبوابها الجوهر وفيها أنهار منها نهر
الرحمة ونهر الكوثر وهو لنبينا صلى الله عليه وسلم ونهر الكافور ثم
التسنيم ثم السلسبيل ثم الرحيق وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى وللجنان
ثمانية أبواب وفيها من الحور العين ما لا يقدر على وصفهن إلا الذي خلقهن *
وأما جهنم فلها سبعة أبواب * أولها جهنم والثاني لظى والثالث الحطمة
والرابع السعير والخامس سقر والسادس الجحيم والسابع الهاوية ولجهنم سبع
طباق وفيها أشجار من النار شوكها كأمثال الرماح الطوال تلتظي بالنيران
وعليها ثمار من نار في كل ثمرة حية تأخذ بأجفان عين الكافر وشفته
فيسقط لحمه إلى قدميه وفيها عقارب وأسود وذئاب وكلاب من نار
وزبانية بأيديهم مقامع من نار وعليها تسعة عشر من الملائكة كما قال الله

تعالى لواحة للبشر عليها تسعة عشر وقال الله تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿ذكر الجن والجان وما كان من ابتداء أمرهم وعبادة ابليس﴾ روى عن وهب قال خلق الله نار السموم وهي نار لا حر لها ولا دخان ثم خلق الله منها الجان فذلك قوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم قال وخلق الله خلقا عظيما وسماه مارجا وخلق منه زوجة وسماها مرجة فواقعها فولدت الجان وولد للجان ولد فسماه الجن فمنه تفرعت قبائل الجن ومنهم ابليس اللعين وكان يلد من الجان الذكر والانثى ومن الجن كذلك توأمين فصاروا سبعين ألفا وتوالدوا حتى بلغوا عدد الرمل فتزوج ابليس امرأة من ولد الجان فكثر أولاده وانتشروا حتى امتلأت الاقطار منهم ثم أسكن الله الجان في الهواء وابليس وأولاده في سماء الدنيا وأمرهم بالعبادة والطاعة فكانت السماء تفتخر على الارض بأن الله رفعها وجعل فيها ما لم يكن في الارض فشكت الارض الى خالقها الوحشة اذ ليس على ظهرها خلق يذكرون الله فنوديت الارض اسكني فاني خالق من أديمك صورة لا مثل لها في الحسن وأرزقها العقل واللسان وأعلمها من علمي وأنزل عليها من كلامي فأملأ منها بطنك وظهرك وشرقك وغربك على مراح تربتك في الالوان والخيرية والشرية فافتخري يا أرض على السماء بذلك فاستقرت الارض وهي مع ذلك بيضاء نقية كأنها الفضة البيضاء فأسرفت الجان على الارض وقالت ربنا أهبطنا الى الارض فأذن الله لهم بذلك على أن يعبدوه ولا يعصوه فأعطوه العهود على ذلك ونزلوا وهم ألوف فعبدوا الله حق عبادته دهرا طويلا ثم أحدثوا المعاصي وسفك الدماء حتى استغاثت الارض منهم وقالت انّ خلوي يا رب أحب اليّ من أن يكون على ظهري من يعصيك فأوحى الله اليها ان اسكني فاني باعث اليهم رسلي قال كعب الاحبار فأول نبي بعثه الله من الجان نبيا منهم يقال له عامر بن عمير بن الجان فقتلوه ثم بعث لهم من بعد عامر صاعق بن ماعق بن مارد بن

الجان فقتلوه حتى بعث الله إليهم ثمانمائة نبي في ثمانمائة سنة في كل سنة
نبيا وهم يقتلونهم فلما كذبوا الرسل أوحى الله إلى أولاد الجن في السماء
أن انزلوا إلى الأرض فقاتلوا من فيها من أولاد الجان وعليهم إبليس الأين
فقاتلهم إبليس اللعين هو ومن كان معه حتى أدخلهم إلى بقعة من الأرض
فاجتمعوا فيها فأرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم وسكن إبليس الأرض مع
الجن وعبد الله حق عبادته فكان عابدا أكثر من عباداتهم كلهم * ثم
رفعه الله تعالى إلى سماء الدنيا لكثرة عبادته فعبد الله فيها ألف سنة حتى
سمي فيها العابد ثم رفعه الله إلى السماء الثانية فعبد الله فيها ألف
سنة ثم رفعه إلى الثالثة فعبد الله كذلك حتى رفعه إلى السماء السابعة
فقال إنه في يوم السبت يكون في الأولى ويوم الأحد في الثانية حتى
إذا كان يوم الجمعة يكون في السماء السابعة يعبد الله في كل سماء يوما وكان
إبليس لعنه الله بمنزلة عظيمة حتى إذا مر به جبريل أو ميكائيل أو غيرهما
من الملائكة يقول بعضهم لبعض لقد أعطى الله هذا العابد من القوة على
طاعة ربه ما لم يعط أحدا من الملائكة فلما كان بعد ذلك بدهر طويل أمر
الله تعالى جبريل عليه السلام أن يهبط إلى الأرض ويقبض قبضة من
شرقها وغربها ووعرها وسهلها ليخلق منها خلقا جديدا يجعله أفضل
الخلائق فعرف ذلك إبليس فهبط إلى الأرض حتى وقف في وسطها وقال
لها إني جئتك ناصحا فقالت وما نصحك يا زين العابدين وإمام الزاهدين
فقال لها إن الله يريد أن يخلق منك خلقا يفضله على جميع خلقه وأخاف
منه أن يعصيه فيعذبه وقد أرسل الله الملك جبريل فإذا جاءك فأقسمي عليه
أن لا يقبض منك شيئا فلما هبط جبريل عليه السلام نادته الأرض
وقالت يا جبريل بحق من أرسلك إلي لا تقبض مني شيئا فإني أخاف أن
يخلق الله مني خلقا فيعصيه ذلك الخلق فيعذبه بالنار فارتعد جبريل من
هذا القسم فرجع ولم يأخذ منها شيئا فأخبر جبريل ربه بذلك فبعث الله
ميكائيل ليأتيه بالقبضة فكانت حالته كحالة جبريل فبعث الله ملك الموت

فلما هم أن يتمس ما أمره ربه أقسمت عليه أيضا فقال ملك الموت عليه السلام وعزة ربي لا أعصي له أمرا فقبض منها قبضة من جميع بقاعها عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وكل ابن آدم مخلوق من تلك القبضة فلما رجع ملك الموت بالقبضة وقف في موقفه أربعين عاما لا ينطق * ثم أتاه النداء يا ملك الموت ما الذي صنعته وهو أعلم فأخبره بقصته وقسم الارض عليه فقال تعالى وعزتي وجلالي لاخلقن مما أتيت به خلقا ولأسلطنك على قبض أرواحهم لقلة رحمتك بهم فجعل نصف تلك القبضة في الجنة ونصفها في النار وقال أنا الله الذي لا اله الا أنا أقضي ولا يقضى علي

﴿ذكر آدم عليه السلام﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والاسود والابيض وما بين ذلك ومنهم الحزن والسهل وبين ذلك وانما سمي آدم لانه خلق من أديم الارض ولما خلق الله جسد آدم تركه أربعين ليلة وقيل أربعين سنة ملقى بغير روح وقال الله تعالى للملائكة اذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فلما نفخ فيه الروح سجد له الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ولم يسجد كبرا وبغيا فأوقع الله تعالى على ابليس اللعنة والاياس من رحمته وجعله شيطانا رجيما وأخرجه من الجنة بعد ان كان ملكا على سماء الدنيا والارض وخازنا من خزنة الجنة وأسكن الله تعالى آدم الجنة ثم خلق الله تعالى من ضلع آدم حوّاء زوجته سميت [illegible] لانها خلقت من شيء حي فأوحى الله تعالى اليه يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ثم أراد ابليس ان يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحوّاء فمنعه الخزنة فعرض نفسه على دواب الارض أن تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجته فكل الدواب أبت ذلك الا الحية فانها أدخلته الجنة بين نابيها

وكانت اذ ذاك على غير شكلها الآن فلما دخل ابليس الجنة وسوس
لآدم وحوا وحسن عندهما الاكل من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عنها
وهي الحنطة في قول وقرر عندهما بعد أن حلف لهما انهما ان أكلاها
خلدا ولم يموتا فأكلاها فبدت لهما سوآتهما أي ظهرت لهما عوراتهما
وكانا لا يريان ذلك * فقال الله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو وهم آدم
وحوا وابليس والحية فأهبطهم الله من الجنة الى الارض وسلب عن آدم
وحوا كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة فهبط آدم بسرنديب من أرض
الهند على جبل يقال له نود وحوا بجدة وابليس بأيلة والحية بأصفهان
فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا
فسمي ذلك اليوم عرفة والموضع عرفات وكان هبوط آدم من باب التوبة
وهبوط حوا من باب الرحمة وابليس من باب اللعنة والحية من باب
السخط * وكان في وقت العصر وكان بين هبوط آدم والهجرة النبوية ستة
آلاف سنة ومائتان وستة عشر سنة على حكم التوراة اليونانية وهي
المعتمدة عند المحققين من المؤرخين وفي ذلك خلاف لا فائدة لذكره خشية
الاطالة وقد مضى من الهجرة النبوية الى عصرنا هذا سبعمائة سنة كاملة
فيكون الماضي من هبوط آدم الى آخر سنة سبعمائة من الهجرة النبوية
سبعة آلاف سنة ومائة وستة عشر سنة وهو المعتمد عند المؤرخين
ولما هبط آدم الى الارض كان له ولدان هابيل وقابيل فقربا قربانا فتقبل من
هابيل ولم يتقبل قربان قابيل فحسده على ذلك وكان لقابيل أخت توأمة
وكانت أحسن من توأمة هابيل وكان آدم أراد أن يزوج توأمة قابيل
بهابيل وعكسه فلم يطب لقابيل ذلك ورأى قربان أخيه قد تقبل دون
قربانه فقتل أخاه هابيل وأخذ قابيل توأمته وهرب بها وعاش آدم عليه
السلام تسعمائة وثلاثين سنة وذلك باتفاق المؤرخين وكان آدم رجلا
طوالا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس وقد بلغ عدد ولده لصلبه وولد
ولده لما توفي أربعين ألفا ونزل عليه جبريل عليه السلام اثنى عشر مرة وقد

تقدم ذكر الخلاف في انه أوّل من بنى مسجد بيت المقدس وقد اختلف في مدفنه فقيل ان قبره في مغارة بين القدس ومسجد ابراهيم رجلاه عند الصخرة ورأسه عند مسجد ابراهيم عليه السلام والخلاف في ذلك كثير * ثم بعد قتل هابيل ولد لآدم شيث عليه السلام وهو وصيه وتفسير شيث هبة الله عاش تسعمائة سنة واثنى عشر سنة ومات لمضي ألف ومائة واثنين وأربعين سنة لهبوط آدم والى شيث تنتهي انساب بني آدم كلهم ثم ولد لشيث * انوش عاش تسعمائة سنة وخمسين سنة ثم ولد لانوش * قينان عاش تسعمائة وعشرين سنة ثم ولد لقينان مهلاييل عاش ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة ثم ولد لمهلاييل * يرد بالدال المهملة عاش تسعمائة واثنين وستين سنة ثم ولد ليرد * حنوخ بحاء مهملة ونون وواو وخاء معجمة وهو ادريس عليه السلام وأدرك ادريس من حياة شيث جد جده عشرين سنة ولما صار له من العمر ثلثمائة وخمس وستون سنة رفعه الله الى السماء وكان قد نبأه الله وانكشفت له الاسرار السماوية ونزل عليه جبريل عليه السلام أربع مرات وله صحف (منها) لا تروموا ان تحيطوا بالله خبرة فانه أعظم وأعلى من أن تدركه فطن المخلوقين الا من أثره ثم ولد لخنوخ * متوشلخ بتاء مثناة من فوق وآخره خاء معجمة عاش تسعمائة وتسعا وستين سنة ثم ولد لمتوشلخ * لامخ ولما صار له من العمر مائة وثمان وثمانون سنة ولد له نوح * (ذكر نوح عليه السلام) * واسمه عبد الغفار ولد بعد أن مضى ألف وستمائة وثنتان وأربعون سنة من هبوط آدم عليه السلام وكان بعد رفع ادريس الى السماء بمائة وخمس وسبعين سنة ويقال ان دمشق كانت دار نوح عليه السلام وأرسله الله تعالى الى قومه وكانوا أهل أوثان فصار يدعوهم الى طاعة الله وهم لا يلتفتون اليه وكانوا يخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وكانوا يضربونه حتى يظنوا انه مات فاذا أفاق اغتسل وأقبل عليهم وهو يدعوهم الى الله * فلما طال ذلك شكاهم الى الله تعالى فأوحى الله اليه أنه لن يؤمن

من قومك الا من قد آمن فلما ايس منهم دعا عليهم * فقال رب لا تذر على
الارض من الكافرين ديارا فأوحى الله اليه ان اصنع السفينة فصنعها من
خشب الساج فلما أقبل على عمل الفلك جعل يقطع الخشب ويضرب
الحديد وكان قومه يمرون عليه وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون يا نوح
قد صرت نجارا بعد النبوة ويضحكون عليه فقال لهم ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم اذا اتاكم عذاب الله كما تسخرون واتخذ السفينة
وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السما ثلاثين
ذراعا وقيل غير ذلك فلما فار التنور وكان ذلك الآية بين نوح وبين ربه حمل
نوح من أمره الله بحمله من أهله وغيرهم سوى ولده كنعان فانه كان كافرا
ثم ادخل في السفينة ما أمره الله به من الدواب واختلف في موضع التنور
فقيل كان بالكوفة وقيل بالشام وقيل غير ذلك فلما دخل نوح ومن معه
السفينة فتح الله عز وجل عيون الما مارب الارض والعب العار
وأمطر الله من السما ما فارتفع الما وجعلت الفلك تجري بهم في موج
كالجبال وعلا الما على رؤس الجبال أربعين ذراعا فهلك كل من على
وجه الارض من حيوان ونبات سوى عوج ابن عناق نسبة لأمه عناق
بنت آدم وهي أول من بغى على وجه الارض وعمل الفجور وعمل
السحر وجاهرت بالمعاصي وولدت عوج الجبار ولم يعرفه الطوفان
ولا بلغ بعض جسده وطلب السفينة ليغرقها وكان طوله ثلاثة آلاف
وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع بالهاشمي وكان يحتجز
بالسحاب ويشرب منه * ويتناول الحوت من قرار البحر ويشويه في عين
الشمس وتبعه البهائم يأكله وعاش ثلاثة آلاف سنه وعمر الى زمان
فرعون وقطع صخرة على قدر عسكر موسى عليه السلام ليطرحها عليهم
وكان العسكر فرسخا في فرسخ فأرسل الله طيرا نقر الصخرة فنزلت من
رأسه الى عنقه ومنعته الحركة فوثب موسى وكانت قامته عشرة اذرع
وطوله مثل ذلك وطول عصاه مثل ذلك ولم يلحق سوى عقبه فقتله

وتركه بموضعه وردم عليه بالصخر والرمل فكان كالجبل العظيم في صحراء مصر وقيل غير ذلك وكان بين أن أرسل الله ماء الطوفان وبين أن غاض ستة أشهر وعشر ليال وكان ركوب نوح في السفينة في مستهل شهر رجب وقيل لعشر ليال مضت من رجب وكان أيضا لعشر ليال خلت من آب وخرج من السفينة يوم عاشوراء من المحرم وكان استقرار السفينة على الجودي وهو جبل من أرض الموصل * وقد ورد حديث أن السفينة طافت بالبيت الحرام أسبوعا ثم طافت ببيت المقدس أسبوعا واستوى على الجودي وروي أن السفينة سارت حتى بلغت بيت المقدس فوقفت ونطقت بإذن الله تعالى وقالت يا نوح هذا موضع بيت المقدس الذي يسكنه الأنبياء من أولادك وكان الطوفان بعد هبوط آدم بألفي سنة ومائتين واثنين وأربعين سنة وكان لستمائة سنة مضت من عمر نوح وبين الطوفان والهجرة الشريفة ثلاثة آلاف وتسعمائة وأربع وسبعون سنة وقد مضى من الهجرة إلى عصرنا تسعمائة سنة كاملة فيكون الماضي من الطوفان إلى سنة تسعمائة من الهجرة أربعة آلاف وثمانمائة وأربعا وسبعين سنة والله أعلم ولما مضت ثلثمائة وخمسون سنة للطوفان توفي نوح عليه السلام وله من العمر تسعمائة وخمسون سنة هكذا وقع في كلام المؤرخين أن نوحا عاش القدر المذكور فقط وظاهر الآية الشريفة يخالفه لأنه يدل على أنه لبث القدر المذكور في قومه بعد إرساله إليهم يدرهم وأن الطوفان وقع بعد ذلك وقيل إن عمر نوح ألف وأربعمائة وخمسون سنة وهو موافق للآية قال الله تعالى ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون * وظاهر الآية الشريفة أنه عاش أكثر مما ذكره المؤرخون والله أعلم ونزل عليه جبريل عليه السلام خمسين مرة وقبره بكرك نوح ومن أولاده سام ولد قبل الطوفان بمائة سنة وعاش ستمائة سنة ووفاته بعد الطوفان بخمسمائة سنة وهو أبو العرب وفارس والروم وكان هو القيم بعد

نوح في الارض ومن ذريته الانبيا كلهم عربهم وعجمهم * وجعل الله في
ذريته النبوة والكتاب ونزل سوه سرة الارض وهو الذي اختط مدينة
القدس واسس مسجدها وكان ملكا عليها كما تقدم * وحام أبو السودان
ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج والافرنج والقبط من ولد قوط
ابن حام ولما خرج نوح من السفينة قسم الارض بين أولاده الثلاث
فأعطى سام الحجاز واليمن والشام والجزيرة وأعطى حام الغرب وأعطى
يافث الشرق وولد لسام ولد سماه أرفخشد عاش أربعمائة وخمسا وستين
سنة ثم ولد لأرفخشد ولد سماه قينان عاش أربعمائة وثلاثين سنة وولد
لقينان شالخ عاش اربعمائة وستين سنة وولد لشالخ عابر عاش أربعمائة
وأربعا وستين سنة ثم ولد لعابر فالغ عاش ثلثمائة وتسعا وثلاثين سنة
ثم ولد لفالغ رعو عاش ثلثمائة وتسعا وثلاثين سنة وبعد مولد رعو
تبلبلت الالسن وقسمت الارض بين بني نوح وذلك لمضي ثلثمائة
وستين سنة للطوفان ثم ولد لرعو ساروغ واسمه في التوراة سرور
عاش ثلثمائة وثلاثين سنة ثم ولد لساروغ ناحور عاش مائتين وثماني
وستين سنة ثم ولد لناحور ولد اسمه تارخ وهو آزر عاش مائتين وخمس
سنين وهو أبو ابراهيم الخليل عليه السلام ﴿ذكر هود وصالح﴾ عليهما *
السلام وهما نبيان ارسلا بعد نوح وقبل ابراهيم الخليل وارسل الله هودا
الى عاد وكانوا أهل اصنام وكان عاد وثمود جبارين طوال القامة فدعا هود
قوم عاد فلم يؤمن منهم الا القليل فاهلك الله الذين لم يؤمنوا بريح سخرها
عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما والحسوم الدائم فلم يدع غير هود
والمؤمنين معه فانهم اعتزلوا في حضرموت وبقي هود كذلك حتى مات
ودفن بحضرموت وقيل بالحجر من مكة وقيل ان هودا هو عابر المتقدم ذكره
والذي صححه جماعة من أكابر العلماء ان هودا هو ابن عبد الله بن رباح
وليس هو عابر والله أعلم وروي انه كان من عاد شخص اسمه لقمان وهو
غير لقمان الحكيم الذي كان على عهد سيدنا داود عليه السلام

واما

﴿وأما صالح﴾ فهو ابن اسف أرسله الله الى ثمود فدعاهم الى التوحيد وكان مسكنهم بالحجر وهى مدينة بين المدينة الشريفة والشام فلم يؤمن به الا قليل مستضعفون ثم ان كفارهم عاهدوه على انه ان اتاهم بما يقترحونه عليه آمنوا واقترحوا عليه ان يخرج لهم من صخرة معينة ناقة فسأل الله تعالى فى ذلك فخرج من تلك الصخرة ناقة وولدت فصيلا فلم يؤمنوا وعقروا الناقة فاهلكهم الله تعالى بعد ثلاثة أيام بصيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة فتقطعت قلوبهم فأصبحوا فى دارهم جاثمين وسار صالح الى فلسطين ثم انتقل الى الحجاز يعبد الله الى أن مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة وورد انه توفى فى فلسطين وأقام بها بعد أن هلك قومه ويقال ان قبره بالمغارة التى بالجامع الابيض بالرملة والله أعلم

﴿ذكر سيدنا ابراهيم الخليل وابنائه الكرام عليهم الصلوة والسلام﴾

أقول وبالله التوفيق ابراهيم خليل الرحمن وهو أبو الانبياء الكرام من أولى العزم من المرسلين روى انه أنزل الله عليه عشر صحف وكانت كلها أمثالا وجعل له لسان صدق فى الآخرين أى ثناء حسنا فليس أحد من الامم الا يحبه واكرمه الله تعالى بالخلة وجعل اكثر الانبياء من ذريته وختم ذلك بسيد المرسلين محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وابراهيم هو ابن تارخ وهو آزر ولما أراد الله عز وجل ان يبعث السيد ابراهيم عليه السلام حجة على قومه ورسولا الى عباده رأى النمرود فى منامه كأن كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع لذلك فزعا شديدا وجمع السحرة والكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا له هو مولود يولد فى ناحيتك هذه السنة ويكون هلاكك وذهاب ملكك على يده ويقال انهم وجدوا ذلك فى كتب الانبياء عليهم السلام وكانت الملوك الذين ملكوا الارض أربعة مؤمنان وهما سليمان بن داود وذو القرنين وكافران وهما نمرود وبخت نصر ونمرود هو ابن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر فى الارض

وذل الناس الى عبادته فلما أخبر نمرود بذلك أمر بذبح كل غلام يولد في تلك
الناحية تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل حامل
امينا فكانت الحامل اذا وضعت حملها فان كان ذكرا ذبحه وقيل انه
حبس جميع الحوامل الا ما كان من ام ابراهيم فانه لم يعلم حملها وغيبت
عنها الاخبار وخرج نمرود بجميع الرجال الى المعسكر وحجبهم عن النساء كل
ذلك خوفا من ذلك المولود الذي أخبر به وقيل ان نمرود لما خرج بعسكره
بدت له حاجة في المدينة لم يأمن عليها أحدا من قومه سوى آزر وذلك
قبل حمل أم ابراهيم به فبعث الى آزر وأسر له حاجته وقال له أما اني لم ابعثك
الا لثقتي بك فاقسمت عليك ان لا تدنو من أهلك فقال آزر أنا أشح على
ديني من ذلك ثم دخل آزر المدينة وقضى حاجته ثم بدا له الدخول على أهله
لرؤية حالهم واصلاح شأنهم فلما دخل الدار واجتمع بأهله حكم عليه مود
العهد فنسي ما التزم به للنمرود وواقع زوجته واسمها نونا وقيل غير ذلك
فحملت بابراهيم عليه السلام فلما استقر في بطنها تنكست الاصنام وظهر
نجم ابراهيم عليه السلام وله طرفان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب فلما
رأى نمرود ذلك النجم تحير وازداد خوفه ولما تم حمل ابراهيم وجاء لامه
الطلق أرسل الله تعالى اليها ملكا على احسن صورة واجمل وجه من بني
آدم فآنسها وسكن روعها وبشرها بولد يكون له شأن عظيم وهو خليل
رب العالمين فلما ثقل عليها الحال قال لها امضي معي فقامت معه وتبعته
فوجه بها حتى أدخلها غارا بعيدا عن الخلق فلما دخلت الغار
وجدت فيه جميع ما تحتاجه فخفف الله تعالى عنها الطلق فوضعت
ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ليلة الجمعة وكانت ليلة
عاشورا وكان مولده لمضي ألف واحدى وثمانين سنة من الطوفان
وكان الطوفان بعد هبوط آدم عليه السلام بألفين ومائتين واثنين
وأربعين سنة فبين مولد ابراهيم الخليل عليه السلام والهجرة الشريفة
النبوية الفان وثمانمائة و ثلاث وتسعون سنة على اختيار المورخين

وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عامنا هذا تسعمائة سنة كاملة فيكون الماضي من مولد سيدنا ابراهيم الخليل الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وتسعون سنة والاختلاف في ذلك كثير فلما سقط الى الارض نزل جبريل عليه السلام وقطع سرته واذن في اذنه وكساه ثوبا أبيض ثم عادت أمه الملك الى مكانها وتركت ولدها في الغار ولما طالت غيبة نمرود عن أرضه وبلاده عاد الى تدبير ما كان قد اهمه فبينما هو جالس ذات يوم على سريره واذا هو بالسرير قد انتفض من تحته انتفاضا شديدا فسمع نمرود هاتفا يقول تعس من كفر باله ابراهيم فقال لآزر هل سمعت ما سمعت قال نعم قال فمن هو ابراهيم قال آزر اني لا أعرفه فأرسل للسحرة والكهنة يدلوك عليه فأرسل نمرود خلف السحرة والكهنة وسألهم عن ذلك فلم يخبروه بشئ مع علمهم به وكان ذلك في يوم ولادته ثم توالت على نمرود الهواتف حتى نطقت الوحوش والطيور بمثل ذلك فكان نمرود لا يمر بمكان الا ويسمع قائلا يقول تعس من كفر باله ابراهيم فازداد همه و رأى رؤيا هائلة في منامه وذلك انه رأى القمر قد طلع من ضلع آزر وبقى نوره كالعمود الممدود بين السماء والارض وسمع قائلا يقول قد جاء الحق وزهق الباطل فنظر الى الاصنام فوجدها كلها منكسة على رؤسها فاستيقظ النمرود من منامه فزعا خائفا مرعوبا فقص رؤياه على آزر فخاف آزر على نفسه منه وقال انما ذلك لكثرة عبادتي لها وكان نمرود بليدا احمقا فرضى بقول آزر وسكت ثم بدا له التحول الى البلد فلما دخلها دخل آزر على الاصنام وكان هو القيم لها فلما وقع نظره عليها تساقطت عن كراسيها فسجد آزر حين رأى ذلك وانطقها الله تعالى وقالت يا آزر جاء الحق وزهق الباطل ووافى نمرود ما كان يحذره ودخل آزر بيته وكان قد توهم في زوجته انها حامل فلما رآها وهي نشطة سألها عن حالها فقالت له ان الذي كان ببطني لم يكن ولدا وانما كان ريحا وقد تصرف عني فصدقها على ذلك وألقى الله

تعالى على نمرود الشيطان لامر ابراهيم فكانت امه تتوجه الى الغار في كل ثلاثة أيام مرة لترى حال ولدها فتراه في أحسن هيئة فتوجهت اليه مرة فرأت الوحوش والطيور على باب الغار فخافت واضطربت وظنت ان ولدها قد هلك فلما دخلت عليه وجدته بخير وعافية وهو جالس على فراش من السندس وهو مدهون مكحول بأحسن حال فلما رأت ذلك منه ازدادت فيه محبة وعظمته وعلمت ان له شأنا عظيما وان له ربا يحرسه ويتولاه فنظرت اليه فوجدته يمص في أصابعه فوجدت يخرج له من أصبع لبن ومن أصبع عسل ومن أصبع سمن ومن أصبع ماء صلوات الله وسلامه عليه وكان يشب شبابا لا يشبهه أحد من الغلمان يومه كالشهر وشهره كالسنة ولم يمكث في الغار سوى خمسة عشر شهرا وتكلم فقال لامه يوما يا اماه من ربي قالت أنا فقال لها ومن ربك فقالت له أبوك قال فمن رب أبي قالت نمرود قال فمن رب نمرود فلطمته لطمة وقالت له أسكت فسكت ورجعت الى زوجها وقالت له يا آزر أرأيت الغلام الذي تحدث به انه يغير دين أهل الارض قال لا قالت انه هو ابنك ثم أخبرته بأمره ومكانه فأتاه أبوه ونظره وفرح به وقال له أنت ولدي فقال ابراهيم نعم يا أبت ثم قال ابراهيم يا أبتاه من ربي قال امك قال فمن رب امي قال أنا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة كادت ان تخرج عينه وقال له اسكت وذلك قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ثم ان ابراهيم قال لامه يوما اخرجيني من الغار فأخرجته عشاء فلما خرج نظر وتفكر في خلق السموات والارض ثم قال ان الذي خلقني ورزقني ويطعمني ويسقيني لربي ما لي اله غيره ثم نظر الى السماء فرأى كواكبها ورأى كوكبا فقال هذا ربي ثم اتبعه بصره حتى غاب وهو ينظر اليه فلما غاب قال لا احب الآفلين وهذا يدل على كمال عقله وعلمه اذ الآفل لا يجوز ان يكون الها ثم رأى القمر بازغا قال هذا ربي واتبعه بصره حتى غاب فسمه وقال أنا لا احب الآفلين ورجع بفكره

متوجها الى ربه وقال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم لئن لم يهدني ربي أن الهداية والتوفيق بيده سبحانه ثم طلعت الشمس فقال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت سئمها وتوجه الى ربه بقلب سليم ووجه وجهه للحق بالصدق واليقين ونادى على قومه بالشرك المبين وقال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين فنقله الله تعالى من علم اليقين الى عين اليقين ثم ان أباه ضمه اليه فنشأ شابا حسنا ولم يزل صلى الله عليه وسلم مجملا في جميع أحواله حتى أكرمه الله تعالى بما أكرمه من الآيات البينات والكرامات الباهرات ثم ألبسه خلعة الخلة وجعله من أولي العزم من الرسل وجعله أبا الانبياء وتاج الاصفياء ونصرة أهل الارض وشرف أهل السماء وكان مولده عليه السلام بكوثا من اقليم بابل من أرض العراق على أرجح الاقوال وكان آزر أبو ابراهيم يصنع الاصنام ويعطيها لابراهيم ليبيعها فكان ابراهيم يقول من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فصوب فيه رؤسها وقال لها اشربي استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه وأهل قريته فحاجه قومه في دينه فقال لهم أتحاجوني في الله وقد هداني للتوحيد والحق ولا أخاف ما تشركون به وذلك انهم قالوا له احذر الاصنام فانا نخاف أن تمسك بسوء من خبل أو جنون لسبك اياها فقال لهم لا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أي أحاط علمه بكل شيء أفلا تتذكرون ثم لما أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ان يدعو قومه الى التوحيد دعا أباه فلم يجبه ودعا قومه وفشا أمره واتصلت أخباره بنمرود وهو ملك تلك البلاد ثم جاهد ابراهيم قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون وأظهر دينه وقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين فقالوا له فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا نحن رسل نمرود قال

الا عبد الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت
فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي
يوم الدين رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق
في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي إنه كان من الضالين
ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم
قال فشاع ذلك الخبر في الناس حتى بلغ النمرود فدعاه إليه وقال يا إبراهيم
أرأيت إلهك الذي تعبد وتدعو الناس إلى عبادته وتذكر عظيم
قدرته ما هو فقال له إبراهيم هو ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود أنا أحيي
وأميت قال إبراهيم كيف تحيي وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل
في حكمي فأقتل أحدهما فأكون قد أمته ثم أعفو عن الآخر فأتركه فأكون
قد أحييته قال فانتقل إبراهيم إلى حجة أخرى أظهر فإن حجته كانت لازمة
لأنه أراد بالإحياء إحياء الميت وكان له أن يقول فأحي من أمت
إن كنت صادقا فانتقل إلى حجة أخرى أوضح من الأولى فقال إبراهيم فإن
الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر أي تحير
واندهش وانقطعت حجته ولما أراد إبراهيم عليه السلام أن يري قومه
ضعف الذي كانوا عليه وضعف الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون
الله تعالى وغيرها إلزاما الحجة عليهم جعل ينتظر لذلك فرصة إلى أن حضر
عيد لهم وكان لهم في كل سنة عيد يخرجون إليه ويجتمعون فيه وكانوا إذا
رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم يعودون إلى
منازلهم فلما كان ذلك العيد قال آزر أبو إبراهيم لإبراهيم لو خرجت معنا إلى
عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم فلما كان في بعض الطريق ألقى نفسه
وقال إني سقيم فقعد ومضوا وهو صريع فلما مضوا نادى في آخرهم وقد
بقي ضعفاء الناس تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فسمعوا
كلامه ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة فإذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه
بين يدي الآلهة وقالوا إذا رجعنا نكون قد باركت الآلهة في طعامنا

فأكله

فيأكله فلما نظر ابراهيم عليه السلام الى الاصنام والى ما بين أيديهم من
الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلم يجبه أحد منهم
فقال لهم ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهم
بفاس في يده حتى لم يبق منهم الا الصنم الكبير فعلق الفاس في عنقه ثم خرج
فذلك قوله تعالى فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون فلما رجع
القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوا اصنامهم جذاذا الا كبيرا لهم قالوا
من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين أي المجرمين قال الذين سمعوا كلام
ابراهيم حيث قال وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين
سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم ويسبهم يقال له ابراهيم وهو الذي نظن أنه
فعل هذا بآلهتنا فبلغ ذلك نمرود الجبار وأشراف قومه قالوا فأتوا به على
أعين الناس أي ظاهرا لعلهم يشهدون عليه انه الذي فعله كرهوا ان
يأخذوه بغير بينة فلما أتوا به قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال
بل فعله كبيرهم هذا غضب من ان تعبدوا معه هؤلاء الصغار وهو اكبر
منهم فكسرهم وأراد ابراهيم عليه السلام بذلك اقامة الحجة عليهم فذلك
قوله تعالى فاسئلوهم ان كانوا ينطقون حتى يخبروا من فعل بهم ذلك
* روى أبو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لم يكذب ابراهيم صلى الله عليه وسلم الا ثلاث كذبات ثنتان منهن في ذات
الله عز وجل قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه
اختي وليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله وانما اطلاق
الكذب على هذا تجوز ويجوز ان يكون الله تعالى قد اذن له في ذلك لقصد
الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما اذن ليوسف عليه السلام حيث
أمر مناديه فقال لاخوته ايتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا
فرجعوا الى أنفسهم أي تفكروا بقلوبهم ورجعوا الى عقولهم فقالوا ما نراه
الا كما قال انكم أنتم الظالمون يعني بعبادتكم من لا يتكلم ثم نكسوا على
رؤسهم أي ردوا الى الكفر بعد ان أقروا على أنفسهم بالظلم وقالوا لقد

قلت ما هؤلا ينطقون فكيف نسألهم * فلما انقطعت الحجة عليهم لابراهم عليه السلام قال أتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ان عبدتموه ولا يضركم ان تركتم عبادته أف لكم أي تبا لكم وقذرا لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فلما لزمهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين أي ان كنتم ناصرين لها فلما اجمع نمرود وقومه لاحراق ابراهم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة فجعل طوله في السما ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه من الحطب وأوقدوا فيه النار ليطرحوه فيه فلم يطيقوا الدنو من النار أن يقربوها ولا علموا كيف يلقوه فيها فجا ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا الى ابراهم الخليل عليه الصلاة والسلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ووضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا وألقوه في النار فكانت عليه بردا وسلاما ولما أرادوا القاءه في النار أتاه خازن الماء وقال يا ابراهم ان أردت ان أخمد لك النار أخمدتها فقال لا ثم أتاه خازن الرياح وقال له ان شئت طيرت لك النار في الهوا فقال ابراهم عليه السلام لا حاجة لي بكم حسبي الله ونعم الوكيل ولما ألقي في النار كان ابن ستة عشر سنة وقد مدحه الله في كتابه العزيز بقوله تعالى واذا ابتلى ابراهم ربه بكلمات فأتمهن والكلمات التي ابتلاه الله بها من أجل شرائع الاسلام وأعظم ما امتحن به أهل الايمان ولذلك مدحه الله تعالى بقوله وابراهم الذي وفى ومعنى التوفية هو الاتمام لما طولب به في دينه وماله ونفسه وولده فأتم الجميع على الوجه المطلوب ولما صنع له نمرود المنجنيق وألقاه في النار ظهر منه الابتلا وصدق الولا وذلك انه لما نزل به من عدوه ما نزل ووضع في المنجنيق استغاثت الملائكة قائلة يا رب هذا خليلك قد نزل به من عدوك ما أنت أعلم به فقال الله تعالى لجبريل اذهب اليه فان استغاث بك فأعنه والا فاتركني وخليلي فتعرض له جبريل وهو يقذف به في لجة الهوا الى النار وقال له هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى قال

جبريل فسل ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي ولم يستغث
بغير الله ولا حدثت همته لما سوى الله تعالى بل استسلم لحكمه مكتفيا
بتدبيره عن تدبير نفسه فاثنى الله تعالى عليه بقوله * وابراهيم الذي وفى فقال
الله تعالى للنار كوني بردا وسلاما على ابراهيم ونجاه من النار قال كعب
الاحبار رضي الله عنه فجعل كل شيء يطفىء عنه النار الا الوزغ فانه كان
ينفخ في النار قال الثعلبي رحمة الله عليه فلذلك أمر النبي صلى الله عليه
وسلم بقتلها وسماها فويسقة * وعن علي رضي الله عنه أنه قال ان
البغال كانت تتناسل وكانت أسرع الدواب في نقل الحطب لنار ابراهيم
فدعا عليها ابراهيم فقطع الله نسلها وقال بعض العلماء لو لم يقل الله سبحانه
وسلاما لأهلكه بردها وقيل انه لم يبق في ذلك الوقت نار تشتعل بمشارق
الارض ولا بمغاربها الا خمدت ظانة انها المعنية بالخطاب وكان ابراهيم
حين وضع في المنجنيق ورمي به جردت عنه ثيابه ولم يترك عليه سوى
السراويل فقصد بعض السفهاء أن ينزع السراويل عنه فشلت يداه وكان
مقيدا بقيود فتلقاه جبريل عليه السلام ولم يضره الم الهوى فلما استقر على
الارض وهي اذ ذاك جمر أحمر تلتهب وتتوقد فلم يؤثر فيه شيء من حرارتها
وظهر للناظرين اليه ان الارض التي سقط عليها خضرة مونقة وجليسه
جليس صالح حسن الوجه والهيئة كاحسن ما رآه راء ثم ألبسه قميصا من
ثياب الجنة وفك قيده وآنسه وقال له جليسه ربك يقرئك السلام ويقول
لك اما علمت ان النار لا تضر احبابي * فقال الخليل عليه السلام حسبي الله
ونعم الوكيل وكان عليه السلام أول من جرد من ثيابه في سبيل الله تعالى
فلذلك كساه الله في ذلك المحل قميصا من الجنة وادخر له كسوة يكسى بها
اول الخلق يوم القيامة كل ذلك وهو بمشهد من الخلق ينظرون اليه فلما
رآه قومه وقد اكرمه الله بما اكرمه به آمن بالله جمع كثير في السر خوفا
من نمروذ * وخرج ابراهيم من مكانه وهو يمشي وفارقه جبريل عليه
السلام فأقبل نحو منزله فأرسل اليه نمروذ يسأله عن كسوته وعن رفيقه

فقال له إنه ملك أرسله إلى ربي وقص عليه قصته فقال له نمرود إن الملك
الذي تعبده لإله عظيم وإني متقرب قربانا إليه وقد للملك رأيت من عزته
وقدرته فما صنع بك حين أبيت الإعادة فقرب أربعة آلاف بقرة ثم
احترم ابراهيم بعد ذلك وكف عنه وقد عذب الله النمرود بإرسال البعوض
عليه وعلى حاشيته وجنوده فأكلت لحومهم وشربت دماءهم وتركتهم
عظاما ودخلت واحدة منها في منخر الملك نمرود فلبثت في منخره أربعمائة
سنة عذبه الله تعالى بها فكان يضرب رأسه بالمرازب في تلك المدة كلها
حتى أهلكه الله تعالى بها وسلط الله على مدينته كوثا الزلازل حتى
خربت قال الثعلبي رضي الله عنه لما حاجه ابراهيم في ربه قال نمرود إن
كان ما يقول حقا فلا أنتهي حتى أعلم ما في السموات فبنى صرحا عظيما
ببابل ورام الصعود منه إلى السماء لينظر إلى إله ابراهيم عليه السلام
واختلف في طول الصرح في السماء فقيل خمسة آلاف ذراع وقيل
فرسخان ثم عمد إلى أربعة أفراخ من النسور فأطعمها اللحم والخبز حتى
كبرت ثم قعد في تابوت ومعه غلام له قد حمل القوس والنشاب معه
وجعل لذلك التابوت بابا من أعلاه وبابا من أسفله ثم ربط التابوت
بأرجل النسور وعلق اللحم على عصى فوق التابوت ثم خلى عن النسور
فطارت النسور طمعا في اللحم حتى ابعدت في الهوا وحالت الريح بينها
وبين الطيران * فقال لغلامه افتح الباب الأعلى وانظر ففتحه فإذا السما
كهيئتها وفتح الباب الأسفل فإذا الأرض سودا مظلمة ونودي أيها
الطاغي أين تريد فعند ذلك أمر غلامه فرمى سهما فعاد السهم إليه وهو
ملطخ بالدم فقال كفيت شغل إله السما واختلف في ذلك السهم بأي شي
تلطخ فقيل بسمكة في السما من بحر معلق في الهوا وقيل أصاب طيرا من
الطيور فتلطخ بدمه ثم أمر نمرود غلامه أن يصوّب العصى وينكس اللحم
ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفقان هبوط
التابوت والنسور ففزعت وظنت أنه قد حدث في السما حادث أو أن

الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال ثم ارسل الله تعالى على صرح نمرود ريحا فالقت رأسه فى البحر وانكفأت ٢ بيوتهم واحدث نمروذ الرجفة وتبلبلت السن الناس حين سقط الصرح من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل لتبلبل الالسنة بها واستجاب لابراهيم عليه السلام جماعة من قومه حين رأوا صنع الله عز وجل من برد النار وغير ذلك من المعجزات وآمن به لوط وهو ابن اخيه وآمنت به سارة زوجته وقد ذكر المؤرخون والمفسرون قصة ابراهيم عليه السلام مع نمروذ واخباره وماوقع له بابسط من هذا والغرض فى هذا الكتاب الاختصار والله المستعان

﴿ذكر هجرة ابراهيم الخليل عليه السلام﴾

لما نجى الله تعالى خليله من نار النمرود الجبار استجاب له رجال وآمن معه قوم على خوف من نمرود وملائه ثم ان ابراهيم ومن كان آمن معه من أصحابه أجمعوا على فراق نمروذ وقومهم فقالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ورحل هو واهله ومن معه من قومه ونزلوا بارضها ثم سار الى مصر ويقال الى بعلبك وصاحبها يومئذ فرعون فذكر لفرعون حسن سارة وجمالها زوجة الخليل عليه السلام وهى ابنة عمه هاران فسأل ابراهيم عنها فقال هذه اختى يعنى فى الاسلام خوفا ان يقتله فقال له زينها وأرسلها الى فأقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم يصلى فلما دخلت عليه ورآها اهوى اليها وأراد أن يتناولها بيده فايبس الله يده ورجله فلما تخلى عنها اطلق الله يده ورجله فعاد اليها فصار له كالاولى حتى صار له ذلك مرارا وكان هذا تكرمة منه تعالى * قال فأطلقها ووهبها هاجر وفى بعض الاخبار ان الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وبين سارة حتى ينظر اليها من وقت خروجها من عنده الى وقت انصرافها كرامة لها وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام ثم سار ابراهيم من مصر الى الشام واقام بين الرملة

وانما نبه واول من هاجر من وطنه في ذات الله تعالى حفظا لايمانه فنزل
بالموضع الذي يعرف بوادي السبع وهو يباب لا ماء له فأقام حتى كثر ماله
وضاق رحاب على أهل البلد مواضعهم من كثر ماله ومواشيه فقالوا له
يا شيخ ارحل عنا فقد آذانا مالك ايها الشيخ الصالح وكانوا يسمونه بذلك
فقال لهم نعم أرحل عنكم فلما هم بالرحيل قال بعضهم لبعض انه جاء عندنا
وهو فقير وقد جمع عندنا هذا المال كله فلو قلنا له اعطنا شطر مالك وخذ
الشطر فقالوا له ذلك فقال لهم يا قوم صدقتم جئتكم وكنت شابا واليوم
صرت شيخا فردوا علي شبابي وخذوا ما شئتم من مالي فخصمهم ورحل
عنهم فلما كان وقت ورود الغنم الماء جاؤا يستقون فاذا الآبار قد جفت
فقال بعضهم لبعض الحقوا الشيخ الصالح الذي كنتم في بركته واسألوه
الرجوع فانه ان لم يرجع هلكنا وهلكت مواشينا فلحقوه فوجدوه في الموضع
المسمى بالغار وسألوه الرجوع فقال اني لست براجع ودفع لهم سبع شياه
من غنمه وقال لهم اذهبوا بها معكم فاذا أوردتموها البئر يظهر لكم الماء
حتى تكون عينا جارية فاملؤا واشربوا واسقوا مواشيكم ولا تقربها امرأة
حائض فرجعوا بالاغنام فلما وقفت على البئر ظهر لهم الماء فكانوا يشربون
منها وهي على حالها لم ينقص ابدا واستمرت على تلك الحالة حتى أتت امرأة
حائض واغترفت منها فغاض ماؤها * ورحل ابراهيم عليه السلام ونزل
اللجون وأقام بها ما شاء الله تعالى ثم أوحى الله اليه ان انزل حبرى فنزل بها
ونزل عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام يبشرى وهما يريدان قوم لوط
عليه السلام فخرج ابراهيم اليهم ليذبح لهم عجلا فافلت العجل منه ولم يزل
حتى دخل مغارة حبرون فنودي يا ابراهيم سلم على عظام أبيك آدم عليه
السلام فوقع ذلك في نفس ابراهيم عليه السلام ثم اخذ العجل وقربه
اليهم وكان من شأنه ما قص الله عز وجل في كتابه العزيز وسنذكر ملخص
القصة عند ذكرنا سيدنا اسحاق عليه السلام فمضى ابراهيم معهم الى قرب
ديار قوم لوط فقالوا له اقعد هاهنا فقعد وسمع صوت الديكة في السماء فقال

هذا هو الحق اليقين فأيقن بهلاك القوم فسمي ذلك الموضع مسجد اليقين وهو على نحو فرسخ من بلد سيدنا ابراهيم الخليل ثم رجع ابراهيم الخليل عليه السلام وسيأتي ذكر القصة عند سيدنا لوط عليه السلام *

﴿ قصة بناء الكعبة المشرفة وذكر سيدنا اسماعيل عليه السلام ﴾

قد تقدم ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما سار الى مصر ومعه زوجته سارة ووهبها فرعون مصر هاجر فلما قدم الى الشام واقام بين الرملة وايليا وكانت سارة لا تحمل ووهبت هاجر لابراهيم عليه السلام فواقعها فحملت وولدت اسماعيل عليه السلام ومعنى اسماعيل بالعبرانية مطيع الله وكانت ولادته لمضي ست وثمانين سنة من عمر ابراهيم عليه السلام * فغارت سارة وحزنت لذلك فوهبها الله تعالى اسحاق ولدته ولها تسعون سنة ثم غارت سارة من هاجر ومن ولدها اسماعيل وطلبت من ابراهيم ان يخرجهما عنها فأخذهما ابراهيم وسار بهما الى ارض الحجاز وتركهما بمكة وذلك كله باذن الله تعالى وليس بمكة يومئذ أحد ولا بها ماء ووضع هاجر واسماعيل ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل ابراهيم عليه السلام منطلقا فنهضت أم اسماعيل خلفه وقالت يا ابراهيم الى اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء وقالت له ذلك مرارا فلم يلتفت اليها فقالت له آلله أمرك بهذا فقال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ربنا ثم رجعت وانطلق ابراهيم عليه السلام حتى اذا كان عند الثنية حيث انهما لا يرونه استقبل القبلة بوجهه ودعا بهذه الدعوات ورفع يديه * فقال رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون واما أم اسماعيل فجعلت ترضع اسماعيل عليه السلام وتشرب من ذلك الماء حتى نفد ما في السقاء فعطشت وعطش ولدها فجعلت تنظر اليه وهو يتلوى من شدة العطش فانطلقت كراهة ان تنظر اليه وهو على تلك الحالة فوجدت الصفا أقرب جبل في الارض

إليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي وجعلت تنظر إليه لعلها تنظر
أحدا فلم تنظر أحدا فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت
طرف ذرعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي وهي
تنظر خلفها ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر
أحدا ففعلت ذلك سبع مرات * قال ابن عباس رضي الله عنهما قال
النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما فلما أشرفت على
المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت الصوت
أيضا فقالت قد أسمعت إن كان عندك غوث فأغث فإذا هي بالملك
عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوطه
وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد
ما تغرف زمزم * قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم
إسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكان زمزم عينا معينا
قال فشربت وأرضعت ابنها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فإن ههنا
بيت الله الحرام يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله وكان
البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله
ثم نزل هناك أناس من جرهم وشب إسماعيل عليه السلام وتعلم العربية
منهم فلما أدرك زوجوه امرأة منهم وماتت أمه هاجر فجاء إبراهيم عليه
السلام فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته فقالت خرج يبتغي لنا الصيد ثم
سألها عن عيشهم فقالت نحن بشر وشكت إليه فقال لها إذا جاء
زوجك فاقرئيه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء إسماعيل أخبرته
بما كان قال ذلك أبي أمرني أن أفارقك فالحقي بأهلك فطلقها
وتزوج بأخرى منهم ثم لبث عنهم إبراهيم ما شاء الله تعالى * ثم أتاهم بعد ذلك
فلم يجده فسأل امرأته فقالت خرج يبتغي لنا صيدا فقال لها كيف أنتم
فقالت نحن بسعة وبخير من الله تعالى وأثنت على أهلها خيرا وشكرت الله
تعالى فقال لها ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء فقال اللهم

بارك لهم في اللحم والماء ثم قال لها اذا جاء زوجك فاقرئي عليه مني السلام وأمريه ان يثبت عتبة بابه فلما جاء اسماعيل أخبرته بما قال فقال ذلك ابي وانت العتبة أمرني أن امسكك ثم انه لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وكان اسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد * ثم شرعا في بناء الكعبة، وقد اختلف في أول من بنى الكعبة فقيل الملائكة باذن الله تعالى وقيل آدم عليه السلام ولكن اندرس في زمان الطوفان ثم اظهره الله تعالى لابراهيم عليه السلام حتى بناه * وقصة بناء ابراهيم عليه السلام مشهورة وملخصها ان ابراهيم عليه السلام لما سار من الشام وقدم مكة قال يا اسماعيل ان الله أمرني ان ابني له بيتا ههنا وأشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فقال اسماعيل السمع والطاعة لما قال ربنا قال ابراهيم وقد أمرك ان تعينني فقال اسماعيل اذا افعل فجعل ابراهيم يبني واسماعيل يناوله الحجارة وكانا كلما بنيا دعوا فقالا * ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وكان وقوف ابراهيم على حجر وهو يبني وذلك الموضع هو مقام ابراهيم واستمر البيت على ما بناه ابراهيم الى ان هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم و سوه وكان بناء الكعبة بعد مضي مائة سنة من مولد ابراهيم عليه السلام فيكون بالتقريب بين بناء الكعبة وبين الهجرة الشريفة الفان وسبعمائة وثلاث وتسعون سنة وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا هذا التسعمائة سنة كاملة فيكون الماضي من بناء ابراهيم الخليل الكعبة الشريفة الى آخر تسعمائة سنة من الهجرة النبوية ثلاثة آلاف وستمائة وثلاث وتسعين سنة والله أعلم * وسيأتي ذكر ما وقع في الكعبة الشريفة من الهدم والبناء في السيرة الشريفة المحمدية وفي ذكر بناء عبد الملك ابن مروان لمسجد بيت المقدس ان شاء الله تعالى

﴿ذكر قصة الذبيح﴾

ثم أمر الله ابراهيم عليه السلام ان يذبح ولده وفداه الله تعالى بكبش
وقد اختلف في الذبيح هل هو اسحاق ام اسماعيل فالكثيرون يقولون انه
اسحاق وهو قول علي وابن مسعود وكعب ومقاتل وقتادة وعكرمة
والسدي * وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو اسماعيل وهو قول
سعيد بن المسيب والشعبي والحسن ومجاهد وكلا القولين روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قال ان الذبيح اسحاق فقد احتج بقوله
عز وجل فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي أمر بذبح من بشر به
وليس في القرآن انه بشر بولد غير اسحاق * ومن قال ان الذبيح اسماعيل
احتج له بما قيل ان ذكر البشرى باسحاق بعد الفراغ من قصة المذبوح
فقال تعالى وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين فدل على ان المذبوح غيره
واما قصة الذبيح فقال البغوي قال السدي لما دعا ابراهيم عليه السلام
وقال رب هب لي من الصالحين وبشر به قال هو اذا ذبيح فلما ولد وبلغ
معه السعي قال له اوف بنذرك * هذا هو السبب في أمر الله تعالى اياه بذبح
ابنه فعند ذلك قال لابنه انطلق بنا نقرب قربانا لله عز وجل فأخذ سكينا
وحبلا وانطلق معه حتى ذهب بين الجبال فقال له الغلام يا ابت أين
قربانك فقال يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت
افعل ما تؤمر فلما اسلما أي انقادا لامر الله تعالى وخضعا وتله للجبين
أي صرعه على الارض فقال له ابنه الذي أراد ذبحه يا ابت أشدد رباطي
حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء
فينقص اجري وتراه أمي فتحزن علي واشحذ شفرتك وأسرع مر السكين
على حلقي ليكون أهون علي فان الموت شديد واذا أتيت امي فاقرأ
عليها السلام مني وان رأيت ان ترد قميصي على امي فافعل فعسى أن يكون
اسلى لها عني فقال له ابراهيم نعم العون انت يا بني على أمر الله تعالى قال
ففعل ابراهيم ما امره الغلام وقبله بين عينيه وقد ربطه وهو يبكي
ثم وضع السكين على حلقه وجعل يجرها على حلقه فلا تقطع فقال الابن

عمد

عند ذلك يا أبت كبني على وجهي فانك اذا نظرت الى وجهي رحمتني وادركتك الرأفة فتحول بيني وبين أمر الله تعالى وأنا لا انظر الشفرة فاخرج ففعل ابراهيم ذلك ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فنظر ابراهيم فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش أملح أقرن * وقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر جبريل عليه السلام وكبر الكبش وكبر ابراهيم عليه السلام وكبر ابنه فأخذ ابراهيم الكبش واتى به المنحر من منى فذبحه وكان ذلك الذبيح كبشا رعى في الجنة أربعين خريفا قال القرطبي سأل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه رجلا كان من علماء اليهود اسلم وحسن اسلامه أي ابني ابراهيم امر بذبحه فقال اسماعيل ثم قال يا أمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معاشر العرب على أن يكون أبوكم هو الذبيح ويزعمون انه اسحاق أبوهم * وروى الثعلبي عن الصنابحي قال كنا عند معاوية فذكروا اسماعيل الذبيح أو اسحاق فقال على الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل وقال له يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لئن سهل الله له أمرها ليذبحن احد أولاده فخرج السهم على ولده عبد الله فمنعه اخواله من ذلك وقالوا له بل افد ولدك بمائة من الابل ففداه والثاني اسماعيل عليه السلام ومن زعم ان الذبيح اسحاق فيقول كان موضع الذبح بالشام على ميلين من ايليا وهي بيت المقدس وزعمت اليهود انه كان على صخرة بيت المقدس ومن يقول ان الذبيح اسماعيل فيقول ان ذلك كان بمكة المشرفة وارسل الله اسماعيل الى قبائل اليمن والى العماليق وزوّج اسماعيل ابنته من ابن اخيه العيص بن اسحاق وعاش اسماعيل مائة وسبعا وثلاثين سنة ومات بمكة ودفن عند قبر امه هاجر بالحجر وكانت وفاته بعد وفاة ابيه ابراهيم عليه السلام بثمان وأربعين سنة ولما ماتت سارة بعد وفاة هاجر

تزوج ابراهيم الخليل عليه السلام امرأة من الكنعانيين وولدت منه ستة وهم نفشان وزمران ومدان ومديان ونشق وسرح ثم تزوج امرأة اخرى فولدت له خمسة بنين فكان جميع أولاد ابراهيم ثلاثة عشر ولدا منهم اسماعيل واسحاق وكان اسماعيل أكبر أولاده فأقر اسماعيل ارض الحجاز واسحاق ارض الشام وفرق سائر ولده في البلاد والله أعلم

﴿ذكر شرا المغارة﴾

عن كعب الاحبار رضي الله عنه قال أول من مات ودفن في حبرون سارة وذلك انها لما ماتت خرج الخليل عليه السلام يطلب موضعا ليقبرها فيه ورجا أن يكون موضعا يقرب حبرى فمضى الى عفرون وكان ملك الموضع وكان مسكنه حبرى فقال له ابراهيم بعني موضعا اقبر فيه من مات من أهلي * فقال له عفرون الملك قد ابحتك فادفن موتاك حيث شئت من أرضي فقال ابراهيم عليه السلام اني لا احب ذلك الا بالثمن فقال له ايها الشيخ الصالح ادفن حيث شئت فاني فاعله * وطلب منه المغارة فقال له اشتريها بأربعة آلاف درهم كل درهم وزن خمسة دراهم وكل مائة درهم ضرب ملك واراد بذلك التشديد عليه كيلا يجد شيئا من ذلك فيرجع الى قوله فخرج ابراهيم الخليل من عنده فاذا جبريل عليه السلام واقف فقال له يا ابراهيم ان الله قد سمع مقالة الجبار لك وهذه الدراهم ادفعها اليه فانها كما طلب * قال فأخذ ابراهيم عليه السلام الدراهم ودفعها الى الجبار فقال له من اين لك هذه الدراهم فقال له من عند الهي وخالقي ورازقي فأخذها منه وحمل ابراهيم عليه السلام سارة ودفنها في المغارة فكانت أول من دفن فيها وتوفيت وهي من العمر مائة وسبعة عشر سنة وقيل مائة وسبع وعشرون سنة * ثم لما توفي الخليل عليه السلام دفن بحذائها من جهة الغرب وسنذكر تاريخ وفاته فيما بعد ان شاء الله تعالى ثم توفيت رفقة زوجة اسحاق فدفنت فيها بحذا سارة من جهة القبلة ثم توفي اسحاق عليه السلام فدفن بحذا زوجته من جهة الغرب ثم توفي يعقوب

عليه السلام يدفن عند باب المغارة وهو بحذاء قبر الخليل عليه الصلاة
والسلام من جهة الشمال ثم توفيت ليقا زوجته فدفنت بحذائه من جهة
الشرق فاجتمع أولاد يعقوب والعيص واخوته وقالوا ندع باب المغارة
مفتوحا وكل من مات منا دفناه فيها فتشاجروا ورفع واحد من اخوة
العيص يده ولطم العيص لطمة فسقط رأسه فى المغارة وقيل كان
الضارب للعيص واحد من أولاد يعقوب * ولما سقط رأسه فى الغار حملوا
جثته ودفنوها بغير رأس وبقى الرأس فى المغارة وحوّطوا عليها حائطا
وعملوا فيها علامات القبور فى كل موضع وكتبوا عليهم هذا قبر ابراهيم وهذا
قبر زوجته سارة وهذا قبر اسحاق وهذا قبر زوجته رفقه وهذا قبر يعقوب
وهذا قبر زوجته ليقا * وخرجوا وطبقوا الباب وكل من جاء اليه يطوف
به ولا يصل اليه احد حتى جاءت الروم بعد ذلك فنقبوا له بابا ودخلوا
اليه وسوّوا فيه كنيسة ثم أظهر الله الاسلام بعد ذلك وملك المسلمون تلك
الديار وهدموا الكنيسة وبالقرب من مدينة سيدنا ابراهيم الخليل عليه
السلام قرية تسمى سعير وهى الفاصلة بين أعمال القدس والخليل بها قبر
بداخل مسجدها يقال انه قبر العيص عليه السلام وقد اشتهر ذلك عند
الناس وصاروا يقصدونه للزيارة والله أعلم * وروى عن وهب بن منبه
انه قال اصبت على قبر ابراهيم الخليل عليه السلام مكتوبا حلقة فى حجر
غرّته ولا امله * يموت من جا أجله * لن تغنى عنه حيله * زاد بعض أهل
العلم * والمرء لا يصحبه فى القبر الا عمله * وحدث محمد بن بكران بن محمد
خطيب مسجد الخليل عليه السلام قال سمعت محمد بن اسحاق النحوى
يقول خرجت مع القاضى أبى عمرو عثمان بن جعفر بن شاذان الى قبر ابراهيم
الخليل عليه السلام فأقمنا به ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الرابع جاء الى
النقش المقابل لقبر رفقة زوجة اسحاق عليه السلام فأمر بغسله حتى
ظهرت كتابته وتقدم الىّ بأن أنقل ما هو مكتوب فى الحجر الى درج كان معنا
على التمثيل فنقلته ورجعنا الى الرملة فاحضر أهل كل لسان ليقرأه عليه

فلم يكن فيهم أحد يعرفه ولكنهم أجمعوا على أن هذا بلسان اليوناني القديم وأنهم لا يعلمون أنه بقي أحد يعرفه غير شيخ كبير غائب فعمدوا إلى إحضاره فلما حضر بين يدي أحضرني فإذا هو شيخ كبير فأملى علي الشيخ المحضر من حلب ما نقله في المدرج على الجمل أوله بسم إلهي الله العزيز القاهر الهادي السيد المطس العلم الذي لا يحد هذا قبر إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم والعلم الذي يحاذيه من جهة الشرق قبر زوجته سارة والعلم الأقصى الموازي لقبر إبراهيم الخليل قبر يعقوب والعلم الذي يليه من الشرق قبر الـ زوجته صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين * وكتبه العيص بخطه واسم زوجة يعقوب الثاوي في بعض الكتب ليا والمشهور وليقا والله أعلم وهذا الحجر المنقوش موجود إلى يومنا هذا وقد اشتهر عند الناس مكتبه مقام آدم ويقال إنه عند رأس آدم عليه السلام * قال الحافظ ابن عساكر رأيت في بعض كتب أصحاب الحديث ونقلت منها قال محمد بن بكران بن محمد خطيب مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام وكان فاضلا بالرملة في أيام الراضي بالله في سنة ست وعشرين وثلثمائة وما بعدها وله رواية في الحديث سمع من جماعة وحدث عن جماعة من أهل العلم قال سمعت محمد بن أحمد بن علي بن جعفر الأنباري يقول سمعت أبا بكر الإسكافي يقول صح عندي أن قبر إبراهيم عليه السلام في الموضع الذي هو الآن فيه لما رأيت وعاينت وذلك أني وقفت على السدنة وعلى الموضع أوقافا كثيرة تقرب من نحو أربعة آلاف دينار رجاء ثواب الله عز وجل وطلبت أن أعلم صحة ذلك حتى ملكت قلوبهم بما كنت أفعله معهم من الجميل والكرامة والملاطفة والإحسان إليهم وأطلب بذلك أن أصل إلى ما يصح وحاك في صدري فقلت لهم يوما من الأيام وقد جمعتهم عندي بأجمعهم أسألكم أن توصلوني إلى باب المغارة كي أنزل إلى حضرة الأنبياء صلوات الله عليهم وأشاهدهم فقالوا قد أجبناك إلى ذلك لأن لك علينا حقا واجبا ولكن لا يمكن في هذا الوقت لأن الطارق علينا كثير ولكن حتى يدخل الشتا فلما دخل كانون الثاني خرجت إليهم

فقالوا أقم عندنا حتى يقع الثلج فأقمت عندهم حتى وقع الثلج وانقطع الطارق عنهم فجاؤا الى صخرة ما بين قبر ابراهيم الخليل وقبر اسحاق عليهما السلام وقلعوا البلاطة ونزل رجل منهم يقال له صعلوك وكان رجلا صالحا فيه خير ولين فنزلت انا معه نمشي وانا من ورائه فنزلنا اثنين وسبعين درجة فاذا عن يميني دكان عظيمة من حجر اسود واذا عليه شيخ خفيف العارضين طويل اللحية ملقى على ظهره وعليه ثوب أخضر فقال لي صعلوك هذا اسحاق عليه السلام ثم سرنا غير بعيد واذا بدكان أكبر من الاولى وعليها شيخ ملقى على ظهره وله شيبة قد أخذت ما بين منكبيه أبيض الرأس واللحية والحاجبين واشفار العينين وتحت شيبته ثوب اخضر قد جلل بدنه والرياح تلعب بشيبته يمينا وشمالا فقال لي صعلوك هذا ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم فسقطت على وجهي ودعوت الله عز وجل بما فتح علي ثم سرنا واذا بدكان لطيفة وعليها شيخ لطيف آدم شديد الادمة كث اللحية وتحت منكبيه ثوب اخضر قد جلله فقال لي صعلوك هذا يعقوب النبي ثم انا عدلنا يسارا لننظر الى الحرم فحلف أبو بكر الاسكافي ما ان تممت الحديث قال فقمت من عنده في الوقت الذي حدثني فيه من وقتي الى مسجد ابراهيم عليه السلام فلما وصلت الى المسجد سألت عن صعلوك فقيل لي الساعة يحضر فلما جاء قمت اليه وجلست عنده وطارحته بعض الحديث فنظر الي بعين منكر للحديث الذي سمعه فأومأت اليه بلطف تخلصت به من الاثم ثم قلت له ان أبا بكر الاسكافي عمي فأنس عند ذلك فقلت يا صعلوك بالله عليك لما عدلتما نحو الحرم ماذا كان وما الذي رأيتما فقال ما حدثك أبو بكر فقلت أريد ان اسمع منك أيضا * فقال سمعنا من نحو الحرم صائحا يصيح وهو يقول تنحوا الحرم رحمكم الله فوقعنا مغشيا علينا ثم أفقنا وقد أيسنا من الحياة وأيست الجماعة منا قال فقال لي الشيخ وعاش أبو بكر الاسكافي بعد ما حدثني زمانا يسيرا ومات وكذلك صعلوك رحمهما الله تعالى *

وروى الحسن بن عبد الواحد بن رزق الرازي قال قدم أبو زرعة القاضي فلسطين الى مسجد ابراهيم عليه السلام ثم لأسلم عليه وقد قعد عند قبر سارة في وقت الصلاة فدخل شيخ فدعاه وقال له يا شيخ أيما قبر ابراهيم من هؤلاء فأومأ الشيخ بيده الى قبر ابراهيم عليه السلام ثم مضى الشيخ وجاء شاب فدعاه وقال له مثل ذلك فأشار الى قبر ابراهيم ومضى ثم جاء صبي فدعاه وقال له مثل ذلك فأشار الى قبر ابراهيم عليه السلام فقال أبو زرعة أشهد أن هذا قبر ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام لا شبهة ولا خفا نقله الخلف عن السلف كما قال مالك بن انس رضي الله عنه ان نقل الخلف عن السلف أصح الحديث لأن الحديث ربما يقع فيه الخطأ والنقل لا يقع فيه خطأ ولا تطرق فيه الا صاحب بدعة ومخالف ثم قام ودخل الى داخل فصلى الظهر ثم رحل من الغد * وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البنا المقدسي في كتاب البدائع في تفصيل مملكة الاسلام * حبرى هي قرية ابراهيم الخليل عليه السلام فيها حصن عظيم يزعمون أنه من بنا الجن من حجارة عظيمة منقوشة ووسطه قبة من حجارة اسلامية على قبر ابراهيم عليه السلام وقبر اسحاق قدام في المغطى وقبر يعقوب في المؤخر عند كل نبي امرأته وقد جعل الحصن مسجدا وبني حوله دور للمجاورين به واتصلت العمارة به من كل جانب ولهم قناة ما ضعيفة وبهذه القرية الى نصف مرحلة من كل جانب قرى وكروم وأعناب وتفاح وعامتها يحمل الى مصر وفي هذه القرية ضيافة دائمة وطباخ وخباز وخدام مرتبون وهم يقدمون العدس بالزيت لكل من يأتي ويحضر لهم من الفقرا ويدفع الى الاغنيا اذا أخذوا * وحكى الملك المؤيد اسماعيل صاحب حماة في تاريخه في وقائع سنة ثلاث عشر وخمسمائة أن في تلك السنة ظهر قبر ابراهيم عليه السلام وقبر ولديه اسحاق ويعقوب عليهما السلام أيضا بالقرب من بيت المقدس ورآهم كثير من الناس لم تبل أجسادهم وعندهم في المغارة قناديل من ذهب وفضة

ولم يذكر كيف كان ظهور ذلك وفيه اشكال لان في التاريخ المذكور كان بيت المقدس وبلد سيدنا الخليل عليه السلام في يد الافرنج وليس للمسلمين عليها حكم ولا أعلم هل كانت الافرنج يمكنون المسلمين من البلاد حين استيلائهم عليها والله أعلم بحقيقة الحال

﴿ ذكر ختانه وتسروله عليه السلام وشيبته ﴾

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اختتن ابراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم وهو بالتخفيف والتشديد * وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ربط ابراهيم عليه السلام غرلته وجمعها اليه وحذ قدومه وضرب عليه بعمود كان معه فندرت بين يديه بلا ألم ولا دم وختن اسماعيل عليه السلام وهو ابن ثلاثة عشر سنة وختن اسحاق وهو ابن سبعة أيام * وعن عكرمة انه اختتن ابراهيم الخليل عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة فأوحى الله تعالى اليه انك قد أكلت ابمانك الاصبعة من جسدك فالقها فختن نفسه بالفاس وسبب ختانه انه أمر بقتال العمالقة فقاتلهم فقتل خلق كثير من الفريقين فلم يعرف ابراهيم أصحابه ليدفنهم فأمر بالختان ليكون علامة للمسلم وختن نفسه بالقدوم * قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ابراهيم أول من لبس السراويل وذلك انه كان عليه السلام كثير الحياء وكان من حيائه يستحي ان ترى الارض مذاكيره فاشتكى الى الله عز وجل فأوحى الله الى جبريل عليه السلام فهبط عليه بخرقة من الجنة ففصلها جبريل عليه السلام سراويل وقال له ادفعها الى سارة وكان اسمها يسارة ومرها أن تخيطه فلما خاطته ولبسه ابراهيم قال ما أحسن هذا وما أستره يا جبريل فانه نعم الستر للمؤمن فكان ابراهيم عليه السلام أول من لبس السراويل وأول من فصل جبريل واول من خاط سارة بعد ادريس عليه السلام وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال كان الرجل يبلغ الهرم ولم يشب وكان الرجل يأتي القوم وفيهم الوالد والولد فيقول أيكم الاب من الابن فقال ابراهيم رب اجعل لي شيئا اعرف به

فاصبح رأسه ولحيته أبيضين * روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال أول من سمانا المسلمين ابراهيم عليه السلام وهو أول من ضرب
بالسيف من الانبيا وكسر الاصنام واختتن ولبس السراويل والنعلين
ورفع يديه في الصلاة في كل خفض ورفع وصلى أول النهار أربع ركعات
جعلهن على نفسه فسماه الله وفيا * قال تعالى وابراهيم الذي وفى قال ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما هي الاربع في أول النهار وهو أول من
أضاف الضيف وثرد الثريد وفرق الشعر واستنجى بالما وقلم الظفر وقص
الشارب ونتف الابط وهو أول من استاك وتمضمض واستنشق بالما
وحلق العانة وأول من صافح وعانق وغسل من العمس موضع السجود
وأول من شاب فقال ما هذا فقال الله تعالى هذا وقار * فقال ابراهيم
يا رب زدني وقارا فما برح حتى ابيض جميع لحيته وأول من جر الذيل
هاجر امرأته فصارت سنة في النسا فغارت منها سارة وحلفت انها
تملأ يدها من دمها فقال ابراهيم عليه السلام خذيها واخفضيها كي تكون
ذلك سنة بعدك وتخلصي من يمينك ففعلت فكانت هاجر أول من اختتن
من النسا وابراهيم أول من اختتن من الرجال * ذكر رأفته بهذه الامة
صلى الله عليه وسلم * روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقيت
ابراهيم ليلة اسري بي فقال لي يا محمد اقرئ أمتك مني السلام وقل لهم ان
الجنة طيبة التربة عذبة الما وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر وفي رواية مررت بابراهيم الخليل فرحب بي وسهل
ثم قال لي مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة فان تربتها طيبة وأرضها
واسعة فقال وما غراس الجنة فقال لا حول ولا قوة الا بالله وفي رواية فقال
لي ابراهيم مرحبا بالنبي الامي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لامته يا نبي الله
انك لاق ربك الليلة وان أمتك من آخر الامم وأضعفها فان استطعت
ان تكون حاجتك أو جلها في أمتك فافعل

﴿ذكر ضيافته واكرامه للضيف واخلاقه الكريمة﴾

روى ان ابراهيم عليه السلام كان اذا أراد أن يأكل خرج ميلا أو ميلين يلتمس من يأكل معه وكان يكنى بأبى الضيفان ولصدق نيته فى الضيافة دامت ضيافته فى مشهده الى يومنا هذا فلا ينقضى يوم ولا ليلة الا ويأكل عنده جماعة* وحكى ان رجلا شريف القدر من أهل دمشق ذا وجاهة كان يزور الخليل عليه السلام فى كل حين وكان يؤتى بالضيافة التى جرت العادة بها لزواره فيردها ولا يأكل منها شيئا فجاء مرة وهو ملهوف وجعل يطلبها ويجد فى طلبها حتى قيل انه كان يتتبع ما بقى فى القصع ويلتقط ما يجد من لباب الخبز وفتاته فيأكله فقيل له فى ذلك فقال رأيت الخليل صلى الله عليه وسلم فقال لى ما أكلت ضيافتنا فحرمت ما قبلنا منك زيارتك روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ان الله تعالى وسع على ابراهيم الخليل عليه السلام فى المال والخدم فاتخذ بيتا للضيافة وجعل له بابين يدخل الغريب من أحدهما ويخرج من الآخر ووضع فى ذلك البيت كسوة للشتاء وكسوة للصيف ومائدة منصوبة عليها طعام فيأكل الضيف ويلبس ان كان عريانا وابراهيم يجدد فى كل حين مثل ذلك* وروى ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما قرب العجل الى الضيوف ورأى أيديهم لا تصل اليه قال لم لا تأكلون قالوا لا نأكل طعاما الا بثمنه قال أوليس معكم ثمنه قالوا وأنى لنا ثمنه قال تسمون الله تبارك وتعالى اذا أكلتم وتحمدونه اذا فرغتم قالوا سبحان الله لو كان ينبغى لله ان يتخذ خليلا من خلقه لاتخذك يا ابراهيم خليلا فاتخذ الله تعالى ابراهيم خليلا وقيل ان الملائكة لما رأت ازدياد ابراهيم فى الخير واقبال الدنيا عليه ولم يشغله ذلك عن الله طرفة عين تعجبت من ذلك وقالت ان ظاهره حسن وانه لا يؤثر على ربه شيئا فهل هو فى قلبه هكذا فعلم الله سبحانه وتعالى ذلك منهم قبل ما تكلموا به فأمر الله ملكين من أجلاء الملائكة وقيل انهما جبريل وميكائيل عليهما السلام ان ينزلا عليه ويستضيفاه ويذكراه ربه ويرفعا صوتهما عنده بالتسبيح والتقديس لله تعالى فنزلا على صورة

بني آدم فسألاه الإذن لهما في المبيت عنده فأذن لهما وأكرم نزلهما ورفع
عليهما فلما كان في بعض الليل وهو يسامرهما في الكلام إذ رفع أحدهما
صوته * وقال سبحان ذي الملك والملكوت ثم رفع الآخر صوته وقال سبحان
الملك القدوس بصوت لم يسمع مثله قال فأغمي على إبراهيم عليه السلام
ولم يملك نفسه من الوجد والطرب ثم أفاق بعد ساعة وقال لهما أعيدا علي
ذكركما فقالا له إنا لم نفعل حتى تجعل لنا شيئا معلوما فقال لهما خذا ما اخترتما
من مالي فقالا له أعطنا ما شئت فقال لكما جميع مالي من الغنم وكان شيئا
كثيرا فرضيا بذلك ثم رفعا صوتهما وقالا كالأولى فأغمي عليه فلما أفاق
وعلم أنهما لا يقولان شيئا إلا بمعلوم قال لكما جميع مالي من البقر فرضيا
وأعادا ولم يزالا يكرران عليه الذكر ويتحلى به وهو يستغرق في لذاته حتى
أعطاهما جميع موجوداته من ماله وأهله ولم يبق إلا نفسه فباعها لهما
ورضي أن يكون في رقهما وجعل في عنقه سدادا وسلمهما نفسه وقال
لهما انطلقا إن تعودا إلي بالذكر مرة أخرى * فلما رأيا منه ذلك قالا له يحق لك
أن يتخذك الله خليلا ثم حكيا له ما كان من الملائكة فتبسم وقال حسبي الله
ونعم الوكيل ثم قالا له أمسك عليك مالك بارك الله لك وعليك وعلى ذريتك
فمن الله عليه سبحانه بإنماء ذريته وسماطه وزاده بركة وجعل أوحد ل
سماطه ممدودا من يومه إلى يومنا هذا جعله الله دائما إلى يوم القيامة إن
شاء الله تعالى * وأما أخلاقه الكريمة فقد سماه الله تعالى حليما أواها
منيبا والحليم الرشيد الذي يملك نفسه عند الغضب والأواه الذي يكثر
التأوه من الذنوب والمنيب المقبل على ربه عز وجل في شأنه كله * روى
الثعلبي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال
قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كم من كتاب أنزل الله
عز وجل قال رسول الله أنزل الله تعالى مائة كتاب وأربعة كتب أنزل تعالى
على آدم عليه السلام عشر صحائف وعلى إبراهيم الخليل عشر صحائف وعلى
شيث خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وأنزل الله تعالى

التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال قلت يا رسول الله ما كانت صحف
ابراهيم قال كانت أمثالا * أيها الملك المغرور المبتلى انى لم أبعثك لتجمع
الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لتنصر دعوة المظلوم فانى لا أردها
وان كانت من كافر وكان فيها أمثال كثيرة (منها) وعلى العاقل ما لم يكن
مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات ساعة يناجى فيها ربه ويتفكر فى
صنع الله وساعة يحاسب نفسه فيما قدم وأخر وساعة يخلو فيها بحاجته
من الحلال لا من الحرام فى المطعوم والمشروب وغيرهما وعلى العاقل أن
يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ومن علم ان كلامه
من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه والله أعلم ﴿ معنى الخلة ﴾ أصل الخلة
الاستصفاء وسمى ابراهيم خليل الله لانه يوالى فى الله ويعادى فى الله وخلة
الله له نصره وجعله اماما لمن بعده والخليل أصله الفقير المحتاج المنقطع
مأخوذ من الخلة وهى الحاجة سمى بها لانه قصر حاجته على ربه وانقطع
اليه بهمته ولم يجعل له وليا غيره حيث قال له جبريل عليه السلام وهو
فى المنجنيق ليرمى به فى النار ألك حاجة فقال اما اليك فلا * روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال لجبريل يا جبريل لم اتخذ الله ابراهيم خليلا قال
لاطعامه الطعام وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان
الله تعالى قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا واختلف فى تفسير الخلة
واشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله تعالى الذى ليس له فى انقطاعه
اليه ومحبته له اختلال واختلف أيضا هل الخلة والمحبة بمعنى واحد أو
احداهما ارفع من الاخرى فقيل هما بمعنى واحد والحبيب خليل وعكسه
لكن خص ابراهيم بالخلة ومحمد بالمحبة وقيل الخلة ارفع للحديث الوارد
عنه صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر
خليلا ولكن أخوة الاسلام فلم يتخذ أبا بكر خليلا وأطلق على نفسه
الشريفة المحبة له ولعائشة ولفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم والاكثر على
ان المحبة ارفع لان درجة نبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم ارفع من درجة

إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحبوب وهذا المعنى يتأتى منه الميل وهي درجة المخلوقين أما الخالق جل جلاله فمنزه عن ذلك فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه لطاعته وإفاضة رحمته عليه سبحانه وتعالى

﴿ذكر وفاته عليه السلام﴾

قد تقدم أن بين الهجرة الشريفة النبوية المحمدية ومولده عليه السلام ألفين وثمانمائة وثلاثا وتسعين سنة على اختيار المؤرخين واختلف في عمره فقيل إن إبراهيم الخليل عاش مائة وخمسا وسبعين سنة وهو الذي ذكره الملك المؤيد صاحب حماة في تاريخه وقيل مائة وخمسا وتسعين وقيل مائتي سنة ونزل عليه جبريل عليه السلام اثنتين وأربعين مرة * قال أهل السير لما أراد الله عز وجل قبض روح خليله إبراهيم عليه السلام أرسل إليه ملك الموت في صورة رجل شيخ هرم قال الثعلبي قال السدي بإسناده قال كان إبراهيم كثير الإطعام يطعم الناس ويضيفهم فبينما هو يطعم الناس إذا هو بشيخ كبير يمشي في الحرة فبعث إليه رجلا بحمار فركبه حتى أتاه وأطعمه فجعل الشيخ يأخذ اللقمة ليدخلها فاه فيدخلها في عينه وتارة في أذنه ثم يدخلها فاه فإذا دخلت في جوفه خرجت من دبره وكان إبراهيم قد سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت فلما رأى حال الشيخ قال له يا شيخ ما لك تصنع هكذا قال يا إبراهيم من الكبر فقال ابن كم أنت يا شيخ قال فزاد على عمر إبراهيم سنتين فقال إبراهيم إنما بيني وبينك سنتان فإذا بلغت ذلك صرت مثلك قال نعم فقال إبراهيم اللهم اقبضني إليك قبل ذلك * فقام الشيخ وقبض روح إبراهيم وكان ملك الموت صلوات الله وسلامه عليهما ويحكى غير ذلك فيكون من وفاة الخليل عليه السلام والهجرة النبوية على القول الأول في عمره الذي ذكره صاحب حماة ألفان وسبعمائة وثمانية عشر سنة ومضى من الهجرة الشريفة النبوية إلى عصرنا هذا تسعمائة سنة فيكون الماضي

من وفاة ابراهيم الى سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة ثلاثة آلاف سنة وستمائة وثمان عشرة سنة وقيل غير ذلك * وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل من يكسى يوم القيامة ابراهيم الخليل عليه السلام حلته ثم انا بصفوتي ثم علي بن أبي طالب يزف بيني وبين ابراهيم الخليل زفا الى الجنة وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل من يكسى من الخلائق يوم القيامة ابراهيم الخليل عليه السلام * وروى انه قال يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا فيقول الله تعالى ما أرى خليلي عريانا فيكسى ثوبا ابيض فهو أوّل من يكسى يوم القيامة صلى الله عليه وسلم

ذكر قصة الاسكندر وكان في زمن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام

الاسكندر المشهور بذي القرنين الذي ذكره الله في القرآن هو من ذرية نوح عليه السلام ومما ورد في أمره انه انما سمي بذي القرنين لانه كان عبدا صالحا بعثه الله عز وجل الى قومه ولم يكن نبيا فضربوه على قرنه فمات فاحياه الله تعالى ثم بعثه مرة اخرى اليهم فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فسمي ذا القرنين وقيل غير ذلك وتوفي الاسكندر بناحية السواد في موضع يقال له شهرزور بعد ان غزا الهند حتى انتهى الى البحر المحيط فهال ذلك ملوك العرب فوفدت عليه رسلهم بالانقياد والطاعة ودخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي في بحر الشمس في أربعمائة رجل من أصحابه يطلب عين الحياة فلم يصبها فسار فيه ثمانية عشر يوما وبنى اثنى عشر مدينة سماها كلها بالاسكندرية ولما مات عرض الملك بعده على ابنه فابى واختار النسك والعبادة وكانت مدة تملكه اثنى عشر سنة وقيل ثلاثة عشر سنة وقيل أربعة عشر سنة وكان عمره ستا وثلاثين سنة بالاتفاق والله أعلم

﴿ذكر بناء سليمان عليه السلام الحير الذي على المغارة بوحي من الله تعالى﴾

روى أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس أوحى الله تعالى اليه أن ابن داود ابن على قبر خليلي حيرا حتى يكون لمن يأتي من بعدك لكي يعرف فخرج سليمان وبنو اسرائيل من بيت المقدس حتى قدم أرض كنعان وطاف فلم يصبه فرجع الى بيت المقدس فأوحى الله تعالى اليه يا سليمان خالفت أمري فقال يا رب قد غاب عني الموضع فأوحى الله اليه امض فانك ترى نورا من السما الى الارض فانه موضع قبر خليلي ابراهيم فخرج سليمان من ثانيه فنظر وأمر الجن فبنوا في الموضع الذي يقال له الرامه وهو بالقرب من مدينة سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام من جهة الشمال فبلغ قريه حلحول * التي بها قبر يونس عليه السلام فأوحى الله تعالى اليه ان هذا ليس هو الموضع ولكن انظر الى النور المتدلي من السما الى الارض فان خرج سليمان عليه السلام ونظر فاذا النور على بقعة من بقاع حبرون فعلم ان ذلك هو المقصود فبنى الحير على البقعه * وسنذكر وصف هذا البنا وذرعه طولا وعرضا فيما بعد ان شا الله تعالى ويأتي ذكر ما مضى من تاريخ بنا سليمان عليه السلام مسجد بيت المقدس فيعلم منه تاريخ بنا الحير الذي على مقام سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام

﴿ذكر فضل سيدنا الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام وفضل زيارته﴾

قد نص الله تعالى في كتابه العزيز على فضله في قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا الى غير ذلك مما أنزل الله في حقه من الآيات المخصوصه به * وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا خير الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم عليه السلام وفي روايه مسلم قال له يا خير البريه قال ذلك ابراهيم * وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أسري بي الى بيت المقدس مر بي جبريل عليه السلام على قبر ابراهيم عليه السلام فقال لي انزل فصل ركعتين

هاهنا فان هاهنا قبر أبيك ابراهيم الخليل عليه السلام * وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم يمكنه زيارتى فليزر قبر ابى ابراهيم الخليل عليه السلام * وعن كعب الاحبار رضى الله عنه انه قال اكثروا من الزيارة الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهروا الصلاة عليه وعلى صاحبيه ابى بكر وعمر رضوان الله عليهما قبل ان تمنعوا ذلك ويحال بينكم وبين ذلك بالفتن وفساد السبل فمن منع ذلك او حيل بينه وبين الزيارة الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فليجعل رحلته واتيانه الى قبر ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وليظهر الصلاة عليه وليكثر من الدعاء عنده فان الدعاء عند قبر سيدنا ابراهيم الخليل مستجاب ولم يتوسل به احد الى الله فى شئ الا أجابه ولم يبرح من مكانه حتى يرى الاجابة فى ذلك عاجلا أو آجلا (قلت) وهذا مما لا اشك فيه فانى جربته فى أمر وقع لى من امور الدنيا وكنت أتوقع الهلاك منه فتوجهت من بيت المقدس الى بلد سيدنا الخليل عليه السلام فى ضرورة اقتضت سفرى فلما أن دخلت مسجده ودخلت الى الضريح المشهور بأنه قبر ابراهيم الخليل عليه السلام تعلقت باستاره ودعوت الله تعالى فيما كنت ارجوه فما كان بأسرع من أن فرج الله عنى كربتى ولطف بى وأزال عنى كلما أزعجنى ولله الحمد سبحانه * وحكى عن رجل من أهل بعلبك انه قال زرنا قبر ابراهيم الخليل عليه السلام وكان معنا رجل مغفل من أهل بعلبك فسمعناه وقد زار القبر وهو يبكى ويقول حبيبى ابراهيم سل ربك يكفينى فلانا وفلانا فانهم يؤذونى ونحن نضحك منه ونتعجب ثم رجعنا بعد مدة الى بلده فوصل قارب من بيروت وفيه رجل من أهل بعلبك فاخبرنا ان الثلاثة الذين سماهم ماتوا ﴿القول فى آداب الزيارة﴾ يستحب لمن قصد زيارة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ان يقلع عن الذنوب وان يتوب الى الله توبة نصوحا ثم ينوى زيارته ويتوجه نحوه بعزم ورغبة ويكثر فى الطريق من الصلاة عليه وعلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع

الأنبياء والمرسلين* فإذا أتى باب المسجد وقف باحترام قدم رجله اليمنى ويدعو بما يستحب أن يدعى به إذا دخل المساجد ثم يقول بسم الله اللهم صل على سيدنا محمد وافتح لي أبواب رحمتك ثم يصلي ركعتين تحية المسجد ثم يقصد قبر سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام فيقف على باب حجرته مطرقا رأسه ثم يستغفر الله تعالى ويصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأنك عبد الله ورسوله وخليله جزاك الله عنا خيرا كما هو أهله ثم يقول صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين من أهل السموات وأهل الأرضين عليك يا أبا الأنبياء يا خليل الله وعلى ولدك السيد الكامل الفاتح الخاتم سيد الأولين والآخرين محمد المصطفى حبيب رب العالمين وعلى آلكما وأصحابكما كلما ذكركما الذاكرون وغفل عن ذكركما الغافلون ثم يدعو بما شاء من خيري الدنيا والآخرة ثم يلتفت نحو السيدة سارة ويقول السلام عليكم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ورحمة الله وبركاته ثم يقول إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ثم يتوجه إلى قبر السيد إسحاق عليه السلام ويقول السلام عليك أيها النبي الكريم ورحمة الله وبركاته ويدعو بعده بما شاء ثم يلتفت عن شماله ويسلم على زوجته السيدة الجليلة ربقة ويقول السلام عليكم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ورحمة الله وبركاته ثم يمضي بأدب وسكون ويقصد السيد الجليل نبي الله يعقوب عليه السلام ويفعل عنده كما فعل عند إسحاق أبيه وكذلك عند زوجته السيدة ليقا ثم يقصد نبي الله يوسف الصديق عليه السلام ويفعل كما فعل ثم يقصد ثانيا سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الذي تجاه قبر سيدنا يعقوب ويقف بالقرب منه ويسلم ويدعو الله بما شاء فإن الدعاء هناك مستجاب ثم يتوجه إلى الله تعالى بجميع أنبيائه خصوصا بسيد الأولين والآخرين ثم يمسح وجهه

ويمضي مسرورا مقبولا ان شاء الله تعالى * وكل ما ذكره العلماء رضي الله
تعالى عنهم في مناسكهم من آداب الزيارة في حق النبي صلى الله عليه وسلم
فهو سائغ في حق هذا النبي الكريم خليل الله ابراهيم اللهم صل عليه وعلى
جميع اولاده الاكرمين ﴿ **فصل في حكم السور السليماني** ﴾ وهو البناء
المنسوب لسيدنا سليمان عليه السلام المحيط بقبر سيدنا ابراهيم عليه
السلام قد صار مسجدا وثبت له أحكام المساجد * وقد روي عن ابن عمر
رضي الله عنه انه قال ان آدم عليه السلام رأسه عند الصخرة الشريفة
ورجلاه عند مسجد ابراهيم الخليل عليه السلام فسماه مسجدا * وفي
رواية ان قبره في مغارة بين بيت المقدس ومسجد ابراهيم الخليل رجلاه
عند الصخرة ورأسه عند مسجد ابراهيم عليه السلام واذا كان مسجدا
جاز الدخول اليه وسماه السبكي وكتب بخطه في آخر جزء حديث يسمى
تحفة أهل الحديث في سماعه على الشيخ برهان الدين الجعبري وذكر
جماعة سمعوه معه بالحرم ثم قال وصح وثبت في يوم السبت ثامن عشر
صفر سنة ثمان وسبعمائة بحرم الخليل عليه السلام وأطلق على المشهد
المذكور حرما وكلامه صريح في انه دخله هو والشيخ برهان الدين
الجعبري والسامعون معه ودل على جواز دخوله وعمل الناس اليوم على
دخوله وزيارتهم للقبور الشريفة والوقوف عند الاشارات التي عليها
وصلاة الجمعة والجماعات هناك فانه بني به محراب شريف ووضع الى
جانبه منبر وقد مضى على ذلك ازمنة متطاولة والعلماء وأئمة الاسلام
مطلعون على ذلك وقد اقره الخلفاء وملوك الاسلام ولم ينكره منكر
فصار كالاجماع واذا تقرر هذا ثبت له احكام المساجد من جواز
الاعتكاف فيه وتحريم المكث على الحائض والجنب فيه وفعل التحية
ولا يقال انه مقبرة فان الانبياء الذين فيه صلوات الله تعالى وسلامه عليهم
أحياء في قبورهم واما النساء فعلى خلاف فيه والله أعلم ﴿ **ذكر ذرعه
طولا وعرضا** ﴾ وهذا المقام الكريم الذي هو داخل السور السليماني

طوله في سعة قبلته شمال من صدر المحراب الذي عند المنبر الى صدر المشهد الذي به ضريح سيدنا يعقوب عليه السلام ثمانون ذراعا بذراع العمل بنقص يسير أكثر ونصف ذراع أو ثلثي ذراع عرسا وعرضه شرقا بغرب من السور الذي به باب الدخول الى صدر الرواق الغربي الذي به شباك يوصل منه الى ضريح سيدنا يوسف عليه السلام أحد وأربعون ذراعا ويزيد على ذلك يسيرا أكثر بثلث ذراع أو نصف ذراع غمر سا بذراع العمل المذكور وهو الذراع الذي يذرع به الأبنية في عصرنا هذا وسمك السور ثلاثة أذرع ونصف من كل جانب وعدة مداميكه في البناء خمسة عشر مدماكا من أعلى الأماكن وهو الذي عند باب القلعة من جهة الغرب الى القبلة وارتفاع البناء عن الأرض من المكان المذكور ست وعشرون ذراعا بذراع العمل غير البناء الرومي الذي فوق السلطاني ومن جملة الأحجار البناء السلطاني حجر عند مكان الطبطابة طوله أحد عشر ذراعا بالعمل وعرض كل مدماك من البناء السلطاني نحو ذراع وثلثي ذراع بالعمل وعلى السور المذكور منارتان أحدهما من جهة الشرق مما يلي القبلة والثانية من الغرب مما يلي الشمال وبابهما في بابه اللطف

* وأما صفة البناء الموجود بداخل السور على ما هو عليه في عصرنا وقد صار مسجدا كما تقدم القول فيه فهو يشتمل على بناء معقود من داخل السور على نحو النصف من جهة القبلة الى جهة الشمال والبناء من عهد الروم وهو ثلاثة أكوار الأوسط منها مرتفع عن الكورين الملاصقين له من جهة الشرق والغرب والسقف مرتفع على أربعة أسوار محكمة البناء ويتصدر هذا البناء المعقود تحت الكور الأعلى المحراب والى جانبه المنبر وهو من الخشب في غاية الاتقان والحسن وهذا المنبر عمل في زمن المستنصر بالله أبي تميم معد الفاطمي خليفة مصر بأمر بدر الجمالي مدبر دولته برسم مشهد عسقلان الذي زعمت الفاطمية أن به رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وكان حمل المنبر

في

فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة وعليه تاريخ عمله مكتوب بالكوفى والظاهر أن الذى نقله ووضعه بمسجد الخليل عليه السلام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله لما هدم عسقلان وهذا المنبر موجود الى عصرنا هذا ويقابل ذلك دكة المؤذنين على عمد من رخام فى غاية الحسن والرخام مستدير على حيطان المسجد من الجهات الاربع وهو من عمارة تنكز نائب الشأم فى سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون فى سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة والقبور الشريفة بداخل السور منها تحت السماء المذكور قبر سيدنا اسحاق عليه السلام الى جانب السارية التى عند المنبر ويقابله قبر زوجته رفقة الى جانب السارية الشرقية وهذا البناء له ثلاثة أبواب تنتهى الى صحن المسجد أحدهما وهو الاوسط ينتهى الى الحضرة الشريفة الخليلية وهو مكان معقود والرخام مستدير على حيطانه الاربعة وبه الى جهة الغرب الحجرة الشريفة التى بداخلها القبر المنسوب لسيدنا ابراهيم الخليل ويقابله من جهة الشرق قبر زوجته سارة والباب الثانى من جهة الشرق عند باب السور السليمانى خلف قبر سارة والباب الثالث من جهة الغرب خلف قبر ابراهيم عليه السلام والى جانبه محراب المالكية وينتهى هذا الباب الى الرواق وفتح هذا الباب وعمر محراب المالكية الامير شهاب الدين اليغمورى ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة فى دولة الملك الظاهر برقوق وفتح الشباك بالسور السليمانى المتوصل منه الى مقام السيد يوسف الصديق وعمر الاروقة مكان القلال التى كانت هناك ورتب قراءة سبع وشيخ القراءة البخارى ومسلم فى الاشهر الثلاثة وذلك فى شهر رمضان سنة ست وتسعين وسبعمائة وبآخر الساحة التى بداخل السور السليمانى من جهة الشمال الضريح المنسوب لسيدنا يعقوب وهو من جهة الغرب بحذاء قبر ابراهيم الخليل عليه السلام ويقابله من جهة الشرق قبر زوجته ليقا وصحن المسجد المكشوف تحت السماء بين مقام الخليل ومقام يعقوب عليهما السلام والقباب المبنية على الاضرحة

المنسوبة للخليل وزوجته سارة ويعقوب وزوجته لفا أخرب ابهام من ما بنى أمية وجميع الارض التى بداخل السور مما هو تحت السقف وبالساحة السماوية مفروشة بالبلاط السلطانى الذى رؤيته من العجائب لكبره وحسنه وبجوار قبر الخليل عليه السلام من داخل البنا المعقود سفل الارض مغارة * تعرف بالسرداب بداخلها باب لطيف ينتهى الى القبر وقد نزل اليه بعض الخدام من مدة قريبة نحو السنة لسبب أوجب ذلك وهو أن شخصا معتوها من الفقرا سقط فيه فنزل اليه جماعة من الخدام ودخلوا من هذا الباب فانتهى بهم الحال الى المرتبة العلية التى على عمد الرخام بجوار منبر الخطابة وأخبرنى الذى نزل أنه عاين سلما من حجر عدته خمسة عشر درجة مبنى عند آخر هذا الغار من جهة القبلة وقد سد بالبنا من آخره فالظاهر أن هذا الباب كان عند المسرمية يوصل الى السرداب وبظاهر السور السليمانى من جهة الشرق مسجد فى بابه الحبس وبين السور السليمانى وهذا المسجد الدهليز وهو معقود مستطيل عليه الابهة والوقار والذى عمر هذا الدهليز والمسجد الامير أبو سعيد سنجر الجاولى ناظر الحرمين الشريفين نائب السلطنة يعرف هذا المسجد بالجاولية وهو من العجائب قطع فى جبل ويقال انه كان مغارة يهود على هذا الجبل فقطعه الجاولى وجوفه وبنى السقف عليه والقبة وهو مربع على اثنى عشر سارية قائمة فى وسطه وفرش ارض المسجد وحيطانه وسواريه بالرخام * وعمل شبابيك حديد على آخره من جهة الغرب وهذا المسجد طوله من القبلة الى الشام ثلاثة وأربعون ذراعا وعرضه شرقا بغرب خمسة وعشرون ذراعا بذراع العمل وكان الابتدا فى عمارة هذا المسجد فى ربيع الآخر سنة ثمانى عشرة وانتهت العمارة فى ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة فى دولة الملك الناصر محمد بن قلاوون ومكتوب فى حائطه ان سنجر عمر ذلك من خالص ماله ولم يعن عليه شيئا من مال الحرمين الشريفين وبجوار المسجد الجاولى من جهة القبلة المطبخ الذى يعمل فيه

الدشيشة للمجاورين والواردين وعلى باب المطبخ تدق الطبلخانة في كل يوم بعد صلاة العصر عند تفرقة السماط الكريم * وهذا السماط من عجائب الدنيا يأكل منه أهل البلد والواردون وهو خبز يعمل في كل يوم ويفرق في ثلاثة أوقات بكرة النهار وبعد الظهر لاهل المدينة وبعد العصر تفرقة عامة لاهل البلد والواردين ومقدار ما يعمل فيه من الخبز كل يوم أربعة عشر ألف رغيف ويبلغ الى خمسة عشر ألف رغيف في بعض الاوقات اذا كان عندهم زائر * واما سعة وقفه فلا تكاد تنضبط واما سماطه الكريم فانه لا يمنع منه أحد لا من الاغنياء ولا من الفقراء واما السبب في دق الطبلخانة كل يوم عند تفرقة السماط بعد العصر فيقال ان الاصل في ذلك ان سيدنا ابراهيم عليه السلام لما كانت تأتيه الضيوف ويصنع لهم ما يأكلون ويكونون جماعة متفرقين في المنازل التي أنزلهم فيها فاذا قصد اطعامهم دق لهم الطبل ليعلموا انه هيأ لهم الطعام فاذا سمعوا بادروا واجتمعوا لاكل سماطه فصارت سنة بعده تعمل في كل يوم عند تفرقة السماط بحضرته الشريفة وعلى باب المسجد الذي تدق عنده الطبلخانة المكان الذي يصنع فيه خبز السماط من الافران والطواحين وهو مكان متسع يشتمل على ثلاثة أفران وستة احجار للطحن وعلوّ هذا المكان الحواصل التي يوضع فيها القمح والشعير ورؤية هذا المكان علوّا وسفلا من العجائب فانه يدخل اليه بالقمح ولا يخرج منه الا وقد صار خبزا * واما الاهتمام بعمل السماط من كثرة الرجال في تعاطي أسبابه من طحن القمح وعجنه وخبزه وتجهيز آلاته من الحطب وغيره والاعتناء بأمره وذلك من العجائب لا يكاد يوجد مثل ذلك عند ملوك الارض ولا يستكثر مثل ذلك في معجزات هذا النبيّ الكريم عليه الصلاة والسلام

﴿ذكر اسحاق عليه السلام﴾

هو اسحاق بن خليل الرحمن النبيّ بن النبيّ بن النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأمه سارة حملت به في الليلة التي خسف الله تعالى

قوم لوط وولديه وهامن العمر ستون سنه ومن ولده الروم واليونان
والأرمن ومن يجري مجراهم وبنو إسرائيل وكان إبراهيم عليه السلام
يضيف من نزل به وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال
والخدم * فلما أراد الله تعالى هلاك قوم لوط أمر رسله من الملائكة أن
ينزلوا بإبراهيم ويبشروه هو وسارة بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فلما
نزلوا على إبراهيم عليه السلام كان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما
حتى شق ذلك عليه وكان لا يأكل إلا مع الضيف ما أمكنه فلما رآهم على
صورة الرجال سر بهم ورأى أضيافا لم يضفه مثلهم حسنا وجمالا فقال
لا يخدم هؤلاء القوم إلا أنا فخرج إلى أهله فجاء بعجل سمين حنيذ وهو
المشوي بالحجارة فلما رأى أيديهم لا تصل إليه أي إلى العجل نكرهم وأوجس
منهم خيفة وذلك أنهم كانوا إذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من
طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير وإنما جاء بشر قالوا لا تخف يا إبراهيم
إنا ملائكة الله تعالى أرسلنا إلى قوم لوط وكانت امرأته سارة قائمة من
وراء الستر تسمع كلامهم وإبراهيم جالس معهم فضحكت لزوال الخوف
عنهما حين قالوا لإبراهيم لا تخف وقيل ضحكت بالبشارة * وقال ابن
عباس ووهب ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن
زوجها وعلى هذا القول يكون الآية على التقديم والتأخير تقديره
وامرأته قائمة فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فضحكت
وقالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا وكان سن إبراهيم عليه
السلام مائة وعشرين سنة في قول ابن إسحاق إن هذا لشيء عجيب قالوا
يعني الملائكة أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت
إنه حميد مجيد * وسنذكر ما تكلم به إبراهيم عليه السلام مع الملائكة
في أمر قوم لوط عند ذكره عليه السلام ثم إن إسحاق تزوج بنت عمه
ربقة بنت بتويل وكان إسحاق ضريرا وولد له العيص ويعقوب
ولم يمت إبراهيم عليه السلام حتى بعث الله إسحاق عليه السلام إلى

أرض الشام وبعث يعقوب الى أرض كنعان واسماعيل الى جرهم ولوطا الى سدوم فكانوا كلهم انبياء على عهد ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعاش اسحاق مائة وثمانين سنة ومات بالارض المقدسة ودفن عند أبيه ابراهيم الخليل عليهما السلام

﴿ذكر سيدنا يعقوب عليه السلام﴾

هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم النبي ابن النبي ابن أبي الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين وهو الذي يسمى اسرائيل قيل معناه صفوة الله وهو أخو العيص وسمي يعقوب لأنه كان هو والعيص توأمين فخرج من بطن أمه آخذا بعقب أخيه العيص قيل وفيه نظر لان هذا الاشتقاق عربي ويعقوب اسم أعجمي وكان مولده بعد مضي ستين سنة من عمر أبيه اسحاق ورزق يعقوب من زوجته ليا روبيل وهو أكبر أولاده ثم شمعون ولاوي ويهوذا ثم تزوج اختها راحيل فرزق منها يوسف عليه السلام وبنيامين وولد له من سريتين ستة أولاد فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا وهم الاسباط الاثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويساخر وزبلون ويوسف وبنيامين ودان ونفتالي وكاد واشر وسموا الاسباط لانه ولد لكل منهم جماعة وعاش لاوي بن يعقوب مائة وسبعا وثلاثين سنة وولد له قاهث وعاش مائة وسبعا وعشرين سنة ثم ولد لقاهث عمران وعاش مائة وستا وثلاثين سنة ثم ولد لعمران موسى عليه السلام وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى * وعاش يعقوب مائة وسبعا وأربعين سنة ومات بمصر وأوصى ان يحمل الى الارض المقدسة ويدفن عند أبيه وجده فحمله ابنه يوسف ودفنه عندهما * وسنذكر ذلك في قصة ولده يوسف ان شاء الله تعالى وتقدم ذكر الخلاف في ان يعقوب اول من بنى مسجد بيت المقدس وأرى موضعه بوحي من الله تعالى وتقدم لفظ الاثر الوارد في ذلك ونقل بلفظ آخر غير المتقدم وهو أن والده اسحاق أوصى اليه ان لا ينكح امرأة من الكنعانيين وان ينكح من بنات خاله

وكان مسكن يعقوب القدس فوجه الى خاله فأدركه الليل في الطريق
فبات متوسدا حجرا فرأى فيما يرى النائم ان سلما منصوبا الى باب من
ابواب السما عند رأسه والملائكة تنزل عليه وتعرج منه * فأوحى الله
تعالى اليه انى الملك واله آبائك ابراهيم واسحاق وقد ورثتك هذه الارض
المقدسة لك ولذريتك من بعدك وباركت فيك وفيهم وجعلت لكم
الكتاب والحكمة والنبوة ثم أنا معك احفظك حتى أردك الى هذا المكان
فاجعله بيتا تعبدنى فيه أنت وذريتك * وقد حكى الحافظ أبو محمد هذا
الأثر والأثر المتقدم قبله وليس في احدهما ما ينافي الآخر سوى اختلاف
في بعض اللفظ

﴿ذكر يوسف عليه السلام﴾

هو يوسف الصديق بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم فهو نبى الله بن نبى الله
ابن نبى الله بن نبى الله وخليله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولد
يوسف عليه السلام لما كان ليعقوب من العمر أحدى وتسعون سنة ولما
صار ليوسف ثمانية عشر سنة كان فراقه ليعقوب وبقيا مفترقين احدى
وعشرين سنة ثم اجتمع يعقوب بيوسف في مصر وليعقوب من العمر مائة
وثلاثون سنة وبقيا مجتمعين سبعة عشر سنة وقيل غير ذلك وسبب فراق
يوسف عن أبيه حسد اخوته فألقوه في الجب كما أخبر الله تعالى في كتابه
العزيز واختلف في الجب فقال قتادة هو في بيت المقدس وقال وهب في
أرض الاردن وقال مقاتل هو على ثلاثة فراسخ من منزل أبيه يعقوب
وكان بالجب ما وبه صخرة فأوى اليها وأقام بالجب ثلاثة أيام فمرت به
السيارة فأخرجوه وأخذوه فجا اخوه يهوذا بالطعام الى الجب ليوسف
فلم يجده في الجب ورآه عند تلك السيارة فأخبر يهوذا بقية اخوته بذلك
فأتوا الى السيارة وقالوا هذا عبدنا أبق منا فاشتروه من اخوته بثمن بخس
قيل عشرون درهما وقيل أربعون درهما ثم ذهبوا به الى مصر فباعوه
لاستاذهم الذى على خزائن مصر واسمه العزيز وكان فرعون مصر حين

دين الريان بن الوليد رجلا من العماليق والعماليق هم ولد عملاق بن سام ابن نوح فهويته امرأته راعيل وراودته عن نفسها فأبى وهرب فلحقته من خلفه وامسكته بقميصه فانقد ووصل أمرهما الى زوجها العزيز وابن عمها بتحقيق وبيان وظهر لهما براءة يوسف ثم بعد ذلك مازالت تشكو الى زوجها وتقول له انه يقول للناس انى راودته عن نفسه وفضحني فحبسه زوجها سبع سنين ثم اخرجه فرعون مصر بسبب تعبير الرؤيا التى رآها ثم لما مات العزيز جعل فرعون مصر موضعه يوسف على خزائنه وجعل القضاء اليه ثم دعا يوسف الريان فرعون مصر الى الايمان فآمن به وبقى كذلك الى أن مات الريان فرعون مصر وملكها وملك مصر بعده قابوس بن مصعب من العمالقة أيضا ولم يؤمن وكان يوسف اذا سار فى ازقة مصر يتلألأ نوره على الجدران وكان من صفته عليه السلام انه ابيض اللون حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق غليظ الساعدين والعضدين والساقين اقنى الانف صغير السرة بخده الايمن خال اسود وكان ذلك الخال يزين وجهه وبين عينيه شامة تزيده حسنا وجمالا كأنه القمر ليلة البدر وكان اذا تبسم رأيت النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور يشور من بين ثناياه صلى الله عليه وسلم ووصل الى يوسف أبوه يعقوب واخوته جميعهم من كنعان وهى ارض الشام وقد ذكر الله تعالى قصته فى القرآن مبسوطة مفصلة ومات يعقوب وأوصى ولده يوسف ان يدفنه عند أبيه اسحاق فسار به الى حبرون ودفنه عند أبيه وقبره بحذاء قبر جده الخليل عليه السلام من جهة الشمال وهو مشهور وكان عمر يوسف لما توفى والده يعقوب ستا وخمسين سنة ولما دفنه عاد الى مصر وعاش يوسف مائة وعشرين سنة وبينه وبين سيدنا موسى عليه السلام اربعمائة سنة ونزل عليه جبريل اربع مرات وتوفى بمصر ودفن بها حتى كان زمن موسى عليه السلام وفرعون * فلما سار موسى من مصر ببنى اسرائيل الى التيه نبش على يوسف وحمله معه

في التيه حتى مات موسى فلما قدم يوشع بن نون بني إسرائيل إلى الشام
دفنه بالقرب من نابلس وقيل عند الخليل وهو المشهور عند الناس
فإن قبره عند الخليل ظاهر مشهور وقد استفاض عند الناس فلم ينكره
وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن احمل يوسف إلى
بيت المقدس عند آبائه فلم يدر أين هو فسأل بني إسرائيل فلم يعرف أحد
منهم أين قبره فقال له شيخ عمره ثلثمائة سنة يا نبي الله ما يعرف قبر يوسف
إلا والدتي فقال له موسى عليه السلام قم معي إلى أمك فقام معه إلى منزله
فدخلا المنزل وأتاه بقفة وفيها والدته فقال لها موسى عليه السلام
ألك علم بقبر يوسف قالت نعم قال فدليني عليه قالت أدلك على قبره بشرط
أن تدعو الله أن يرد علي شبابي إلى سبعة عشر سنة وأن يزيد في عمري
مثل ما مضى قال فدعا فقال لها موسى عليه السلام كم عشت
فقالت تسعمائة سنة فعاشت ألفا وثمانمائة سنة وأرت موسى عليه
السلام قبر يوسف عليه السلام وكان في وسط نيل مصر في صندوق من
رخام وذلك أنه لما مات تشاجر عليه الناس وكل أراد أن يدفن في محلته لما
يرجو من بركته عليه السلام فاختلف رأيهم في ذلك حتى أرادوا أن
يقتتلوا فرأوا أن يدفن في النيل ليمر عليه الماء فتصل بركته إلى جميع مصر
وما حولها ويكونون كلهم في بركته مشتركين ففعلوا ذلك ولما علم موسى
مكانه أخرجه وهو في التابوت وحمله على عجل من حديد إلى بيت المقدس
وقبره في البقيع خلف الحير السليماني حذا قبر يعقوب وجوار جده
إبراهيم وإسحاق عليهما السلام وعن إبراهيم بن أحمد الخلنجي أنه لما سألته
جارية المقتدر وكانت تعرف بالعجوز وكانت مقيمة ببيت المقدس
الخروج إلى الموضع الذي روي أن قبر يوسف فيه وإظهاره والبنا عليه
قال فخرجت والعمال معي فكشفت الموضع الذي روي أنه فيه خارج الحير
حذا برأسه يعقوب عليهما السلام * قال فاشترى البقيع من صاحبه
واخذ في كشفه فخرج في الموضع الذي روي أنه فيه حجر عظيم فأمر بكسره

بكسر

فكسر منه قطعة قال وكنت معهم فى الحفر فلما شالوا القطعة من الحجر واذا هو يوسف عليه السلام على الصفة بحسنه وجماله وصارت روائح الموضع مسكا ثم جاء ريح عظيم فاطبق العمال الحجر على ما كان سابقا ثم بنى عليه القبة التى هى عليه الآن على صحة من رؤيته صلى الله عليه وسلم وهو خارج السور السليمانى من جهة الغرب بداخل مدرسة منسوبة للسلطان الملك الناصر حسن وتسمى الآن بالقلعة ويدخل اليه من عند باب المسجد الذى عند السوق تجاه عين الطواشى وهو موضع مأنوس وفيه الضريح ثم ان بعض النظار على وقف سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام وهو شهاب الدين احمد اليغمورى فتح بابا فى السور السليمانى من جهة الغرب بحذاء القبر المنسوب لسيدنا يوسف الصديق عليه السلام وجعل فوق القبر السفلى اشارة تدل عليه كبقية الاضرحة الكائنة بمسجد سيدنا الخليل عليه السلام وذلك فى سلطنة السلطان الملك الظاهر برقوق * وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم بن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف ثم جاءنى الداعى لاجبته * وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس قال أتقاهم لله فقالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف الصديق نبى الله بن نبى الله بن خليل الله فهؤلاء الانبياء الاربعة وهم ابراهيم الخليل وولده اسحاق وولده يعقوب وولده يوسف قبورهم فى محل واحد وعليهم من الوقار والجلال ما لا يكاد يوصف صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

﴿ذكر لوط عليه السلام﴾

هو لوط بن أخى ابراهيم الخليل عليهما السلام واسم أبيه هاران بن آزر قال الثعلبى وانما سمى لوطا لان حبه ليط بقلب ابراهيم عليه السلام أى تعلق ولصق وكان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان ممن آمن بعمه ابراهيم وهاجر

معه الى مصر حين هاجر من نمرود وعاد معه الى الشام فأرسله الله تعالى الى
أهل سدوم وكانوا أهل كفر وفاحشة ودام لوط يدعوهم الى الله تعالى
وينهاهم فلم يتقوا الله وكانوا على ما أخبر الله عنهم في قوله تعالى أتأتون
الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون
السبيل وتأتون في ناديكم المنكر وكانوا يقطعون الطريق واذا مر بهم
أحد من المسافرين أمسكوه وفعلوا به اللواط وهو ينهاهم فلم ينتهوا
ولم يردهم وعظه الا تماديا واصرارا فسأل الله تعالى النصرة عليهم فأرسل
الله الملائكة لقلب سدوم وقراها المؤتفكات وهي خمس مدائن وكان
الملائكة قد أعلموا ابراهيم الخليل بما أمرهم الله تعالى به من الخسف
بقوم لوط حين قدموا عليه وبشروه باسحاق كما تقدم فسأل ابراهيم
جبريل عنهم وقال له أرأيت ان كان فيهم خمسون رجلا من المسلمين قال
جبريل ان كان فيهم خمسون من المسلمين لا يعذبهم الله قال ابراهيم
وأربعون قال جبريل وأربعون قال ابراهيم وثلاثون قال جبريل وثلاثون
قال ابراهيم ولم أزل كذلك حتى قال لي جبريل وعشرة قال ابراهيم فقلت ان
هناك لوطا فقال جبريل والملائكة نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا
امرأته كانت من الغابرين قال ولما وصلت الملائكة الى لوط هم قومه
ان يلوطوا بهم لان الملائكة جاءته على صورة غلمان حسان الوجوه
فقال لهم لوط يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم يعني بالتزويج فاتقوا الله
ولا تخزوني في ضيفي أليس منكم رجل رشيد فلم يرضوا بقوله وقالوا لقد
علمت ما لنا في بناتك من حق أي من حاجة وشهوة وانك لتعلم ما نريد
من اتيان الرجال فعالجهم وناشدهم وهم على الفساد والبغي فأعماهم جبريل
بجناحه وقالت الملائكة للوط نحن رسل ربك فأسر بأهلك بقطع من
الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم * قال
ولما خرج لوط بأهله قال للملائكة أهلكوهم الساعة فقالوا لم نؤمر
الا بالصبح أليس الصبح بقريب فلما كان الصبح قلب الملائكة سدوم

وقراها الخمس بمن فيها وكان فيها أربعمائة ألف * وقيل أربعة آلاف ألف فرفعوا المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب فلم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه نائم ثم قلبوها فجعلوا عاليها سافلها فسمعت امرأة لوط الهدة فقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها وأمطر الله الحجارة على من لم يكن بالقرى فأهلكهم * وأما قبر لوط عليه السلام فهو في قرية تسمى كفر بريك تبعد عن مسجد الخليل عليه السلام نحو من فرسخ ونقل ان في المغارة الغربية تحت المسجد العتيق ستين نبيا منهم عشرون مرسلا فصار هذا المكان مشهورا يقصد للزيارة وعلى فرسخ من حبرون جبل صغير مشرف على بحيرة زغر وموضع قرى لوط وثم مسجد بناه أبو بكر محمد بن اسماعيل الصباحي فيه مرقد ابراهيم عليه السلام قد غاص في الصخر نحو من ذراع يقال ان ابراهيم لما رأى قرى لوط وهي طائرة في الهواء وقف وقيل رقد ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأن هذا هو الحق اليقين ولذلك سمي ذلك المسجد مسجد اليقين وكان بناء ذلك المسجد في شهر شعبان سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة وبظاهر المسجد مغارة بها قبر فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وعند قبرها رخامة مكتوب عليها بالكوفي

أسكنت من كان في الأحشاء مسكنه * بالرغم مني بين الترب والحجر
أفديك فاطمة بنت ابن فاطمة * بنت الأئمة بنت الأنجم الزهر

(ذكر أيوب عليه السلام)

هو رجل من أمة الروم لأنه من ولد العيص وهو أيوب بن موص بن رازح ابن العيص بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان له زوجة يقال لها رحمة وكان صاحب أموال عظيمة وكانت له البثنية جميعها من أعمال دمشق ملكا فابتلاه الله تعالى بأن أذهب أمواله فصار فقيرا ثم ابتلاه في جسده حتى تفجر دما ودودا وبقي مرميا على مزبلة لا يطيق أحد أن يشم رائحته وزوجته صابرة تخدمه ثم تراءى لها ابليس اللعين وقال لها اسجدي لي

وأما ازدلكا مالكم فاسادت أيوب بعث وحلف ليضربها مائة سوط ثم أتاه الله ورزقه ورد على امرأته حسنها وجمالها وشبابها وولدت له ستا وعشرين ولدا بعد أن عافاه الله تعالى مما ابتلاه به فلما عوفي أمره الله تعالى أن يأخذ عرجونا من النخل فيه مائة شمراخ فيضرب به زوجته رحمة كي يبر في يمينه ففعل وكان أيوب نبيا في زمن يعقوب وعاش ثلاثا وتسعين سنة ومن أولاد أيوب ابنه بشر وبعث الله بشرا بعد أيوب وسماه ذا الكفل وكان مقامه بالشام وقبره في قرية كفل حارس من أعمال نابلس

﴿ذكر شعيب عليه السلام﴾

وهو نبي بعثه الله إلى أصحاب الأيكة وأهل مدين وقد اختلف في نسب شعيب فقيل إنه من أولاد إبراهيم وقيل من ولد بعض الذين آمنوا بإبراهيم وكانت الأيكة من شجر ملتف فلم يؤمنوا به فأهلك الله أصحاب الأيكة بسحابة أمطرت عليهم نارا يوم الظلة وذلك أنهم رأوا حرا شديدا فدخلوا الأسراب فوجدوها أشد حرا فخرجوا منها فرأوا سحابة فاستظلوا بها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا وأهلك الله أهل مدين بالزلزلة وجاء في الخبر أن شعيبا كان خطيب الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام وكان ضرير البصر وقبره بقرية يقال لها حطين من أعمال مدينة صفد وهي تبعد عن بيت المقدس نحو ثلاثة أيام

ذكر سيدنا موسى الكليم عليه أفضل الصلاة والتسليم وأخيه هارون عليه السلام أيضا وبالله التوفيق

موسى نبي الله وكليمه وهو ابن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل سلام الله عليهم ولد لمضي ألف وخمسمائة وست وستين من الطوفان واسم أمه يوحانذ بنت لاوي بن يعقوب وكان فرعون مصر الوليد بن مصعب وكان قد تزوج آسية بنت مزاحم * وقد روي أن الله تعالى لما خلق الحور العين في نهاية الحسن والجمال قالت الملائكة

الحما

الهنا ومولانا وسيدنا هل خلقت خلقا أحسن منهن فجاءهم النداء من العلي
الاعلى انى خلقت سيدات نساء العالمين وفضلتهن على الحور العين كفضل
الشمس على الكواكب وهن آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران
وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
وصفت آسية لفرعون أحب ان يتزوج بها فتزوجها على كره منها ومن
أبيها لكنه بذل لهم أموالا جزيلة وزفت اليه ودخل عليها فلما هم بها أخذه
الله عنها فلم يقدر عليها وكان ذلك حاله معها وكان قد رضي منها بالنظر
اليها فبينما هو معها في قبتها اذ سمع هاتفا يقول ويلك يا فرعون لقد قرب
زوالك وزوال ملكك على يد نبي من بني اسرائيل فقال فرعون لآسية
سمعت هذا قالت له سمعت لكن هذا من عمل النساء ثم ان فرعون رأى
عدة منامات ازعجته فاستدعى بالمعبرين وقص عليهم ما رآه فقال أحدهم
هذه الرؤيا تدل على مولود يولد من بني اسرائيل يسلبك ملكك ويزعم أنه
رسول اله السماء والارض يأتي اليك ويكون هلاكك وهلاك
قومك على يديه فلما سمع فرعون ذلك لحقه غم شديد فجمع وزراء مملكته
واستشارهم في ذلك فأشاروا عليه ان يوكل على النساء الحبالى من
يحملهن الى داره حتى تكون ولادتهن عنده فان كان المولود ذكرا قتله
وان كان انثى تركها ففعل ذلك ولم يزل حتى قتل اثني عشر ألف مولود
وكان يعذب النساء الحبالى حتى يسقطن حملهن فضجت الملائكة من
ذلك الى ربهم فأوحى الله اليهم ان اسكتوا فان له اجلا ممدودا الى وقت
محدود ثم بشرهم الله تعالى بمولود هو موسى عليه السلام وحملت أمه
به وكان فرعون قد منع وزراءه وكبراء مملكته من الاجتماع بأهلهم
لانه كان قد بلغه ان ذلك المولود يكون من اقرب الناس اليه وكان عمران
من أقرب الناس اليه وكان شأنه أنه لا يفارقه فبينما عمران قاعد
عند رأس فرعون اذ نظر الى امرأته وقد حملت اليه على جناح ملك
فلما نظر اليها فزع فزعا شديدا وقام على قدميه وقال لها ما الذي جاء بك

في مثل هذا الوقت فقال له الملك ان الله يأمرك ان تواقع زوجتك على فراش فرعون ليكون ذلك هوانا له ثم جذب الملك فراش فرعون من تحته وألقاه لعمران وجواري الملك فواقعها فحملت بموسى عليه السلام ثم احتملها الملك الى دارها هذا وكان على باب فرعون ألف من الحراس والاعوان فلما أصبح دخل عليه المنجمون والكهنة وقالوا لفرعون ان المولود الذي كنا نحذرك منه قد حملت به امه في هذه الليلة وقد ظهر نجمه وعلا شعاعه قال فاشتد فزع فرعون وزاد احتياطه * ولما مضت مدة الحمل اخذت أمه الطلق في نصف الليل ولم يكن عندها احد الا اختها فلما وضعته نظرت الى نوره وهو يتلألأ ففرحت به الا انها مكروبة لخوفها عليه من فرعون واعوانه فسألت الله تعالى ان يحفظه عليها وان يرزقها الصبر فاستجاب دعاها ونظرت الى موسى فاذا هو قد استوى قاعدا وقال لها يا أمي لا تخافي ولا تحزني ان الله معنا وسمع فرعون في تلك الليلة هاتفا في نومه وهو يقول ولد موسى وهلك فرعون فصار كل صنم في تلك الليلة منكسا فاصبح فرعون ممتلئا غيظا وشدد في طلب المولود تلك الليلة وكانت أم موسى اذا خرجت في حاجة تعمد الى موسى وتضعه في مهده وتضعه في التنور وتغطيه فاتفق انها خرجت يوما من الايام وكانت اختها قد عجنت عجينا وارادت ان تخبز فأمرت بسجر التنور فسجروه ولم تعلم ان فيه موسى وكان موسى في التنور وقد وقع في قلب هامان أن المولود في بيت عمران فكبس داره وقال هاهنا مولود فقالت اختها كيف يكون هاهنا مولود وعمران محبوس عندكم فجعل هامان يفتش حتى جاء الى التنور فوجده مسجورا نارا فانصرف وقال لا يكون مولود في النار ثم رجعت أم موسى واذا بالاعوان والحراس قد خرجوا من دارها فلما رأتهم وقد خرجوا من دارها كادت روحها ان تزهق من الهم والغم وقد حلت مرطها وقالت هل نظر هامان الى الذي في التنور قالوا لا ثم اسرعت أم موسى نحو التنور فاذا هو مسجور بالنار والنار تعلو منه فلطمت على وجهها

وقالت ما نفعني الحذر قد أحرقتم ولدي فناداها موسى لا تخافي علي
يا أماه فإن الله تعالى قد منعني من النار وإن النار لا تحرقني فمدي يدك إلى
فإن النار لا تصل إليها ولا تحرقها فأدخلت يدها في التنور وأخرجته ولم
تمسها النار ﴿ **قصة التابوت** ﴾ فلما كان بعد أربعين يوما صنعت له
تابوتا وكان عمران توفي قبل أن يتم لموسى أربعون يوما فعمدت إلى ذلك
التابوت وفرشته وأرضعت موسى وكحلته ودهنته وألقته في التابوت
وأغلقت عليه بابه وهي تبكي ثم احتملت التابوت في نصف الليل ومعها
أختها وجاءت إلى شاطئ النيل فألقته في اليم وبكت فسمعت النداء من
العلا إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين وبقي التابوت في النيل أربعين
يوما وقيل ثلاثة أيام وقيل ليلة واحدة وصعد فرعون إلى صرح له يجلس
وهو مشرف على النيل فألقت الريح التابوت تحت قصره وكان له سبع بنات
ليس منهن واحدة إلا وبها سائر الأمراض وكان في داره حوض يركد
فيه الماء من النيل وهو حوض عظيم وكن البنات يغتسلن فيه فلم تزل الريح
بأمر الله تعالى تسوق التابوت إلى أن دخل في ذلك الحوض وركد فيه
فبادرت البنت الكبيرة وأخذت التابوت وفتحته وإذا فيه موسى عليه
السلام وله شعاع ونور كشعاع الشمس فأخرجته فلما لمسته ذهب
ما كان بها من البلاء فتناولته الثانية ولمسته فعوفيت ولم يزلن يتناولنه
حتى عوفيت السبع بنات مما كن فيه من الأمراض وصرن صحاحا
من بلائهن ببركته فأخذنه ودخلن به إلى آسية وذكرن لها القصة
فلما رأتهن قد عوفين أخذته ونظرت إليه وقبلته وحملته إلى فرعون
فلما رآه فرعون فزع منه فقالت له أيها الملك لا تفزع وذكرت له حديث
التابوت وكيف عوفيت البنات ببركته فقال يا آسية إني أخاف أن يكون
هذا عدوي وأنا لا بد لي من قتله فقالت له قرة عين لي ولك لا تقتله عسى
أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وقالت له أيها الملك إنه في قبضتك وإنك من قتله
متمكن في أي وقت شئت وأنت ليس لك ولد ذكر فأطعم الناس لأجله

ولم يزل به حتى فعل ذلك جاع الطفل فأتى اليه بالمراضع فلم يقبل موسى ثدي واحدة منهن وذلك قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل معناه لا يرضع من غير أمه

﴿ذكر قصة الرضاع﴾

ثم بلغ أمه وصول التابوت الى قصر فرعون فقالت لبنتها كلثوم اخرجي فقصي أمره فذهبت الى قصر فرعون فاذا هو في حجر آسية فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فلم تعلم آسية انها أخته عمّا رأته سألتها فقال فرعون من هؤلاء القوم فقالت هم من آل ابراهيم فأمر باتيانهم فحضرت أم موسى فعرفتها آسية انها امرأة عمها عمران فأعطتها الصبي فلما أخذته صاح ورضع منها فقال لها فرعون اني أرى لك لبنا كثيرا فهل لك ولد فقالت له هل يزيد أهلك وأعوانك ولدا ولم يعلموه فقال لها فرعون وبك من قبل ولدك فقالت الملك أعلم بذلك ولم يعلم فرعون انها امرأة عمران واستمرت عند آسية ترضعه سنة كاملة ثم انصرفت من عندها مسرورة مستبشرة فلما صار لموسى ثلاث سنين دعا به فرعون وأقعده في حجره وجعل يلاعبه فقبض موسى عليه السلام بيده لحية فرعون ولطمه بالأخرى فقال فرعون في نفسه لا شك ان هذا الذي يكون عدوي ثم هم بقتله فأسرعت اليه آسية وقالت له ان الصبيان لهم حركة ولعب من غير معرفة ولا عقل وأنا أريك انه لا يعقل فأمرت باحضار طست من فضة ووضعت فيه تمرة وجمرة وقدمته لموسى عليه السلام وقالت يا ولدي خذ أيهما شئت فأراد موسى أن يمد يده ويأخذ التمرة فضرب جبريل يده على الجمرة فأخذ موسى بيده الجمرة ورفعها الى فمه فأحرق لسانه فرماها من فمه يبكي فقالت له أرأيت لو كان له عقل أكان يؤثر الجمرة على التمرة فسكت فرعون بعد ذلك ثم أظهر الله آياته ونبت عذار موسى عليه السلام وأنبته الله نباتا حسنا وأعطاه حكما وعلما في صغره وبين آياته فلما بلغ أشده واستوى قال ابن عباس الاشد

ثلاث

ما بين ثمان وعشرين الى ثلاثين سنة واستوى اذ صار ابن أربعين
سنة وكان يذكر لبني اسرائيل ما أتى فرعون وما هو عليه من الضلال
وكان موسى يأمر فرعون بالمعروف وينهاه عن المنكر ويعظه
وينهاه عن الكفر حتى شاع ذلك في البلد وانه خالف رأي فرعون

﴿ قصة القبطي ﴾ وقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها
فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه وذلك ان
موسى عليه السلام كان يمشي في بعض الايام فوجد اسرائيليا وقبطيا
يختصمان فاستعانه الاسرائيلي فوكز موسى القبطي في صدره فمات فندم
موسى بفعله وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فذهب بعض القبط الى
فرعون وأعلمه بذلك فلم يصدق ثم اصبح موسى وهو خائف أن يؤخذ بدم
القتيل فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه على آخر من القبط
والقبطي يقول قتل ابن عمي بالامس فقال ياموسى أعني على هذا القبطي
فانه يريد أن يحملني الى فرعون فقال له موسى كما أخبر الله تعالى انك لغوي
مبين فحزن الفتى وعلم من كلامه ان موسى ندم على ما كان منه بالامس
ثم ان موسى لم يجد بدا من نصرته لانه قد استغاث به فدنا موسى من
القبطي ونزع الاسرائيلي من يده فظن انه يريد قتله فقال كما أخبر الله تعالى
ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون
جبارا في الارض وما تريد أن تكون من المصلحين ثم دخل القبطي على
فرعون وأخبره أن موسى قتل نفسا بالامس فارسل فرعون في طلبه
وأذن لاولياء المقتول ان يقتلوه حيثما وجدوه فسمعه رجل مؤمن من آل
فرعون فأقبل على موسى وأخبره وقال كما قال الله تعالى ياموسى ان الملأ
يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب

﴿ قصة أرض مدين ﴾ فلم يزل موسى عليه السلام يسير حتى صار في أرض
مدين في اليوم السادس أو السابع وبه جهد من الجوع والعطش
واذا جماعة من أهل مدين على بئرهم يسقون اغنامهم فنظر موسى

امرأتين تذودان أي تمنعان أغنامهما عن الماء من بين الرعا وهم ما بين
العشرة الى الاربعين فقال موسى للمرأتين ما خطبكما أي ما قصتكما قالتا
لا نسقي حتى يصدر الرعاء أي يصرفوا مواشيهم عن الماء لانا امرأتان
لا نطيق ان نسقي ولا نستطيع أن نزاحم الرجال وأبونا شيخ كبير وهو
شعيب نبي القوم وكلهم يحسدونه على ما آتاه الله من الغنم وغيرها
فقال لهما موسى وهذا الماء لهم خاصة قالتا لا بل لجميع الخلق وكانوا
اذا فرغوا اعمدوا الى حجر كبير عظيم يطبقونه على رأس البئر لا يقدر أحد
على نقله فسكت موسى عليه السلام حتى فرغ الناس من سقي أغنامهم
فاجتمعوا وطبقوا الحجر وانصرفوا فقام موسى عليه السلام وقال للمرأتين
قربا أغنامكما الى الحوض ثم انه تقدم الى البئر وضرب الصخرة برجله
فرماها أربعين ذراعا على ضعفه من الجوع ولما فرغ من سقي اغنامهما
تولى الى الظل وهي شجرة كانت هناك فقال رب اني لما أنزلت الي من خير
فقير فانصرفت المرأتان الى أبيهما شعيب واخبرتاه بما كان فقال
لاحداهما اذهبي وأتيني به فانطلقت الى موسى وأومأت اليه وقالت ان
أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام موسى ومرت المرأة بين يديه
فكشفت الريح عن ساقيها فقال لها موسى تأخري خلفي ودليني على
الطريق فتأخرت وكانت تقول عن يمينك عن شمالك خلفك وقدامك
حتى وقف على باب شعيب فبادرت المرأة الى أبيها وأخبرته فأذن له
بالدخول وشعيب يومئذ شيخ كبير وقد كف بصره فسلم موسى عليه
السلام عليه فرد عليه السلام وعانقه ثم أجلسه بين يديه وسأله عن حاله
وقصته فاخبره بخبره وقص عليه قصته فقال لا تخف نجوت من القوم
الظالمين وأتاه بطعام وقال بسم الله الرحمن الرحيم وأكل ولما فرغ من
أكله حمد الله تعالى وأثنى عليه بما أهل فقالت بنت شعيب واسمها
صافورا يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين فرغب
شعيب فيه لقوته وأمانته فقال اني اريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين

على ان تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشرا فمن عندك فرضي موسى وقال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على مانقول وكيل فرضي شعيب وجميع المؤمنين من أهل مدين وزوجه ابنته صافورا ودخل موسى البيت وجعل يرعى الغنم فرعى غنم شعيب عشر حجج وهي عشر سنين ﴿قصة رجوعه من أرض مدين﴾ ثم قصد موسى السير الى أهله فبكى شعيب وقال ياموسى كيف تخرج عني وقد ضعفت وكبرت فقال موسى قد طالت غيبتي عن امي وخالتي وهارون أخي واختي فانهم في أسر فرعون فقام شعيب وبسط يديه الى ربه وقال يارب ابراهيم الخليل واسماعيل الصفي واسحاق الذبيح ويعقوب الكظيم ويوسف الصديق ردّ قوّتي وبصري فأمّن موسى على دعائه فردّ الله عليه بصره وقوّته ثم أوصاه بابنته وسار موسى وأهله وضرب خيمته على الوادي وأدخل أهله فيها وهطلت السماء بالمطر والثلج وكانت امرأته حاملا فأخذها الطلق وأراد أن يقدح فلم يظهر له نار فاغتم لذلك واذا هو نار من بعد فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فأتى نحو النار فلما دنا منها رأى نورا ممتدا من السماء الى شجرة عظيمة من العوسج وقيل من العناب فتحير وخاف فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن من الشجرة ان ياموسى اني أنا الله ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية اكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ثم قال وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاي اتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قال الله عز وجل القها ياموسى فالقاها فاذا هي حية تسعى فلما رآها ولى مدبرا ولم يعقب فسمع النداء هل يملك احد الموت والحياة غير الله عز وجل فرجع موسى الى موضعه والحية على حالها فقال الله تعالى خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى

فأدخل يده في كمه لما أخذها سمع النداء أرأيت لو أن سلطانا ضرب لك
أكان يسعك كمك فكشف يده وأدخلها في فيها فإذا هي عصا كما كانت
قال الله عز وجل واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء أي
من غير برص آية أخرى مع العصا فعند ذلك أنس موسى وذهب عنه
الخوف قال الله يا موسى إني اخترتك على الناس برسالاتي وبكلامي لأبعثك
لعبد من عبيدي كفر نعمتي وتسمى باسمي واستعبد عبيدي ولولا حلمي
وكرمي لأهلكته ولكن هان علي وأنا مستغن عنه أمهله لأقيم عليه حجتي
فبلغه رسالتي وادعه إلى عبادتي فقال موسى رب اشرح لي صدري
ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي يعني يعرفوا كلامي
واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري
يعني يكون عونا لي على الرسالة قال الله تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى
ثم تذكر ما كان منه من قتل النفس فخافهم فقال رب إني قتلت منهم نفسا
فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون ثم قال اذهبا
يعني هو وهارون إلى فرعون إنه طغى في القول والفعل فقولا له قولا لينا
لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى علينا
قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل
معنا بني إسرائيل وهذه المخاطبة كانت له وحده والرسالة له ولأخيه
هارون ومر موسى في المخاطبة مع ربه عز وجل وزوجته صفورا ب
شعب قد اشتد بها الطلق فسمع أنينها سكان ذلك الوادي فأتوا إليها
وأوقدوا عندها نارا وجلسوا عندها ثم أقبل موسى إلى أهله فسار بهم
نحو مصر حتى أتاها السلام ﴿ قصة دخوله إلى مصر ﴾ فأوحى الله تعالى
إلى أخيه هارون بقدوم موسى إلى مصر وهارون كان يومئذ وزيرا من
وزراء فرعون لا يفارقه ليلا ولا نهارا وكانت الأبواب مغلقة فاحتمله
الملك إلى قارعة الطريق ثم قال له امض يا هارون واستقبل أخاك فقال له
هارون وكيف أسلك الطريق في هذا الليل وأنا لا أعرفه فنزل عليه

جبرل

جبريل وبشره بالرسالة مع أخيه موسى الى فرعون ثم احتمله الملك حتى أتى به الى شاطئ النيل فالتقى بأخيه موسى وتعانقا وبشره بالرسالة ثم أقبلا يريدان أمهما فاجتمعا بها وأخبرها موسى بما كان من أمره ثم حمل جبريل هارون من عندها الى منزل فرعون ثم خرج موسى متنكرا ينظر ما أحدثه فرعون بأرض مصر من البنيان ثم قصد الاجتماع بفرعون فحضر الى بابه فمنهم من يعرفه ومنهم من ينكره ثم علم به فرعون فتغير لونه وارتعدت مفاصله ثم ان هامان أمسكه وحبسه وأخبر فرعون بأمره وانه حبسه فدعا فرعون بالفراشين وزين قصره وأحضره فلما نظر فرعون الى موسى عرفه ولكنه قال من أنت قال أنا عبد الله ورسوله وكليمه فقال فرعون انك عبدي وابن أمتي فقال موسى ان الله عز وجل أعز من أن يكون له ند أو ضد فقال له فرعون يا موسى أنت رسول الي وحدي فقال موسى اليك والى جميع أهل مصر فقال فرعون بماذا ارسلت قال أن تقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن موسى عبده ورسوله قال له فرعون فاحتك فان لكل مدع بينة وبرهانا فقال موسى ان أتيتك بآية واحدة تؤمن بي قال نعم قال موسى يا هارون انزل عن الكرسي فنزل هارون ثم قال يا فرعون انا رسولا ربك اليك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم يعني بالبناء ونقل الاحجار قد جئناك بآية من ربك قال فتحير فرعون لان هارون كان عنده وهو يظن انه يساعده على أخيه لاختصاصه به وقربه منه ثم قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وكان هارون كلما تكلم اخوه موسى بشيء صدقه فيه وأعانه عليه فغضب فرعون على هارون فخلع ما كان عليه من اللباس حتى بقي هارون بالسراويل فبادر موسى عليه السلام ونزع مدرعة مما عليه وألبسها هارون ثم نزل جبريل عليه السلام بقميص من الجنة فأفرغه على هارون فتحير فرعون في أمره ثم أمر هامان بحملهما الى داره ومداراتهما على ان يرجعا الى طاعته فلم يلتفتا الى قوله فجاء هامان وأخبر فرعون

اتهمانا بفعلا ذلك ولم يلتفتا الى قوله فاحضرهما فرعون وقال لموسى
ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت
يعني القتل قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم
فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين يعني الملك يا فرعون ثم قال
وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل يعني انك جعلت بني
اسرائيل عبيدا لك تذبح ابناءهم وتستحيي نساءهم وكان فرعون متكئا
فاستوى جالسا فقال وما رب العالمين قال موسى رب السموات
والارض وما بينهما ان كنتم موقنين فالتفت فرعون الى من حوله
وقال ألا تستمعون يعني الى قول موسى قال موسى ربكم ورب آبائكم
الاولين قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال موسى رب
المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال فرعون لموسى لئن اتخذت
الها غيري لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين يعني بآية
بينة قال فأت به ان كنت من الصادقين ﴿قصة الحية والعصا﴾ *
فبينما هما في المجادلة اذا بالعصا قد اضطربت في كف موسى فناداه
جبريل ألقها يا موسى فألقاها فاذا هي حية تسعى اي ثعبان مبين والناس
ينظرون اليه وقام على رجليه حتى أشرف على الحائط وجعل يقلع
الصخور من قصر فرعون ويهدمها وجعلت تنفس في البيوت والجدران
واشتعلت نارا وجعلت تهيج كما تهيج الجمل ولها صوت كالرعد العاصف
والناس يهربون منها وآسية تنظر وتعجب من ذلك فلما نظر فرعون
الى ذلك وثب عن سريره وقد أحدث في ثيابه وأخذت الحية ذيل ثيابه
حتى رمى نفسه خلف السرير وقال يا موسى بحق التربية والرضاع وبحق
آسية قال فلما سمع موسى بذكر آسية صاح بالحية فأقبلت نحوه كالكلب
فادخل يده في فيها وقبض على لسانها فاذا هي عصا كما كانت بقدرة الله
تعالى فلما نظر فرعون الى ذلك قال يا موسى لقد جربت سحرا عظيما هل
عندك غير هذا قال نعم وأدخل يده في جيبه ثم أخرجها واذا هي بيضاء وللنور

ثم ردّها الى جيبه واخرجها واذا هي على لونها الاول كما كانت فأقبل فرعون
على قومه وقال ان هذا الساحر عليم يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا
تأمرون ﴿قصة السحرة﴾ ثم أقبل الملأ من قوم فرعون عليه وقالوا *
أيها الملك ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما
وأخرجهما وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم فأمر فرعون
بذلك وأرسل قصاده الى جميع البلاد فاجتمع اليه سبعون ألف ساحر
وهم احذق الخلق ثم بعث الى موسى ودعاه وقال فرعون للسحرة اجتهدوا
أن تغلبوا موسى ثم اجتمع الناس في صعيد واحد لينظروا من يكون
الغالب وخرج فرعون بجنده فأقبل موسى وهارون وقد أحدقت بهم
الملائكة وكان السحرة قد أخرجوا ثلثمائة وقر من الحبال والعصيّ
وسحروا أعين الناس فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى
فامتلأ الوادي من العصيّ والحبال وجعلت يركض بعضها على بعض
وأوجس في نفسه خيفة موسى فأوحى الله اليه لا تخف انك أنت الاعلى *
وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر
حيث أتى فزال عن موسى الخوف وقال ما جئتم به السحر ان الله سيبطله
ان الله لا يصلح عمل المفسدين ثم ألقى عصاه في وسط الوادي وبطل ما
أظهروه من السحر واذا هو حبال وعصيّ وصارت عصا موسى ثعبانا لها
سبع رؤس ثم أتت على حبالهم وعصيهم فابتلعتها عن آخرها وجميع ما في
الوادي من زينة فرعون ثم حملت على السحرة فولوا هاربين على وجوههم
ثم اجتمعوا في موضع واحد وقالوا ما هذا سحرا انا آمنا بربنا ثم خروا أجمعهم
ساجدين فاغتم فرعون لذلك وقال للسحرة آمنتم له قبل أن آذن لكم انه
لكبيركم الذي علمكم السحر فسوف تعلمون وأمر بقطع أيديهم وارجلهم
من خلاف وأمر بصلبهم أجمعين ﴿قصة الصرح﴾ ثم أقبل فرعون *
على هامان وقال له ابن لي صرحا يعني قصرا مشيد العلى أبلغ الاسباب
أسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا يعني في رسالته

فجمع هامان خمسين ألف بنا وصانع واحد في ذلك ولم يزالوا حتى بنوا الصرح وارتفع في الهوا ارتفاعا لم يبلغه احد من بني آدم قال واستدل على هارون وموسى لان بني اسرائيل كانوا عندهم في بنائه فلما فرغوا من بنائه وارتفاعه ارتقى فرعون فوقه واخذ سهما ورمى به نحو السما فرد اليه وهو ملطخ بالدم فقال الكلب قد قتلت اله موسى فأمر الله عز وجل جبريل ان يهدم الصرح فجعل عاليه سافله ومات كل من كان فيه من الفعلة ممن كان على دين فرعون * ﴿قصة الآيات التسع﴾ ثم ان الله تعالى حبس عن قوم فرعون المطر فأجدبت الارض عليهم وماتت المواشي وخرب الصرح وجاءهم الطوفان فدام عليهم ثمانية أيام بلياليها وبعث الله عليهم الجراد فأكل جميع ما عندهم ثم بعث الله القمل حتى أكل جميع ما على وجه الارض ووقع في ثيابهم فقرضها وقرص أبدانهم ثم أرسل الله عليهم الضفادع فكانت عليهم أشد من القمل لانها كانت تقع في طعامهم وفي دورهم وفي ثيابهم ثم أوحى الله تعالى الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فصار دما عبيطا من وقته فاشتد بهم العطش وكان الفرعوني والاسرائيلي يمدان الى موضع واحد يغترفان فاذا أخذ الاسرائيلي يكون ما واذا أخذ الفرعوني يكون دما فدام ذلك عليهم ثمانية أيام حتى أجهدهم العطش وكان بين كل آية أربعون يوما فهذه الآيات التسع * ﴿قصة المسخ وقتل آسية﴾ ثم دعا عليهم موسى وأمن على دعائه هارون فمسخ الله سبحانه وتعالى كبراءهم حتى أصبح الرجال والنسا والصبيان حجارة ثم ان آسية أظهرت الانكار على فرعون وواجهته بقبح القول فقتلها لعنة الله عليه ثم بعث الله الظلمة على اهل مصر ثلاثة أيام ولم يعرفوا الليل من النهار * ﴿قصة النيل﴾ وانقطع عنهم النيل فضجوا الى فرعون فخرج بهم على ان يجري لهم النيل فلما قرب من النيل أوقفهم وانفرد عنهم بحيث لا يرونه فنزل عن فرسه ومرغ وجهه على الارض ورفع يديه الى السماء وقال الهي وسيدي ومولاي علمت انك اله السما والارض لا اله فيهما سوا

ـالك انى حقى ان أسألك ما ليس لى بحق وانت المتكفل بالارزاق
اليوم انى اسألك ان تجرى لهم هذا النيل قال فأجرى الله لهم النيل فلما رآه
القوم مسرعا الماء أجرى لهم النيل فسجدوا له وازدادوا كفرا وعصيانا وقالوا
قد أتانا بالماء والنيل فى طاعته وعلم الله منه انه لا يزداد الا كفرا لكنه أراد
ان يؤكد الحجة عليه وبلغ ذلك موسى وهارون فتعجبا من لطف الله تعالى

﴿قصة غرق فرعون وخروج موسى من مصر﴾ ثم أوحى الله الى موسى
ان قد اقترب أجل فرعون وهلاكه واهبط الله تعالى جبريل عليه السلام
على صورة رجل حسن الوجه فدخل على فرعون فقال له فرعون من أنت
قال أنا عبد من عبيد الملك جئتك مستفتيا على عبد من عبيدى مكنته
من نعمتى فاستكبر وبغى وجحد حقى وتسمى باسمى وادعى فى جميع
ما انعمت عليه انه له فقال فرعون بئس ذلك العبد بين العبيد فقال
جبريل عليه السلام فما جزاؤه قال يغرق فى البحر قال جبريل عليه السلام
انى أسألك ان تكتب لى خطا بيدك فكتب له خطا بيده فأخذه جبريل
وخرج من عنده حتى صار الى موسى فأخبره بذلك وقال له ان الله يأمرك
ان ترحل من موضعك فنادى موسى فى بنى اسرائيل بالرحيل فارتحلوا
وهم يومئذ ستمائة ألف فلما سمع فرعون ذلك نادى فى جنوده وكان
فى كثرة لا يحصون عددا وسار فرعون بجنده فى تبع موسى وبنى اسرائيل
فانه كان معتقد انهم خرجوا هاربين منه فسار حتى قرب من بنى اسرائيل
فلما رأوه قالوا لموسى يا موسى قد لحقنا فرعون وجنوده فقال موسى
كلا ان معى ربى سيهدين قالوا انه قد قرب القوم وليس بين أيدينا شئ
سوى البحر وما خلفنا سوى السيوف وقد هلكنا فأوحى الله الى موسى أن
اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار
فيه اثنا عشر طريقا للاسباط الاثنى عشر فجعلوا يسيرون فيه ويحدث
بعضهم بعضا وموسى بين أيديهم وهارون من ورائهم فأقبل فرعون
وهامان بين يديه ومن ورائه وزراؤه وحجابه فنظروا الى البحر يابسا والى

تلك الطرق فأحب لحوق موسى فتقدم وهو على فرسه فتأخر الفرس
ونفر فهبط جبريل على فرسه وتقدم الى فرس فرعون فاشتم رائحة فرس
جبريل فاتبعها فرعون وخلفه جنوده وجبريل يقول ايها الملك لا تعجل
وجعل ميكائيل يسوق الناس خلفه فاخرج جبريل الصحيفة وقال
لفرعون أيها الملك أتعرف هذه الصحيفة التي كتبتها بيدك فلما فتحها علم
انه هالك وجعل البحر ينضم بعضه الى بعض والناس يغرقون وفرعون
ينظر اليهم فلما استيقن بالموت قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو
اسرائيل وأنا من المسلمين فقال له جبريل عليه السلام الآن وقد عصيت
قبل وكنت من المفسدين فلما اخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه
قال بنو اسرائيل ما مات فرعون فأمر الله البحر فألقاه على الساحل فرآه
بنو اسرائيل في ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا ل يلقيه وذلك قوله تعالى
فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية عبرة وموعظة بغرق القوم
كلهم وبنو اسرائيل ينظرون اليهم كيف يغرقون ولما عبر موسى البحر ببني
اسرائيل ادرأوا في طريقهم قوما يعبدون الاصنام فقال سفهاؤهم
يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال موسى انكم قوم تجهلون ان هؤلاء
متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ثم قال أغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم
على العالمين ثم قال لهم استغفروا الله مما فعلتم فساروا وفي قلوبهم حب
الاصنام فلما قرب موسى من الطور استخلف أخاه هارون على قومه
وخرج موسى الى البقعة التي كلمه الله فيها وهو صائم فتطهر وطمع ان الله
يكلمه وهو في ذلك يكثر التسبيح والتقديس والتمجيد (قصة السامري) *
ثم ان السامري عمل لبني اسرائيل بعد رواح موسى الى مناجاة ربه فأخذ
منهم ما كان معهم من الزينة والحلي واتخذ لهم عجلا وكان معه قبضة من
الرمل من الساحل من تحت فرس جبريل طرحها في جوف ذلك العجل
فصار له خوار فقال يا بني اسرائيل هذا الهكم واله موسى فقال السفه حان
وامتنع آخرون ولم هارون ذلك فقال لهم ان ربكم الرحمن فاتبعوني

واطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فاهتم
لذلك ولم يمكنه التغيير عليهم خشية الفتنة وموسى لا يعلم فأوحى الله الى
موسى وما اعجلك عن قومك يا موسى قال هم اولاء على أثري وعجلت اليك
رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واحتمل جبريل موسى الى
الموضع الذي كلمه فيه ربه فوقف وذلك قوله تعالى وقربناه نجيا فسمع
موسى في ذلك الوقت صرير القلم حين يجري في اللوح واللوح من الزمرد
الاخضر وأوحى الله الى القلم ان اكتب فقال القلم يا رب وما اكتب
فنودي يا موسى اني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني ولا تشرك بي شيئا فمن
أشرك بي ادخلته النار يا موسى لا تسرق مال غيرك فيحل عليك عذابي
في الدنيا والآخرة وكتب غير ذلك ﴿ذكر قصة الرؤية﴾ وسار بنو اسرائيل *
مستقبلين الارض المقدسة فلما أتوا الى جانب الطور أمره الله تعالى ان
يقيم بني اسرائيل في ذلك المكان وأن يستخلف عليهم هارون وظلل الغمام
ذلك الجبل كله ثم دنا منه موسى فأمره الله ان يقطع الالواح من صخرة صماء
فقطعها وكتب الله فيها التوراة بيد القدرة وكان موسى يسمع جريان القلم
فحدث نفسه بالرؤية لله عز وجل فقال رب أرني أنظر اليك فأنت الحنان
المنان ذو الفضل والاحسان متفضل علي بكرمك فلا تحرمني النظر الى
وجهك الكريم يا ذا الجلال والاكرام فأوحى الله اليه يا موسى سألت
شيئا لم يسأله أحد من خلقي فهل تستطيع ذلك يا موسى فانه لا يراني
أحد من خلقي الا خر صعقا فقال موسى يا رب أراك وأموت احب الي
من ان لا اراك وأحيا فأوحى الله اليه يا موسى انك لن تراني ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر
موسى صعقا لا يعقل من أمره شيئا ثم ازال الله محوه وذلك قوله فلما افاق
قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين معناه وأنا أول المصدقين بانه
لا يراك أحد في الدنيا ثم أوحى الله اليه يا موسى اني اصطفيتك على الناس
برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ثم أوحى الله اليه

انا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري بعبادة العجل فرجع
موسى الى قومه غضبان أسفا واشتد غضبه عليهم وقال بئسما خلفتموني
من بعدي ثم القى الالواح وعمد الى أخيه هارون وأخذ بلحيته وقال له
لم لا تبعتني لما رأيتهم ضلوا أفعصيت امري فبكى هارون وقال يا ابن ام
لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي فارحمني فاني أكبر منك سنا ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعدا ولا تجعلني مع القوم
الظالمين فاستحيا موسى منه ثم خلاه وضمه الى صدره وسأل الله المغفرة
والرحمة له ولاخيه ثم أقبل موسى على بني اسرائيل يعاتبهم فاخبروه بقول
السامري فاقبل على السامري وهو مغضب * فسأله عن أمره فأخبره
بما كان فهم موسى بقتله فأوحى الله اليه لا تقتله فانه سخي في قومه ولكن
أخرجه عن عسكرك ثم عمد موسى الى صخرة عظيمة ولم يزل يضرب بها العجل
حتى قطعه ثم أحرقه بالنار حتى صار رمادا وذراه في البحر وقال لو كان هذا
الها كان يدفع عن نفسه وسكت عن موسى الغضب فاقبل على بني اسرائيل
وقال لهم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فقالوا يا موسى اسأل ربك
يتوب فأوحى الله اليه ان لا توبة لهم لان في قلوبهم مرضا من حب العجل
فاخرج من رماد العجل وألقه في الما ثم مرهم ليشربوا منه فانه يظهر ما في
قلوبهم على وجوههم ففعل ذلك فلم يبق أحد ممن في قلبه مرض أو هم
من كسر العجل الا أصبح مصفرا لونه فلما رأوا ذلك أيقنوا بالموت
فقالوا يا موسى ما السبيل الى التوبة الخالصة وقد أخلصنا توبتنا فناجي الهك
لو سألت ربك ان نقتل انفسنا لقتلناها فأوحى الله الى موسى ان يضرب
عليهم يحكمهم في انفسهم فذلك قوله تعالى « فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم
فقالوا كيف نقتل انفسنا ونحن أهل واقارب فأنزل الله عليهم ظلمة فلم
، يبصر بعضهم بعضا حتى ان الرجل كان يأتي الى أخيه وابن عمه فيقتله وهو
لا يعرفه وكان السلاح لا يعمل فيمن لم يعبد العجل فلم يزالوا كذلك حتى خاضوا
في الدما فاستغاثوا يا موسى العفو العفو فبكى موسى ودعا الى الله تعالى

بالعفو عنهم فارتفعت عنهم الظلمة ثم أقبل عليهم موسى بالتوراة وقال هذا
كتاب ربكم فيه الحلال والحرام والاحكام الشرعية والسنن والفرائض
والرجم للزاني والزانية المحصنين والقطع للسارق والقصاص من كل ذنب
يكون منكم فضجوا من ذلك وقالوا لا حاجة لنا بهذه الاحكام وما كنا عليه
من عبادة العجل كان ارفق بنا فلم يكن في عبادته علينا قطع ولا رجم
ولا قصاص ﴿ قصة الجبل ﴾ فقال موسى يا رب انك تعلم انهم قد ردوا
كتابك وكذبوا بآياتك فأمر الله جبريل ان يرفع طور سيناء في الهواء على
عسكر بني اسرائيل فرفعه على رؤسهم في الهواء حتى انهم لم يروا السماء منه
ونودوا يا بني اسرائيل ان قبلتم هذا الكتاب والا القي عليكم هذا الجبل فلما
نظروا الى الجبل وهو يدنو منهم حتى ظنوا انه ساقط عليهم وأيقنوا بالموت
خروا سجدا وقبلوا الكتاب فلما قبلوا الكتاب ردّ الله عنهم الجبل ﴿ قصة
الحجر ﴾ وكان بنو اسرائيل اذا اغتسلوا في مواضعهم يكشفون عوراتهم
وكانوا يرون موسى في اغتساله مستورا فاعتقدوا فيه ان ببدنه عيبا وكان
اذا اغتسل وضع ثوبه على حجر هناك ثم يضرب الحجر بعصاه حتى ينبع منه
الماء فيغتسل ففعل ذلك يوما من الايام فانقلع الحجر من مكانه باذن الله تعالى
وسار على وجه الارض فعدا موسى خلفه وهو عريان وصار ينادي
ويقول ايها الحجر قف باذن الله تعالى حتى وقف على جماعة من بني اسرائيل
فنظروا الى موسى فلم يروا في بدنه عيبا من العيوب فندموا على ما قالوا
فذلك قوله تعالى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ﴿ قصة طلب
الرؤية ﴾ ثم طلب بنو اسرائيل من موسى الرؤية فقالوا أرنا الله جهرة
فأوحى الله اليه ان اختر من قومك سبعين رجلا وسر بهم الى الطور
واحمل معك أخاك هارون واستخلف على قومك يوشع بن نون ففعل ذلك
وسار بهم نحو الجبل فنودوا من السماء ان يا بني اسرائيل فصعقوا كلهم
وماتوا فحزن عليهم موسى وقال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي
أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني الذين عبدوا العجل ان هي الا فتنتك يعني

إسلا لن نصل بها من نبينا وبهدى من نبينا ان زللنا فاغفر لنا وارحم
الآية فرد الله عليهم أرواحهم وذلك قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم
ورجعوا الى معسكرهم فرحين واخبروا قومهم بما رأوه ثم انهم بدلوا التوراة
بعد ذلك وزادوا فيها ونقصوا منها وذلك قوله تعالى يحرفونه من بعد
ما عقلوه وهم يعلمون ﴿قصة الجبارين والتيه والحطة﴾ ثم أوحى الله اليه
ان سر بهم الى الارض المقدسة فاذا أردتم دخولها فلا تدخلوها الا سجدا
شاكرين لربكم على نعمه اياكم فيها فقاتلوا الجبارين وجاهدوهم
فاستقلوا ذلك واستبعدوا الارض المقدسة واختاروا أيام فرعون
فى هذه الايام فأوحى الله الى موسى انى ممطر عليهم المن وآمر الريح
ان تأتيهم بالسلوى والحجر أن يتفجر لهم بماء عذب وأمرت الغمام ان تسير
معهم واخفافهم لا تتغير ثيابهم تكون بقدر صغارهم وكبارهم
فلما سمعوا ذلك طابت نفوسهم وساروا والامر على ذلك ثم اختار موسى
اثنى عشر رجلا باذن الله تعالى ووجههم الى اريحا مدينة الجبارين ليأتوا
بخبرها وصفة أهلها فخرجوا ومعهم يوشع بن نون فلما قربوا من المدينة
استقبلهم رجل من الجبارين فأخذهم بين يديه الى اريحا فاجتمعوا
عليهم يضحكون من ضعف أبدانهم وقالوا هؤلاء الذين يزعمون انهم
يخرجونا من مدينتنا وهموا بقتلهم ثم اقتضى رأيهم ان يدعوهم ليكونوا
عبدا لهم فلما أقبل الليل هربوا على وجوههم ولم يزالوا حتى وصلوا الى
معسكر بنى اسرائيل واخبروهم بذلك فبلغ موسى ما صنعوا فدعاهم
وقال لهم ألم أقل لكم اكتموا ما ترون فلم تفعلوا حتى هولتم عليهم وأرعبتم
قلوبهم ثم دعا عليهم فمات منهم عشرة وبقى رجلان يوشع وكالب فانهما
كانا كتماه ثم وقع الخوف فى بنى اسرائيل من الجبارين وقالوا يا موسى ان
مملكة فرعون كانت اخف علينا مما نحن فيه ودخول مدينة الجبارين
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا
قاعدون واختلفوا عليه وهو يقول لهم يا قوم لا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا

خاسرين

جاسرين فقال عند ذلك يوشع بن نون وكالب ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون فلم يلتفتوا الى قولهما فقال موسى رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فأوحى الله تعالى اليه يقول فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تأس على القوم الفاسقين ولم يدخل الارض المقدسة احد ممن ولد بمصر وسلط الله عليهم التيهان فكان كلما خرج واحد منهم يتيه فى الارض فلا يهتدى ان يرجع حتى يموت واما المؤمنون فلا يموتون وان تاهوا فلم يزالوا كذلك حتى انقرض آخرهم على رأس أربعين سنة وسار موسى الى باب حطة وعليه مكتوب اسم الله الاعظم وأقبل المؤمنون فسجدوا عند الباب ودخل أولاد الفاسقين وهم يقولون حنطة حمراء فذلك قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون يعنى أخذهم الطاعون حتى ماتوا جميعا ثم غلب موسى عليه السلام على أهل مدينة أريحا وأسر من كان فيها من الجبارين وتفرقوا على البلاد حتى أهلكهم الله تعالى وسار موسى عليه السلام ببنى اسرائيل يريد مدينة بلقا فجاءها وقتل ملكها وغنم بنو اسرائيل من أرض البلقا من النساء والولدان شيئا كثيرا ثم ان بنى اسرائيل ملوا من أكل المن والسلوى وقالوا يا موسى ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها فانا لن نصبر على طعام واحد فقال لهم موسى أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير فأبدلهم الله بالمن والسلوى ما سألوا ورفع عنهم ذلك وذلك قوله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وهم يزيدون على أربعين ألفا ﴿قصة قارون﴾ وكان لموسى رجل يقال له قارون بن مصعب وهو ابن عم موسى وكان فقيرا جدا فتعلم صنعة الكيمياء من كلثوم أخت موسى وكانت تعرف ذلك فرزق مالا عظيما يضرب به المثل على طول الدهر وكانت مفاتيح كنوزه تحمل على أربعين بغلا وبنى دارا وصفحها بالذهب وجعل أبوابها من ذهب وتكبر

بسبب كثرة ماله على موسى وقذفه وخرج من طاعته واحضر امرأة بغيا
وأمرها بقذف موسى بنفسها فبلغ ذلك موسى فغضب وقال يا رب ان
قارون قد بغى علي فانصرني عليه فأوحى الله اليه اني قد أمرت الارض
بالطاعة لك وسلطتك عليه فأقبل موسى حتى دخل على قارون وقال
يا عدو الله تبعث الى المرأة واتهمني على رؤوس بني اسرائيل وأشر بيده
فصحى بالارض خذيه فساخت داره في الارض ذراعا وسقط قارون من
على سريره فأخذته الارض الى ركبتيه فقال يا موسى اعف عني قال
يا عدو الله تبني مثل هذه الدار وتشرب في آنية الذهب والفضة وأنا
أدعوك الى حظك فلا تقبله وتقول انما أوتيته على علم عندي يا ارض خذيه
فأخذته الارض وذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من
فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه
بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر الآية
قال الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴿ قصة الخضر واجتماعه مع موسى عليهما
السلام ﴾ اذن الله تعالى لموسى عليه السلام في الاجتماع بالخضر عليه *
السلام وكان مسكنه في جزيرة من جزائر البحر فانطلق اليه موسى واجتمع
به فكان من شأنهما ما قص الله علينا في كتابه العزيز وعن ابن عباس رضي
الله عنهما في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب مكتوب
عليه بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله محمد رسول الله عجبا لمن يوقن بالقدر
كيف يحزن وعجبا لمن يعلم بالموت وان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن
يرى الدنيا وتصاريف أهلها كيف يطمئن اليها ولما فارق موسى الخضر
عليهما السلام وودعه سار بعده حتى عاد الى بني اسرائيل ﴿ قصة البقرة ﴾
وكان في زمن بني اسرائيل وأيام موسى عبد صالح فمات وترك امرأته
حاملا فولدت بعده غلاما فسمته امه ميشا فكبر وكان صالحا بارا بأمه
فأعلمته امه ان أباه خلف عجلة وانه دفعها للراعي وهي عنده وأمرته

أحدها

بأحدهما فتوجه الى الراعي وأخذها منه فلما عاد قالت له امه هذه
بقرتك بارك الله لك فيها فانطلق بها الى السوق فتعرض له ملك من
الملائكة وقال له أيها الفتى البار لامه بكم تبيعها فقال الفتى بثلاثة دنانير
بشرط ان استأذن امي فقال له خذ لك خمسة دنانير ولا تستأذن امك فأبى
وعاد الى امه فأخبرها فقالت له يا بني ارجع وبعها بخمسة دنانير فعاد بها الى
السوق فجاءه الملك وقال بكم تبيعها فقال بخمسة دنانير على أن أستأذن أمي
فقال له الملك خذ لك عشرة دنانير ولا تستأذن امك فلم يفعل وعاد الى أمه
واخبرها فقالت له يا بني في غد بعها بعشرة دنانير على اذني واعلم يا بني انها
لا تساوي عشرة دنانير غير أن الذي يتعرض لك في شرائها ملك يستخبرك
كيف برك لامك وطاعتك اياها فاذا جاءك فقل له أيها الملك المقرب فبكم
أبيعها وافعل ما يقول لك فلما كان من الغد جاءه الملك وقال له قد جئتك
أطلب بقرتك ثلاث مرّات فلم تبعني اياها فقال له ان امي أخبرتني انك
لست بآدمي وانما أنت ملك من الملائكة فاخبرني ما أصنع ببقرتي فقال له
الملك ردها الى منزلك فانه سيقتل في بني اسرائيل قتيل ولا يعرفون قاتله
فيشترون بقرتك ليحيي القتيل بها فتبيعها بما تريد فانصرف الفتى الى امه
واخبرها بذلك ثم قتل في بني اسرائيل قتيل دعوه أقاربه الى ضيافة لهم
فقتلوه ثم حملوه الى قرية اخرى وألقوه على باب من أبواب أهل القرية
واستعدوا الى موسى وادعوا على الذي وجدوا القتيل على بابه فحلف
الذي وجد على بابه بين يدي موسى عليه السلام أربعين يمينا أنه ما قتله
وشهد من بني اسرائيل أربعون شاهدا بصلاح المتهم فتحير موسى من
ذلك فأوحى الله اليه ان قل لاولياء المقتول يشتروا بقرة ويذبحوها ويضربوا
ببعضها بدن المقتول حتى يحييه الله تعالى لهم ويخبرهم بالذي قتله فقال لهم
موسى ذلك فقالوا أتتخذنا هزوا فقال لهم أعوذ بالله أن اكون من الجاهلين
قالوا يا موسى ادع لنا ربك يبين لنا ما صفة البقرة فأوحى الله اليه انها بقرة
لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك يعني لا كبيرة ولا صغيرة فقال لهم موسى

ذلك فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين فلما قال لهم ذلك قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون فأوحى الله إليه إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث أي لا مذللة للعمل تثير الأرض عليها للزراعة ولا تسقي الحرث أي تسانيه مسلمة بريئة من العيوب لا شية فيها وإنما لونها واحد فلما سمعوا ذلك من موسى اجتهدوا في طلبها فلم يجدوا هذه الصفة إلا عند فتى البار بأمه ولو كانوا في ابتداء الأمر ذبحوا بقرة سواها كانت أجزأت عنها لظاهر الأمر الأول غير أنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فجاؤوا إلى الفتى ليشتروا منه البقرة فامتنع وقال أنا أبيعها لموسى فرضوا بذلك وأخرج الفتى بقرته وسار بها إلى موسى فقال له موسى بكم هذه فقال الفتى البار بأمه أبيعها بملء جلدها ذهبا لا أزيد ولا أنقص فقالوا له هذا شيء كثير لا قدرة لنا عليه فقال لهم موسى عليه السلام إن ذلك من أجل تشديدكم في الأمر فضمن موسى ثمن البقرة على بني إسرائيل وسلم إليهم البقرة قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون يعني ما كانوا معتقدين توبا عنها فلما ذبحوها قطعوا ذنبها وضربوا به القتيل فاستوى قاعدا فسألوه من الذي قتله فقال لهم قتلني فلان وفلان ثم خر ميتا فقتلهما موسى عليه السلام بذلك القتيل ثم أمرهم بسلخ البقرة فسلخوها وملؤوا جلدها ذهبا ودفعه موسى لصاحبها الفتى وذلك قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون

﴿ذكر وفاة هارون عليه السلام﴾ ثم نظر هارون إلى جبل بالتيه وهو بعيد عن معسكر بني إسرائيل فقال يا موسى ألا تنظر إلى ذلك الجبل وما فيه من الخضرة فقال له بلى ولكن إلى غد إن شاء الله نمضي إليه فلما كان من الغد مضيا إليه ومع هارون أولاده فلما وصلوا الجبل وإذا فيه كهوف كثيرة وإذا بكهف منها يسطع منه النور فبادروا إليه فلما دخلوا الكهف نظروا فيه سريرا من الذهب وعليه أنواع الفرش ومكتوب على حافته

بالعبرانية هذا السرير لمن كان على طوله فصعد موسى على السرير فلما مد رجليه فضلت من طوله فنزل موسى عنه وصعد هارون واضطجع عليه فاذا هو على طوله فهم أن ينزل فاذا هو بملك الموت قد دخل عليهم فسلم عليهم وأعلمهم انه ملك الموت أرسله الله تعالى ليقبض روح هارون فدمعت عيناه وقال لأخيه موسى وهو ينظر الى ملك الموت ياموسى أوصيك بأولادي وأهلي تقربهم اليك وتقرئ سلامي على بني اسرائيل ثم أمر ملك الموت موسى ان يخرج من الكهف فخرج فقبض الملك روح هارون عليه السلام قبضة الملائكة ثم دخل موسى وأولاد هارون الكهف فأخرجوا هارون وغسلوه وصلوا عليه ووضعوه في الكهف وسدوا بابه وانصرف موسى الى بني اسرائيل وأخبرهم بموت أخيه فاتهموه بقتله فقال لهم موسى يا سفهاء بني اسرائيل ماذا لقيت منكم أقتل أخي وشقيقي وعضدي ودعا ربه ان يبرئه عندهم فأمر الله الملائكة ليحملوا سرير هارون فحملوه حتى نظره بنو اسرائيل ونادت الملائكة يابني اسرائيل لاتتهموا موسى بقتل أخيه هارون فهذا سرير هارون وقد قبضه الله اليه فبكوا وحزنوا عليه لانهم كانوا يحبونه ثم حملته من بعد ماسه العيزار واعطاه الله وقار هارون ولبسه وسكونه وشبهه فكانوا لايشكون انه هارون فأحبوه حبا شديدا ﴿ ذكر وفاة موسى عليه السلام ﴾ ثم لما قرب أجل موسى عليه السلام قام في بني اسرائيل خطيبا فخطبهم ووعظهم وخوفهم وأنذرهم وحذرهم واشهدهم على انفسهم واشهد الله عليهم انه بلغهم الرسالة وأمرهم بالطاعة والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستخلف يوشع ابن نون على بني اسرائيل ولما فرغ من وصيته أوحى الله اليه اني قابض روحك وذكره بما أنعم عليه من النبوة والرسالة والتكليم فاعترف بنعمة الله وحمده واثنى عليه ثم نزل عليه ملك الموت وهو جالس يتلو التوراة فسلم عليه وقبض روحه الشريفة صلى الله عليه وسلم

روى الشيخان من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
أرسل الله ملك الموت الى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع
الى ربه عز وجل وقال يا رب أرسلتني الى عبد لا يريد الموت قال فرد الله
اليه عينه وقال له ارجع اليه وقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت
يده بكل شعر سنة فجاءه وقال له ذلك فقال يا رب ثم وما بعد ذلك قال ثم
الموت فقال الآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق
عند الكثيب الأحمر وكانت وفاته في التيه في سابع شهر آذار لمضي ألف
وستمائة وست وعشرين سنة من الطوفان وكان موته بعد أخيه هارون
بإحدى عشرة سنة وقيل غير ذلك وكان هارون أكبر من موسى بثلاث
سنين وعاش موسى مائة وعشرين سنة ونزل عليه جبريل عليه السلام
أربعمائة مرة وكان جملة مقام بني اسرائيل بمصر حين أخرجهم موسى
مائتين وخمسة عشر سنة وبين وفاة موسى عليه السلام والهجرة الشريفة
النبوية ألفان وثلاثمائة وثمان وأربعون سنة على اختيار المؤرخين وقد
مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا تسعمائة سنة كاملة فيكون الماضي
من وفاة موسى الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة ثلاثة آلاف
ومائتين وثمانيا وأربعين سنة ومات موسى ولم يعرف أحد من بني
اسرائيل أين قبره ولا أين توجه فماج الناس في أمره ولبثوا كذلك ثلاثة
أيام لا يأمنون الليل فلما كان ثالث ليلة غشيهم سحابة على قدر بني
اسرائيل فسمعوا فيها مناديا يقول يا على صوته مات موسى وأي نفس
لا تموت ولم يزل يكرر ذلك القول حتى فهمه الناس كلهم وعلموا أنه قد
مات فلم يعرف أحد من بني اسرائيل أين قبره وقيل انه دفن في الوادي من
الأرض التي مات فيها واختلف الناس في محل قبره فقيل وهو المشهور
عند الناس انه شرقي بيت المقدس بينه وبين بيت المقدس مرحلة ودربه
عسر لكثرة الوعر وعليه بنا وداخله مسجد وعن يمينه قبة معقودة بالحجارة

وفيها ضريحه ويوضع على قبره في أيام موسم زيارته ستر من حرير أسود وعلى الستر طراز أحمر مزركش دائر على جميع أطرافه بالذهب والأكثرون على أن هذا قبره وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ به ليلة الإسراء وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر والذي بنى القبة المذكورة الملك الظاهر بيبرس رحمه الله عند عوده من الحج وزيارته بيت المقدس في سنة ثمان وستين وستمائة ثم بنى بعده أهل الخير وزادوا زيادات في المسجد وحوله فحصل النفع بذلك للزائر ثم في سنة خمس وسبعين وثمانمائة وسع داخل المسجد من جهة القبلة ولم تكمل عمارته إلى سنة خمس وثمانين وثمانمائة ثم بنى به منارة بعد الثمانين والثمانمائة وهذا المكان بالقرب من أريحا الغور من أعمال بيت المقدس وأهل بيت المقدس يقصدون زيارته في كل سنة عقب الشتاء ويقيمون عنده سبعة أيام وقد ظهر في هذا المكان أشياء من أنواع المعجزات منها أنه عند الضريح الذي بداخل القبة لا يزال يرى فوق المحراب خيال أشباح ألوانهم مختلفة منهم صفة الراكب ومنهم صفة الماشي ومنهم من على كتفه رمح ومنهم لابس أبيض ومنهم لابس أخضر وبأصابع بعضهم عصا وغير ذلك من الصفات وللناس في ذلك أقوال مختلفة فيقال إنهم ملائكة ويقال إنهم الصالحون وينظرهم كل الناس من الرجال والنساء والأطفال ولا يخفون على أحد وإذا دخل المسجد امرأة من النساء يكون عليها حيض أو جنابة أو فعل أحد حول المسجد منكرا من المعاصي يثور هواء في تلك البرية حتى لا يقدر الرجل على رؤية من بجانبه وتنقطع حبال الخيام وتقلع الخيام من مكانها أو غير ذلك من الخوارق الباهرات التي يستدل بها على أنه صلى الله عليه وسلم مدفون هنالك في هذا المكان ﴿فائدة﴾ فإن قيل لم سأل موسى عليه السلام الدنو من الأرض المقدسة ولم يسأل بيت المقدس ولا مكانا مخصوصا معروفا عند الناس * فالجواب عنه ما رواه القرطبي في تفسيره بأنه إنما سأل الدنو من الأرض المقدسة لشرفها ولم يسأل مكانا

معروفاً خوفاً من أن يعد ولأنه سأل الله الدنو من الأرض المقدسة القول بأن قبره بيت المقدس فإنه سأل شيئاً أعطاه الله فوقه وهذا شأن الكريم يعطي فوق المطلوب وأما صلاته في قبره فلم تكن بحكم التكليف بل بحكم الإكرام والتشريف لأن الأنبياء عليهم السلام حبب إليهم في الدنيا عبادة الله تعالى والصلاة فكانوا يلازمون ذلك ويتوفوا عليه فشرفهم الله تعالى بأن أبقاهم على ما كانوا يصنعون ويحبون فعله في الدنيا فعبادتهم إلهامية كعبادة الملائكة لا تكليف فيها ✱ وأما إمامته بهذه الأمة فسيأتي طرف منها في قصة الإسرا

﴿ذكر السبب في ملك سيدنا داود عليه السلام﴾

أقول وبالله التوفيق لما توفي سيدنا موسى الكليم عليه السلام قام بعد وفاته بتدبير بني إسرائيل يوشع وهو من ذرية يوسف بن يعقوب عليهما السلام وبعثه الله نبياً وأمره بقتل الجبابرة فتوجه ببني إسرائيل إلى أريحا الغور وأحاط بها ستة أشهر فلما كان السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط السور فدخلوا وقاتلوهم وهجموا على الجبابرة فهزموهم وقتلوهم وكان يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس علي وسأل الشمس أن تقف حتى ننتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فوقفت الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وتتبع ملوك الشام واستباحهم وملك يوشع الشام وفرق عماله واستمر بتدبير بني إسرائيل ثمانية وعشرين سنة ثم توفي يوشع وله من العمر مائة وعشرون سنة ودفن في كفل حارث وهي قرية من أعمال نابلس وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين لوفاة موسى وقيل إنه مدفون في المعرة ثم ولي على بني إسرائيل جماعة من الملوك واحد بعد واحد ولا حاجة إلى ذكر أسمائهم لأن المراد هنا الاختصار ثم ولي عليهم شمويل عليه السلام وكان مولده بقرية يقال لها سيلوا وقيل إنها القرية المشهورة الآن بالسلة من أعمال جبل نابلس

وتنبأ بعد ان صار له من العمر أربعون سنة فدبر شمويل بني اسرائيل
أحدى عشرة سنة ومنتهى هذه الاحدى عشرة سنة هي آخر سني حكام
بني اسرائيل وقضاتهم فيكون انقضاء سني حكامهم في سنة ثلاث
وتسعين وأربعمائة لوفاة موسى عليه السلام ثم حضر بنو اسرائيل الى
شمويل وسألوه ان يقيم فيهم ملكا فأقام فيهم شاول وهو طالوت بن قيس
من سبط بنيامين ولم يكن طالوت من أغنيائهم قيل انه كان راعيا وقيل
كان سقاء وقيل دباغا فملك طالوت سنتين واقتتل هو وجالوت وكان
جالوت من جبابرة الكنعانيين وكان ملكه بجهات فلسطين وكان من
الشدة وطول القامة بمكان عظيم فلما برزوا للقتال طلب طالوت داود عليه
السلام وكان أصغر بني أبيه وامره بمبارزة جالوت بعد ان رأى
فيه العلائم التي يستدل بها على انه هو الذي يقتل جالوت وهي دهن كان
يستدير على رأس من يكون فيه السر واحضر أيضا تنورا حديدا وقال
الشخص الذي يقتل جالوت يكون ملأ هذا التنور فلما اعتبر داود ملأ
التنور واستدار الدهن على رأسه ولما تحقق ذلك منه بالعلامة
أمره طالوت ان يبارز جالوت فبارزه وقتل داود جالوت وكان عمر
داود اذ ذاك ثلاثين سنة ثم بعد ذلك مات شمويل فدفنه بنو اسرائيل
في الليل وناحوا عليه وكان عمره اثنين وخمسين سنة وأحب الناس داود
ومالوا اليه بالمحبة فحسده طالوت حسدا عظيما وقصد قتله مرة بعد اخرى
فهرب داود منه وبقي متحرزا على نفسه ثم ندم طالوت بعد ذلك على ما كان
منه في حق داود على ما قصد من قتله ثم ان طالوت قصد فلسطين للغزاة
وقاتلهم حتى قتل هو وأولاده في الغزاة فيكون موته في اواخر سنة خمس
وتسعين وأربعمائة لوفاة موسى عليه السلام ثم ملك بعد ذلك ولده
اشبوشت ثلاث سنين وكان ملكه على احد عشر سبطا من بني اسرائيل
وخرج من حكمه سبط يهوذا بن يعقوب فقط فملكوا عليهم سيدنا داود وهو
من ذرية يهوذا المذكور * ثم ملك عليهم جميعهم داود عليه السلام وهو

داود بن ايشى بن عوبد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عميناداب بن رام
ابن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل
عليه السلام وكان مقام داود بحبرون فلما استوثق له الملك ودخل جميع
الاسباط تحت طاعته وذلك في سنة ثمان وثلاثين من عمره انتقل الى
القدس الشريف ثم فتح في الشام فتوحات كثيرة من أرض فلسطين
وغيرها من الاقاليم * وكان لقمان الحكيم على عهد داود عليه السلام وكان
قاضيا في بني اسرائيل وآتاه الله الحكمة ولم يكن نبيا وقبره بقرية صرفند
ظاهر مدينة الرملة وعليه مشهد وهو مقصود للزيارة وقال قتادة قبره
بالرملة ما بين مسجدها وسوقها وهناك قبور سبعين نبيا توفوا بعد لقمان
جوعا في يوم واحد أخرجهم بنو اسرائيل من القدس فالجأوهم الى الرملة
ثم أحاطوا بهم هناك فتلك قبورهم ولقد آتى الله داود ما نص عليه في كتابه
العزيز قال تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يعني النبوة والكتاب وقيل
الملك وقيل جميع ما أوتي من حسن الصوت وتليين الحديد وغير ذلك
مما خص به وقوله تعالى يا جبال أوبي معه أي سبحي معه وقيل نوحي معه
والطير عطف على موضع الجبال وقيل معناه وسخرنا أي أمرنا الطير أن
تسبح معه فكان داود اذا نادى بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت
عليه الطير من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك
وقيل كان داود اذا تخلل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه
بالتسبيح نحو ما يسبح وقوله تعالى وألنا له الحديد حتى كان الحديد في يده
كالشمع والعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة وكان
السبب في ذلك ان داود لما ملك بني اسرائيل كان من عادته ان يخرج للناس
متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه تقدم اليه يسأله عن داود و يقول له
ما تقول في داود والكم هذا أي رجل هو فيثنون عليه و يقولون خيرا
فقيض الله له ملكا على صورة آدمي فلما رآه داود تقدم اليه على عادته
وسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة واحدة فيه فراع داود ذلك

وقال له ما هو يا عبد الله قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال
ويتقوت به فنبه لذلك وسأل الله ان يسبب له شيئا يستغني به عن بيت
المال فيتقوت منه ويطعم عياله فألان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع
وهو أوّل من اتخذها وقيل انه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف درهم
فيأكل ويطعم منها عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين ويقال
انه كان يعمل في كل يوم درعا يبيعه بستة آلاف درهم فينفق منها ألفين على
عياله وعلى نفسه ويتصدق بأربعة آلاف درهم على الفقراء والمساكين
من بني اسرائيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان داود لا يأكل
الا من عمل يده ﴿ذكر قصة اوريا﴾ ولما صار لداود ثمان وخمسون سنة *
وهي السنة الثانية والعشرون من ملكه كانت قصته مع اوريا وزوجته
وهي واقعة مشهورة وملخصها ما نقله المفسرون في قوله تعالى وهل أتاك
نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب الآية من قصة امتحان داود عليه السلام
واختلف العلماء باخبار الانبياء في سببه فقال قوم كان سبب ذلك
انه تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب فسأل ربه
ان يمتحنه كما امتحنهم ويعطيه من الفضل ما أعطاهم فروي ان داود كان
قد قسم الدهر ثلاثة أيام جعل يوما يقضي فيه بين الناس ويوما يخلو فيه
لعبادة ربه ويوما لنسائه واشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب المتقدمة
فضل ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال يا رب أرى الخير كله قد ذهب به
آبائي الذين كانوا قبلي فأوحى الله تعالى اليه انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها أنت
فصبروا عليها ابتلي ابراهيم بنمروذ وناره وذبح ابنه اسحاق وابتلي اسحاق
بالذبح وذهاب بصره وابتلي يعقوب بالحزن وذهاب بصره على فقد ولده
يوسف فقال داود يا رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم لصبرت أيضا فأوحى
الله اليه انى مبتليك في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم
الذي وعده الله فيه دخل داود محرابه وأغلق عليه بابه وجعل يصلي
ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وتمثل له في صورة حمامة

من ذهب فيها من كل لون حسن وقيل كان جناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بني إسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت عن مكانها فتبعها فطارت حتى وقفت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها فأبصر امرأة في بستان على شط بركة تغتسل وقيل رآها على سطح لها تغتسل فرأى امرأة من أجمل الناس خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك إعجابا بها فسأل عنها فقيل له هي سارع زوجة اوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود وقد ذكر بعضهم أنه كتب داود الى ابن أخته أيوب أن ابعث اوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله تعالى على يديه أو يستشهد فبعثه وقدمه ففتح الله على يديه وكتب بذلك الى داود كتابا يعلمه بما فتح على يديه فكتب له كتابا ثانيا أن ابعثه الى مكان كذا فقدمه أيضا فبعثه ففتح له وكتب لداود بذلك فكتب له ثالثا أن ابعثه الى كذا وكذا فبعثه ففتح ثم بعثه الى مكان آخر فقتل في المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود وهي أم سليمان عليهما السلام فلما دخل داود بزوجة اوريا لم يلبث معها الا يسيرا حتى بعث الله اليه ملكين في صورة رجلين في يوم عبادته فطلبا أن يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسوروا المحراب عليه فما شعر وهو يصلي في المحراب الا وهما بين يديه جالسان يقال انهما جبريل وميكائيل فذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب صعدوا وعلوا يقال تسورت الحائط والسور اذا علوتهما وقوله تعالى اذ دخلوا على داود ففزع منهم خاف منهم حين هجموا عليه في محرابه بغير اذنه فقال ما أدخلكما علي قالوا لا تخف خصمان أي نحن خصمان بغى بعضنا على بعض جئناك لتقضي بيننا فاحكم

بيننا بالحق ولا تشطط أي لا تجر واهدنا الى سواء الصراط أي أرشدنا الى طريق الصواب فقال داود لهما تكلما فقال أحدهما ان هذا أخي أي على ديني وطريقي له تسع وتسعون نعجة يعني امرأة ولي نعجة واحدة أي امرأة واحدة والعرب تكني بالنعجة عن المرأة فقال أكفلنيها يعني طلقها لأتزوجها وعزني أي غلبني في الخطاب أي في القول وقيل قهرني لقوة ملكه وهذا كله تمثيل لامر داود مع اوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضمها الى نسائه قال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء أي الشركاء ليبغي بعضهم على بعض أي يظلم بعضهم بعضا الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يظلمون أحدا وقليل ما هم أي قليل هم يعني الصالحون الذين لا يظلمون قليل * فلما قضى بينهما داود نظر احدهما الى الآخر وضحك وصعدا الى السماء فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه وذلك قوله تعالى وظن داود أي أيقن وعلم انما فتناه اي ابتليناه عن ابن عباس وكعب ووهب قالوا جميعا ان داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان وقضى بينهما فتحولا الى صورتهما وعرجا الى السماء فسمعهما وهما يقولان قد قضى الرجل على نفسه فعلم داود انه عني بذلك فخر ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لوقت حاجة أو اداء صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا الى تمام الاربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو يناجي ربه ويسأله التوبة وكان من جملة دعائه في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء سبحان خالق النور الهي خليت بيني وبين عدوي ابليس فلم اقم لفتنته اذ نزلت بي سبحان خالق النور الهي أنت الذي خلقتني وكان في سابق علمك ما انا اليه صائر سبحان خالق النور الهي الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهي بأي عين انظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي

سبحان خالق النور إلهي بأي قدم أقوم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده سبحان خالق النور إلهي أنا الذي لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور إلهي أنا الذي لا أطيق أسمع صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصابه سبحان خالق النور إلهي أنا الذي أعترف بذنبي إن لم تغفر الذنب لعبد من ذا الذي يغفره سبحان خالق النور إلهي أنت تعلم سري وعلانيتي فاقبل عذري سبحان خالق النور إلهي برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواي سبحان خالق النور إلهي أعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحان خالق النور إلهي أفررت إليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين سبحان خالق النور * قال مجاهد مكث داود أربعين يوما لا يرفع رأسه حتى نبت العشب من دموع عينيه وغطى رأسه فنودي يا داود أجائع فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى فأجيب بغير ما طلب قال فنحب نحبة هاج منها العود فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله التوبة والمغفرة *

قال وهب إن داود أتاه نداء من العلي الأعلى إني قد غفرت لك قال يا رب كيف وأنت لا تظلم أحدا قال يا داود اذهب إلى قبر أوريا فناده وأنا أسمعه نداك فتحلل منه قال فانطلق داود إلى قبر أوريا وكان قد لبس المسوح حتى جلس عند قبر أوريا ثم نادى وقال يا أوريا فقال لبيك من هذا الذي قطع علي لذتي وأيقظني قال أنا داود قال فما جاء بك يا نبي الله قال جئت لأسألك أن تجعلني في حل مما كان مني إليك قال وما كان منك إلي قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة فأنت في حل مني فأوحى الله تعالى إليه يا داود ألم تعلم أني الحكم العدل لا أقضي بالتعنت لم لا أعلمته أنك قد تزوجت بامرأته قال فرجع داود إلى القبر ونادى يا أوريا فأجابه وقال من هذا الذي قطع علي لذتي قال أنا داود قال يا نبي الله ألست قد حاللتك وعفوت عنك قال نعم ولكني ما أرسلتك حتى لـ

الا المكان امرأتك وقد تزوجت بها وعرادي تحالني بذلك قال فسكت ولم يجبه فدعاه ثانيا فلم يجبه وثالثا فلم يجبه فقام داود عند قبره وجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه وهو ينادي الويل لداود اذا نصب الميزان غدا بالقسطاس سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فأتاه النداء من العلى وهو يقول سبحان خالق النور * يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يا رب كيف وصاحبي لم يعف عني قال يا داود أعطيه من الثواب ما لم تره عيناه يوم القيامة ولم تسمعه اذناه فاقول له رضي عبدي فيقول يا رب انى لي هذا ولم يبلغه عملي فاقول هذا عوض عن عبدي داود فاستوهبك منه فيهبك لي قال يا رب قد عرفت الآن انك قد غفرت لي وذلك قوله تعالى فاستغفر ربه وخر راكعا أي ساجدا عبر عن السجود بالركوع لان كل واحد فيه انحناء ومعناه خر بعد ما كان راكعا أي سجد وأناب أي رجع فغفرنا له ذلك يعني ذلك الذنب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب حسن مرجع ومنقلب يوم القيامة بعد المغفرة * قال وهب ان داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان قد أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد تلك الخطيئة على أربعة أيام جعل يوما للقضاء بين الناس ويوما لنسائه ويوما يسيح في الفيافي والجبال والسواحل والاوعار ويوما يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه وهم يساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج في الفيافي فيرفع صوته بالمزامير فتبكي معه الاشجار والاوعار والرمل والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجيء الى الجبال فيرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والطير والدواب حتى تسيل الاودية من بكائهم ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء

والسباع فإذا أمسى رجع فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه أن
اليوم يوم نوح داود على نفسه فاحضر من ساعده فيدخل الدار التي فيها
المحاريب فيبسط له ثلاثة فرش من مسوح حشوها الليف فيجلس عليها
ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجلسون في
تلك المحاريب ثم يرفع داود صوته بالبكا والنوح على نفسه ويرفع الرهبان
معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها
مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله فيأخذ داود من تلك
الدموع بكفيه ثم يمسح بها وجهه ويقول يا رب اغفر ما ترى فلو عدل بكا
داود بكا أهل الدنيا لعدله * قال وهب ما رفع داود رأسه حتى قال له
الملك أول أمرك ذنب وآخره معصية ارفع رأسك فرفع رأسه فمكث حياته
لا يشرب ماء إلا مزجه بدموعه ولا يأكل طعاما إلا بله بدموعه وذكر
الأوزاعي مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن مثل عيني
داود كالقربتين ينطفان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في
الأرض قال وهب لما تاب الله على داود قال يا رب غفرت لي فكيف لي أن
لا أنسى خطيئتي فأستغفر منها لي وللخاطئين إلى يوم القيامة قال فوسم
خطيئته في يده اليمنى فما رفع طعاما ولا شرابا إلا بكى إذا رآها وما قام خطيبا
في الناس إلا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته واستغفر
للخاطئين قبل نفسه * وعن الحسن كان داود بعد الخطيئة لا يجالس إلا
الخاطئين يقول تعالوا إلى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا إلا مزجه بدموع
عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي حتى يبتل
بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل
الخاطئين وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف
الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وكان
إذا ذكر عقاب الله تخلع أوصاله وإذا ذكر رحمة الله تراجعت وفي القصة
أن الوحوش والطير كانت تسمع إلى قراءته فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي

الى قراءته فروى انها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك

❋﴿ذكر بناء سيدنا داود عليه السلام مسجد بيت المقدس﴾❋

عن رافع بن عميرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى لداود يا داود ابن لي بيتا في الارض فبنى داود بيتا لنفسه قبل البيت الذي أمره الله به فأوحى الله تعالى اليه يا داود بنيت بيتك قبل بيتي قال اى رب هكذا قلت فيما قضيت من ملك استأثر ثم أخذ في بناء المسجد يعني بيت المقدس* وعن وهب لما تاب الله عز وجل على داود عليه السلام وكان قد بنى مدائن كثيرة وصلحت امور بنى اسرائيل احب ان يبنى بيت المقدس وعلى الصخرة قبة فى الموضع الذى قدسه الله تعالى فى ايليا وكان قد حسنت حال بنى اسرائيل وملؤا الشأم وضاقت بهم فلسطين وما حولها فاحب داود عليه السلام ان يعلم عددهم وأمر باحصائهم على انسابهم وقبائلهم فكثر عليهم فلم يطيقوا احصاءهم* وروى ان الله تعالى أوحى الى داود عليه السلام لما كثر طغيان بنى اسرائيل انى اقسمت بعزتى لابتلينهم بالقحط سنتين أو اسلط عليهم العدوّ شهرين أو الطاعون ثلاثة أيام فجمعهم داود وخيرهم بين احدى الثلاث فقالوا أنت نبينا وانت أنظر لنا من أنفسنا فاختر لنا فقال اما الجوع فانه بلاء فاضح لا يصبر عليه أحد واما العدوّ والموت فانى اخبركم ان اخترتم تسليط العدوّ فانه لا بقية لكم والموت بيد الله تعالى تموتون بآجالكم فى بيوتكم وفوّضوا ذلك الى الله تعالى فهو ارحم بكم فاختار لهم الطاعون وأمرهم أن يتجهزوا له ويلبسوا اكفانهم ويخرجوا نساءهم واماءهم واولادهم امامهم وهم خلفهم على الصخرة والصعيد الذى بنى عليه مسجد بيت المقدس وهو يومئذ صعيد واحد ففعلوا ثم نادوا يا رب اللهم انك أمرتنا بالصدقة وأنت تحب المتصدقين فتصدق علينا برحمتك اللهم انك أمرتنا بعتق الرقاب فنسألك برحمتك ان تعتقنا اليوم اللهم وقد أمرتنا ان لا نرد السائل اذا وقف على أبوابنا وقد جئناك سائلين فلا تردّنا ثم خرّوا سجدا من

حتى طلوع الصبح فسلط الله عليهم الطاعون من ذلك الوقت إلى أن زالت
الشمس ثم رفعه عنهم ثم أوحى الله إلى داود عليه السلام أن ارفعوا رؤسكم
فقد شفعتك فيهم فرفع داود رأسه ثم نادى أن ارفعوا رؤسكم فرفعوا رؤسهم
وقد مات منهم مائة ألف وسبعون ألفا أصابهم الطاعون وهم سجود
فنظروا إلى الملائكة يغسلون سيوفهم بأيديهم الخناجر ثم صعد داود عليه
السلام وارتقى الصخرة رافعا يديه يحمد الله شكرا ثم إنه جمع بني إسرائيل
بعد ذلك وقال إن الله سبحانه وتعالى قد رحمكم وعافاكم فأحدثوا لله
شكرا بقدر ما ابتلاكم فقالوا فأمرنا بما شئت قال إني لا أعلم أمرا أبلغ في
شكركم من بناء مسجد على هذا الصعيد الذي رحمكم الله عليه تبنيه
مسجدا تعبدوا الله فيه تقدسوه أنتم ومن بعدكم قالوا نفعل وسأل داود ربه
فأذن لهم أن يعملوا على بنائه * وروى أن الله تعالى لما أمر داود عليه السلام
أن يبني مسجد بيت المقدس قال يا رب وأين أبنيه قال حيث ترى الملك
شاهرا سيفه قال فرآه داود في ذلك المكان فأسس قواعده ورفع حائطه
فلما ارتفع انهدم فقال داود يا رب أمرتني أن أبني لك بيتا فلما ارتفع هدمته
فقال يا داود إنما جعلتك خليفتي في خلقي فلم أخذت المكان من صاحبه
بغير ثمن إنه سيبنيه رجل من ولدك * وحكي في معنى هذا الأثر أن المكان
كان لجماعة من بني إسرائيل ولكل واحد منهم فيه حق فطلبه
داود منهم فأتاه البعض باللفظ والبعض بالسكوت ففهم داود من
الساكتين الرضا وكان بعضهم غير راض في الباطن فحمل داود الأمر
على ظاهره فبناه فجاء بعض أصحاب الحق إلى بني إسرائيل وقال لهم أتكم
تريدون أن تبنوا على حقي وأنا مسكين وإنه موضع بيدري أجمع فيه
طعامي فأرى أن تحمله إلى منزلي لقربه فإن بنيتم عليه أضررتم بي فانظروا في
أمري فقالوا له كل من بني إسرائيل له مثل حقك وأنت أعلمهم فإن
أعطيته طوعا وإلا أخذناه على كره منك فقال أتعدون هذا في حكم داود ثم
الظلم وشكاهم إليه فدعاهم وقال لهم تريدون أن تبنوا ١٤١

ما أراكم يا بني اسرائيل تستكبون لله عز وجل ولا أرى الا ان البلاء يصعطكم ثم قال له داود أتطيب نفسك على حقك فتبيعه بحكمك فقال ما تعطيني قال أملأ لك ان شئت غنما وان شئت بقرا وان شئت ابلا فقال يا نبي الله زدني فانما تشتريه لله عز وجل ولا تبخل عليّ فقال داود احتكم فانك لا تسألني شيئا الا أعطيتك فقال ابن لي حائطا قدر قامتي ثم املأه لي ذهبا فقال له داود عليه السلام نعم وهو في الله قليل فالتفت الرجل الى بني اسرائيل فقال هذا والله التائب الصادق المخلص ثم قال يا نبي الله قد علم الله عز وجل مني لمغفرة ذنب من ذنوبي وذنوب هؤلاء أحب اليّ من ملء الارض ذهبا فكيف يطيق هؤلاء اني أبخل عليهم وعلى نفسي بما ارجو به المغفرة لذنوبي وذنوبهم ولكني جربتهم رحمة لهم وشفقة عليهم وقد جعلته لله فأقبلوا على عمل مسجد بيت المقدس وباشر داود العمل بنفسه وجعل ينقل الحجر على عاتقه ويضعه بيده في موضعه ومعه احبار بني اسرائيل وروي ان داود لما ابتدأه ورفعه قامة رجل أوحى الله اليه اني لم اقض ذلك على يديك ولكن ان لك ابنا أملكه بعدك اسمه سليمان أقضي اتمامه على يديه وتوفي داود عليه السلام قبل اتمامه وله سبعون سنة وقيل غير ذلك وأنزل الله عليه الزبور وهو مائة وخمسون سورة بالعبرانية في خمسين منها ما يلقونه من بخت نصر وفي خمسين منها ما يلقونه من الروم وفي خمسين مواعظ وحكم ولم يكن فيه حلال ولا حرام ولا حدود ولا أحكام وكانت وفاته في يوم السبت أواخر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام وملك داود أربعين سنة وأوصى قبل موته بالملك الى سليمان ولده واوصاه بعمارة بيت المقدس وعين لذلك عدة بيوت أموال تحتوي على جمل كثيرة من الذهب * وعن كعب ووهب أن داود عليه السلام أعد لبناء بيت المقدس مائة ألف بدرة ذهبا وألف ألف بدرة ورقا وثلاثمائة ألف دينار لطلاء البيت وذكر أن هذا مال لا تفي به المعادن * قال وهب دفن داود بالكنيسة المعروفة بالجسمانية شرقي بيت المقدس في الوادي

ويقال ان قبر داود عليه السلام بكنيسة صهيون وهي التي بظاهر القدس
من جهة القبلة بأيدي طائفة الافرنج لانها كانت داره وفي كنيسة
صهيون المذكورة موضع تعظمه النصارى ويقال ان قبر داود فيه وهذا
الموضع * والآن بأيدي المسلمين وسنذكر ما وقع في ذلك في عصرنا من
التنازع بين المسلمين والنصارى فيما بعد في حوادث سنة خمس وتسعين
وثمانمائة ان شاء الله تعالى ﴿ ملك سليمان عليه السلام ﴾ لما توفي داود
ملك ابنه سليمان وعمره اثنتا عشرة سنة ومولد سليمان بغزة وآتاه الله
من الحكمة والعلم والملك ما لم يؤته لاحد سواه على ما أخبر الله عز وجل به
في محكم كتابه العزيز فأطاع الله له الانس والجن والشياطين والرياح والطيور
والوحوش والهوام وكل المخلوقات على اختلاف أجناسهم فسبحان
المفضل بما شاء على من شاء ﴿ بناء سليمان عليه السلام مدينة بيت
المقدس ومسجدها ﴾ لما كان في السنة الرابعة من ملكه في شهر أيار وهي
سنة سبع وثلاثين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام ابتدأ سليمان عليه
السلام في عمارة بيت المقدس حسبما تقدم به وصية أبيه اليه * وكانت
مدينة بيت المقدس في زمن بني اسرائيل عظيمة البناء متسعة العمران
وكانت أكبر من مصر ومن بغداد على ما وصف فيقال ان العمارة والمنازل
كانت متصلة من جهة القبلة الى القرية المعروفة بمقدار السنة ومن
جهة الشرق الى جبل طور زيتا واستمرت العمارة بطور زيتا الى حين
الفتح العمري ومن جهة الغرب الى ما ملا ومن جهة الشمال الى القرية التي
بها قبر النبي شمويل صلى الله عليه وسلم واسمها عند اليهود رامة
ومسافتها عن بيت المقدس نحو من ربع بريد فعمارة داود وسليمان
عليهما السلام لمدينة القدس انما هي تجديد البناء القديم وتقدم في أول
الكتاب ذكر أول من بنى المدينة وعمرها واختطها وانه سام بن نوح
عليهما السلام وكان محل المسجد من عمران المدينة وهو صعيد واحد
والصخرة الشريفة قائمة في وسطه حين بناه داود ثم سليمان عليهما

السلام * وكان من خبر ذلك ما روى أن الله عز وجل لما أوحى الى سليمان عليه السلام ان ابن بيت المقدس جمع حكماء الانس والجن وعفاريت الارض وعظماء الشياطين وجعل منهم فريقا يبنون وفريقا يقطعون الصخور والعمد من معادن الرخام وفريقا يغوصون فى البحر فيخرجون منه الدر والمرجان وكان فى الدرّ ما هو مثل بيضة النعامة وبيضة الدجاجة وأخذ فى بناء بيت المقدس وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثنى عشر ربضا وأنزل كل ربض منها سبطا من الاسباط وكانوا اثنى عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ فى بناء المسجد ولم يثبت البناء وأمر بهدمه ثم حفر الارض حتى بلغ الماء فاسسه على الماء والقوا فيه الحجارة وكان الماء يلفظها فدعا سليمان عليه السلام الحكماء الاحبار ورئيسهم آصف بن برخيا واستشارهم فقالوا انا نرى ان تتخذ قلالا من نحاس ثم تملأها حجارة ثم تكتب عليها الكتاب الذى فى خاتمك ثم تلقى القلال فى الماء وكان الكتاب الذى على الخاتم لا اله الا الله وحده لا شريك له محمد عبده ورسوله ففعلوا فثبتت القلال فالقوا الاس والحجارة عليها وبنى حتى ارتفع بناؤه وفرق الشياطين فى أنواع العمل فدأبوا فى عمله وجعل فرقة منهم يقطعون معادن الياقوت والزمرد ويأتون بأنواع الجواهر وجعل الشياطين صفا مرصوصا من معادن الرخام الى حائط المسجد فاذا قطعوا من المعادن حجرا أو اسطوانة تلقاه الاول منهم ثم الذى يليه ثم الذى يليه ويلقيه بعضهم الى بعض حتى ينتهى الى المسجد وجعل فرقة لقطع الرخام الابيض الذى منه ما هو مثل بياض اللبن بمعدن يقال له السامور والذى دلهم على معدن السامور عفريت من الشياطين كان فى جزيرة من جزائر البحر فدلوا سليمان عليه السلام عليه فأرسل اليه بطابع من حديد وكان خاتمه يرسخ فى الحديد والنحاس فيطبع الى الجن بالنحاس والى الشياطين بالحديد ولا يجيبه اقصاهم الا بذلك وكان خاتما نزل عليه من السماء حلقته بيضاء وطابعه كالبرق لا يستطيع أحد أن يملأ

بصره منه فلما وصل الطائر الى العفريت جيء به قال له هل عندك من حيلة أقطع بها الصخر فانى اكره صوت الحديد فى مسجدنا هذا والذى أمر الله به من ذلك هو الوقار والسكينة فقال له العفريت انى لا أعلم فى السماء طيرا أشد من العقاب ولا أكثر حيلة منه وذهب يسعى وكر عقاب فوجد وكرا فغطى عليه بترس غليظ من حديد فجاء العقاب الى وكره فوجد الترس فدفعه برجله ليرفعه أو ليقطعه فلم يقدر عليه فحلق فى السما ولبث يومه وليلته ثم أقبل ومعه قطعة من السامور فضربت عليه الشياطين حتى أخذوها منه وأتوا بها الى سليمان عليه السلام وكان يقطع بها الصخرة العظيمة وكان عدد من عمل معه فى بناء بيت المقدس ثلاثين ألف رجل وعشرة آلاف يراوحون عليهم قطع الخشب فى كل شهر عشرة آلاف خشبة وكان الذين يعملون فى الحجارة سبعين ألف رجل وعدد الامنا عليهم ثلثمائة غير المسخرين من الجن والشياطين وعمل فيه سليمان عليه السلام عملا لا يوصف وزينه بالذهب والفضة والدر والياقوت والمرجان وأنواع الجواهر فى سمائه وارضه وأبوابه وجدرانه وأركانه بما لم ير مثله وسقفه بالعود الملوح وصنع له مائتى سكرة من الذهب وزن كل سكرة عشر ارطال وأودع فيه تابوت موسى وهارون عليهما السلام ولما فرغ سليمان عليه السلام من بناء بيت المقدس أنبت الله شجرتين عند باب الرحمة احداهما تنبت الذهب والاخرى تنبت الفضة فكان فى كل يوم ينزع من كل واحدة مائتى رطل ذهبا وفضة وفرش المسجد بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة فلم يكن يومئذ فى الارض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد كان يضىء فى الظلمة كالقمر ليلة البدر * وكانت صخرة بيت المقدس أيام سليمان عليه السلام ارتفاعها اثنى عشر ذراعا وكان الذراع ذراع الامان ذراعا وشبرا وقبضة وكان ارتفاع القبة التى عليها ثمانية عشر ميلا وروى اثنى عشر ميلا وفوق القبة غزال من ذهب بين عينيه درة أو ياقوتة حمرا تغزل نسا البلقا على ضوئها بالليل وهى فوق مرحلتين من القدس

وكان أهل عمواس يستظلون بظل القبة اذا طلعت الشمس من المشرق وعمواس بفتح الميم وسكونها وهي التي سمي بها الطاعون على الراجح لانه منها ابتدأ وكان في سنة ثماني عشرة من الهجرة وهي بالقرب من رملة فلسطين مسافتها عن بيت المقدس نحو بريد ونصف واذا غربت الشمس استظل بها أهل بيت الرامة وغيرهم من الغور ومسافتها عن بيت المقدس ابعد من عمواس * قال بعض المؤرخين وعمل خارج البيت سورا محيطا امتداده خمسمائة ذراع في خمسمائة ذراع وأقام سليمان في عمارة بيت المقدس سبع سنين * وفرغ منه في السنة الحادية عشر من ملكه فيكون الفراغ من عمارة بيت المقدس في أواخر سنة ست وأربعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه السلام وكان من هبوط آدم عليه السلام الى ابتداء سليمان بناء بيت المقدس أربعة آلاف وأربعمائة واربعة عشر سنة * وبين عمارة بيت المقدس والهجرة الشريفة النبوية المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ألف وثمانمائة سنة كاملة وقريب ستين فيكون الماضي من عمارة بيت المقدس على يد سليمان الى عصرنا هذا وهو اواخر ذى الحجة ختام عام تسعمائة الفين وسبعمائة سنة وقريب ستين * واما بناء مدينة القدس الاول فقد تقدم ان أول من بناها سام بن نوح وكانت وفاته بعد الطوفان بخمسمائة سنة ومن وفاة سام الى بناء سليمان بيت المقدس الف وستمائة واثنان وسبعون سنة وبين الطوفان والهجرة الشريفة ثلاثة آلاف وتسعمائة واربع وسبعون سنة فيكون الماضي من وفاة سام الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة أربعة آلاف وثلثمائة وأربعا وسبعين سنة فيعلم من ذلك تاريخ بناء بيت المقدس الاول تقريبا والله أعلم * وملخص القول ان من هبوط آدم عليه السلام الى الطوفان ألفين ومائتين واثنين وأربعين سنة ومن الطوفان الى وفاة سام بن نوح خمسمائة سنة ومن وفاة سام الى بناء سليمان بيت المقدس ألفا وستمائة واثنين وسبعين سنة ومن بناء سليمان الى الهجرة الشريفة ألفا وثلثمائة وقريب ستين ومن الهجرة

البشرية الى عصرنا هذا تسعمائة سنة وهذه المدة التي تقدم ذكر تفصيلها قبل ذلك في أماكن متفرقة وجملتها من هبوط آدم الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة النبوية سبعة آلاف سنة ومائة سنة وستة عشر سنة على اختيار المؤرخين كما تقدم عند ذكر سيدنا آدم عليه السلام والخلاف في ذلك كثير ويأتي ذكر بناء مدينة سيدنا الخليل عليه السلام وأول من اختطها فيما بعد ان شاء الله * ولما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثا سأله حكما يوافق حكمه وسأله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وسأله ان لا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد الا الصلاة فيه الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ولهذا كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يأتي بيت المقدس فيدخل فيصلي ركعتين ثم يخرج ولا يشرب فيه كأنه يطلب دعوة سليمان وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان سليمان ابن داود عليهما السلام سأل ربه ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجو ان تكون قد أعطاه الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه اياه وسأله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فأعطاه وسأله ايما رجل يخرج من بيته لا يريد الا الصلاة في هذا المسجد ان يخرج من خطيئته كيوم ولدته امه فنحن نرجو أن تكون قد أعطاه اياه * ولما رفع سليمان عليه السلام يده من البنا بعد الفراغ منه واحكامه جمع الناس واخبرهم انه مسجد لله تعالى وهو أمره ببنائه وان كل شيء فيه لله تعالى من انتقصه أو شيئا منه فقد خان الله تعالى وان داود عهد اليه ببنائه وأوصاه بذلك من بعده ثم اتخذ طعاما وجمع الناس جمعا لم ير مثله قط ولا طعاما أكثر منه ثم أمر بالقرابين فقربت الى الله تعالى وجعل القربان في رحبة المسجد ومر ثورين واوقفهما قريبا من الصخرة ثم قام على الصخرة فدعا بالدعاء المتقدم ذكره وزاد عليه زيادة وهي * اللهم انت وهبت لي هذا الملك منا منك وطولا علي وعلى والدي وأنت ابتدأت أبي واباه بالنعمة والكرامة وجعلته حكما بين عبادك وخليفة في أرضك وجعلتني وارثه من بعده وخليفته

في قومه وأنت الذي خصصتني بولاية مسجدك هذا وأكرمتني به قبل ان تخلقني فلك الحمد على ذلك ولك المن ولك الطول اللهم اني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال * أن لا يدخل اليه مذنب لا يعمده الا لطلب التوبة أن تتقبل منه توبته وتغفر له * ولا يدخله خائف لا يعمده الا لطلب الأمن ان تؤمنه من خوفه وتغفر له ذنبه * ولا يدخله سقيم لم يعمده الا لطلب الشفاء ان تشفي سقمه وتغفر له ذنبه * ولا يدخله مقحط لا يعمده الا للاستسقاء أن تسقي بلاده * وان لا تصرف نظرك عن من دخله حتى يخرج منه * اللهم ان اجبت دعوتي وأعطيتني مسألتي فاجعل علامة ذلك أن تتقبل قرباني فتقبل القربان ونزلت نار من السماء فامتدت ما بين الافقين ثم امتد عنق منها فأخذ القربان وصعد به الى السماء * وروى ان نبي الله سليمان عليه السلام لما فرغ من بنائه ذبح ثلاثة آلاف بقرة وسبعة آلاف شاة ثم أتى الى المكان الذي في مؤخر المسجد مما يلي باب الاسباط وهو الموضع الذي يقال له كرسي سليمان وقال * اللهم من أتاه من ذي ذنب فاغفر له أو ذي ضر فاكشف ضره فلا يأتيه أحد الا أصاب من دعوة سليمان عليه السلام وهذا الموضع الذي هو معروف بكرسي سليمان من الاماكن المعروفة باجابة الدعاء وهو داخل القبة المعروفة بقبة سليمان عند باب الدويدارية ورتب له سليمان عشرة آلاف من قراء بني اسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار حتى لا تأتي ساعة من ليل ولا نهار الا والله تعالى يعبد فيه وكان سليمان عليه السلام اذا دخل مسجد بيت المقدس وهو ملك الارض يقلب بصره ليرى أين يجلس المساكين من العمى والخرس والمجذومين فيدع الناس ويجلس معهم متواضعا لا يرفع طرفه الى السماء ثم يقول مسكين مع المساكين * وروى ان مفتاح بيت المقدس كان يكون عند سليمان عليه السلام لا يأمن عليه أحدا فقام ذات ليلة ليفتحه فصعب عليه فاستعان عليه بالانس فعسر عليهم ثم استعان عليه بالجن فعسر عليهم فجلس كئيبا حزينا

ظن ان ربه قد منعه منه فبينما هو كذلك اذ أقبل شيخ يتكى على عصا له
وقد طعن فى السن وكان من جلساء داود عليه السلام فقال يا نبى الله أراك
حزينا فقال قف الى هذا الباب لادخله فعسر على فاستعنت عليه بالانس
والجن فلم يفتح فقال الشيخ الا اعلمك كلمات كان أبوك يقولهن عند كربه
فيكشف الله عنه قال لى قال قل اللهم بنورك اهتديت وبفضلك استغنيت
وبك اصبحت وامسيت ذنوبى بين يديك استغفرك وأتوب اليك يا حنان
يا منان * فلما قالها فتح له الباب فينبغى أن يدعو الزائر وغيره بهذا الدعاء
اذا دخل من باب الصخرة وكذلك من باب المسجد * ومن العجائب التى
كانت ببيت المقدس * السلسلة التى جعلها سليمان بن داود عليهما
السلام معلقة من السما الى الارض شرقى الصخرة مكان قبة السلسلة
الموجودة الآن وفيها يقول الشاعر

امد صفى الوحى وباب العلا * وارتفع الجود مع السلسله

وكانت هذه السلسلة لا تنالها الا يد المحق منهما ومن كان مبطلا
ارتفعت عنه فلم ينلها * وملخص حكايتها مع اختلاف فيه ان رجلا يهوديا
كان قد استودعه رجل مائة دينار فلما طلب الرجل وديعته جحد ذلك
اليهودى فترافعا الى ذلك المقام عند السلسلة فأخذ اليهودى بمكره
ودهائه فسبك تلك الدنانير وحفر جوف عصاه وجعلها فيها فلما أتى ذلك
المقام دفع العصا الى صاحب الدنانير وقبض على السلسلة ثم حلف بالله انه
أعطاه دنانيره ثم دفع اليه صاحب الدنانير العصا واقبل حتى أخذ
حلف انه لم يأخذها منه ومس كلاهما السلسلة فعجب الناس من
فارتفعت السلسلة من ذلك اليوم بحسب الطويات وحكى غير ذلك وهو ان
سليمان عليه السلام جعل تحت الارض بركة وجعل فيها ما وجعل على
ذلك الما بساطا ويجلس رجل جاهل أو قاض جليل فمن كان على الباطل
اذا وقع فى ذلك الما غرق ومن كان على الحق لم يغرق * ومن العجائب التى
كانت أيضا فى بيت المقدس فى الزمان الاول ما حكاه صاحب مثير

ان الضحاك بن قيس صنع به عجائب * الاولى انه صنع به في ذلك الزمان
نارا عظيمة اللهب فمن عصى الله في تلك الليلة أحرقته تلك النار حين يخطر
اليها والثانية من رمى بيت المقدس بنشابة رجعت النشابة اليه * والثالثة
وضع كلابا من خشب على باب بيت المقدس فمن كان عنده شيء من السحر
اذا مر بذلك الكلاب نبح عليه فاذا نبح عليه نسي ما عنده من السحر والرابعة
وضع بابا فمن دخل منه اذا كان ظالما من اليهود ضغطه ذلك الباب حتى
يعترف بظلمه * والخامسة وضع عصا في محراب بيت المقدس فلم يقدر
أحد يمس تلك العصا الا من كان من ولد الانبياء ومن كان سوى ذلك
أحرقت يده والسادسة كانوا يحبسون أولاد الملوك عندهم في محراب بيت
المقدس فمن كان من أهل المملكة اذا أصبح أصابوا يده مطلية بالدهن
وكان ولد هارون يجيئون الى الصخرة ويسمونها الهيكل بالعبرانية وكانت
تنزل عليهم عين زيت من السماء فتدور في القناديل فتملأها من غير ان
تمس وكان ينزل نار من السماء فتدور على مثال شمع على جبل طور زيتا
ثم تمتد حتى تدخل من باب الرحمة ثم تصير على الصخرة فيقول ولد هارون
تبارك الرحمن لا اله الا هو فغفلوا ذات ليلة عن الوقت الذي كانت تنزل
لنار فيه فنزلت وليس هم حضور ثم ارتفعت النار فخافوا فقال الكبير
لصغير يا أخي قد كتبت الخطيئة أي شيء يحيينا من بني اسرائيل ان تركنا
هذا البيت الليلة بلا نور ولا سراج فقال الصغير للكبير تعال حتى نأخذ
ن نار الدنيا نسرج القناديل لئلا يبقى هذا البيت في هذه الليلة بلا نور
لا سراج فأخذا من نار الدنيا واسرجا فنزلت عليهما النار في ذلك الوقت
أحرقت نار السماء نار الدنيا واحرقت ولدي هارون فناجى نبي ذلك
زمان فقال يا رب احرقت ولدي هارون وقد علمت مكانهما فأوحى الله
عالى اليه هكذا أفعل بأوليائي اذا عصوني فكيف افعل باعدائي * طلسم
لحيات * قال الحافظ بن عساكر قرأت في كتاب قديم فيه وفي بيت
لقدس حيات عظيمة قاتلة الا ان الله تعالى قد تفضل على عباده بمسجد

على ظهر الطريق أخذه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من كنيسة هناك تعرف بقمامة وفيه اسطوانتان كبيرتان من حجارة على رأسهما صورة حيات يقال انها طلسم فاذا لسعت انسانا حية في بيت المقدس لم تضره شيئا وان خرج عن بيت المقدس شبرا من الارض مات في الحال ودواره من ذلك ان يقيم في بيت المقدس ثلاثمائة وستين يوما فان خرج منه وقد بقي من العدة يوم واحد هلك وذكر الهروي أيضا نحو هذا في كتاب الزيارات له قال صاحب مثير الغرام رحمه الله وقد أخبرني الفقيه شمس الدين محمد بن علي بن عمه وهو عدل فاضل منه أن ذلك اتفق لبعض [illegible] وانسيت اسمه كان يلعب بالحيات فلدغته حية فخرج من القدس فمات وهذا يؤيد ما ذكرناه قبل وهذا المسجد معروف وهو بحارة النصارى بالقدس الشريف بجوار كنيسة قمامة من جهة الغرب عن يمنة السالك من درج القمامة الى الخانقاه الصلاحية والذي يظهر ان طلسم الحيات بطل منه والله أعلم * ولما انتهت عمارة مسجد بيت المقدس شرع سليمان في بناء دار مملكته بالقدس الشريف واجتهد في عمارتها وشيدها وفرغ منها في مدة ثلاث عشرة سنة وانتهت عمارتها في السنة الرابعة والعشرين من ملكه (* قصة بلقيس *) وفي السنة الخامسة والعشرين من ملكه جاءته بلقيس ملكة اليمن ومن معها وقصتها معه مشهورة وملخصها ان سيدنا سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى مكة فتجهز للسير واستصحب من الجن والانس والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ معسكره مائة فرسخ فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام به ما شاء الله ان يقيم وكان ينحر كل يوم طول مقامه بمكة خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضره من اشراف قومه هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى [illegible] من عاداه ويبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سوا لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فبأي دين يدين يا نبي الله قال يدين بدين

الحنيفية وطوبى لمن آمن به وادركه فقالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال مقدار ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل وأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار حتى لحق اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء تزهو خضرتها فاحب النزول بها ليتغدى ويصلي وكان الهدهد دليل سليمان على الماء فانه كان يعرف موضع الماء ويراه تحت الارض كما يرى في الزجاجة فيعرف قربه من بعده فينقر الارض حتى تجيء الشياطين فيسلخونها ويستخرجون الماء فلما نزل سليمان قال الهدهد ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء حتى نظر الى طول الدنيا وعرضها فنظر يمينا وشمالا فرأى بستانا لبلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيه فاذا هو بهدهد فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عنفير فقال عنفير اليمن ليعفور سليمان من أين اقبلت وأين تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود فقال ومن سليمان قال ملك الانس والجن والشياطين والوحوش والطيور والرياح فقال يعفور لعنفير فمن أين أنت قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبكم ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكة اليمن كلها وتحت يدها اثنا عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال أخاف ان يتفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج الماء قال الهدهد اليماني ان صاحبكم يسره ان تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه حتى نظر الى بلقيس وملكها وما رجع الى سليمان الا وقت العصر فلما نزل ودخل عليه وقت الصلاة وكان نزل على غير ماء فسأل الجن والانس والشياطين عن الماء فلم يعلموا فتفقد الطير ففقد الهدهد فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال اصلح الله الملك ما ادري أين هو وما ارسلته مكانا فغضب عند ذلك سليمان وقال لاعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين

واختلف في العذاب الذي توعده به فأظهر الأقوال أن عذابه أن ينتف
ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطاً لا يمتنع من النمل ولا من هوام
الأرض أو لأذبحنه أي لأقطعن حلقه أو ليأتيني بسلطان مبين بحجة بينة
في غيبته وعذر ظاهر ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال علي بالهدهد
الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهوا فنظر إلى
الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم ثم التفت يميناً وشمالاً فإذا هو بالهدهد
مقبلاً من ناحية اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد ذلك
علم أن العقاب يقصده بسوء فناشده فقال بالذي قواك وأقدرك علي
إلا رحمتني ولم تتعرض لي بسوء فولى العقاب وقال له ويلك ثكلتك أمك إن
نبي الله حلف أن يعذبك أو يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما
انتهى إلى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك أين غبت في يومك هذا
فلقد توعدك سليمان نبي الله وأخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا بلى قال أو ليأتيني بسلطان مبين قال
نجوت إذاً ثم انطلق العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان وكان قاعداً على
كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله فلما قرب الهدهد منه رفع
رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً لسليمان فلما دنا
منه أخذ رأسه فمده إليه فقال أين كنت لأعذبنك عذاباً شديداً فقال له
الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل فلما سمع سليمان
ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله ما الذي أبطأك عني فقال الهدهد ما أخبر به
الله تعالى في قوله فمكث غير بعيد أي غير طويل فقال أحطت بما لم تحط به
والإحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته يقول علمت ما لم تعلمه وبلغت
ما لم تبلغه أنت ولا جنودك وجئتك من سبإ بنبإ يقين واختلف في سبإ
فقيل اسم البلد وقيل اسم رجل فقال سليمان وما ذاك قال إني وجدت
امرأة تملكهم اسمها بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن
قحطان وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن وقد ولد له أربعون ملكاً وهي

آخرهم وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الاطراف ليس أحد منكم كفؤا لي وأبى ان يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وجاء في الحديث ان احد أبوي بلقيس كان جنيا فلما مات أبو بلقيس طمعت في الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وعصاها آخرون فملكوا عليهم رجلا فافترقوا فرقتين كل فرقة استولت على طرف من أرض اليمن ثم ان الرجل الذي ملكوه اساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده الى حريم رعيته فيفجر بهن فاراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك ادركتها الغيرة فارسلت اليه تعرض نفسها عليه فاجابها الملك وقال ما منعني ان ابتدئك بالخطبة الا الاياس منك فقالت لا أرغب عنك كفؤ كريم فاجمع رجال قومي واخطبني اليهم فجمعهم وخطبها اليهم فقالوا لا نراها تفعل هذا فقال لهم انها طلبت ذلك وانا أحب ان تسمعوا قولها فجاؤها فذكروا لها ذلك فقالت نعم احببت الولد فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت بناس كثيرة من حشمها فلما جاءته سقته الخمر حتى سكر ثم جزت رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها فلما اصبحوا رأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب دارها علموا ان تلك المناكحة كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا أنت بهذا الملك احق من غيرك فملكوها وقد جاء في الحديث الشريف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ان أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لا أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة قال الله تعالى واوتيت من كل شئ أي تحتاج اليه الملوك من الآلة والعدة ولها عرش عظيم سرير ضخم كان مضروبا من الذهب مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوائمه من الياقوت ومن الزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في السماء ثلاثون ذراعا وقيل غير ذلك وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم

الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض خبء السماء المطر وخبء الارض النبات ويعلم ما يخفون وما يعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره وعرش ملكة سبأ وان كان عظيما فهو صغير حقير في جنب عرشه عز وجل فلما فرغ الهدهد من كلامه قال له سليمان سننظر أصدقت فيما أخبرت ام كنت من الكاذبين فدلهم الهدهد على الماء فاحتفروا الركايا وروي الناس والدواب ثم كتب سليمان كتابا * من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وائتوني مسلمين * ولم يزد سليمان على ما نص الله في كتابه وكذلك الانبيا كانت تكتب جملا لا يطيلون ولا يكثرون ولما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم وكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون يردون من الجواب فأخذ الهدهد الكتاب وأتى به الى بلقيس وكانت بأرض اليمن بأرض يقال لها مأرب بأرض صنعا على ثلاثة أيام فوافاها في قصرها وقد غلقت الابواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها فأتاها وهي نائمة مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد مائة ألف مقاتل وأخذوا مجالسهم فقالت لهم بلقيس يا أيها الملأ وهم اشراف الناس وكبراؤهم اني ألقي الي كتاب كريم سمته كريما لانه كان مختوما وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كرامة الكتاب ختمه ثم بينت ممن الكتاب وقالت انه من سليمان وبينت المكتوب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا

علىّ * قال ابن عباس لا تتكبروا على وائتونى مسلمين طائعين قيل
هو من الاسلام وقيل هو من الاستسلام قالت يا أيها الملأ أفتونى فى
أمرى أشيروا علىّ فيما عرض لى وأجيبونى ما كنت قاطعة قاضية وفاصلة
أمرا حتى تشهدون أى تحضرون قالوا مجيبين لها نحن أولوا قوة فى المال
وأولوا بأس شديد عند الحرب والقتال ثم قالوا والامر اليك أيتها الملكة فى
القتال وتركه فانظرى من الرأى ماذا تأمرين تجدينا لأمرك مطيعين
قالت بلقيس مجيبة لهم عند التعريض بالقتال ان الملوك اذا دخلوا قرية
عنوة أفسدوها وخربوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أى أهانوا أشرافها
وكبراءها كى يستقيم لهم الامر تحذرهم مسير سليمان اليهم ودخوله
بلادهم وتناهى الخبر عنها هنا فصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون
أى كما قالت هى يفعلون ثم قالت وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع
المرسلون والهدية هى العطية على طهر الملاطفة وذلك ان بلقيس كانت
امرأة لبيبة قد سيست وساست فقالت للأحوذها من قومها انى مرسلة
الى سليمان وقومه بهدية أصانعه بها عن ملكى وأختبره بها أملك هو أم نبى
فان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف وان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه
منا الا ان نتبعه على دينه وذلك قوله تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون
فأهدت له وصفاء ووصائف وألبستهم لباسا واحدا كى لا يعرف ذكرهم
من اناثهم وقيل ألبست الغلمان لباس الجوارى وعكسه وكان فى لباسهم
ما هو مرصع بأنواع الجواهر وأركبتهم الخيول بلجم الذهب مرصعة
بالجواهر وجعلت الغواشى من الديباج الملون وبعثت اليه خمسمائة لبنة
من الذهب وخمسمائة لبنة من الفضة مكللة بالدر واليواقيت وأرسلت
اليه المسك والعنبر والعود اليلنجوج وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة
غير مثقوبة وخرزة جزعة صغيرة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا
من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها
أصحاب رأى وعقل وكتبت اليه كتابا بنسخة الهدية وقالت له ان كنت

بما فيه من الوصفاء والوصائف وأخبر بما في الحقة قبل ان يفتحها وان يثقب
الدرة ثقبا مستويا وأن يدخل خيطا في الخرزة المثقوبة من غير علاج انس
ولا جن وأمرت بقدس الغلمان وقالت لهم اذا كلمكم سليمان فكلموه
كلاما فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء وأمرت الجواري أن يكلمنه
بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت لرسولها انظر الى الرجل
اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك ولا يهولنك
منظره فانا أعز منه وان رأيت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه نبي مرسل
فافهم قوله ورد الجواب فانطلق رسولها بالهدية وأتى الهدهد مسرعا الى
سليمان فأخبره الخبر كله فأمر سليمان الجن ان يضربوا لبنات الذهب
ولبنات الفضة ففعلوا ثم أمرهم ان يبسطوا من موضعه الذي هو فيه
وكان تسع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وان يتركوا على
طريقهم موضعا على قدر اللبنات خاليا وباقي الارض مفروشة
وان يعملوا حول الميدان حائطا شرفاتها من الذهب والفضة * ثم قال أي
الدواب أحسن ما رأيتم في البر والبحر قالوا يا نبي الله انا رأينا دوابا في بحر كذا
كذا منقطعة مختلفة ألوانها على صفات الخيل ولها أجنحة وأعراف ونواصي
فقال سليمان على بها الساعة فأتوا بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن
يساره على لبنات الذهب والفضة وألقوا لها علوفاتها * ثم قال سليمان
للجن على بأولادكم فاجتمع عنده خلق كثير فأقامهم عن يمين الميدان
ويساره ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسي
عن يمينه ومثلها عن يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا
فاصطفوا فراسخ * عن يمينه ويساره وأمر الانس أن يصطفوا أمامهم
فاصطفوا فراسخ ثم أمر الطيور والوحوش والهوام ان يصطفوا
فاصطفوا فراسخ عن يمين سليمان وعن يساره وهو جالس على كرسيه
والجميع حوله وعن يمينه وشماله فلما دنا القوم من الميدان ورأوا سليمان
ونظروا الى ملكه ونظروا الدواب البحرية التي لم تر أعينهم مثلها على وجه

الارض وهم يبولون على لبن الذهب والفضة ويروثون عليها تقاصرت
أنفسهم ورموا جميع ما معهم من الهدايا في ذلك المكان خوفا من ان
يتهموا بذلك * ولما نظروا الى الشياطين ورأوا منظرا عجيبا فزعوا وخافوا
فقال لهم الشياطين جوزوا فلا بأس عليكم فكانوا يمرون على كردوس
كردوس من الجن والانس والوحوش والطير والسباع والهوام حتى
وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام فنظر اليهم نظرا حسنا بوجه طلق
وبشاشة وقال ما وراءكم فاخبره رئيس القوم بما جاؤا به وأعطاه
كتاب الملكة فنظر فيه ثم قال أين الحقة فاتوه بها فحركها وجاءه جبريل
عليه السلام وأخبره بما فيها فقال سليمان ان فيها درة ثمينة غير مثقوبة
وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال له الرسول صدقت فانقب لنا
الدرة وأدخل الخيط في الخرزة فقال سليمان من لي بثقبها وسأل
سليمان الانس والجن فلم يكن عندهم علم من ذلك ثم سأل الشياطين
فقالوا ارسل الى الارضة فجاءت فأخذت شعرة في فيها ودخلت الخرزة
بها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال سليمان للارضة ما حاجتك وما
الذي تريدين قالت يا نبي الله اريد أن تصير رزقي في الشجر فقال لها لك ذلك
ثم قال سليمان من لهذه الخرزة يسلكها الخيط * فقالت دودة بيضاء
أنا لها يا رسول الله * فأخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت من جانب
ثم خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما تريدين قالت تجعل
رزقي في الفواكه فقال لها لك ذلك ثم ميز الجواري والغلمان بأن
أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء من الآنية
باحدى يديها ثم تجعله على اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه وجعل الغلام
كلما أخذ من الآنية يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب الماء صبا
والغلام يحدر الماء على يديه حدرا فميز بينهما بذلك ثم رد سليمان الهدية
كما قال الله تعالى عنه فلما جاء سليمان قال أتمدوني بمال فما آتاني الله من
الدين والنبوة والحكمة والملك خير وأفضل مما آتاكم بل أنتم بهديتكم

تفرحون لأنكم أهل مفاخرة في الدنيا ومكاثرة بها تفرحون بإهداء بعضكم إلى بعض * وأما أنا فلا أفرح بها وليست الدنيا من حاجتي لأن الله تعالى قد مكنني فيها وأعطاني منها ما لم يعطه لأحد ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو وهو أمير القوم ارجع إليهم بالهدية فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها أي لا طاقة لهم بها ولنخرجنهم منها أي من أرضهم وبلادهم وهي سبأ أذلة وهم صاغرون أي ذليلون إن لم يأتوني مسلمين فلما رجع رسول بلقيس إليها قالت قد عرفت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة ثم بعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي لأنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك * ثم أمرت بعرشها فجعلته في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبعة قصور ثم غلقت دونه الأبواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احفظ ما قبلك وسرير ملكي لا يخلص إليه أحد ولا يرينه حتى آتيك ثم أمرت مناديا ينادي في أهل مملكتها يؤذنهم بالرحيل ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل ألوف كثيرة وكان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس وقد نزلت بهذا المكان وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان فأقبل سليمان حينئذ على جنوده وقال لهم يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين مؤمنين * وقال ابن عباس مسلمين أي طائعين واختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار عرشها فقال أكثرهم لأن سليمان علم أنها إن أسلمت حرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها وقيل أراد أن يريها قدرة الله عز وجل وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها وقال قتادة لأنه أعجبه صفته حين وصفه الهدهد فأحب أن يراه وقال ابن زيد أراد أن يأمرها بتنكيره وتغييره فيختبر بذلك عقلها قال عفريت من الجن وهو المارد

القوي قيل اسمه كوذى وقيل اسمه ذكوان وقيل هو صخر الجني وكان بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك أي مجلسك الذي تحكم فيه وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه الى فراغ النهار واني عليه أي على حمله لقوي امين على ما فيه من الجواهر والمعادن فقال سليمان اريد شيئا يكون أسرع من ذلك * فقال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك واختلفوا فيه فقيل هو جبريل عليه السلام وقيل هو ملك من الملائكة أيد الله به سليمان عليه السلام وقال الاكثرون هو آصف بن برخيا وكان صديقا يعرف اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به اعطى * وروي عن ابن عباس انه قال ان آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه أي بصره فنظر نحو اليمن فدعا آصف بين يدي سليمان فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض وهم يخدون خدا حتى انخرقت الارض بالسرير بين يدي سليمان وقيل غير ذلك وقيل كانت المسافة مقدار شهرين واختلف في الدعاء الذي دعا به آصف فقيل انه قال ياذا الجلال والاكرام وقيل يا حي يا قيوم * وعن الزهري قال الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شئ الها واحدا لا اله الا أنت ائتني بعرشها وقيل انما هو سليمان قال له عالم من بني اسرائيل آتاه الله علما وفهما انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك قال سليمان هات قال أنت النبي" وليس أحد عند الله أوجه منك فاذا دعوت اليه وطلبته كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت وقوله قبل أن يرتد اليك طرفك * قال سعيد بن جبير يعني من قبل أن يرجع اليك اقصى من ترى وهو ان يصل اليك من كان منك على مد بصرك وقيل غير ذلك فلما رآه يعني سليمان العرش مستقرا عنده محمولا اليه من هذه المسافة البعيدة في قدر ارتداد الطرف قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر نعمته ام اكفر فلا أشكرها ومن شكر فانما يشكر لنفسه أي يعود نفع شكره عليه وهو ان

يسمو حسبه تمام النعمة ودوامها لأن الشكر قيد النعمة الموجودة
وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فإن ربي غني عن شكره كريم بالإفضال
على من يكفر نعمته * قال نكروا لها عرشها أي غيروا سريرها إلى حال
تنكره إذا رأته فقيل جعل أسفله أعلاه وعكسه وجعل مكان الجوهر الأحمر
الأخضر وعكسه ننظر أتهتدي إلى عرشها فتعرفه أم تكون من الجاهلين
الذين لا يهتدون إليه وإنما حمل سليمان على ذلك أن الشياطين خافت
أن يتزوجها سليمان فتفشي إليه أمر الجن لأن أمها كانت جنية وإذا
ولدت ولدا لسليمان لا ينفكوا من تسخيرهم لسليمان وذريته من بعده
فأساءوا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا إن في عقلها شيئا وإن رجلها
شعراء وإن رجلها كحوافر الحمار وإنها مشعرة الساقين فأراد سليمان أن
يختبرها في عقلها بتنكير عرشها وينظر إلى قدميها ببناء الصرح * فلما جاءت
قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا
عليها لم تقل نعم خوفا من التكذيب فقالت كأنه هو فعرف سليمان كمال
عقلها حيث لم تقر ولم تنكر * وحكى عند ذلك فقالت وأوتينا العلم بصحة نبوة
سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل من قبلها ومن قبل
الآية في العرش وكنا مسلمين منقادين طائعين لأمر سليمان وقيل عند ذلك
قال الله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله أي منعها ما كانت تعبد
من دون الله وهي الشمس أن تعبد الله أي صدها عبادة الشمس عن
التوحيد وعن عبادة الله تعالى وقيل غير ذلك وقوله تعالى قيل لها ادخلي
الصرح الآية وذلك أن سليمان عليه السلام أراد أن ينظر إلى قدميها
وساقيها من غير أن يسألها إتيانها أو ينظر ما قالت الشياطين عنها أن
رجليها كحوافر الحمار وهي مشعرة الساقين فأمر سليمان الشياطين
فبنوا له صرحا أي قصرا من زجاج وقيل بيتا من زجاج كأنه الماء بياضا
وقيل الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء وألقى فيه كل شيء من دواب البحر
حتى السمك والضفادع وغيرهما ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه

فعكفت عليه الطير والجن والانس وانما بني الصرح ليختبر فهمها كما فعلت هي بالوصائف والوصفاء فلما جلس سليمان على السرير دعا ببلقيس فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وهي معظم الماء وكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان فاذا هي أحسن الناس قدما وساقا الا انها مشعرة الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها ثم ناداها انه صرح ممرد أي مملس من قوارير ثم دعاها للاسلام وكانت قد رأت حال العرش وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى فاجابت وقالت رب اني ظلمت نفسي بالكفر وعبادة غيرك واسلمت مع سليمان لله رب العالمين أي اخلصت له التوحيد واختلف في أمرها هل تزوجها سليمان عليه السلام فقال بعضهم تزوجها ولما أراد ان يتزوجها كره ما رأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس ما يذهب هذا قالوا الموسى فقال انها تجرح ساقيها وسأل الجن فقالوا لا ندري ثم سأل الشياطين فقالوا نحتال لك بحيلة حتى يصير كالسبيكة الفضة من غير اذى فقال افعلوا فاتخذوا النورة والحمام وكانت النورة والحمام من ذلك اليوم ويقال ان الحمام كان بباب الاسباط بالقدس الشريف وهو الحمام الذي بجوار المدرسة الصلاحية وهو من جملة أوقاف المدرسة من الملك صلاح الدين وانما بني لبلقيس وانه أول حمام وضع على وجه الارض والله أعلم ولما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا واقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بعد ان ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له فيما يذكر والله اعلم ﴿**ذكر فتنة سليمان عليه السلام**﴾ قال الله تعالى ولقد فتنا سليمان أي اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وسبب ذلك ما روي عن وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن لم يكن للناس عليه سبيل لمكانه بالبحر وكان الله عز وجل قد آتى سليمان في ملكه سلطانا

لا يمنع عليه شي في بر ولا بحر فما ركب الريح فخرج سليمان الى تلك
المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس
فقتل ملكها واستقام فيها واصاب فيما أصاب ابنة الملك تسمى جرادة
لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها للاسلام فاسلمت
على جفاء منها وقلة فقه واحبها حبا لم يحبه أحدا من نسائه فكانت
على منزلة عظيمة عنده فكانت لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك
على سليمان فقال لها ويلك ما هذا الحزن الذي لم يذهب والدمع الذي
لا يرقأ قالت اني اذكر أبي واذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني
ذلك قال سليمان فقد أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا
هو أعظم من سلطانه وهداك الله للاسلام وهو خير لك من ذلك كله قالت
ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته اصابني ما ترى من الحزن فلو انك
أمرت الشياطين فصوروا صورته في داري التي انا فيها ارها بكرة
وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزني وان يسليني بعض ما أجد في نفسي
فأمر سليمان الشياطين ان يمثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر
منه شيئا فمثلوها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا أنه لا روح فيه فعمدت
اليه حين صنعوه فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كانت
عليه في حال حياته ثم انها كانت اذا خرج سليمان عليه السلام من دارها
تغدو اليه في ولائدها ومن ولدها ثم تسجد له ويسجدن له كما كانت
تصنع له في ملكه واستمرت تفعل ذلك بكرة وعشية وسليمان لا يعلم
شيئا من ذلك مدة أربعين صباحا فبلغ ذلك آصف ابن برخيا وكان صديقا
وكان لا يرد عن أبواب سليمان وأي ساعة أراد أن يدخل دار سليمان دخل
حاضرا كان سليمان أو غائبا فأتى سليمان وقال له يا نبي الله كبر سني ورق
عظمي ونفد عمري وقد حان مني ذهابه وقد أحببت ان أقوم مقاما قبل
الموت اذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى واثني عليهم بعلمي فيهم وأعلم
الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير أمورهم فقال له سليمان افعل

فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فحمد الله تعالى وذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله به حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان أحلمك في صغرك وأورعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأبعدك من كل ما يكره في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظا فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فقال يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنيت عليهم خيرا في زمانهم وفي كل حال من أمورهم فلما ان ذكرتني جعلت تثني علي بخير في صغري وسكت عن ما سوى ذلك من أمري في كبري فما الذي أحدثت في آخر أمري فقال له ان غير الله يعبد في دارك مدة أربعين صباحا في هوى امرأة فقال سليمان في داري قال في دارك فقال سليمان انا لله وانا اليه راجعون لقد عرفت انك ما قلت الذي قلت الا عن شيء بلغك ثم رجع سليمان الى داره وكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الطهرة فأتي بها وهي ثياب لا يغزلها الا النساء الابكار ولا يمسها امرأة قد رأت الدم ولا ينسجها الا النساء الابكار ولا يغسلها الا الابكار فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه وجعل يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى داره وكانت له ام ولد تسمى الامينة وكان اذا دخل مذهبه أو أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها ثم دخل حتى يتطهر وكان لا يلبس خاتمه الا طاهرا وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل الى مذهبه فأتاها الشيطان صاحب البحر وكان اسمه صخر على صورة سليمان لم تنكر منه شيئا فقال خاتمي يا امينة فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس فخرج سليمان وأتى الامينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من يراه فقال خاتمي يا أمينة فقالت له

من أين قال سليمان بن داود نبي الله قالت له كذبت فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن الخطيئة قد أدركته فخرج وجعل يقف على الدار من دور بني إسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيكذبونه ويحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا إلى هذا المجنون أي شيء يقول يزعم أنه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر وكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه برغيفين وشوى السمكة الأخرى وأكلها فمكث كذلك أربعين صباحا عدة ما كان عبد الوثن في داره فأنكر آصف وكبرا بني إسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الأربعين يوما فقال آصف يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان بن داود ما رأيت قالوا نعم قال آصف أمهلوني حتى أدخل على نسائه وأسألهن هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرنا في عامة أمر الناس فدخل على نسائه فقال ويحكن هل أنكرتن من أمر ابن داود ما أنكرناه فقلن أشده ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال إنا لله وإنا إليه راجعون إن هذا لهو البلاء المبين ثم خرج آصف على بني إسرائيل فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماؤهم فأقبلوا حتى أحدقوا به ونشروا التوراة فقرؤوها فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب إلى البحر ووقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت فأخذه بعض الصيادين وكان سليمان قد عمل لذلك الصياد من صدر النهار حتى إذا كانت العشية أعطاه سمكتين فأعطى السمكة التي فيها الخاتم من جملة السمكتين فخرج سليمان بسمكتيه فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالرغيفين ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فأخذه وجعله في يده فرد الله تعالى عليه ملكه وبهاءه فوقع ساجدا شكرا لله فعكفت عليه الطير والوحوش والإنس والجن وأقبل عليه الناس وعرف الذي كان دخل

عليه لما أحدث فى داره فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين فقال ائتونى بصخر فطلبته الشياطين حتى أخذته فأتى به فجاب له صخرة فأدخله فيها ثم سد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف فى البحر هذا حديث وهب وحكى غير ذلك وأشهر الأقاويل أن الجسد الذى ألقى على كرسيه هو صخر الجنى فذلك قوله عز وجل والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب أى رجع الى ملكه بعد أربعين يوما فلما رجع قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى يريد هب لى ملكا لا تسلبنيه فى باقى عمرى وتعطيه غيرى كما سلبتنيه فيما مضى انك أنت الوهاب قيل سأل ذلك ليكون آية لنبوته ودلالة على رسالته ومعجزة له وقيل سأل ذلك ليكون علما على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه ورد اليه ملكه وزاده فيه وقال مقاتل كان سليمان ملكا ولكنه أراد بقوله لا ينبغى لأحد من بعدى تسخير الرياح والطير والشياطين بدليل ما بعده * وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت البارحة ليقطع على صلاتى فأمكننى الله منه فأخذته فأردت أن أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخى سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى فرددته خاسئا ولما رد الله على سليمان ملكه وبهاءه وحامت عليه الطير وعرف الناس أنه سليمان قاموا يعتذرون اليه مما صنعوا فقال ما أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا أمر كان لا بد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأطاعه جميع ملوك الأرض وحملوا اليه نفائس أموالهم واستمر سليمان على ذلك حتى توفى *(ذكر وفاته عليه السلام)*

وقد روى فى وفاة سليمان عليه السلام ما قاله أهل العلم أنه كان يتحنث فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه طعامه وشرابه فأدخله فى المرة التى مات فيها وكان بدء ذلك أنه لا يصبح يوما الا نبتت فى محرابه ببيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك

فيقول اسمي كذا فيقول لأي شيء أنت فيقول لكذا وكذا فأمر بها فتقطع
فإن كانت تنبت لغرس غرسها وإن كانت لدواء كتب فنبتت الخروبة
فقال لها ما أنت قالت الخروبة قال لأي شيء نبت قالت لخراب مسجدك
فقال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي
وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط ثم قال اللهم عم على الجن
موتي حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الإنس
أنهم يعلمون من الغيب أشياء ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب فقام يصلي
متكئا على عصاه * فقيل إنه نحتها من الخروب فمات قائما وكان للمحراب
كوى بين يديه وخلفه فكان الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا
يعملونها في حياته وينظرون إليه يحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه
عن الخروج إلى الناس لطول صلاته قبل ذلك فمكثوا يدأبون له بعد موته
حولا كاملا حتى أكلت الأرضة عصا سليمان فخر ميتا فعلموا بموته
فشكرت الجن الأرضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب فذلك
قول الله تعالى ما دلهم على موته إلا دابة الأرض وهي الأرضة تأكل
منسأته أي عصاه فلما خر أي سقط على الأرض تبينت الجن أن لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين أي علمت الجن وتيقنت أن
لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين أي في التعب والشقاء
مسخرين لسليمان وهو ميت يظنون حياته أراد الله بذلك أن يعلم الجن
أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يظنون أنهم يعلمون الغيب لغلبة الجهل
وقيل إن معنى تبينت الجن أي ظهرت وانكشفت الجن للإنس أي ظهر
أمرهم أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا قد شبهوا على الإنس ذلك وتوفي
سليمان وعمره ثلاث وخمسون سنة ومكث مدة ملكه أربعين سنة
فيكون وفاته في أواخر سنة خمس وسبعين وخمسمائة لوفاة موسى عليه
السلام وذلك بعد فراغ بناء بيت المقدس بتسع وعشرين سنة فيكون
الماضي من وفاته إلى عصرنا هو أواخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة

النبوية

السنة الفين وستمائة وثلاثا وسبعين سنة والله أعلم ونقل ان قبره بالبيت المقدس عند الجسمانية وانه هو وأبوه داود فى قبر واحد واستمر بيت المقدس على العمارة السليمانية أربعمائة وثلاثا وخمسين سنة

* ذكر خراب بيت المقدس على يد بخت نصر *

لما توفى سليمان عليه السلام ملك بعده ابنه * رحبعم بضم الراء والحاء المهملتين وسكون الباء الموحدة وفتح العين المهملة ثم ميم وفى ايامه اختل نظام الملك وخرج عن طاعته عشرة أسباط ولم يبق تحت طاعته سوى سبطين وصار الاسباط العشرة ملوكا تعرف بملوك الاسباط واستمر الحال على ذلك نحو مائتين واحدى وستين سنة وكان ولد سليمان فى بنى اسرائيل بمنزلة الخلفاء للاسلام لانهم أهل الولاية وكان الاسباط مثل ملوك الاطراف والخوارج وارتحل الاسباط الى جهات فلسطين وغيرها بالشام واستقر ولد داود بالبيت المقدس واستمر رحبعم على ما استقر له من الملك وزاد فى عمارة بيت لحم وغزة وصور وغير ذلك وعمر ايلة وجددها وملك سبعة عشر سنة ومات ثم ملك بعده ابنه * افيا بفتح الهمزة وكسر الفاء التى هى بين الالف والياء على مقتضى اللغة العبرانية وتشديد الياء المثناة من تحتها ثم ألف وكان مدة ملكه ثلاث سنين ومات ثم ملك بعده ابنه * اسا بفتح الهمزة والسين ثم ألف وكانت مدة ملكه احدى وأربعين سنة ومات ثم ملك بعده ابنه * يهوشافاط بفتح المثناة من تحتها وضم الهاء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وبعدها الف ثم فاء والف وطاء مهملة وكان رجلا صالحا كثير العناية بعلماء بنى اسرائيل وكانت مدة ملكه خمسا وعشرين سنة ومات ثم ملك بعده ابنه * يهورام بفتح الياء المثناة من تحتها وضم الهاء وسكون الواو ثم راء مهملة ثم الف وميم وكانت مدة ملكه ثمانى سنين ثم ملك بعده ابنه * احزياهو بفتح الهمزة والحاء المهملة وسكون الزاى المعجمة ثم مثناة من تحتها ثم الف وهاء ثم واو وكانت مدة ملكه سنتين ومات ثم كان بعد أحزياهو فترة بغير ملك وحكمت فى الفترة المذكورة

امرأة ساحرة أصلها من جواري سليمان عليه السلام واسمها * عثلياهو
بفتح العين المهملة والثاء المثلثة وسكون اللام وفتح الياء المثناة من تحتها
وبعدها ألف ثم ها مضمومة ثم واو ومالت لا غيرها ولا وارث وتتبعت
بني داود فأفنتهم وسلم منها طفل أخفوه عنها وكان اسم ذلك الطفل يواش
ابن أخزيا واستولت عثلياهو سبع سنين ويكون آخر العمر وعدم
عثلياهو في أواخر سنة ثمان وستين وستمائة لوفاة موسى عليه السلام ثم
ملك بعد عثلياهو * يواش وهو ابن سبع سنين ويواش بضم الياء المثناة
من تحتها ثم همزة وألف وشين معجمة وفي السنة الثالثة والعشرين من
ملكه رمّ بيت المقدس وجدد عمارته وملك أربعين سنة ومات ثم ملك
بعده ابنه * أمصياهو بفتح الهمزة والميم وسكون الصاد المهملة وياء
مثناة من تحتها ثم ألف وها ثم واو وملك تسعا وعشرين سنة وقيل خمس عشرة
سنة وقيل ثم ملك بعده ابنه * عزياهو بضم العين المهملة وتشديد الزاي
المعجمة ثم ياء مثناة من تحتها ثم ألف وها ثم واو وملك اثنتين وخمسين سنة
ولحقه البرص وتعصب عليه أمته وصعب أمره في آخر وقته وغلب
عليه ولده يوثم ومات ثم ملك بعده ابنه * يوثم بضم الياء المثناة من تحتها وسكون
الواو وفتح الثاء المثلثة ثم ميم وفي أيامه كان يونس النبي عليه السلام وملك
ست عشرة سنة ومات ثم ملك بعده ابنه * آحز بهمزة ممدودة ممالة أيضا
وحاء مهملة مفتوحة ثم زاي معجمة ملك ست عشرة سنة ومات ثم ملك
بعده ابنه * حزقيا بكسر الحاء المهملة وسكون الزاي المعجمة وكسر القاف
وتشديد الياء المثناة من تحتها ثم ألف وكان رجلا صالحا مظفرا
ولما دخلت السنة السادسة من ملكه انقرضت دولة الخوارج ملوك
الأسباط الذين تقدم ذكرهم عند ذكر رحبعم بن سليمان وانضم من بقي من
الأسباط إلى حزقيا ودخلوا تحت طاعته وكان من الصلحاء الكبار وكان
قد خرج عليه سنحاريب ملك بابل والموصل ونزل حول بيت المقدس
في ستمائة ألف ونصره الله وأهلك عسكر سنحاريب ووقع سنحاريب في

أسره ثم أطلقه وسيره الى بلاده وكان قد فرغ عمر حزقيا قبل موته خمسة عشر سنة فزاد الله فى عمره خمسة عشر سنة وأمره ان يتزوج وأخبره بذلك نبى كان فى زمانه * وهو اشعياء عليه السلام واشعيا هو الذى بشر بالنبى صلى الله عليه وسلم وبشر بعيسى عليه السلام وملك حزقيا تسعا وعشرين سنة ومات ثم ملك بعده ابنه * منشا بميم ونون مفتوحتين وشين معجمة مشددة وألف وملك خمسا وخمسين سنة ومات ثم ملك بعده ابنه * يوشيا بضم المثناة من تحتها وسكون الواو وكسر الشين المعجمة وتشديد المثناة من تحتها ثم ألف ولما ملك أظهر الطاعة والعبادة وجدد عمارة بيت المقدس وأصلحه وملك يوشيا احدى وثلاثين سنة ومات ثم ملك بعده ابنه * يهوياحين بياء مثناة من تحتها مفتوحة وهاء مضمومة وبعدها واو ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة وبعدها ألف ثم حاء معجمة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم نون ولما ملك غزاه فرعون مصر وهو الاعرج فأخذ يهوياحين اسيرا الى مصر فمات بها وكانت مدة ملكه ثلاثة أشهر ولما أسر يهوياحين ملك بعده أخوه * يهوياقيم بفتح المثناة من تحتها وضم الهاء ثم واو ساكنة وياء مثناة من تحتها وألف وقاف مكسورة وياء مثناة من تحتها ساكنة وميم وفى السنة الرابعة من ملكه تولى بخت نصر على بابل وكان ابتداء ولايته فى سنة تسع وسبعين وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام وتفسير بخت نصر بالعبرانية عطارد وهو سطنو سمى بذلك لتقربه العلماء والحكماء ومحبة أهل العلم واختلف المؤرخون فيه هل كان ملكا مستقلا بنفسه ام كان نائبا للفرس والاصح عند الاكثر انه كان نائبا الملك اسمه لهراسف وبين ولاية بخت نصر والهجرة الشريفة ألف وثلثمائة وتسع وستون سنة ومائة وسبعة عشر يوما وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا تسعمائة سنة فيكون الماضى من ولاية بخت نصر الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة الشريفة ألفين ومائتين وتسعا وستين سنة وأياما وفى السنة الرابعة من ملكه وهى السابعة من ملك يهوياقيم سار بخت نصر بالجيوش

الى الشام وغزا بنى اسرائيل فاستأصل منهم من العمر والسدبل ونقل الصح
فلم يحاربه يهوياقيم ودخل تحت طاعته وأبقاه بختنصر على ملكه ورجع
بنو اسرائيل الى الله تعالى وبانواع المعاصى فرد الله عليهم بختنصر وبقى
يهوياقيم تحت طاعة بختنصر ثلاث سنين ثم خرج عن طاعته وعصاه
فأرسل بختنصر وامسك يهوياقيم وأمر باحضاره اليه فمات يهوياقيم
فى الطريق من الخوف فكانت مدته نحو احدى عشرة سنة وانقضى
ملكه فى اوائل سنة ثمان لابتدا ملك بختنصر ولما أخذ يهوياقيم
المذكور الى العراق استخلف مكانه ابنه * يخنيو بفتح الياء من تحتها
والخاء المعجمة وسكون النون وضم الياء من تحتها ثم واو فأقام موضع
ابيه مائة يوم ثم أرسل بختنصر من أخذه الى بابل وأخذ معه أيضا جماعة
من علما بنى اسرائيل من جملتهم * دانيال النبى * وحزقيل النبى وهو
من نسل هارون عليه السلام وحال وصول يخنيو حبسه بختنصر ولم يبرح
مسجونا حتى مات بختنصر ولما أمسك بختنصر يخنيو نصب مكانه على
بنى اسرائيل عم يخنيو المذكور وهو * صدقيا بكسر الصاد المهملة وسكون
الدال المهملة وكسر القاف وفتح اليا المثناة من تحتها مع التشديد وبعدها
ألف واستمر صدقيا تحت طاعة بختنصر * وكان ارميا النبى عليه السلام
فى أيام صدقيا فبقى يعظه ويعظ بنى اسرائيل لما أحدثوا من المعاصى
والطغيان ويحض التوبة ويهددهم ببختنصر وهم لا يلتفتون الى وعظه
وفى السنة التاسعة من ملك صدقيا عصى على بختنصر وكان ارميا عليه
السلام قد رأى بختنصر قديما وهو صبى ادرع ورآه يأكل ويسقط
ويعمل العمل فقال له ما هذا فقال اذى يخرج ومضغه يدخل وعدو يقتل
فقال له سيكون لك شأن فأخذ ارميا من بختنصر أمانا لبيت المقدس
ومن فيها وكتب له الامان فى جلد فلما صار الملك الى بختنصر وعصى
عليه صدقيا كما تقدم قصد بختنصر بيت المقدس فلما لم يسم ونزل له
وأعلم ارميا بذلك سار اليه وأعطاه الامان فنظره وقال هذا أمانى ولكنى

مععوب

مبعوث وقد أمرت أن أرمي سهمي حيثما وقع سهمي طلبت الموضع فرمى بسهمه فوقع في قبة بيت المقدس فرجع ارميا الى أهل بيت المقدس واخبرهم بذلك ثم سار بخت نصر بالجيوش وكان معه ستمائة راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وأمر جنوده ان يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملؤه هكذا نقل البغوي في تفسيره والذي نقله الملك المؤيد صاحب حماه انه جهز العساكر وبعث الجيش مع وزيره واسمه نبوزراذان بفتح النون وضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الزاي والراء المهملة وسكون الالف وفتح الذال المعجمة وسكون الالف وبعدها نون الى حصار صدقيا بالقدس فسار الوزير بالجيش وحاصر صدقيا مدة سنتين ونصف أولها عاشر تموز من السنة التاسعة لملك صدقيا وأخذ بعد حصاره المدة المذكورة القدس بالسيف وأخذ صدقيا اسيرا وأخذ معه جملة كثيرة من بني اسرائيل واحرق القدس وخربه وطرح فيه الجيف وهدم البيت الذي بناه سليمان واحرقه واحتمل منه ثمانين عجلة ذهبا وفضة وطرحه برومية وأباد بني اسرائيل قتلا وتشديدا واعانه على خرابه الروم بغضا لبني اسرائيل فكانت مدة ملك صدقيا نحو احدى عشرة سنة وهو آخر ملوك بني اسرائيل واما من تولى بعده من بني اسرائيل بعد اعادة عمارة بيت المقدس فانما كان له الرياسة ببيت المقدس فقط فيكون انقضاء ملوك بني اسرائيل وخراب بيت المقدس على يد بخت نصر سنة عشرين من ولايته تقريبا وهي السنة التاسعة والتسعون وتسعمائة لوفاة موسى عليه السلام وهي أيضا سنة ثلاث وخمسين واربعمائة مضت من عمارة بيت المقدس وهي مدة لبثه على العمارة وهذه المرة التي ذكرها الله تعالى فقال وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرّتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار

وكان وعداً مفعولاً أي قضاءً كائناً لا خلف فيه وبين خراب بيت المقدس والهجرة النبوية ألف وثلاثمائة وخمسون سنة وقد مضى من الهجرة النبوية تسعمائة سنة فيكون الماضي من خراب بيت المقدس إلى عصرنا هذا وهو آخر سنة تسعمائة ألفين ومائتين وخمسين سنة ولما غزا بختنصر القدس وخربه وفعل ما تقدم ذكره هرب من بني إسرائيل جماعة وأقاموا بمصر عند فرعون الأعرج فأرسل بختنصر إليه يطلبهم منه وقال هؤلاء عبيدي هربوا إليك فلم يسلمهم فرعون مصر وقال ليس هم بعبيدك وإنما هم أحرار وكان هذا هو السبب لقصد بختنصر مصر وقتل فرعون الأعرج وهرب منه جماعة إلى الحجاز وأقاموا مواضع العرب واستمر بيت المقدس خراباً سبعين سنة * وعن قتادة في قوله عز وجل ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها قال هو بختنصر وأصحابه خربوا بيت المقدس وأعانهم على ذلك الروم قال الله تعالى أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين قال وهم النصارى لا يدخلون المسجد إلا مسارقة إن قدر عليهم عوقبوا لهم في الدنيا خزي قال يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون * (ذكر عمارة بيت المقدس الثانية) * لما جرى ما ذكر من تخريب بيت المقدس وبقيه على الخراب سبعين سنة عمره بعد ذلك بعض ملوك الفرس واسمه عند اليهود * كورش وقد اختلف فيه فقيل هو دارا بن بهمن وقيل هو بهمن المذكور وهو الأصح وكان كرشا مواسيا علامته على كتبه من أردشير بهمن عبد الله وخادم الله والسائس لأموركم ويسمي بهمن بالعبرانية الحسن السه وكان قد أمره الله على لسان عبده إرميا النبي صلى الله عليه وسلم أن يبني بيت المقدس ففعل ذلك وأصعد الهامين بني إسرائيل أر لعس الغار وربوا الغراس على رسومهم الأول ورجعت إليهم دولتهم وعظم محلهم عند الأمم قال الله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها وعاد البلد أحسن مما كان * وحكى بعض

المؤرخين ان الله أوحى الى اشعيا النبي عليه السلام ان كورش يعمر بيت
المقدس وذكر لفظ اشعيا الذي ذكره في الفصل الثاني والعشرين من كتابه
حكاية عن الله عز وجل وهو ان القائل لكورش راعي الذي يتمم جميع
مشياي ويقول لاوروشلم تعودي مبنية ولهيكلها كن مؤسسا هكذا
قال الرب لمسيحه كورش الذي أخذت بيمينه لتدبير الامم ويحل ظهور الملوك
سائرا افتح الابواب امامه ولا تغلق وأسهل لك الوعر واكسر أبواب
النحاس واخولك بالذخائر التي في الظلمات انتهى ولما عادت عمارة بيت
المقدس تراجع اليه بنو اسرائيل من العراق وغيره وكانت عمارته في أول
سنة تسعين لابتداء ولاية بخت نصر ولما رجع بنو اسرائيل الى القدس
كان من جملتهم عزير عليه السلام وكان بالعراق وقدم معه من بني اسرائيل
ما يزيد على الفين من العلماء وغيرهم ورتب مع عزير في القدس مائة
وعشرين شيخا من علماء بني اسرائيل وكانت التوراة قد عدمت منهم
اذ ذاك فمثلها الله في صدر العزير ووضعها لبني اسرائيل يعرفونها بحلالها
وحرامها فاحبوه حبا شديدا وأصلح العزير امرهم واقام بينهم على ذلك
ولبث مع بني اسرائيل في القدس يدبر أمرهم حتى توفي بعد مضي اربعين
سنة لعمارة بيت المقدس فتكون وفاته سنة ثلاثين ومائة لابتداء ولاية
بخت نصر واسم العزير بالعبرانية عزرا وهو من ذرية هارون بن عمران * ثم
تولى رياسة بني اسرائيل ببيت المقدس بعد العزير شمعون الصديق وهو
أيضا من نسل هارون ولما تراجع بنو اسرائيل الى القدس بعد عمارته
صار لهم حكام منهم وكانوا تحت حكم ملوك الفرس واستمروا كذلك حتى
ظهر الاسكندر ملك اليونان في سنة خمس وثلاثين واربعمائة لولاية
بخت نصر وغلب اليونان على الفرس ودخل حينئذ بنو اسرائيل تحت
حكم اليونان وبين غلبة الاسكندر على ملك الفرس وبين الهجرة الشريفة
النبوية تسعمائة واربع وثلاثون سنة ومات الاسكندر بعد غلبته لقريب
سبع سنين فيكون بين موته وبين الهجرة الشريفة تسعمائة وقريب ثمان

وعشرين سنة وقد مضى من الهجرة النبوية الى عصرنا سبعمائة سنة فيكون الماضي من وفاة الاسكندر الى آخر سنة سبعمائة من الهجرة النبوية ألفا وتسعمائة وقريب ثمان وعشرين سنة • وهذا الاسكندر ليس هو ذو القرنين الذي ذكره الله تعالى في القرآن فان ذا القرنين قديم كان على زمن ابراهيم الخليل عليه السلام وتقدم ذكره ولما دخل بنو اسرائيل تحت حكم اليونان اقام اليونان من بني اسرائيل ولاة عليهم وكان يقال للمولى عليهم هردوس • واستمر بنو اسرائيل على ذلك حتى خرب بيت المقدس الخراب الثاني وتشتت بنو اسرائيل على ما سنذكره ان شاء الله تعالى ﴿ قصة ارميا عليه السلام ﴾ قد تقدم عند ذكر صدقيا الذي هو آخر ملوك بني اسرائيل ان أرميا النبي عليه السلام كان في أيامه وكان يأمر بني اسرائيل بالتوبة ويهددهم ببخت نصر وهم لا يلتفتون اليه فلما رأى انهم لا يرجعون عما هم فيه فارقهم أرميا واختفى حتى غزاهم بخت نصر وخرب القدس كما تقدم ذكره ثم ان الله تعالى أوحى الى أرميا اني عامر بلد بيت المقدس فاخرج اليها فخرج أرميا وقدم الى القدس وهي خراب فقال سبحان الله أمرني الله ان أنزل هذه البلدة واخبرني انه عامرها فمتى يعمرها ومتى يحييها الله بعد موتها ثم وضع رأسه فنام ومعه حماره وسلة فيها طعام وهو تين وركوة فيها عصير عنب وكان من قصته ما أخبر الله تعالى به في محكم كتابه العزيز في قوله تعالى أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه أي لم يتغير وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شيء قدير وقد قيل ان صاحب القصة هو العزير والاصح انه أرميا وقد أهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل ومن ببابل وردهم جميعا الى بيت المقدس ونواحيه •

قال البغوي في تفسيره وعمر الله أرميا فهو الذي يرى في الفلوات فذلك قوله تعالى فأماته الله مائة عام ثم بعثه أي أحياه وبعثه الله على السن الذي توفاه عليه بعد مائة سنة وهو أربعون سنة ولابنه عشرون ومائة سنة ولابن ابنه تسعون سنة وأنشد في ذلك

واسود رأس شاب من قبل ابنه * ومن قبله ابن ابنه فهو أكبر
يرى ابن ابنه شيخا يجيء على عصا * ولحيته سوداء والرأس أشقر
وما لابنه حيل ولا فضل قوة * يقوم كما يمشي الصبيّ فيعثر
يعد ابنه في الناس تسعين حجة * وعشرين لا يحوى ولا يتهر
وعمر ابن أربعين أمرّها * ولابن ابنه في الناس تسعون غبر
فما هو في المعقول ان كنت داريا * وان كنت لا تدري فبالجهل تعذر

﴿فصل﴾ ولما ملك الاسكندر وقهر الفرس وعظمت مملكة اليونان صار بنو اسرائيل وغيرهم تحت طاعتهم وتوالت ملوك اليونان بعد الاسكندر وكان يقال لكل واحد منهم بطليموس فلما مات الاسكندر ملك بعده بطليموس بن الاعوش عشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس تحت أخيه واسمه عند اليهود ثلماي بثاء مثلثة مفتوحة ثم لام ساكنة ثم ميم مفتوحة وبعدها ياء آخر الحروف وهو الذي نقلت اليه التوراة وغيرها من كتب الانبياء من اللغة العبرانية الى اللغة اليونانية وكان نقل التوراة بعد عشرين سنة مضت من موت الاسكندر * ولما تولى بطليموس الثاني تحت أخيه المسمى عند اليهود ثلماي وجد جماعة من الاسارى منهم نحو ثلاثين ألفا من اليهود فأعتقهم كلهم وأمرهم بالرجوع الى بلادهم ففرحوا بذلك وأكثروا له بالدعاء الشكر فأرسل رسولا وهدايا الى بني اسرائيل المقيمين بالقدس الشريف وطلب منهم أن يرسلوا له عدة من علماء بني اسرائيل لنقل التوراة وغيرها الى اللغة اليونانية فسارعوا الى امتثال أمره ثم ان بني اسرائيل تزاحموا على الرواح اليه وبقي كل منهم يختار ذلك واختلفوا ثم اتفقوا على أن يبعثوا اليه من كل سبط من

اسباطهم ستة فبلغ ذلك من عددهم اثنين وسبعين رجلا. فلما وصلوا الى
بطلوس المذكور والمسمى عندهم تلماى أحسن قراهم وصيرهم ستا
وثلاثين فرقة وخالف بين اسباطهم وأمرهم فترجموا له ستا وثلاثين
نسخة من التوراة وقابل بعضها ببعض فوجدها مستوية لم تختلف
اختلافا يعتد به وفرق النسخ المذكورة في بلاده وبعد فراغهم من
الترجمة أكثر لهم الصلات وجهزهم الى بلادهم وسأله المذكورون
في نسخة من تلك النسخ فأسعفهم بنسخة فأخذها المذكورون وجاؤا
بها الى بني اسرائيل ببيت المقدس فنسخة التوراة المعربة لبطلوس
المسمى تلماى أصح نسخ التوراة وأشهرها وهي التوراة اليونانية التي عليها
عمل المؤرخين وأما التوراة العبرانية التي بأيدي اليهود والتوراة
السامرية فكل واحدة منهما منفردة لا عمل عليها والله أعلم ﴿ذكر سيدنا
يونس بن متى عليه السلام﴾ ومتى أبو يونس وقيل أمه والذي عليه أكثر
العلماء أنه أبوه وقد ورد في الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ونسبه
الى أبيه ولكن نقل الملك المؤيد صاحب حماة في تاريخه أن متى أمه قال
ولم يشتهر بأمه غير عيسى ويونس عليهما السلام وقيل ان يونس
من بني اسرائيل وانه من سبط بنيامين وتزوج بنت رجل من الاولياء
اسمه زكريا وكان زكريا مقيما بالرملة فأقام يونس عنده ثم بعد وفاة زكريا
توجه الى بيت المقدس يعبد الله وكانت بعثته في أيام يوثم بن عدنا هو أحد
ملوك بني اسرائيل وتقدم ذكره عند ذكر يوثم المذكور وبعث الله
يونس الى أهل نينوى وهي قبالة الموصل بينهما دجلة وكانوا يعبدون
الاصنام فنهاهم وأوعدهم العذاب في يوم معلوم ان لم يتوبوا وضمن ذلك
عن ربه عز وجل فلما أظلهم العذاب آمنوا فكشف الله عنهم وجاء يونس
ذلك اليوم فلم ير العذاب حل ولا علم بايمانهم فذهب مغاضبا ودخل
في سفينة من سفن دجلة فوقفت السفينة ولم تتحرك فقال ربانها فيكم

من له ذنب فتساهموا على من يلقونه في البحر فوقعت السهام على يونس
فرموه في البحر فالتقمه الحوت وهو مليم وسار به الآية وكان من شأنه
ما أخبر الله عنه في كتابه العزيز وملخص قصته ان الحوت التقمه وكان
يونس يسبح على قلب الحوت والحوت يقول يا يونس أسمعني تسبيح
المغمومين وهو يقول لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فتقول
الملائكة الهنا وسيدنا نسمع تسبيح مكروب كان لك شاكرا * اللهم
ارحمه في غربته وكربته قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن
ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت
من الظالمين يعني ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت قال الله تعالى
فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون * وروي انه ما قرأ
هذه الآية مكروب الا زال كربه وهي في سورة الانبياء واختلفوا في مدة
لبثه فمنهم من قال أربعين يوما وقيل ثلاثة أيام فلما انقضت المدة التي
قدرها الله له أمر الحوت أن يرده الى الموضع الذي أخذه منه فشق ذلك
على الحوت لاستئناسه بذكر الله تعالى فقيل له اقذفه فقذفه في الساحل
فذلك قوله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم واسم الحوت النون وخرج
يونس مثل الفرخ المنتوف وقد ذهب بصره وهو لا يقدر على القيام
وأنبت الله شجرة من يقطين لها أربعة آلاف غصن فكانت فراشه
وغطاءه وأمر الله الظبية فجاءته وأرضعته حتى قوي وهبط عليه جبريل
عليه السلام وسلم عليه وأمر يده على رأسه وجسده فأنبت الله لحيته
ورد عليه بصره وأوحى الله اليه بايمان قومه حين رأوا العذاب ثم هبط
اليه ملك ودفع اليه خاتمين وقال سر الى قومك فانهم يتمنونك فاتزر
بواحدة وارتدى بالاخرى وسار يونس عليه السلام واجتمع بزوجته
وولديه قبل وصوله الى قومه ثم وصل الخبر الى قومه بوصوله فوثب
الملك عن سريره وخرجوا كلهم الى يونس عليه السلام وسلموا عليه
وفرحوا به وحملوه الى المدينة فأقام فيهم يأمرهم بالمعروف وينهاهم

من العسكر بجانب الملك ومات زوجته وأولاده * وكانت وفاة يونس في سنة خمسة عشر وثمانمائة لوفاة موسى عليه السلام وقبره في قرية بالقرب من بلدة سيدنا الخليل عليه السلام وهذه القرية تسمى حلحول وهي على طريق بيت المقدس وصار على قبره مشهد وزيارة والذي بنى الزيارة الملك المعظم عيسى بولاية الأمير رشيد الدين فرج بن عبد الله المعظمي في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة وقد اشتهر أمره والناس يقصدونه للزيارة صلى الله عليه وسلم ومتى مدفون بالقرب منه بقرية يقال لها بيت امتى وكان رجلا صالحا من أهل بيت النبوة

﴿ذكر سيدنا زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام﴾ وما وقع لسيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام بعد صعوده الى السما وملخص ما وقع لزكريا ويحيى عليهما السلام أقول وبالله التوفيق ان سيدنا زكريا من ولد سليمان بن داود عليهما السلام وكان نبيا وقد ذكره الله في القرآن وكان نجارا وهو الذي كفل مريم بنت عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود وكانت أم مريم اسمها حنة وكان زكريا متزوجا بأخت حنة واسمها ايشاع وكانت زوجة زكريا خالة مريم ولذلك كفل زكريا مريم وبعد ذلك وأرسل الله جبريل عليه السلام يبشر زكريا بيحيى مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى ابن مريم ثم أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام فنفخ في جيب مريم فحملت بعيسى عليه السلام وكانت قد حملت خالتها ايشاع بيحيى وولد يحيى قبل عيسى بستة أشهر ثم ولدت مريم عيسى فلما علمت اليهود أن مريم ولدت من غير بعل اتهموا زكريا بها وطلبوه فهرب واختفى في شجرة عظيمة فقطعوا الشجرة وقطعوا زكريا معها وكان عمر زكريا حينئذ نحو مائة سنة وكان قتله بعد ولادة المسيح وكانت ولادة المسيح لمضي ثلثمائة وثلاث سنين للاسكندر وبأي تاريخ مولده فربما يكون قتل زكريا بعد ذلك بيسير * وأما يحيى ابنه فانه نبي وهو صغير ودعا الناس الى عبادة الله تعالى ولبس الشعر

واجتهد في العبادة حتى نحل جسمه وكان عيسى ابن مريم قد حرم نكاح بنت الاخ وكان هردوس وهو الحاكم على بني اسرائيل بنت أخ وأراد أن يتزوجها كما هو جائز في ملة اليهود فنهاه يحيى عن ذلك فطلبت أم البنت من هردوس أن يقتل يحيى فلم يجبها الى ذلك فعاودته وسألته البنت أيضا وألحت عليه فأجابهما الى ذلك وأمر بيحيى فذبح ووضع رأسه بين يدي هردوس * فكان الرأس يتكلم ويقول لا تحل لك واستمر غليان دمه فأمر بتراب فألقي عليه فما ازداد الا انبعاثا فبعث الله عليهم ملكا من جهة المشرق يقال له حردوس فقتل منهم على دم يحيى سبعين ألفا الى أن سكن دمه وزعم قوم ان بخت نصر هو الذي غزاهم وقتلهم على دم يحيى وليس بصحيح لان بخت نصر خرب بيت المقدس من قبل ولادة يحيى بنحو خمسمائة سنة وكان قتل يحيى قبل رفع المسيح بمدة يسيرة لان عيسى عليه السلام انما ابتدأ بالدعوة لما صار له ثلاثون سنة ولما أمره الله تعالى ان يدعو الناس الى دين النصارى غمسه يحيى في نهر الاردن ولعيسى نحو ثلاثين سنة وخرج من نهر الاردن وابتدأ بالدعوة وجميع ما لبث عيسى بعد ذلك ثلاث سنين فذبح يحيى كان قبل رفع المسيح بسنة ونصف * قال قتادة وكان رفعه بعد موته بثلاث سنين والنصارى تسمي سيدنا يحيى يوحنا المعمدان لكونه عمد المسيح كما ذكر وكان يحيى عليه السلام لا يأتي النساء لانه لم يكن له ما للرجال فلذلك سماه الله تعالى سيدا وحصورا كذا قيل وهو غير مرضي وقد تكلم القاضي عياض في الشفاء على معنى كون يحيى حصورا بما حاصله ان هذا الذي قيل نقيصة وعيب لا يليق بالانبياء وانما معناه انه معصوم عن الذنوب لا يأتيها كأنه حصر عنها أو أنه حصر نفسه عن الشهوات منعها ويأتي ذكر الخلاف في محل قبره وقبر والده زكريا عند ذكر قبر مريم عليهم السلام * وأما مريم فاسم أمها حنه زوج عمران وكانت حنة لا تلد واشتهت الولد فدعت بذلك ونذرت ان رزقها الله ولدا جعلته من خدمة

بيت المقدس فحملت حنة وهلك زوجها عمران وهي حاملة فولدت بنتا
وسمتها مريم ومعناها العابدة قال الله تعالى حكاية عن أمها وليس الذكر
كالأنثى أي لخدمة بيت المقدس لما يعتريها من الحيض والنفاس وعلم
الحق أنه عين الفرح للناس ثم حملتها وأتت بها الى المسجد ووضعتها عند
الأحبار وقالت دونكم هذه المنذورة فتنافسوا فيها لأنها بنت عمران
وكان من أعظمهم فقال زكريا أنا أحق بها لأن خالتها زوجتي فأخذها
زكريا وضمها الى اتساع حالها * ولما كبرت مريم بنى لها زكريا
غرفة في المسجد فعكفت في تلك الغرفة للعبادة وكان لا يدخل على مريم
غير زكريا فقط قال الله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها
رزقا فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف قال يا مريم
أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب *
وأرسل الله جبريل فنفخ في جيب مريم فحملت بعيسى وولدته في بيت لحم
وهي قرية قريبة من بيت المقدس سنة أربع وثلاثمائة لغلبة الاسكندر
ومن مولد سيدنا عيسى عليه السلام والهجرة الشريفة النبوية
المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ستمائة واحدى وثلاثون
سنة وقد مضى من الهجرة الشريفة الى عصرنا هذا تسعمائة سنة
فيكون الماضي من مولد المسيح الى آخر سنة تسعمائة من الهجرة
الشريفة ألفا وخمسمائة واحدى وثلاثين سنة ولما أتت مريم
بعيسى تحمله قال لها قومها لقد جئت شيئا فريا وأخذوا الحجارة ليرجموها
فتكلم عيسى وهو في المهد معلقا في ممسكها قال إني عبد الله آتاني
الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة
والزكاة * فلما سمعوا كلامه تركوها ثم إن مريم أخذت عيسى
وسارت به الى مصر وسار معها ابن عمها يوسف بن يعقوب بن ماثان
النجار وكان حكيما وزعم بعضهم أن يوسف المذكور تزوج بمريم
لكنه لم يقربها وهو أول من أنكر حملها ثم علم حقيقة أمرها وسار معها

الى مصر وأقاما بها اثنى عشرة سنة ثم عاد عيسى وأمه الى الشام ونزلا
الناصرة وبها سميت النصارى وأقام بها عيسى حتى بلغ ثلاثين سنة*
فأوحى الله اليه وأرسله للناس وسار الى الاردن وهو نهر الغور المسمى
بالشريعة فاعتمد وابتدأ بالدعوة وكان يحيى بن زكريا هو الذى
عمده كما تقدم وكان ذلك لستة أيام مضت من كانون الثانى لمضى سنة
ثلاث وثلاثين وثلثمائة للاسكندر وأظهر عيسى عليه السلام
المعجزات وأحيا ميتا يقال له عازر بعد ثلاثة أيام من موته وجعل
من الطين طائرا قيل هو الخفاش وابرأ الاكمه والابرص وكان يمشى
على الماء صلى الله عليه وسلم ﴿نزول المائدة﴾ وأنزل الله عليه المائدة *
وأوحى اليه الانجيل وكان عيسى عليه السلام يلبس الصوف
والشعر ويأكل من نبات الارض وربما تقوت من غزل امه وكان
الحواريون الذين اتبعوه اثنى عشر رجلا وهم شمعون الصفا وبطرس
وأخوه أندراوس ويعقوب بن زبدى وفيلبس وبرطولوماوس
واندريوس ومرقص ويوحنا ولوقا وتوما ومتى* وهؤلاء الذين سألوه
نزول المائدة فلما سألوه ذلك قام عيسى فألقى الصوف عنه ولبس الشعر
ووضع يمينه على شماله ووضعهما على صدره وصف بين قدميه وألصق
الكعب بالكعب والابهام بالابهام وخفض رأسه خاشعا ثم أرسل
عينيه بالبكاء حتى سالت الدموع على لحيته وجعلت تقطر على صدره*
وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا
أى تكون عطية منك لنا وعلامة بيننا وبينك وارزقنا عليها طعاما
نأكله وأنت خير الرازقين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة
فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون اليها تهوى منقضة فى الهواء وعيسى
عليه السلام يبكى ويقول اللهم اجعلنا لك من الشاكرين اللهم اجعلها
رحمة ولا تجعلها عذابا الهى كم أسئلك من العجائب فتعطينى اللهم انى أعوذ
بك أن يكون انزالها غضبا ورجزا اللهم اجعلها عافية وسلامة ولا تجعلها

فيه ولا مثله حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام والناس حوله يجدون رائحة طيبة لم يجدوا مثلها وخر عيسى عليه السلام ساجدا لله تعالى وخر الحواريون معه فبلغ اليهود ذلك فأقبلوا غما وكمدا ينظرون فرأوا أمرا عجيبا فإذا منديل مغطى على السفرة وجاء عيسى وجلس وهو يقول من أجرأنا وأوثقنا بنفسه وأحسننا عند ربه فليكشف عن هذه الآية حتى ننظر ونأكل ونسمي باسم ربنا ونحمد الله قال الحواريون أنت أولى بذلك يا روح الله وكلمته فتوضأ عيسى عليه السلام وضوءا جديدا وصلى صلاة جديدة ودعا ربه دعاء كثيرا وبكى بكاء شديدا طويلا ثم قام حتى جاء عند السفرة فإذا سمكة مشوية ليس عليها فلوس وليس لها شوك تسيل دسما وقد نضد حولها من البقول خلا الكراث وإذا عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وخمسة أرغفة على كل واحد منها زيتون وخمس رمانات وخمس تمرات قال شمعون رأس الحواريين يا روح الله وكلمته أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة * فقال عيسى ما أخوفني أن تعاقبوا قال لا وإله بني إسرائيل ما أردت بما سألتك سوءا يا ابن الصديقة قال ذلك وما عليها من السماء ليس شيء مما ترون عليها من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة وهي وما عليها شيء ابتدعه الله بالقدرة الغالبة إنما قال له كن فكان فكلوا مما سألتم واحمدوا الله ربكم يمددكم ويزدكم فإنه القادر البديع لما يشاء إذا شاء أمرا إنما يقول له كن فيكون * قال الحواريون يا روح الله وكلمته لو أريتنا اليوم آية من هذه السمكة * فقال عيسى عليه السلام يا سمكة احيي بإذن الله تعالى فاضطربت السمكة طرية تدور عيناها لها بصيص تلمظ فمها كما يتلمظ السبع وعاد عليها فلوسها ففزع القوم فقال عيسى ما لكم تسألون الشيء فإذا أعطيتموه كرهتموه فما أخوفني أن تعذبوا بهذه السمكة * ثم قال عودي كما كنت بإذن الله تعالى فعادت مشوية على حالها فقالوا كن أنت يا روح الله أول من يأكل ثم نأكل بعدك قال عيسى معاذ الله أن آكل منها إلا من طلبها

وسألها فرق الحواريون أن تكون امارات سخطة فيها مثلة فلم يأكلوا ودعا لها عيسى عليه السلام بأهل الفاقة والزمانة من العميان والمجذومين والبرصى والمقعدين وأصحاب الماء الاصفر والمجانين فقال كلوا من رزق الله ودعوة نبيكم فانه رزق ربكم فتكون المهنأة لكم والبلاء لغيركم واذكروا اسم ربكم وكلوا من رزق الله ربكم ففعلوا وصدر عن تلك السمكة والارغفة والرمانات والثمرات والبقول ألف وثلاثمائة من رجل وامرأة بين فقير جائع وزمن ومبتلى بآفة كلهم شبعان يتجشى فنظر عيسى فاذا ما عليها كهيئته حين نزل من السماء ورفعت السفرة الى السماء وهم ينظرون اليها واستغنى كل فقير أكل منها يومئذ فلم يزل غنيا حتى مات وبرئ كل زمن من زمانته فلم يزل بريئا حتى مات وندم الحواريون وسائر الناس ممن أبى ان يأكل منها حسرة وشابت منها شعورهم وكانت اذا نزلت بعد ذلك أقبلوا اليها حبورا من كل مكان يركب بعضهم بعضا الاغنياء والفقراء والرجال والنساء فلما رأى عيسى ذلك جعلها نوبا بينهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما وتغيب يوما كناقة ثمود ترعى يوما وترد يوما فلبثت كذلك أربعين صباحا تغيب يوما وتنزل يوما حتى اذا فاء الفيء طارت صعدا ينظرون اليها والى ظلها فى الارض حتى توارت عنهم * فأوحى الله الى عيسى أن اجعل مائدتى رزقا لليتامى والزمنى دون الاغنياء من الانس فلما فعل ذلك عظم على الاغنياء وأذاعوا القبيح حتى شكوا وشككوا فيه الناس ووقعت فيه الفتنة فى قلوب المرتدين قال قائلهم يا روح الله وكلمته ان المائدة لحق أنها تنزل من عند الله قال عيسى ويحكم هلكتم ان لم يرحمكم الله فأوحى الله الى عيسى انى آخذ بشرطى من المكذبين قد اشترطت عليهم انى معذب من كفر منهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين بعد نزولها * قال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين خنازير من ليلتهم

فأصبحوا يأكلون العذرات في الحشوش ويتبعون ما في الكناسة والطرق وكانوا قد باتوا أول الليل على فراشهم عند نسائهم في ديارهم بأحسن صورة وأوسع رزق فأصبح الناس يفرون إلى عيسى فرقا وخوفا من عقوبة الله تعالى وعيسى يبكي عليهم ويبكون معه عليهم * وجاءت الخنازير من بيته تمشي إليه حتى أبصرته ينظرون إليه ويشمون رائحته ويسجدون له وأعينهم تسيل دموعا لا يستطيعون الكلام * ثم قام عيسى ينادي بأسمائهم فيقول يا فلان فيقول برأسه نعم يا فلان ابن فلان قد كنت حذرتكم عذاب الله وعقوبته وكأني قد كنت أنظر إليكم فيما نزل بكم في غير صوركم * قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وقال الله تعالى لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * فسأل عيسى عليه السلام ربه أن يميتهم فأماتهم بعد ثلاثة أيام فلا وارى أحد من الناس منهم جثة في الأرض فسأل الله تعالى العافية في ذلك والله أعلم

﴿ ذكر صعود سيدنا عيسى إلى السما ﴾

ولما أعلم الله سبحانه وتعالى المسيح أنه خارج من الدنيا جزع من ذلك فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما وقال احضروني الليلة فإن لي إليكم حاجة فلما اجتمعوا بالليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويمسحها بثيابه فتعاظموا ذلك فقال من رد علي شيئا مما أصنع فليس مني فتركوه فلما فرغ قال لهم إنما فعلت هذا ليكون لكم أسوة بي في خدمة بعضكم بعضا وأما حاجتي إليكم فأن تجتهدوا في الدعا إلى الله تعالى أن يؤخر أجلي فلما أرادوا ذلك ألقى الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا الدعا وجعل المسيح يوقظهم وينبههم فلا يزدادون إلا نوما وتكاسلا وأعلموه أنهم مغلوبون على ذلك فقال المسيح سبحان الله يذهب بالراعي ويتفرق الغنم ثم قال لهم الحق أقول لكم ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح

الديك وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة ويأكل ثمني * وكان اليهود قد جدوا في طلبه فحضر بعض الحواريين الى هردوس الحاكم على اليهود والى جماعة من اليهود وقال ما تجعلون لي اذا دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فرفع الله عيسى اليه وألقى شبهه على الذي دلهم عليه فان اليهود لما قصدوه اظلمت الدنيا حتى صارت كالليل واظلمت الشمس وظهرت الكواكب وانشقت الصخور فلذلك لم يحققوا المشبه به من شدة الظلمة وحصول الارجاف * وقد اختلف العلماء في موته قبل رفعه فقيل رفع ولم يمت وقيل بل توفاه الله ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات ثم أحياه الله وتأول قائل هذا قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي * ولما أمسك اليهود الشخص المشبه به ربطوه وجعلوا يقودونه بحبل ويقولون له أنت كنت تحيي الموتى أفلا تخلص نفسك من هذا الحبل ويقصون يديه ويبصقون في وجهه ويلقون عليه الشوك وصلبوه على الخشب فمكث عليه ست ساعات ثم استوهبه يوسف النجار من الحاكم الذي على اليهود وكان اسمه فيلاطوس ولقبه هردوس ودفنه في قبر كان يوسف المذكور قد أعده لنفسه وأنزل الله المسيح من السماء الى أمه مريم وهي تبكي عليه فقال لها ان الله رفعني اليه ولم يصبني الا الخير وأمرها فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض رسلا عن الله وأمرهم أن يبلغوا عنه ما أمره الله به ثم رفعه الله اليه وتفرق الحواريون حيث أمرهم وكان رفع المسيح لمضي ثلاثمائة وست وثلاثين سنة من غلبة الاسكندر على دارهم ثم ان أربعة من الحواريين وهم متى وثلاث معه اجتمعوا وجمع كل واحد منهم انجيلا وخاتمة انجيل متى أن المسيح قال اني أرسلتكم الى الامم كما أرسلني ربي اليكم فاذهبوا وادعوا الامم باسم الأب والابن وروح القدس * وكان بين رفع المسيح ومولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة وخمس وأربعون سنة تقريبا * وعاش المسيح الى أن رفع ثلاثا وثلاثين سنة وبين رفعه والهجرة

الشمس بعد خمسمائة وثمان وتسعون سنة وقد مضى من الهجرة الشريفة
الى عصرنا تسعمائة سنة فيكون الماضي من رفعه الى آخر سنة تسعمائة
من الهجرة الشريفة ألفا وأربعمائة وثماني وتسعين سنة ونزل عليه
جبريل عليه السلام عشر مرات وأمة النصارى على اختلافهم
* وأما أمه مريم فإنها عاشت نحو ثلاث وخمسين سنة لأنها حملت به
ولها من العمر ثلاث عشرة سنة وعاشت معه ثلاثا وثلاثين
سنة ورفع وبقيت بعد رفعه ست سنين والله أعلم ويأتي ذكر دفنها
فيما بعد إن شاء الله تعالى وكان رفع المسيح من طور زيتا جبل شرقي بيت
المقدس * وروى أنه دعا الله وقت رفعه تعالى بهذا الدعا وهو دعا
مستجاب * اللهم أنت القريب في علوك المتعالي في دنوك الرفيع على كل
شيء من خلقك أنت الذي نفذ بصرك في خلقك وحسرت الأبصار دون
النظر اليك وعشيت دونك وشع لك العلى في النور أنت الذي جليت
الظلم بنورك فتباركت اللهم أنت خالق الخلق بقدرتك مقدر الأمور
بحكمتك مبدع الخلق بعظمتك القاضي في كل شيء بعلمك الذي خلقت
سبعا طباقا في الهوا بكلماتك مستويات الطباق مذعنات لطاعتك
سما عن العلو بسلطانك فأجبن وهن دخان من خوفهن فأتين طائعات بأمرك
فيهن الملائكة يسبحونك ويقدسونك وجعلت فيهن نورا يجلو الظلام
وضيا أضوا من الشمس وجعلت فيهن مصابيح يهتدى بها في ظلمات
البر والبحر ورجوما للشياطين فتباركت اللهم في مفطور سمواتك وفيما
دحيت من الأرض ودحوتها على الما فأذللت لها الما الطاهر فذل
لطاعتك وأذعن لأمرك وخضع لقوتك أمواج البحار ففجرت فيها بعد
البحار الأنهار ومن بعد الأنهار العيون الغزار والينابيع ثم أخرجت منها
الأشجار بالثمار ثم جعلت على ظهرها الجبال أوتادا فأطاعتك أطوادها
فتباركت اللهم صفاتك ومن يبلغ صفة قدرتك ومن ينعت نعتك تنزل
الغيث وتنشي السحاب وتفك الرقاب وتقضي الحق وأنت خير الفاصلين

لا إله إلا أنت إنما يخشاك من عبادك العلماء وأشهد أنك لست بإله استحدثناك ولا رب لنا يبيد ذكره ولا كان لك شركاء يقضون معك فندعوهم وندعك ولا أعانك أحد على خلقك فنشك فيك أشهد أنك أحد صمد لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفوا أحد ولم تتخذ صاحبة ولا ولدا اجعل لي من أمري فرجا ومخرجا* فلما أتمّ دعاءه رفعه الله إليه ولما ماتت أمه مريم عليها السلام دفنت بالكنيسة المعروفة بالجسمانية خارج باب الأسباط في ذيل جبل طور زيتا وهو مكان مشهور يقصده الناس للزيارة من المسلمين والنصارى واستمرّ بيت المقدس عامرا بعد رفع عيسى أربعين سنة فيكون لبثه على عمارته الثانية التي عمرها كورش سبعمائة وإحدى وعشرين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم * ﴿ذكر خراب بيت المقدس الخراب الثاني وهلاك اليهود وزوال دولتهم زوالا لا رجوع بعده﴾ لما جرى ما تقدم شرحه من رفع المسيح إلى السماء استمرّ بيت المقدس عامرا بعده أربعين سنة وتولى على بني إسرائيل جماعة من الملوك واحدا بعد واحد إلى أن ملك طيطوس الرومي وكان محل ملكه مدينة رومية من بلاد الإفرنج وفي السنة الأولى من ملكه قصد بيت المقدس وأوقع باليهود وقتلهم وأسرهم عن آخرهم إلا من اختفى وخرب بيت المقدس ونهبه وأحرق الهيكل وأحرق كتبهم وأجلى القدس من بني إسرائيل كأن لم تغن بالأمس ولم يعد لهم بعد ذلك رياسة ولا حكم وكان ذلك بعد رفع المسيح نحو أربعين سنة كما تقدم وهي لمضي ثلثمائة وست وسبعين سنة من غلبة الإسكندر ولثمانمائة وإحدى عشرة سنة مضت لابتداء ملك بخت نصر وهذه المرة التي ذكرها الله تعالى فقال فإذا جاء وعد الآخرة من إفسادكم وذلك قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع وقتلهم يحيى عليه السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم وخردوس وطيطوس حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن ديارهم فذلك قوله تعالى ليسوءوا وجوهكم بإدخال الهم والغم والحزن وليدخلوا المسجد

كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم بعد انتقامه
منكم فيرد الدولة إليكم وإن عدتم إلى المعصية عدنا إلى العقوبة * قال قتادة
فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم
صاغرون ومن هذا الخراب الثاني والهجرة خمسمائة وثمان وخمسون
سنة بالتقريب وقد مضى من الهجرة التي هي إلى عصرنا هذا تسع مائة
سنة فيكون الماضي من خراب بيت المقدس الثاني إلى آخر سنة ثمانية
من الهجرة النبوية ألفا وأربعمائة ثماني وخمسين سنة بالتقريب
وهو تاريخ تشتت اليهود في البلاد والله سبحانه وتعالى أعلم * ذكر
عمارة بيت المقدس الشريف المرة الثالثة * لما جرى ما ذكر من
تخريب طيطوس بيت المقدس وما فعله في اليهود تراجع إلى العمارة
قليلا قليلا ورمم شعثه واستمر عامرا حتى سارت هيلانة أم قسطنطين
المظفر إلى القدس وابنها قسطنطين كان ملكا في رومية ثم انتقل منها
إلى قسطنطينية وبنى سورها ومصرها وكان اسمها البزنطية فسماها
القسطنطينية وزعمت النصارى أنه بعد سنين خلت من ملكه
ظهر له من السماء شبه الصليب فأمر بالنصرانية وكان قبل ذلك
هو ومن تقدمه على دين الصابئة يعبدون أصناما على أسماء الكواكب
السبعة ولمضي عشرين سنة من ملك قسطنطين المذكور اجتمع ألفان
وثمانمائة وأربعون أسقفا ثم اختار منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا
حرموا آريوس الإسكندري لكونه يقول إن المسيح كان مخلوقا واتفق
الأساقفة المذكورون لدى قسطنطين ووضعوا شرائع النصرانية بعد
أن لم تكن وكان رئيس هذه البطارقة بطرك الإسكندرية ومن هناك
كان أصل النصرانية في الروم * وكان قبل ذلك في سنة إحدى عشرة
خلت من ملكه سارت أمه هيلانة المتقدم ذكرها إلى القدس في طلب
خشبة المسيح التي زعم النصارى أن عيسى عليه السلام صلب عليها
ولما وصلت إلى القدس أخرجت خشبة الصليب وأقامت لذلك عيد

الصليب وبنت كنيسة قمامة على القبر الذي تزعم النصارى أنّ عيسى دفن فيه وبنت المكان المقابل للقمامة المعروف يومئذ بالدركاه وكنيسة بيت لحم والكنيسة بطور زيتا بمصعد سيدنا عيسى عليه السلام وكنيسة الجسمانية التي بها قبر مريم عليها السلام وغير ذلك وخربت هيكل بيت المقدس إلى الارض وهو الذي كان في المسجد وأمرت أن يلقى في موضعه قمامات البلد وزبالته فصار موضع الصخرة الشريفة مزبلة وبقي الحال على ذلك حتى قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفتح بيت المقدس الشريف على ما سنذكره عند ذكر الفتح العمري ان شاء الله تعالى

* قال المشرف عن كعب قال كانت قبة صخرة بيت المقدس طولها في السماء اثني عشر ميلا وكان أهل أريحا وعمواس يستظلون بظلها وكان عليها ياقوتة تضيء بالليل كضوء الشمس فاذا كان النهار طمس الله ضوءها ولم تزل كذلك حتى أتت الروم فغلبوا عليها * فلما صارت في أيديهم قالوا تعالوا نبني عليها أفضل من البناء الذي كان عليها فبنوا عليها على قدر طولها في السماء وزخرفوه بالذهب والفضة فلما فرغوا من البناء دخله سبعون ألفا من رهبانهم وشمامستهم في أيديهم مجامر الذهب والفضة وأشركوا فيها فانقلبت عليهم فما خرج منهم أحد * فلما رأى ملك الروم ذلك جمع البطارقة والشمامسة ورؤساء الروم وقال لهم ما ترون قالوا نرى انا لم نرض الهنا ولذلك لم يقبل بناءه * قال وأمر به الثانية فبنوها وأضعفوا فيها النفقة ودخلوها سبعين ألفا مثل ما دخلوا أوّل مرّة ففعلوا كفعلهم فلما أشركوا انقلبت عليهم ولم يكن الملك معهم فلما رأى ذلك جمعهم ثالثة وقال لهم ما ترون قالوا لم نرض ربنا كما ينبغي فلذلك خربت ونحب أن تبني ثالثة * فبنوا الثالثة حتى اذا رأوا انهم قد اتقنوها وفرغوا منها جمع النصارى وقال هل ترون من العيب شيئا قالوا لا فكللها بصلب الذهب والفضة ثم دخلها قوم بعد ان اغتسلوا وتطيبوا فلما دخلوا أشركوا كما أشرك أصحابهم فخرّت عليهم الثالثة

فجمعهم ملكهم ثانية واستشارهم وكثر خوضهم في ذلك * فبينما هم
على ذلك إذ أقبل عليهم شيخ كبير عليه برانس سود وعمامة سودا
قد انحنى ظهره متوكئاً على عصى وقال يا معشر النصارى إليّ فإني أخبركم
شيئاً وقد خرجت من متعبدي لأخبركم أن هذا المكان قد لعن أصحابه
وأن القدس قد نزع وتحول إلى هذا المكان وأشار إلى الموضع الذي بنوا
فيه كنيسة القمامة وأنا أريكم الموضع ولن تروني بعد هذا اليوم أبداً
اسمعوا مني ما أقول لكم وأغواهم وزادهم طغياناً وأمرهم أن يغمروا
الصخرة ويبنوا بحجارتها الموضع الذي أمرهم به * فبينما هو يكلمهم
ويقول لهم ذلك إذ خفي فلم يروه وازدادوا كفراً وقالوا إنه ولي عظيما خربوا
بيت المقدس وحملوا العمد وغيرها وبنوا به كنيستهم والكنيسة التي في
وادي جهنم * وقال لهم إذا فرغتم من هذه فاتركوه واتخذوه مزبلة
لعذراتكم ففعلوا ذلك حتى كانت المرأة تطرح خرق حيضها عليه من
القسطنطينية وأقاموا على ذلك حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم
وأسري به إليها وذكر فضلها حكى ذلك صاحب مثير الغرام قال وقد تقدم
أن بخت نصر هو الذي خرب عمارة سليمان وهذا الذي رواه المشرف عن
كعب الأحبار يقتضي أن الذي خرب عمارة سليمان وتغلب عليها أعاجم
الروم وهذا غير مستقيم اللهم إلا أن يحمل ملك الفرس المتقدم الباني لها
بعد خراب بخت نصر في المكان على بنيان سليمان والله سبحانه وتعالى
أعلم «قصة الفيل» وهي أن الحبشة ملكوا اليمن بعد حمير * فلما
صار الملك إلى أبرهة منهم بنى كنيسة عظيمة وقصد أن يصرف حج العرب
إليها ويبطل الكعبة الحرام فجاء شخص من العرب فأحدث في تلك
الكنيسة فغضب أبرهة لذلك وسار بجيشه ومعه الفيل وقيل كان معه
ثلاثة عشر فيلاً ليهدم الكعبة المشرفة * فلما وصل إلى الطائف بعث
الأسود بن مقصود إلى مكة فساق أموال أهلها وأحضرها إلى أبرهة
وأرسل أبرهة إلى قريش قال لهم لست أقصد الحرب بل جئت لأهدم

الكعبة فقال عبد المطلب والله ما نريد حربه هذا بيت الله فان يمنع منه فهو بيته وحرمه وان خلى بينه وبينه فوالله ما عندنا من دافع * ثم انطلق مع رسول أبرهة اليه فلما استأذن عبد المطلب قالوا لأبرهة هذا سيد قريش فأذن له أبرهة وأكرمه ونزل عن سريره وجلس معه وسأله عن حاجته فذكر عبد المطلب أباعره التى أخذت له فقال له أبرهة انى كنت أظن انك تطلب منى انى لا أخرب الكعبة التى هى دينك فقال عبد المطلب أنا رب الاباعر فأطلبها وللبيت رب يمنعه فأمر أبرهة برد الاباعر عليه فأخذها عبد المطلب وانصرف الى قريش * ولما قرب أبرهة من مكة وتهيأ لدخولها بقى كلما أقبل فيله على مكة ينام ويرمى بنفسه الارض ولم يسر فاذا قبلوه غير مكة قام يهرول * وكان اسم الفيل محمودا فبينما هم كذلك اذ أرسل الله عليهم طيرا أبابيل أمثال الخطاطيف مع كل طائر ثلاثة أحجار فى منقاره ورجليه فقذفتهم بها * وهى مثل الحمص والعدس فلم تصب منهم أحدا الا هلك وليس كلهم أصابت ثم أرسل الله سيلا فألقاهم فى البحر * والذى سلم منهم ولى هاربا مع أبرهة الى اليمن يستدل الطريق وصاروا يتساقطون بكل منهل وأصيب أبرهة فى جسده وسقطت أعضاؤه ووصل الى صنعاء كذلك ومات * ولما جرى ذلك خرجت قريش الى منازلهم وغنموا من أموالهم شيئا كثيرا والله أعلم

* ذكر سيد الاولين والآخرين وخاتم الانبياء والمرسلين وحبيب رب العالمين البشير النذير الداعى الى الله باذنه السراج المنير *

هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر * ففهر المذكور هو قريش وكل من كان من ولده فهو قرشى ومن لم يكن من ولده فليس قرشيا وقيل سمى قريشا لشدة تشبه بدابة من دواب البحر يقال لها القرش تأكل دواب البحر وتقهرهم وقيل ان قصى بن كلاب لما استولى على البيت وجمع أشتات بنى فهر سموا قريشا لانه قرش بنى فهر أى جمعهم

حول الحرم فقيل لهم قريش وعلى هذا يكون لفظ قريش اسماً لبني فهر
لا لأبيه * وفهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس
ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان هذا هو النسب المتفق على صحته من غير
خلاف * وعدنان من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام
من غير خلاف ولكن الخلاف في عدد الآباء الذين بين عدنان واسماعيل
فعد بعضهم بينهما نحو أربعين رجلا وعد بعضهم سبعة والمختار أن عدنان
ابن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلاط بن نبت بن حمل بن قيدار بن
اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام بن تارح وهو آزر بن ناحور
ابن ساروغ بن راعو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشذ بن سام
ابن نوح عليهما السلام بن لامخ ويقال لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو
ادريس عليه السلام بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن
آدم عليه السلام * قال علماء السير كانت آمنة بنت وهب ابن عبد مناف
في حجر عمها وهيب فمضى اليه عبد المطلب بن هاشم بابنه عبد الله وخطب
منه آمنة فعقد عليها نكاحه ودخل بها فحملت بسيد العالم وأشرف بني
آدم * ثم خرج عبد الله الى الشأم وعاد فمر بالمدينة وهو مريض فأقام عند
اخواله بني عدي ابن النجار مدة شهر * وتوفي ودفن في دار النابغة وهو
رجل من بني عدي بن النجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ابن
شهرين * وقيل كان حملا وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين
لعشر ليال خلون من ربيع الاول * وقيل لاثني عشر عام الفيل وكان قدوم
أصحاب الفيل قبل ذلك في نصف المحرم وهذا مذهب بعضهم * وبين الفيل
وبين مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس وخمسون ليلة وهي سنة
ستة آلاف ومائة وثلاث وستين سنة من هبوط آدم عليه السلام على
حكم التوراة اليونانية المعتمدة عند المؤرخين * ولد صلى الله عليه وسلم
مختونا مسرورا ففرح به عبد المطلب وحظي عنده وقال ليكونن لابني
هذا شأن عظيم وكان له شأن وأي شأن صلى الله عليه وسلم * وحلى لله

من الأنبياء أربعة عشر مختونين وهم آدم وشيث ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب ويوسف وموسى وسليمان وزكريا ويحيى وحنظلة ابن صفوان من أصحاب الرس ونبينا صلى الله عليه وسلم * وأولوا العزم من الرسل خمسة وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل غير ذلك * وأول الرسل عليهم السلام آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم * ومن الانبياء أربعة سريانيون وهم آدم وشيث وخنوخ وهو ادريس وهو أول من خط بالقلم ونوح * وأربعة من العرب * هود وشعيب وصالح ومحمد صلى الله عليه وسلم * وأول أنبياء بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى * وأما أسماؤه صلى الله عليه وسلم فهي ثلاثة وعشرون اسما محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب والمقفي ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم والشاهد والمبشر والنذير والضحوك والقتال والمتوكل والفاتح والامين والخاتم والمصطفى والرسول والنبي الامي والقثم * قال ابن الجزري وذكر غيره اسماء كثيرة منها طه ويس والمزمل والمدثر والرسول وله اسماء غير ذلك وفيما ذكرته كفاية طلبا للاختصار * وأول من أرضعته صلى الله عليه وسلم ثويبة بلبن ابن لها يقال له مسروح أياما وكانت أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب فهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة * ثم قدمت حليمة الى مكة فأخذته ومضت به الى بلادها وهي بادية بني سعد وأتاه الملكان هناك فشقا بطنه واستخرجا علقة سوداء فطرحاها وغسلا بطنه بماء الثلج في طست من ذهب والقصة مشهورة فلما علمت حليمة بذلك رجعت به الى مكة لاهله وهو ابن خمس وتوفيت امه آمنة وله ست سنين * ولما صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر سنة وشهران ارتحل به أبو طالب الى الشأم * فلما نزل بصرى من أرض الشأم وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغمامة تظلله من بين القوم ورأى فيه أمارات النبوة فبشر به وقال لابي طالب ان لابن أخيك شأنا عظيما

* وشب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ وكان أعظم الناس مروءة وحلما وأحسنهم جوارا وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة حتى صار اسمه في قومه الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة وفي سنة خمس وعشرين من مولده تزوج خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ولها أربعون سنة ولم يتزوج غيرها حتى ماتت * ولم يتزوج بكرا غير عائشة * وولدت له خديجة أولاده كلهم إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية ويأتي ذكر مولده ووفاته وبقية أولاده من خديجة * وهم زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهرا والقاسم وبه كان يكنى * توفي بمكة وله من العمر سنة * والطاهر وهو عبد الله * توفي بمكة بعد النبوة قبل الهجرة * والطيب توفي بمكة وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن معه * فرقية ماتت في سنة اثنتين من الهجرة * وز في سنة ثمان من الهجرة * وأم كلثوم ماتت بعد مرجع النبي صلى عليه وسلم من حجة الوداع * وفاطمة ماتت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر وقيل أقل من ذلك * وروى [illegible] رضي الله عنها أسقطت سقطا اسمه عبد الله وفي سنة خمس وثلا من مولده صلى الله عليه وسلم هدمت قريش الكعبة * وَ هدمها أنها كانت قصيرة البنا فأرادوا رفعها وسقفها فهدموها ثم [illegible] حتى بلغ البنيان موضع الحجر الأسود فاختصموا فيه لأن كل قبيلة أرادت رفعه إلى موضعه ثم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل من باب الحرم * وكان أول من دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا ا الأمين رضيناه وأخبروه الخبر فقال هلموا إلي ثوبا فأتي به فأخذ الحجر ووضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده الشريفة صلى عليه وسلم ثم أتموا بناء الكعبة والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ ذكر * مبعثه صلى الله عليه وسلم وابتدا الوحي إليه ﴾ بعث رسول

صلى الله عليه وسلم ونزل عليه الوحي وهو ابن أربعين سنة وكان يوم الاثنين لثماني عشرة ليلة خلت من رمضان وأول ما بدأ به من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتعبد فيه فجاءه الملك واقرأه كما في الحديث الشريف والقصة مشهورة فعاد الى خديجة وأخبرها الخبر فانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل فأخبرته خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجيّ هم قال نعم لم يأت رجل بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي * ثم كان أوّل ما نزل عليه من القرآن بعد اقرأ باسم ربك ن والقلم وما يسطرون ويا أيها المدثر والضحى وأوّل من آمن به من النساء خديجة زوجته * ثم أوّل شيء فرض الله عليه من شرائع الاسلام بعد الاقرار بالتوحيد والبراءة من الاوثان الصلاة أتاه جبريل فعلمه الوضوء والصلاة * ورميت الشياطين بالشهب لمبعثه * وأسلم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وكان عمره احدى عشرة سنة * ثم أسلم زيد بن حارثة * ثم أسلم أبو بكر رضي الله عنه * وقيل انه أوّل من أسلم وأسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا وصلوا وكان هؤلاء النفر هم الذين سبقوا الى الاسلام فأسلم بعدهم من أسلم وأمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما يؤمر وان يظهر دعوته وكان قبل ذلك في السنين الثلاث مستترا بدعوته لا يظهرها الا الى من يثق به وكان أصحابه اذا أرادوا الصلاة ذهبوا الى الشعاب فاستخفوا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صدع بأمر الله تعالى وأمر قومه بالاسلام فكان المشركون يحصل منهم الضرر

المستضعفين من المسلمين فمن لا عشيرة له تمنعه يعذبونه بالقائه فى الرمضاء على ظهره وقت الظهيرة وبالقاء الصخرة العظيمة على صدره ويقال له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى وكانوا يفعلون بهم غير ذلك من أنواع التعذيب ومن المسلمين من أمن بقتل المشركين وكان بعض المشركين يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستهزئ به * ثم أسلم حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم فعرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه * ثم أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأعز الله باسلامه الدين وقال يا رسول الله ألسنا على الحق قال أى والذى بعثنى بالحق قال أما والذى بعثك بالحق فلا يعبد الله بعد اليوم الا جهرا فأظهر الله الدين باسلامه * الهجرة الاولى * لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء أمرهم أن يخرجوا الى أرض الحبشة فخرج جماعة منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدموا على النجاشى وكان ملكا عادلا اسمه أصحمة ومعناه بالعربى عطية فأكرمهم وأقاموا عنده بخير وقد أسلم النجاشى بعد ذلك وكان السبب فى ولايته عليهم بعد قتل أمير الحبشة أن أباه كان أميرا عليهم فكرهوه وكان له أخ فقصدوا ولايته عليهم بدل أخيه فقتلوه وقصدوا قتل النجاشى فقال لهم عمه أنتم قتلتم أباه فلا تقتلوه أخرجوه من بلادكم فأخذوه الى البحر وأرسلوه فباعوه ورجعوا الى بلادهم فوجدوا عمه مات فقالوا ذلك من خطيئة النجاشى فأدركوه وأتوا به ليكون أميرا مكان أبيه فجاءوا به أميرا مكان أبيه فأول ما حكم ان الذين اشتروه قالوا ان هؤلاء باعونا عبدا وأخذوا ثمنه فقال لهم اما أن تعطوهم ما أخذتم منهم واما أن يسلموه عندهم فهذا أول حكمه ثم

* ثم بعد ذلك وقع من الحبشة بغض على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هؤلاء لهم دين غير ديننا فأرسل وراءهم وقال لهم

ما تقولون

مائة ونزل في عيسى ابن مريم فقالوا نؤمن به ونصدقه فيما جاء به فقال للحبشة مائة ونزل في نبيهم فلم يؤمنوا به فقال لهم هؤلاء يؤمنون بنبيكم وأنتم لا تؤمنون بنبيكم فأنتم الآن طلقة فكل منكم على دينه ولا أحد منكم يعارض هؤلاء فاستمروا في بلاده مدة وعادوا الى أوطانهم * ومات النجاشي فقال النبي صلى الله عليه وسلم مات اليوم رجل صالح فصلوا على أخيكم أصحمة فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ﴿ أمر الصحيفة ﴾ ولما رأى المشركون ان الاسلام ينمو ويزيد ائتمروا ان يكتبوا بينهم كتابا يتعاقدون فيه على ان لا ينكحوا بني هاشم وبني المطلب ولا ينكحوا منهم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم وكتبوا لذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة الشريفة واقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس سرا وجهرا والوحي يتتابع * ثم قام نفر من قريش وتعاهدوا على نقض الصحيفة ووقع بينهم الخلاف فقام مطعم ابن عدي الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد اكلتها الا ما كان باسمك اللهم كانت قريش تستفتح بها كتابها واكلت الارضة ما فيها من ظلم وقطع رحم وتركت ما فيها من اسم الله تعالى * وكان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فاجتمع قريش واحضروا الصحيفة فوجدوا الامر كما قاله فنكسوا رؤسهم واتفق جماعة من قريش ونقضوا ما تعاهدوا عليه في الصحيفة من قطيعة بني هاشم وبني عبد المطلب والله أعلم

﴿ قصة المعراج وما وقع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بالمسجد الاقصى ﴾

لما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم وانزل عليه الوحي وأمره باظهار دينه وايده بالمعجزات الظاهرات والآيات الباهرات أسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس من ايليا * وقد فشا الاسلام في قريش وفي القبائل كلها * وكان الاسراء ليلة سبع عشرة من ربيع الاول قبل الهجرة بسنة وقال ابن الجوزي وقد قيل كان في ليلة سبع

وعشرين من شهر رجب واختلف الناس في الاسرا برسول الله صلى الله عليه وسلم * فقيل انما كان جميع ذلك في المنام والحق الذي عليه الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه اسرى بجسده صلى الله عليه وسلم يقظة لان قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس يدل على ذلك ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير ممن كان اسلم * وقال الكفار يزعم محمد انه أتى بيت المقدس ورجع الى مكة في ليلة واحدة والعير تطرد اليه شهرا مقبلة وشهرا مدبرة فلو كانت رؤيا نوم لم يستبعد ذلك منه * قال ابن عباس رضي الله عنهما هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام وقال الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فوصف الامر بالبصر وقال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها * واختلف السلف والخلف هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسرا فانكرته عائشة رضي الله عنها وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال رآه بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة والامام أحمد بن حنبل * وحكى النقاش عن الامام أحمد انه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآ رآه رآه حتى انقطع نفس الامام احمد * واختلفوا في ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه عز وجل ليلة الاسرا فذكر عن جعفر بن محمد الصادق انه قال أوحى الله اليه بلا واسطة والى هذا ذهب بعض المتكلمين وقال ان محمدا كلم ربه في ليلة الاسرا وحكوه عن ابن عباس وابن مسعود * واختلف في المكان الذي اسري به منه فيروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال بينا أنا نائم في بيت ام هاني بنت أبي طالب وفي رواية بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا ومنهم من قال بينما أنا بين النائم واليقظان وكانت ليلة الاثنين اذ هبط علي الامين جبريل عليه السلام وذكر القصة * وكان من حديث المعراج المشرف

ما روى

ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين * وفي رواية فلما دخلت المسجد اذا أنا بالانبياء والمرسلين قد حشروا الي من قبورهم ومثلوا لي وقد قعدوا صفوفا صفوفا ينتظروني ليسلموا علي فقلت يا جبريل من هؤلاء القوم قال اخوانك الانبياء والمرسلون * زعمت قريش ان لله شريكا وزعمت النصارى ان لله ولدا اسأل هؤلاء النبيين هل كان لله شريك ثم قرأ واسئل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون * قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر في كتاب التنزيل له ان هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ببيت المقدس ليلة الاسراء وقد عدها غيره من العلماء في الشامي والذي قاله أبو القاسم احسن مما ذكروه * فلما نزلت وسمعها الانبياء عليهم السلام اقروا لله عز وجل بالوحدانية * قال عليه الصلاة والسلام ثم جمعهم جبريل وقدمني فصليت بهم ركعتين * قال صلى الله عليه وسلم ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة * ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بآدم عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير * ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا أنا بيوسف عليه السلام واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير * ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا أنا بادريس فرحب بي ودعا لي

بخير * ثم عرج بنا الى السما الخامسة فذكر مثله فاذا أنا بهارون فرحب
بي ودعا لي بخير * ثم عرج بنا الى السما السادسة فذكر مثله فاذا أنا بموسى
فرحب بي ودعا لي بخير * ثم عرج بنا الى السما السابعة فذكر مثله فاذا أنا
بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون
ألف ملك لا يعودون اليه * ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها
كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها
تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فأوحى الله الي
ما أوحى * ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة * فنزلت الى موسى
فقال ما فرض ربك عليك وعلى أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع
الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت
بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي
فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان أمتك
لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع
بين ربي تعالى وبين موسى حتى صارت خمس صلوات قال ان أمتك
لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال يا محمد انهن خمس
صلوات في اليوم والليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم
بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة
فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة * قال فنزلت حتى
انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت
منه * وفي رواية يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلف اليه قال
بسم الله فاهبط * قال صلى الله عليه وسلم ثم حملني جبريل حتى أنزلني على
جبل بيت المقدس واذا أنا بالبراق واقف على حاله في موضعه فسبحت
الله راكبا وثبت على ظهره فما كان باسرع من أن أشرفت على مكة ومعي
جبريل * قال صلى الله عليه وسلم لما كان صبيحة ليلة الاسرا أصبحت

بمكة متحيرا في امري وعلمت ان الناس يكذبوني فقعدت معتزلا حزينا
الى ناحية من نواحي المسجد فمر بي أبو جهل عدو الله فجاء حتى جلس
١٨ الي فقال كالمستهزئ هل كان من شيء يا محمد فقلت نعم قال وما هو قلت اني
اسري بي الليلة قال الى أين قلت الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين
اظهرنا قلت نعم فقال أبو جهل يا معشر قريش يا معشر بني كعب يا معشر
بني لؤي هلموا فانقضت المجالس وجاؤا حتى جلسوا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال أبو جهل حدث قومك يا محمد بما حدثتني فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني أسري بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت
المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم فبقي منهم المتعجب ومنهم
المصفق ومنهم الواضع يده على ام رأسه * ثم قالوا هل تستطيع ان تنعت
لنا بيت المقدس قلت نعم قال فذهبت انعته حتى التبس علي بعض
النعت لكوني دخلته ليلا فجيء بالمسجد انظر اليه حتى وضع دون دار
عقيل فجعلت انظر اليه واخبرهم عن آياته قال صلى الله عليه وسلم وآية
ذلك أني مررت بعيري فلان بوادي كذا وكذا فنفرهم حس الدابة
فند لهم بعير فدللتهم عليه * ثم أقبلت حتى اذا كنت بضجنان
مررت بعيري فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد
غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه
كما كان وان عيرهم الآن تصوب من البيضاء ثنية التنعيم يقدمها جمل
أورق عليه غرارتان احداهما سوداء والاخرى برقاء فابتدر القوم الثنية
فلم يلقهم أولا الا الجمل الذي وصف لهم وسألوهم عن الاناء فاخبروهم
انهم وضعوه مملوءا ماء ثم غطوه وانهم افتقدوه من الليل فوجدوه كما غطوه
ولم يجدوا فيه ماء وسألوا القوم الذين ند لهم البعير فقالوا صدق والله لقد
ند لنا بعير بالوادي الذي ذكره فسمعنا صوت رجل يدعونا اليه وانه لأشبه
الاصوات بصوت محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فمشينا حتى اخذناه
وذهب الناس الى أبي بكر فقالوا هل لك يا أبا بكر في صاحبك انه يزعم انه

قد جا هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة فقال أبو بكر رضي الله عنه والله لئن كان قال ذلك لقد صدق فما يعجبكم من ذلك فوالله إنه ليخبرني عن الوحي من الله يأتيه من السما إلى الأرض في ساعة واحدة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أحدثت هؤلا أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال صدقت فصفه لي يا نبي الله فإني جئته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لي حتى نظرت إليه وجعل يصفه لأبي بكر وهو يقول صدقت أشهد أنك رسول الله حتى انتهى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت يا أبا بكر الصديق فسمي من ذلك اليوم صديقا قال الله تعالى والذي جا بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ثم أنزل الله سورة النجم تصديقا له صلى الله عليه وسلم ثم توفي أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخديجة رضي الله عنها قبل الهجرة الشريفة وماتت خديجة قبل أبي طالب بخمسة وثلاثين يوما وقيل بخمسة وعشرين يوما وقيل بثلاثة أيام فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بموتهما وقال ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب وذلك أن قريشا وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته وتزوج بعد خديجة عائشة رضي الله عنها ولها ست سنين وتزوج سودة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قبائل العرب يلتمس منهم نصرته والقيام معه على من خالفه ويدعوهم إلى الله فلم يجيبوه (ابتدا أمر الأنصار) ولما أراد الله إظهار دينه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الموسم يعرض نفسه على القبائل كما كان يفعل فبينما هو عند العقبة إذ لقي رهطا من الخزرج فدعاهم إلى الله تعالى فأجابوه وصدقوه وانصرفوا راجعين إلى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم (بيعة العقبة الأولى) فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار

اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة وبايعوه أن لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب ابن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام فنزل بالمدينة

﴿بيعة العقبة الثانية﴾ ولما فشا الاسلام في الانصار اتفق جماعة منهم على المسير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفين فساروا في ذي الحجة مع كفار قومهم واجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ووعدوه أوسط ايام التشريق بالعقبة فلما كان الليل خرجوا حتى اجتمعوا بالعقبة وهم سبعون رجلا معهم امرأتان وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا القرآن ثم قال أبايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأولادكم ودار الكلام بينهم واستوثق كل فريق من الآخر ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان قتلنا دونك ما لنا قال لكم الجنة قالوا فابسط يدك فبسط يده فبايعوه ثم رجعوا الى المدينة وكان قدومهم في ذي الحجة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية ذي الحجة والمحرم وصفر والله أعلم

﴿ذكر الهجرة الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام﴾

وهي ابتداء التاريخ الاسلامي أما لفظة التاريخ فانها محدثة في لغة العرب لانه لفظ معرب من ماه روز لانّ عمر رضي الله عنه قصد التوصل الى الضبط من رسوم الفرس فاستحضر الهرمزان وسأله عن ذلك فقال ان لنا حسابا نسميه ماه روز ومعناه حساب الشهور والايام فعربوا الكلمة فقالوا مؤرخ ثم جعلوا اسمه التاريخ واستعملوه ثم طلبوا وقتا يجعلونه أولا لتاريخ دولة الاسلام واتفقوا على ان يكون المبدأ سنة هذه الهجرة فكانت هذه الهجرة من مكة الى المدينة شرفها الله تعالى وقد تصرم من شهور هذه السنة وأيامها المحرم وصفر وثمانية أيام من ربيع الأول فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقرى ثمانية وستين يوما وجعلوا مبدأ التاريخ أول المحرم من هذه السنة ثم أحصوا من أول

يوم المحرم الى آخر يوم من عمر النبي صلى الله عليه وسلم فكان عشر سنين وشهرين واياما واذا حسبت عمره من الهجرة فيكون قد عاش بعدها تسع سنين واحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما * واما التواريخ القديمة فكانت الامم السالفة تؤرخ بالاحداث العظام وبملك الملوك فأرخوا بهبوط آدم ثم ببعث نوح ثم بالطوفان وأرخ بنوا اسحاق بنار ابراهيم الى يوسف ومن يوسف الى مبعث موسى الى ملك سليمان بن داود ثم بما كان من الكوائن ومنهم من أرخ بوفاة يعقوب عليه السلام ثم بخروج موسى من مصر ببني اسرائيل ثم بخراب بيت المقدس واما بنوا اسماعيل فأرخوا ببناء الكعبة ولم يزالوا يؤرخون بذلك حتى تفرقوا وكان كل من خرج منهم من تهامة يؤرخ بخروجه ثم أرخوا بعام الفيل ثم ارخوا بايا الحروب وكانت حمير يؤرخون بملوكهم التبابعة واما اليونان والر فأرخوا بظهور الاسكندر واما القبط فكانوا يؤرخون بملك

واما المجوس فكانوا يؤرخون بقتل دارا وظهور الاسكندر ثم بظهو اردشير ثم بملك يزدجرد وولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والعر تؤرخ بعام الفيل ولم يزل التاريخ كذلك الى ان ولي عمر بن الخطا رضي الله عنه الخلافة فقرر الامر على أن يؤرخوا بهجرة النبي صلى عليه وسلم من مكة الى المدينة فجعلوا التاريخ من المحرم أول عام وقد ورد في حديث المعراج الشريف ان جبريل قال للنبي صلى وسلم حين اسري به انزل فصل هنا ففعل فقال أتدري أين بطيبة واليها المهاجرة * واما ما كان من حديث الهجرة فان رسول ا صلى الله عليه وسلم هاجر الى المدينة في شهر ربيع الاول وأمر أصـ بالمهاجرة الى المدينة فخرج جماعة بتابع الصحابة ثم هاجر عمر بن ا رضي الله عنه وأقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر ما يؤمر وتخلف معه أبو بكر وعلي رضي الله عنهما واجتمعت قريش في يقتلوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنجاه الله من مكرهم وأنزل عليه

في ذلك وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية وأمره بالهجرة فأمر عليا أن يتخلف عنه ويؤدي ما عنده من الودائع لأربابها ثم خرج هو وأبو بكر إلى غار ثور وهو جبل أسفل مكة فأقاما فيه ثم خرجا بعد ثلاثة أيام وتوجها إلى المدينة وقدماها الاثنى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى وكان يوم الاثنين الظهر فنزل بقباء وأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء وأسس مسجد قباء وهو الذي نزل فيه لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال ثم خرج من قباء يوم الجمعة وأدركته الجمعة في بني عمرو بن عوف فصلاها في المسجد الذي ببطن الوادي وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة * فولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وهاجر يوم الاثنين * وقبض صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واختلف العلماء في مقامه بمكة بعد أن أوحى الله إليه فقيل عشر سنين وقيل ثلاثة عشر سنة وهو الصحيح ولعل الذي قال عشر سنين أراد بعد إظهار الدعوة فإنه بقي ثلاث سنين يسرّها والله أعلم

﴿ ذكر بناء المسجد الشريف النبوي ﴾ على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحل من قباء يريد المدينة فمرّ على دار من دور الأنصار إلا قالوا هلم يا رسول الله إلى العدد والعدة ويعترضون ناقته فيقول خلوا سبيلها فإنها مأمورة حتى انتهت إلى موضع مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فبركت هنالك فنزل عنها النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ أبو أيوب الأنصاري الناقة إلى بيته * وكان موضع المسجد مربدا للتمر لسهل وسهيل ابني عمرو يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت ناقته هذا إن شاء الله المنزل ثم دعا الغلامين فساومهما المربد ليتخذه مسجدا فقالا لا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا * وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنائه * وقيل بل كان الموضع لبني النجار وكان فيه قبور المشركين وخرب ونخل فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يشتريه من

بني النجار فقال لهم يا بني النجار ثامنوني بحائطكم فقالوا لا نطلب ثمنه إلا إلى الله فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطع * قال فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه حجارة وجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول * اللهم لا عيش إلا عيش الآخره * فانصر الأنصار والمهاجره * وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبي أيوب حتى بنى مسجده ومساكنه * وكان قبله يصلي حيث أدركته الصلاة وبناه هو والمهاجرون والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين * وكان المسجد الشريف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل فلم يزد أبو بكر فيه شيئا وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا ثم غيره عثمان بن عفان رضي الله عنه في خلافته فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج * ثم لما صارت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك الذي عمر مسجد دمشق استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكتب إليه في سنة سبع وثمانين من الهجرة الشريفة يأمره بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن وأن يدخل البيوت في المسجد بحيث يصير مساحة المسجد مائتي ذراع في مائتي ذراع وأن يضع أثمان البيوت من بيت المال فأجابه أهل المدينة إلى ذلك وقدم الصناع من عند الوليد لعمارة المسجد فتجرد لذلك عمر بن عبد العزيز وبنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخل فيه ما حوله من المنازل * ثم لما صارت الخلافة لبني العباس وولها المهدي أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور وسع المسجد الشريف وزاد فيه وحمل إليه العمد الرخام ورفع سقفه وألبس خارج الجدر الشريف الرخام * وذلك في سنة سبع وستين ومائة

وأمر بتقصير المنابر فى البلاد وجعلها بمقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عمر فى المسجد الشريف جماعة من ملوك الاسلام من الخلفاء والسلاطين وجددوا فيه اشياء من المحاسن * وكان قد احترق المسجد الشريف فى زمن الملك الظاهر بيبرس رحمه الله فاهتم بعمارته ووضع الدرابزينات حول الحجرة الشريفة وعمل فيه منبرا وسقفه بالذهب * ثم فى عصرنا جرت حادثة وهى فى ليلة الثالث عشر من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة وقعت صاعقة بالليل فى المدينة الشريفة احترق منها المسجد الشريف النبوى والحجرة الشريفة وجميع ما بالمسجد الشريف من المصاحف والكتب وغير ذلك ووردت الاخبار بذلك الى السلطان الملك الاشرف قايتباى وكتب أهل المدينة الشريفة محضرا بما وقع وجهزوه الى القاهرة فى اسرع وقت وجزع الناس لذلك ثم اهتم السلطان بعمارته وأقام فى ذلك اعظم قيام وأنشأه وجدد عمارته فجاءت فى غاية الحسن ولله الحمد والمنه * واما المسجد الشريف فله أربعة أبواب من جهتى المشرق والمغرب فى جهة المشرق باب جبريل وباب النساء ومن جهة المغرب باب السلام وباب الرحمة * وعليه خمس منابر أربعة قديمة والخامسة مستجدة بمدرسة السلطان الملك الاشرف قايتباى * وقد وقف السلطان المشار اليه على المدينة الشريفة أوقافا كثيرة أكثرها عقارات بالقاهرة ورتب قمحا يحمل اليها فى كل سنة يصرف لاهلها والواردين اليها وكان ذلك فى سنة ثمان وثمانين وثمانمائة عند انتهاء عمارة المسجد الشريف * وانما ذكرت هذه الحوادث هنا استطرادا على وجه الاختصار لتعلقها بالمسجد الشريف * ولنرجع الى ذكر أخبار الهجرة الشريفة * فأقول وبالله التوفيق ولما أقام النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة الشريفة فى السنة الاولى من هجرته صلى الله عليه وسلم بنى بعائشة رضى الله عنها فى شهر ذى القعدة وهى بنت تسع سنين وفيها كانت المواخاة بين المسلمين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأخذ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخا وصار أبو بكر وخارجة بن زيد بن أبي زهير الأنصاري أخوين وتواخى أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك وسعيد بن زيد وأبي بن كعب الأنصاري رضي الله عنهم * وفيها كانت غزوة الأبواء وهي أول غزواته ثم غزوة بواط ثم غزوة العشيرة * ثم دخلت السنة الثانية من الهجرة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وكان تحويل القبلة من صخرة بيت المقدس الشريف إلى المسجد الحرام قال الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره * وروى الليث عن يونس عن الزهري قال لم يبعث الله نبيا منذ هبط آدم إلى الأرض إلا جعل قبلته صخرة بيت المقدس وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن أول ما نسخ من القرآن القبلة وذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة إلى الكعبة فلما هاجر إلى المدينة أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم مع ما يجدون من نعته في التوراة فصلى بعد الهجرة الشريفة ستة عشر أو سبعة عشر شهرا إلى بيت المقدس وكان يحب أن يوجه إلى الكعبة لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام فأنزل الله عليه الآية وأمره باستقبال الكعبة ولما حولت القبلة كان النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد القبلتين في بني سلمة وكان يصلي فيه الظهر إلى بيت المقدس وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين وعن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته البيت وإنه صلى الله عليه وسلم أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلوا معه

فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع النبي
صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كلهم وجوههم قبل البيت *
وكانت اليهود قد اعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس
فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك * وقال البراء في حديثه هذا انه
مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله
عز وجل وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم * وكان
تحويل القبلة في يوم الثلاثاء منتصف شهر شعبان * وقيل في رجب بعد
زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين من السنة الثانية من الهجرة
الشريفة على صاحبها افضل الصلاة والسلام * وفيها اعني في السنة
الثانية في شعبان فرض صوم شهر رمضان وأمر الناس باخراج زكاة
الفطر قبل الفطر بيوم أو بيومين وصام صلى الله عليه وسلم تسع رمضانات
اجماعا * وفيها رأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصاري صورة الاذان
في النوم وورد الوحي به * وفيها تزوج علي رضي الله عنه بفاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله سبحانه وتعالى عقد عقد فاطمة
لعلي في السماء فنزل الوحي بذلك فجمع الصحابة لذلك وأرسل وراء علي بن
أبي طالب وأخبره بالخبر فعقد النبي صلى الله عليه وسلم عقد علي على
فاطمة فقيل لعلي أولم يا علي فنزل بدرعه ليبيعه فعرفه عبد الرحمن فاشتراه
بألف درهم ودفعها لعلي ثم أوهبه الدرع * وفيها كانت غزوة بدر
الكبرى التي اظهر الله بها الدين وسببها قتل عمرو بن الحضرمي واقبال
أبي سفيان بن حرب في عير لقريش عظيمة من الشأم * وفيها اموال كثيرة
فانتدب المسلمون بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وخرجوا اليهم فبلغ
أبا سفيان ذلك فبعث الى مكة وأعلم قريشا بذلك فخرج المشركون من مكة
وكانت عدتهم تسعمائة وخمسين رجلا فيهم مائة فرس وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المدينة ومعه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا لم يكن
فيهم الا فارسان وكانت الابل سبعين يتعاقبون عليها ونزل في بدر وبني له

عريش وجلس فيه ومعه أبو بكر وأقبلت قريش فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تكذب رسولك * اللهم فنصرك الذي وعدتني به ولم يزل كذلك والتقى الصفان وتزاحف القوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم معه أبو بكر في العريش وهو يدعو ويقول * اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض * اللهم أنجز لي ما وعدتني به ولم يزل كذلك حتى سقط رداؤه فوضعه أبو بكر عليه وخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انتبه فقال ابشر يا أبا بكر فقد أتى نصر الله ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش يحرض المسلمين على القتال وأخذ حفنة من الحصباء رمى بها قريشا وقال شاهت الوجوه وقال لاصحابه شدوا عليهم فكانت الهزيمة على المشركين * وكانت الوقعة صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان * وحمل عبد الله بن مسعود رأس أبي جهل بن هشام الى النبي صلى الله عليه وسلم فسجد شكرا لله تعالى * ونصر الله نبيه بالملائكة قال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وكانت عدة قتلى بدر من المشركين سبعين رجلا والاسرى كذلك وكان من جملة الاسرى العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انقضى القتال أمر النبي صلى الله عليه وسلم بسحب القتلى الى القليب وكانوا أربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا فيه وجميع من استشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا وعاد النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكانت غيبته تسعة عشر يوما وماتت ابنته رقية زوجة عثمان في غيبته وكان عثمان تخلف في المدينة بأمره صلى الله عليه وسلم لتمريضها * وفيها هلك أبو لهب ثم كانت غزوة بني قينقاع من اليهود وأمر باجلائهم * ثم كانت غزوة السويق ثم غزوة قرقرة الكدر وقرقرة الكدر ماء مما يلي جادة العراق الى مكة وقتل كعب بن الاشرف اليهودي

بأمر النبي صلى الله عليه وسلم * ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة
الشريفة وفيها كانت غزوة بني النضير من اليهود وكانت على رأس ستة
أشهر من بدر قبل أحد فأجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم وحرق نخيلهم *
وفيها كانت غزوة أحد وسببها وقعة بدر فاجتمع المشركون وكانوا ثلاثة
آلاف فيهم سبعمائة دارع ومائتا فارس وقائدهم أبو سفيان وساروا من
مكة حتى نزلوا ذا الحليفة مقابل المدينة يوم الأربعاء لأربع مضين من
شوال وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ألف من الصحابة إلى أن صار
بين المدينة وأحد ونزل الشعب من أحد * ثم كانت الوقعة يوم السبت
لسبع مضين من شوال وعدة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبعمائة وفيهم مائة دارع ولم يكن معهم من الخيل سوى فرسين والتقى
الناس ودنا بعضهم من بعض وقامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي
معها وضربن بالدفوف خلف الرجال يحرضن المشركين على القتال
وحرب المسلمين * وقاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ قتالا
شديدا إلى أن قتل ضربه وحشي عبد جبير بن مطعم وكان حبشيا بحربة
فقتله * وقتل مصعب حامل لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظن
قاتله أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقريش إني قتلت محمدا *
ولما قتل مصعب أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الراية لعلي بن أبي طالب
رضي الله عنه وانهزم المشركون فطمعت الرماة في الغنيمة وفارقوا المكان
الذي أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بملازمته ووقع الصراخ أن محمدا
قتل وانكشف المسلمون وأصاب منهم العدو وكان يوم بلاء على المسلمين
* وكان عدة الشهداء منهم سبعين رجلا وعدة قتلى المشركين اثنين
وعشرين رجلا * ووصل العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصابه حجارتهم حتى وقع وأصيبت رباعيته وشج وجهه وجعل الدم
يسيل على وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو
يدعوهم إلى ربهم فنزل في ذلك قوله تعالى ليس لك من الأمر شيء أو يتوب

عليهم أو بعضهم فأتاهم طالوت ودخلت حلقتان من المغفر في وجهه الشريف من الضربة ونزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقتين من وجهه فسقطت ثنيته الواحدة ثم نزع الأخرى فسقطت ثنيته الأخرى * ومثلت هند وصواحبها بالقتلى من الصحابة يجدعن الآذان والأنوف وبقرت هند عن كبد حمزة ولاكتها وصعد زوجها أبو سفيان الجبل وصرخ بأعلى صوته الحرب سجال يوم بيوم بدر أعل هبل أي أظهر دينك فأجابه المسلمون الله أعلى وأجل ونادى إن موعدكم بدر العام القابل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لواحد قل هو بيننا وبينكم * ثم التمس رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة فوجده وقد بقر بطنه وجدع أنفه وأذناه فقال لئن أظهرني الله عز وجل على قريش لأمثلن بثلاثين منهم فجاءه جبريل فأخبره أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم به فسجي ببردة ثم صلى عليه وكبر سبع تكبيرات * ثم أتي بالقتلى يوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه ثنتين وسبعين صلاة * وهذا دليل لأبي حنيفة فإنه يرى الصلاة على الشهيد خلافا للشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى ثم أمر بحمزة فدفن واحتمل ناس من المسلمين إلى المدينة فدفنوا بها ثم نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ادفنوهم حيث صرعوا * وأصيبت عين قتادة فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت أحسن عينيه * واستشهد أنس بن النضر عم أنس بن مالك وقد أبلى بلاء حسنا وفيه نزلت من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية * وفيها تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبنى بها وكانت تحت خنيس بن حذافة السهمي * ثم دخلت السنة الرابعة من الهجرة الشريفة وفيها كانت غزوة بدر الثانية وهي في شعبان * وفيها خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر لميعاد أبي سفيان وخرج أبو سفيان في أهل مكة ثم رجع ورجعت قريش معه وانصرف رسول الله

صلى الله عليه وسلم الى المدينة * ثم دخلت السنة الخامسة من الهجرة الشريفة وفيها كانت غزوة الخندق وهي غزوة الاحزاب وكانت في شوال وسببها ان نفرا من اليهود حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدموا على قريش بمكة يدعونهم الى حربه فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أمر بحفر الخندق حول المدينة وعمل فيه بنفسه وفرغ من الخندق * واقبلت قريش ومن تبعها من بني قريظة واشتد البلاء حتى ظن المؤمنون كل الظن * وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون بضعا وعشرين ليلة لم يكن بين القوم حرب الا الرمي ثم نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم على المشركين وخذلهم واختلفت كلمتهم وأهب الله ريح الصبا كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها فجعلت الريح تقلب آنيتهم وتكفأ قدورهم وانقلبوا خاسرين فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الآن نغزوهم ولا يغزونا وكان كذلك حتى فتح مكة * وفيها أي في ذي القعدة كانت غزوة بني قريظة عقب عود النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة من غزوة الخندق بوحي من الله تعالى نزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فسار اليهم وحاصرهم خمسا وعشرين ليلة وقذف في قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد الحكم فيهم الى سعد بن معاذ فحكم بقتل المقاتلة وسبي الذرية والنساء وقسم الاموال * ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وضرب اعناقهم وكانوا ستمائة أو تسعمائة * وقيل ما بين الثمانمائة والتسعمائة ثم قسم الاموال والسبايا * واصطفى لنفسه ريحانة بنت شمعون فكانت في ملكه حتى مات ولم يستشهد في هذه الغزوة سوى خلاد بن زيد بن ثعلبة ألقت عليه امرأة من بني قريظة رحا شدخت رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له اجر شهيدين وقتلها به * ثم دخلت السنة السادسة من الهجرة الشريفة وفيها في شعبان كانت

غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع وكان في جملة السبي جويرية بنت
الحارث كان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية
وكانت احدى ازواجه وفيها كانت قصة الافك فرميت السيدة ام
المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالافك مع صفوان بن المعطل * وكان
صفوان حصورا لا يأتي النسا والقصة مشهورة في الحديث الشريف
وفيها نزلت آية التيمم * وفيها كانت غزوة الحديبية وهي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة في ذي القعدة سنة ست معتمرا لا يريد
حربا وساق الهدي وأحرم بالعمرة وسار حتى وصل الى ثنية المرار مهبط
الحديبية أسفل مكة والحديبية بئر * ووقع من معجزاته نبع الما في ذلك
المكان * وتأهبت قريش للقتال وبعثوا رسلهم الى النبي صلى الله عليه
وسلم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان اليهم يعلمهم انه
لم يأت لحرب وانما جا زائرا ومعظما لهذا البيت فلما وصل اليهم
أمسكوه وحبسوه وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله فدعا الناس
الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فبايع الناس على الموت
ثم أتاه الخبر أن عثمان لم يقتل ثم وقع الصلح بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين قريش فانهم بعثوا سهيل بن عمرو في الصلح فأجاب النبي صلى
الله عليه وسلم ثم دعا علي بن أبي طالب فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقال سهيل لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم * ثم قال اكتب هذا ما صالح
عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك
ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو على وضع الحرب
عن الناس عشر سنين وانه من أحب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل
فيه ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وأشهدوا في
ذلك الكتاب على الصلح رجالا من المسلمين والمشركين * ولما فرغ رسول الله

صلى الله عليه وسلم من ذلك نحر هديه وحلق رأسه وفعل الناس كذلك ثم عاد الى المدينة حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما * ودخل في الاسلام في هذه السنة مثل من دخل فيه قبل ذلك واكثر والقصة مبسوطة مشهورة ولكن المراد هنا الاختصار * ثم دخلت السنة السابعة من الهجرة الشريفة وفيها كانت غزوة ذي قرد وقرد موضع على ميلين من المدينة على طريق خيبر وهي الغزوة التي أغاروا فيها على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم قبل خيبر بثلاث * وفيها كانت غزوة خيبر في منتصف المحرم سار النبي صلى الله عليه وسلم الى خيبر وهي على ثمان برد من المدينة فاشرف عليها وقال لاصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السموات وما اظللن ورب الارضين وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله ونزل على خيبر ليلا ولم يعلم أهلها فلما أصبحوا خرجوا الى أعمالهم فلما رأوه عادوا وقالوا محمد والخميس يعنون الجيش فقال النبي صلى الله عليه وسلم * الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ثم حاصرهم وضيق عليهم وأخذ الاموال وفتح الحصون وأصاب سبايا منهن صفية بنت حيي فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه وتزوجها وجعل عتقها صداقها * وهذا مذهب الامام أحمد رضي الله عنه وهو من مفردات مذهبه * وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قد تخلف بالمدينة لرمد لحقه فلما أصبحوا جاء علي فتفل النبي صلى الله عليه وسلم في عينيه فما اشتكى رمدا بعدها ثم أعطاه الراية فنهض بها وأتى خيبر فأشرف عليه رجل من يهود خيبر وقال من أنت قال أنا علي بن أبي طالب فقال اليهودي غلبتم يا معشر اليهود فخرج مرحب من الحصن وعليه مغفر يماني وعلى رأسه بيضة عادية وهو يقول

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحيانا وحينا أضرب * إذا الليوث أقبلت تلهب
فخرج إليه علي رضي الله عنه وهو يقول
أنا الذي سمتني أمي حيدره * أكيلكم بالسيف كيل السندره
ليث بغابات شديد قسوره

واختلف بينهما ضربتان فسبقه علي رضي الله عنه فقد البيضة والمغفر ورأسه فسقط عدو الله ميتا * وكان فتح خيبر في صفر على يد علي رضي الله عنه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى فحاصره ليالي وفتحه عنوة * ثم سار إلى المدينة وكان قد كتب إلى النجاشي يطلب منه بقية المهاجرين ويخطب أم حبيبة بنت أبي سفيان فزوجها للنبي صلى الله عليه وسلم ابن عمها خالد بن سعيد وأصدقها النجاشي عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار * وفي غزوة خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم الشاة المسمومة فأخذ منها قطعة ولاكها ثم ألقاها وقتل بحري هذه الشاة اما اسمومه * ثم بعد غزوة خيبر كانت غزوة ذات الرقاع فهزم الناس ولم يكن بينهم حرب * قال أبو موسى سميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب على أرجلنا من الخرق * وفي هذه السنة أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الأرض * وأرسل إلى كسرى فمزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغه ذلك قال مزق الله ملكه فسلط الله عليه ابنه رور فقتله * وأرسل إلى قيصر وهو هرقل وكان إذ ذاك ببيت المقدس فإنه مشى من حمص إلى إيليا شكرا لما كشف الله عنه جنود فارس * وكان على الصخرة الشريفة مزبلة قد حاذت محراب داود مما ألقته النصارى عليها مضارة لليهود حتى كانت المرأة تبعث بخرق حيضها من رومية فتلقى عليها * فلما قرأ قيصر كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنكم يا معشر الروم لخليق أن تقتلوا على هذه المزبلة بما انتهكتم من حرمة هذا المسجد كما قتلت بنو إسرائيل على دم يحيى بن زكريا عليهما السلام فأمر بكنسها

فأخذوا في ذلك فقدم المسلمون الشام ولم يكشفوا منها الا ثلثها فلما قدم
عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى بيت المقدس ووجده ورأى ما عليها من
المزبلة أعظم ذلك فأمر بكشفها وطهرها انباط فلسطين * واكرم هرقل
قاصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دحية الكلبي ووضع كتاب النبي
صلى الله عليه وسلم على فخذه وقصد أن يسلم فمنعه بطارقته فخاف على
نفسه واعتذر ورد دحية ردا جميلا * وأرسل الى المقوقس صاحب مصر
فأكرم القاصد وقبل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم واهدى اليه أربع
جوار احداهن مارية أم ولده ابراهيم واهدى اليه بغلته دلدل وحماره
يعفور وكسوة وأرسل الى النجاشي بالحبشة فقبل كتاب النبي صلى الله
عليه وسلم وآمن به واتبعه وأسلم * وأرسل الى الحارث الغساني بدمشق
فلما قرأ الكتاب قال ها أنا سائر اليه فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله قال باد ملكه * وارسل الى هوذة ملك اليمامة وكان نصرانيا فقال
ان جعل الامر لي من بعده سرت اليه وأسلمت ونصرته والا قصدت حربه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ولا كرامة اللهم اكفنيه فمات بعد قليل *
وأرسل الى المنذر ملك البحرين فاسلم واسلم جميع العرب بالبحرين (عمرة *
القضاء) ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة سنة سبع
معتمرا عمرة القضاء وساق معه سبعين بدنة فأبى أهل مكة ان يدعوه يدخل
مكة حتى قاضاهم على ان يقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا
ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لا نقر بهذا لو نعلم انك
رسول الله ما منعناك شيئا ولكن أنت محمد بن عبد الله فقال أنا رسول الله
وأنا محمد بن عبد الله ثم قال لعلي امح رسول الله فقال علي والله لا امحوك ابدا
فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن ان يكتب
فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله لا يدخل مكة السلاح الا
السيف في القراب وانه لا يخرج من أهلها بأحد ان أراد ان يتبعه وان
لا يمنع من أصحابه أحدا ان أراد ان يقيم بها فلما دخل المسجد اضطبع

رداءه ورمل في أربعة أشواط من الطواف ثم خرج إلى الصفا والمروة
فسعى بينهما وتزوج في سفرته هذه ميمونة بنت الحارث وهو محرم وهذا
من خصائصه صلى الله عليه وسلم وهي آخر امرأة تزوجها وأقام بمكة ثلاثا
فأرسل المشركون إليه مع علي بن أبي طالب ليخرج عنهم فخرج بميمونة
وانصرف إلى المدينة صلى الله عليه وسلم * ثم دخلت السنة الثامنة من
الهجرة الشريفة فيها أسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما
* وفيها كانت غزوة مؤتة وهي أول الغزوات بين المسلمين والروم * ومؤتة
من أرض الشام وهي قبل الكرك * وفيها اتخذ لرسول الله صلى الله عليه
وسلم المنبر وكان يخطب إلى جذع نخلة فلما كان يوم الجمعة خطب على المنبر
فأن الجذع الذي كان يقوم عليه أنين الصبي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن هذا بكى لما فقد من الذكر فنزل فمسحه بيده حتى سكن فلما
هدم المسجد وغير أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب فكان عنده في داره حتى
* بلي (وفيها نقض الصلح وفتح مكة) وسبب ذلك أن بني بكر بن عبد مناف عدت
على خزاعة وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير وكانت خزاعة في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنو بكر في عهد قريش في صلح
الحديبية وكانت بينهم حروب في الجاهلية فكلمت بنو بكر أشراف
قريش أن يعينوهم على خزاعة بالرجال والسلاح فوعدوهم ووافوهم
متنكرين فبيتوا خزاعة ليلا وقتلوا منهم عشرين ثم ندمت قريش على ما فعلوا
وعلموا أن هذا نقض للعهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في طائفة من قومه فقدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم مستغيثين به فوقف عمرو عليه وهو جالس في المسجد
وأنشده أبياتا يسأله أن ينصره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت
يا عمرو بن سالم ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال كأنكم بأبي سفيان فقد جاءكم ليشد العقد ويزيد في
المدة فكان كذلك * ثم قدم أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة

أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس قال والله لقد أصابك بعدي يا بنية شر ثم خرج وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا فذهب الى أبي بكر ثم الى عمر ثم الى علي رضوان الله عليهم أجمعين على ان يكلموا النبي صلى الله عليه وسلم في أمره وتشفع بهم فلم يفعلوا فقال لعلي يا أبا الحسن اني أرى الامور قد اشتدت علي فانصحني فقال والله لا اعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس والحق بأرضك قال له أو ترى ذلك يغني عني شيئا قال لا والله ما اظنه ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد فقال أيها الناس اني قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره وانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراءك فقص شأنه وانه قد اجار بين الناس قالوا فهل اجاز محمد ذلك قال لا قالوا والله ان زاد الرجل على أن لعب بك ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأمر أهله أن يجهزوه ثم علم الناس بانه يريد مكة وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتهم في بلادهم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة كلثوم بن الحصين الغفاري وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر مضين من رمضان ومعه المهاجرون والانصار وطوائف من العرب * فكان جيشه عشرة آلاف فصام وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد وهو الماء الذي بين قديد وعسفان أفطر * وبلغ ذلك قريشا فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار * وكان العباس رضي الله عنه اسلم قديما وكان يكتم اسلامه فخرج بعياله مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وقيل بذي الحليفة ثم حضر أبو سفيان بن حرب على يد العباس الى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان استأمن له فاسلم واسلم

ثم حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ومن أسلم يومئذ معاوية بن أبي سفيان
وأخوه يزيد وأمه هند بنت عتبة * وكان معاوية يقول إنه أسلم يوم
الحديبية وكتم إسلامه عن أبيه وأمه * وقال العباس يا رسول الله إن
أبا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئا يكون في قومه فقال من دخل دار
أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن * ومن أغلق عليه بابه
فهو آمن * ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن * وكان ممن خرج
ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق أبو سفيان بن
الحارث وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فأتيا فأعرض عنهما فأتيا له
أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله تقبلا وجهه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو
أرحم الراحمين وقبل منهما ذلك فأسلما فأنشد أبو سفيان معتذرا إليه
أبياتا فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أنت طردتني
كل مطرد وكان أبو سفيان بعد ذلك ممن حسن إسلامه ويقال إنه
ما رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ويشهد له بالجنة ويقول أرجو أن
يكون خلفا من حمزة ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تركز راية سعد بن
عبادة بالحجون لما بلغه أنه قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الكعبة فقال
كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة
وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كدا في بعض الناس
وكل هؤلاء الجنود لم يقاتلوا لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن القتال
إلا أن خالد بن الوليد لقيه جماعة من قريش فرموه بالنبل ومنعوه من
الدخول فقاتلهم خالد فقتل من المشركين ثمانية وعشرين رجلا فلما ظهر
النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك قال ألم أنهكم عن القتال فقالوا إن خالدا
بدئ بقتال وقتل من المسلمين رجلان * ودخل النبي صلى الله عليه وسلم
من كدا وهو على ناقته يقرأ سورة الفتح ويرجع * وكان فتح مكة يوم الجمعة

لعشر بقين من رمضان ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وملكها
عنوة بالسيف والى ذلك ذهب مالك وأصحابه وهو الصحيح من مذهب
أحمد رضي الله عنهم * وقال أبو حنيفة والشافعي رضي الله عنهما انها فتحت
صلحا والله أعلم * ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كان على
الكعبة ثلاثمائة وستون صنما قد شد لهم ابليس اقدامها برصاص فجاء
ومعه قضيب فجعل يومي الى كل صنم منها فيخر لوجهه فيقول جاء الحق
وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا حتى مر عليها كلها وأتى النبي
صلى الله عليه وسلم وحشي بن حرب قاتل حمزة رضي الله عنه وهو
يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أوحشي قال نعم قال أخبرني كيف قتلت عمي
فأخبره فبكى وقال غيب وجهك عني * ولما دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة كانت عليه عمامة سوداء فوقف على باب الكعبة وقال
لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده * ثم قال
يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال
اذهبوا فانتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم * وكان الله
تعالى قد أمكنه منهم فكانوا له فيئا فبذلك سمي أهل مكة الطلقاء * ولما
اطمأن الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطواف فطاف
بالبيت سبعا على راحلته واستلم الركن بمحجن كان في يده ودخل الكعبة
ورأى فيها الشخوص على صورة الملائكة وصورة ابراهيم وفي يده الازلام
يستقسم بها فقال قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالازلام ما شأن ابراهيم
والازلام ثم أمر بتلك الصور فطمست وصلى في البيت ثم جلس صلى
الله عليه وسلم على الصفا واجتمع الناس لبيعته على الاسلام فكان
يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فبايع الرجال ثم النساء * ولما جاء
وقت الظهر يوم الفتح اذن بلال على ظهر الكعبة فقال الحارث
ابن هشام ليتني مت قبل هذا وقال خالد بن أسيد لقد أكرم الله أبي فلم ير

هذا اليوم فخرج عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر لهما ما قالا
فقال الحارث بن هشام أشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد
فنقول أخبرك وقام علي رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده فقال
يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية * فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أين عثمان بن طلحة فدعي له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم
يوم بر ووفاء وقال خذوها تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا الظالم يا عثمان
إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت
بالمعروف وذكر أن فضالة بن عمير أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أفضالة قال نعم فضالة يا رسول الله ثم قال ماذا كنت تحدث به نفسك
قال لا شيء كنت أذكر الله تعالى فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال
استغفر الله ووضع يده على صدره فسكن قلبه قال فضالة والله ما رفع يده
عن صدري حتى ما خلق الله تعالى شيئا أحب إلي منه وبعث النبي صلى
الله عليه وسلم السرايا إلى الأصنام التي حول مكة فكسروها ونادى
مناديه بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما إلا كسره
ولما بعث السرايا حول مكة إلى الناس يدعوهم إلى الإسلام ولم يأمرهم
بقتال وكان من السرايا سرية خالد بن الوليد نزل على ماء لبني جذيمة
فأقبلوا بالسلاح فقال لهم خالد ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا
فوضعوه وقد بادروا إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون
صبأنا صبأنا فقتل منهم من قتل فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم رفع
يده وقال اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين ثم أرسل علي بن أبي
طالب بمال وأمره أن يودي لهم الدماء والأموال ففعل ذلك ثم سألهم
هل بقي لكم دم أو مال فقالوا لا وكان قد فضل مع علي رضي الله عنه قليل
مال فدفعه إليهم زيادة تطييبا لقلوبهم وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فأعجبه * وفيها كانت غزوة حنين وهوازن * وكانت في شوال سنة

ثمان من الهجرة الشريفة وحنين واد بينه وبين مكة ثلاثة أميال * ولما فتحت مكة تجمعت هوازن بجيوشهم وأموالهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقدمهم مالك بن عوف النصري وانضمت اليه ثقيف وهم أهل الطائف وبنو سعد وهم الذين كان النبيّ صلى الله عليه وسلم مرتضعا عندهم فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم باجتماعهم خرج من مكة لست خلون من شوال وخرج معه اثنا عشر ألفا ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف كانت معه وحضرها جماعة كثيرة من المشركين وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتهى الى حنين وركب بغلته الدلدل وقال رجل من المسلمين لما رأى كثرة من مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لن نغلب هؤلاء من قلة وفي ذلك نزل قوله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ولما التقوا انهزم المسلمون لا يلوي أحد على أحد وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المهاجرين والانصار وأهل بيته واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتا وتراجع المسلمون واقتتلوا قتالا شديدا وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم لبغلته البدى فوضعت بطنها على الارض وأخذ حفنة من تراب فرمى بها في وجه المشركين فكانت الهزيمة عليهم ونصر الله المسلمين واتبع المسلمون المشركين يقتلونهم ويأسرونهم * ولما فرغ النبيّ صلى الله عليه وسلم من حنين بعث أبا عامر على جيش لغزوة أوطاس فاستشهد رضي الله عنه وانهزمت ثقيف الى الطائف وأغلقوا باب مدينتهم فسار النبيّ صلى الله عليه وسلم وحاصرهم نيفا وعشرين يوما وقاتلهم بالمنجنيق وأمر بقطع أعنابهم ثم رحل عنهم ونزل بالجعرانة وأتى اليه بعض هوازن ودخلوا عليه فرد عليهم نصيبه ونصيب بني عبد المطلب وردّ الناس أبناءهم ونساءهم ثم لحق مالك ابن عوف مقدم هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل وكان عدة السبي الذي أطلقه ستة آلاف ثم

قسم الأموال وكانت عدة الإبل أربعة وعشرين ألف بعير والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ومن الفضة أربعة آلاف أوقية وأعطى المؤلفة قلوبهم مثل أبي سفيان وابنه يزيد ومعاوية وسهيل بن عمرو وعكرمة ابن أبي جهل والحارث بن هشام أخي أبي جهل وصفوان بن أمية وهؤلاء من قريش وأعطى الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن ومالك بن عوف مقدم هوازن وأمثالهم فأعطى لكل من الأشراف مائة من الإبل وأعطى الآخرين أربعين أربعين وأعطى العباس بن مرداس السلمي أباعر لم يرضها وقال في ذلك أبياتا

فأصبح نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
وما كان حصن ولا حابس ۞ يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ۞ ومن تضع اليوم لم يرفع

فروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقطعوا عني لسانه فأعطي حتى رضي ۞ ولما فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لم يعط الأنصار شيئا فوجدوا في أنفسهم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن قريشا حديث عهد بجاهلية ومصيبة وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم أما ترضون أن يرجع الناس بالشاء وترجعون برسول الله إلى بيوتكم قالوا بلى قال والله لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت وادي الأنصار وشعب الأنصار ثم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاد إلى المدينة واستخلف على مكة عتاب بن أسيد وهو شاب لم يبلغ عشرين سنة وترك معه معاذ بن جبل يفقه الناس وحج بالناس في هذه السنة عتاب بن أسيد على ما كانت تحج عليه العرب وفي ذي الحجة سنة ثمان ولد إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية وفي السنة المذكورة مات حاتم الطائي وكان يضرب بجوده وكرمه المثل وكان من الشعراء المجيدين ۞ ثم دخلت السنة التاسعة من الهجرة الشريفة فيها فرض الله الحج على الصحيح وفيها ترادفت وفود العرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفد

كعب بن زهير بن أبي سلمى بعد أن كان النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه ومدحه بقصيدته المشهورة وهي * بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم بردته فلما كان زمن معاوية أرسل الى كعب أن بعنا بردة النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرة آلاف درهم * ونقل الملك المؤيد صاحب حماه في تاريخه انه اشتراها بأربعين ألف درهم ثم توارثها الخلفاء الامويون والعباسيون حتى أخذها التتر * وفيها كانت غزوة تبوك وهي غزوة العسرة لوقوعها في زمن الحر والبلاد مجدبة والناس في عسرة فانفق أبو بكر جميع ماله وانفق عثمان نفقة عظيمة وسار النبي صلى الله عليه وسلم الى تبوك واستخلف عليا رضي الله عنه فقال علي أتخلفني في الصبيان والنساء قال ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه ليس نبي بعدي وتخلف عبد الله بن أبي المنافق ومن تبعه من أهل النفاق وتخلف ثلاثة من الصحابة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال ابن أمية ولم يكن لهم عذر ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد أن أقام بتبوك بضع عشرة ليلة لم يجاوزها وكان اذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى ثم جاءه كعب وكان تقدمه مرارة وهلال فسألهم عن سبب تخلفهم فاعترفوا أن لا عذر لهم فأمرهم بالمضي حتى يقضي الله فيهم ونهى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامهم من بين من تخلف عنه فاجتنبهم الناس فلبثوا على ذلك خمسين ليلة * ولما مضت أربعون ليلة من الخمسين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم باعتزال نسائهم وجاءت امرأة هلال الى النبي صلى الله عليه وسلم تستأذنه في خدمته فأذن لها

من غير أن يغزوها * فلما كملت لهم خمسون ليلة من حين نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن كلامهم أذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتوبة الله عليهم وذهب الناس يبشرونهم وجاء كعب الى النبي صلى الله
عليه وسلم وسلم عليه فقال له وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم
مر عليك منذ ولدتك أمك فقال أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله
قال لا بل من عند الله وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم لقد تاب الله
على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد
يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة
الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم
أنفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو
التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب
فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد ان هداني للاسلام أعظم في نفسي من
صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا أكون كذبته فأهلك كما هلك
الذين كذبوه فان الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال
تبارك وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا
عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم
لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين وفي
ذي القعدة من سنة تسع هلك رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول والله
أعلم ﴿حج أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس﴾ بعث النبي صلى الله
عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه في سنة تسع ليحج بالناس ومعه
عشرون بدنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثلثمائة رجل فلما كان بذي
الحليفة أرسل النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه
وأمره بقراءة آيات من أول سورة براءة على الناس وأن ينادي ان لا يحج
بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فسار أبو بكر رضي الله عنه
أميرا على الموسم وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يؤذن ببراءة يوم الاضحى

وان لا يحج مشرك ولا يطوف عريان * ثم دخلت السنة العاشرة من الهجرة الشريفة وفيها كان قدوم الوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وجاءته وفود العرب قاطبة ودخل الناس في الدين افواجا كما قال الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقدم عليه وفد بني تميم ووفد عبد القيس ووفد بني حنيفة وغيرهم وفشا الاسلام في جميع القبائل وفيها توفي ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثا لعشر ليال خلت من ربيع الاول *﴿حجة الوداع﴾* خرج النبي صلى الله عليه وسلم حاجا لخمس بقين من ذي القعدة وقد اختلف في حجه هل كان قارنا أم متمتعا أم مفردا قال صاحب حماه والاظهر الذي اشتهر انه كان قارنا وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ولقي علي بن أبي طالب رضي الله عنه محرما فقال حل كما حل أصحابك * فقال اني اهللت بما اهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبقي على احرامه ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي عنه وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس مناسك الحج والسنن ونزل قوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فبكى أبو بكر رضي الله عنه لما سمعها وكأنه استشعر بان ليس بعد الكمال الا النقصان وانه قد نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بعرفة خطبة بين فيها الاحكام منها أيها الناس انما النسيء زيادة في الكفر وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا وتمم حجه وسميت حجة الوداع لانه لم يحج بعدها ولم يحج من المدينة الى مكة غير حجة الوداع ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأقام بها حتى خرجت السنة وكانت غزواته صلى الله عليه وسلم تسعة عشر غزوة قاتل في تسع منها وهذه

الغزوات غير السرايا * ثم دخلت السنة الحادية عشر من الهجرة الشريفة والنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكان قد قدم من حجة الوداع فأقام بها حتى خرجت سنة عشر والمحرم ومعظم صفر من سنة احدى عشر والله سبحانه وتعالى أعلم (ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم) قال تعالى انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون * وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما ازال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من صفر سنة احدى عشر في بيت ميمونة ثم انتقل حين اشتد وجعه الى بيت عائشة رضي الله عنها * وعن ابن عباس قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ابدا فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ثم اختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا له يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ابدا ومنهم من يقول غير ذلك فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا فكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم * وعن عائشة رضي الله عنها قالت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة عليها السلام في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء فبكت ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت فسألناها عن ذلك فقالت سارني النبي صلى الله عليه وسلم انه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني فأخبرني اني أول أهله لحوقا به فضحكت * ولما ثقل وجع النبي صلى الله عليه وسلم جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال مروا أبا بكر أن يصلي بالناس فقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله ان أبا بكر رجل أسيف وانه

متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر فقال مروا أبا بكر أن يصلي بالناس فقالت عائشة لحفصة قولي له ان أبا بكر رجل أسيف وانه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس فلو امرت عمر قال انكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر أن يصلي بالناس فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة فقام يهادى بين رجلين ورجلاه يخطان في الارض حتى دخل المسجد فلما سمع أبو بكر رضي الله عنه حسه ذهب أبو بكر يتأخر فأومأ اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن يساره فكان أبو بكر يصلي قائما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قاعدا يقتدي أبو بكر رضي الله عنه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يقتدون بصلاة أبي بكر رضي الله عنه * وعن عائشة رضي الله عنها كانت تقول ان من نعم الله عليّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وبين سحري ونحري وان الله جمع بين ريقي وريقه عند موته دخل عبد الرحمن وبيده السواك وانا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته ينظر اليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت آخذه لك فأشار برأسه ان نعم فناولته له فاشتد عليه فقلت أليّنه لك فأشار برأسه ان نعم فليّنته وبين يديه ركوة أو علبة وفيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات ثم نصب يده الكريمة فجعل يقول في الرفيق الاعلى حتى قبض ومالت يده * وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح انه لم يقبض نبي حتى يرى مقامه في الجنة ثم يخير فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره الى سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا وعرفت انه الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح قالت وكانت آخر كلمة تكلم بها اللهم الرفيق الاعلى * وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة * ونزل عليه جبريل عليه السلام أربعا وعشرين ألف مرّة *

وتوفي ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقا من شعير * ولما مات قالت فاطمة رضي الله عنها وا أبتاه أجاب ربا دعاه وا أبتاه من جنة الفردوس مأواه وا أبتاه الى جبريل ننعاه فلما دفن قالت يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على نبيكم التراب * ولما توفي دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم في ذلك * فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات علوت رأسه بسيفي هذا وانما ارتفع الى السماء فقرأ أبو بكر رضي الله عنه وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين فرجع القوم الى قوله وبادروا الى سقيفة بني ساعدة فبايع عمر أبا بكر ثم تابعه الناس خلا جماعة * وغسله صلى الله عليه وسلم علي والعباس وابناه الفضل وقثم وغسلوه وعليه قميصه لم ينزع وكان علي بن أبي طالب مسنده الى صدره والعباس يصب الماء * وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية وصلى عليه المسلمون أفرادا لم يؤمهم أحد وحفر له أبو طلحة الانصاري ودفن في الموضع الذي توفاه الله فيه * وكانت وفاته يوم الاثنين حين زيغ من نهاره يوم الثلاثاء * ودفن في ليلة الاربعاء في شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة النبوية وكان مرضه ثلاثة عشر ليلة * قال انس بن مالك رضي الله عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء * ورثاه جماعة منهم أبو بكر وعلي وفاطمة وعمته صفية رضي الله عنهم أجمعين والله سبحانه وتعالى اعلم ﴿ذكر صفاته صلى الله عليه وسلم وشيء من معجزاته﴾ كان صلى الله عليه وسلم مليح الوجه حسن الخلق معتدل القامة ليس بالقصير ولا بالطويل أبيض اللون مشربا حمرة سهلا لأوجهه كالقمر ليلة البدر كث اللحية واسع الجبين بعيد ما بين المنكبين لم يبلغ الشيب في رأسه ولحيته عشرين شعرة

ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب بين كتفيه خاتم النبوة ريح عرقه أطيب من ريح المسك الاذفر يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله * واما معجزاته صلى الله عليه وسلم فأفضلها القرآن الكريم الذى أعجز الفصحاء وأخرس البلغاء ومنها انشقاق الصدر والتئامه ومنها انشقاق القمر فرقتين ومنها نبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام ببركته وكلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته وسلام الحجر والشجر عليه وحنين الجذع اليه وتسبيح الحصا فى كفه وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى ولا يحاط به ولا يستقصى ومن ذا يحيط بالبحر الزاخر ولو أجهد نفسه آناء الليل واطراف النهار وكان صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه ولا يغضب لها الا أن تنتهك حرمات الله تعالى فينتقم لله وكان أحسن الناس خلقا وارجحهم حلما وأعظمهم عفوا وأسخاهم كفا وأوسعهم صدرا وأصدقهم لهجة وكان أشد حياء من العذراء فى خدرها واذا كره شيئا عرف فى وجهه ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة أهله ويجيب الدعوة ويقبل الهدية ويكافئ عليها ويأكل منها ولا يأكل الصدقة ويعود المريض ويشهد الجنائز متواضعا يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة وما خير بين شيئين الا اختار أيسرهما الا أن يكون فيه اثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس عن ذلك * مولده بمكة وهجرته لطيبة وملكه بالشأم أرأف الناس وخيرهم لا ترتفع فى مجلسه الاصوات اذا قام من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك طويل الصمت لا يتكلم فى غير حاجة وأحب الطعام اليه ما كثرت عليه الايدى واذا وضعت المائدة قال بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة نصل بها الى نعيم الجنة واذا فرغ قال اللهم لك الحمد أطعمت وأسقيت وآويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا * وكان يشرب فى ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات

وفي آخرها ثلاث مخدات وكان تعجبه الثياب الخضر وأكثر ثيابه البياض
ويقول ألبسوها أحياكم وكفنوا بها موتاكم وكان صلى الله عليه وسلم ينام
عشاء لا ينام قبله وكان زاهدا في الدنيا مات ولم يخلف دينارا ولا درهما
ولا شاة ولا بعيرا عرض عليه أن يجعل له بطحا مكة ذهبا فقال لا يارب
أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك
وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك وكان صلى الله عليه وسلم
خاتم النبيين وسيد المرسلين وآتاه الله علم الأولين والآخرين وفضله على
سائر الخلق أجمعين ولا يحصي أحد مناقبه من العالمين صلى الله عليه وسلم
وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين
صلاة دائمة إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين (ذكر أزواجه صلى الله
عليه وسلم) أول من تزوج خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ثم سودة بنت
زمعة ثم عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ثم حفصة بنت عمر بن
الخطاب رضي الله عنهما ثم زينب بنت خزيمة وكانت تدعى أم المساكين
لرأفتها بهم ومكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت وقد بلغت ثلاثين سنة
ودفنت بالبقيع ولم يمت من أزواجه في حياته إلا هي وخديجة رضي الله
عنهما ثم أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة ثم زينب بنت جحش
وكان اسمها برة فسماها النبي صلى الله عليه وسلم زينب وكانت قبله عند
زيد بن حارثة مولاه فطلقها فلما حلت زوجها الله تعالى إياه من السما وهي
التي قال الله تعالى فيها فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وأولم عليها
وأطعم المساكين خبزا ولحما وفيها نزلت آية الحجاب وكانت كثيرة الصدقة
والإيثار رضي الله عنها ثم جويرية بنت الحارث وكان اسمها برة فسماها
جويرية ثم أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان أصدقها عنه النجاشي كما
تقدم ثم صفية بنت حيي من سبي خيبر اصطفاها لنفسه وتزوجها وجعل
عتقها صداقها كما تقدم ثم ميمونة بنت الحارث وكان اسمها برة فسماها
ميمونة وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فهؤلاء نساؤه

المدخول

الدخول بهن احدى عشر امرأة ومات عن تسع منهن وتزوج وخطب
صلى الله عليه وسلم نساء غير هؤلاء لكن لم يدخل بهن * فمنهن اسماء بنت
النعمان الجونية تزوج بها ثم فارقها فقيل ان سبب فراقها انه لما دخلت
عليه قالت أعوذ بالله منك فقال لها قد عذت بعظيم أو بمعاذ الحقي بأهلك
وطلقها فكانت تسمى نفسها الشقية وقيل ان صاحبة هذه القصة امرأة
غير اسماء هذه * وخولة بنت الهذيل تزوجها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فماتت في الطريق قبل وصولها اليه * وام شريك هي عرفة بنت دودان
تزوجها ولم يدخل بها * وصفية بنت هشام العبدية * وشراف الكلبية
أخت دحية * والعالية الكلابية روى انها مكثت عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم ماشاء الله ثم طلقها * وسبا السلمية ماتت قبل
أن يصل اليها * وقتيلة بنت قيس الكندية قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل خروجها اليه من اليمن * وعمرة بنت يزيد الكلابية طلقها
وضباعة بنت عامر القشيرية خطبها ثم أمسك * وليلى بنت الحطيم
الاوسية تخطت منكبه وهو غافل فقال من هذه اكلها الاسد فقالت
انا ليلى بنت الحطيم بن مطعم الطير قد جئتك أعرض عليك نفسي فقال قد
قبلتك فرجعت الى أهلها فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير
الضرائر وأنت امرأة غيورة ولسنا نأمن ان تغيظيه فيدعو عليك
فاستقيليه فأتته فأقالها فدخلت بعد ذلك حيطان المدينة فشد عليها
الاسد فأكلها * واما سراريه فكن أربعا * مارية بنت شمعون القبطية
أهداها له المقوقس صاحب مصر * وريحانة بنت شمعون المصرية واخرى
جميلة أصابها في السبي * وجارية وهبتها له زينب بنت جحش * وتقدم ذكر
أولاده صلى الله عليه وسلم * ﴿ذكر الاسود العنسي ومسيلمة وسجاح وطليحة
وماجرى منهم﴾ أما الاسود فاسمه عبهلة وهو ممن ارتد وتنبأ وكان من
الكذابين وكان باليمن وادعى النبوة قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
بأربعة أشهر فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك أرسل الى نفر من اليمن

بأمرهم بقتله فقتلوه وأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبره
فسبق خبر السما اليه فأخبر الناس بذلك قبل وفاته صلى الله عليه وسلم
بليل ووصل الكتاب بقتل الاسود في خلافة أبي بكر رضي الله عنه
فكان كما أخبر به صلى الله عليه وسلم وكان قتله قبل وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم بيوم وليلة * وأما مسيلمة فانه قدم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في وفد بني حنيفة ثم ارتد وادعى النبوة وسمي رحمان اليمامة وخاف
ان لا يتم له مراده فقال ان محمدا قد أشركني معه وشرع يسجع لقومه
ويضاهي القرآن وذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فتنته
فاحشة وقتله أبو بكر رضي الله عنه في خلافته وكان وحشي قاتله بالحربة
التي قتل بها حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم وشاركه في قتله رجل
من الانصار * وأما سجاح بنت الحارث التميمية كانت قد ادعت النبوة
في الردة وتبعها جماعة وقصدت قتال أبي بكر ثم ذهبت الى اليمامة
واجتمعت بمسيلمة وتزوجت به وتقلبت بها الاحوال الى زمن معاوية
فأسلمت وحسن اسلامها وانتقلت الى البصرة وماتت بها * وأما طليحة
الاسدي فانه ادعى النبوة وتبعه جماعة وقوي أمره وقاتله خالد بن الوليد
في الردة ثم أسلم وخرج نحو مكة معتمرا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه
وقاتل في الفتوحات فقتل يوم وقعة نهاوند مع الاعاجم في سنة احدى
وعشرين في خلافة عمر رضي الله عنه ﴿فضل الصلاة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكيفيتها﴾ روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة
واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة لا تنبغي الا لعبد
واحد وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة
* وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الدعا موقوف بين السماء
والارض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم
فاذا فعلت انخرقت الحجب ودخل الدعا وان لم تفعل ذلك رجع ذلك الدعا

وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان انجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها اكثركم على صلاة * وروى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدهن في يدي قال عدهن في يدي جبريل عليه السلام وقال جبريل هكذا أنزلت بهن من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد * اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد * وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه انه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب * قال ابن الفاكهاني قلت وانما كان أفضل من عتق الرقاب والله أعلم لان عتق الرقاب في مقابلة العتق من النار ودخول الجنة والسلام عليه في مقابلة سلام الله تعالى وسلام من الله أفضل من مائة ألف ألف حسنة وناهيك بها من منة ونسأل الله تعالى أن يرزقنا مرافقته في الجنة بمنه وكرمه وجوده واحسانه آمين

*﴿ذكر آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وما يستحب ان يفعله الزائر ويدعو به﴾ يستحب لمن قدم المدينة الشريفة ان يغتسل قبل دخوله اليها ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه ويدخل بسكينة ووقار ويقول بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا * ويكره له الركوب في ازقتها الا لعذر فاذا وصل الى أحد أبواب المسجد الشريف قال * اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وكف عني أبواب سخطك الحمد لله الذي بلغني هذا الموضع

الشريف وجعلني أهلا لحضور هذا المسجد العظيم وزيارة قبر رسوله
الكريم فالحمد لله على ذلك عدد نعمه التي لا تحصى وأفضاله التي لا تستقصى
ولا تعد * ثم يقدم رجله اليمنى داخلا ويقول بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى
الله عليه وسلم رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وكذا يقول إذا خرج ويصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم * ثم يأتي المنبر مستديما الذكر والثنا والصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلي عنده ركعتين تحية المسجد
ويتحرى لصلاته جانب المنبر تجاه صندوق المصاحف ويجعل عمود
المنبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق
وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف النبي صلى
الله عليه وسلم الذي كان يؤم الناس فيه * ثم يقول بعد فراغهما الحمد لله
الذي بلغني هذا المكان ووفقني لإتيانه وأوصلني في يسر وعافية * اللهم
أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت ياذا الجلال والإكرام
والطول والإنعام فلك الحمد ملء السموات والأرض وملء ما شئت من
شيء بعد * ويأتي القبر الشريف من باب المقصورة القبلي فإذا وصل
المقصورة استقبل وجهه الكريم صلى الله عليه وسلم وذلك بأن يستدبر
القبلة ويستقبل جدار القبر الشريف على نحو أربعة أذرع من السارية
التي في زاوية المقصورة ويجعل القنديل على رأسه ولا يمس الجدار بيده
ولا شيء من بدنه بل يقف متأدبا بين يديه كما لو كان حيا مطرقا لاحترامه
ويستحضر في نفسه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عالم بحضوره وقيامه
عنده وسلامه عليه وأنه يجيب من سلم عليه من بعيد فكيف من قريب
ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلي عليه * وقد ورد أسما
كثيرة في صفة السلام عليه فأيها فعل أجزأه * ثم يتقدم يسيرا فيقف
ويسلم على خليفة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه * ثم يتقدم يسيرا

فيسلم على أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه * ثم يأتي الروضة فيصلي فيها ما يسر الله * ويصلي عند المنبر أيضا ثم يدعو عقب انصرافه فيقول * اللهم إني أتيت قبر نبيك صلى الله عليه وسلم متقربا إليك بزيارته متوسلا لديك به وأنت قلت وقولك الحق ولا تخالف الميعاد ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما * اللهم اجعلها زيارة مقبولة وسعيا مشكورا وعملا متقبلا مبرورا ودعاء تدخلنا به جنتك وتسبغ به علينا رحمتك * اللهم اجعل سيدنا محمدا أنجح السائلين وأكرم الأولين والآخرين * اللهم كما آمنا به ولم نره وصدقناه ولم نلقه فأدخلنا مدخله واحشرنا محشره وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيئا لا نظمأ بعدها أبدا * ويستحب له زيارة البقيع فيبدأ بقبر سيدنا إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزوره ويزور قبر العباس وعثمان بن عفان والحسن بن علي وبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم * ويستحب زيارة ما بتلك الأرض الشريفة من الأماكن المشهورة * ثم إذا قصد الذهاب إلى وطنه اغتسل ولبس أحسن ثيابه وأتى المسجد الشريف مكررا الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأتي القبر الشريف ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه ويكثر من الصلاة عليه وعليهما ويدعو بما أحب من خيري الدنيا والآخرة * ثم يخرج غير مستدبر القبر الشريف ويبدأ برجله اليسرى قائلا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وافتح لي أبواب فضلك وحط عني أوزاري بزيارة نبيك وأحسن منقلبي إلى أهلي ووطني ببركته صلى الله عليه وسلم يا رب العالمين يا أرحم الراحمين أدخلنا في شفاعته أجمعين

﴿ذكر فضائل المسجد الأقصى الشريف وما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث﴾

قد تقدم في أول الكتاب الكلام على أول سورة الإسراء فلو لم يكن له من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافية فيه لأنه إذا بورك حوله فالبركة فيه مضاعفة وقال تعالى إخبارا عن نبيه موسى

عليه السلام وإذ قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الارض المقدسة أي
المطهرة والمقدس هو المطهر وسمي البيت المقدس مقدسا لانه يتطهر
فيه من الذنوب وتقدم ذلك عند اسمها بيت المقدس * قال ابن عباس
بيت المقدس عليه الطل والمطر مذ خلق الله السموات والايام * وروى
في قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين قال هي
الارض المقدسة بارك الله فيها للعالمين لأن كل ما في الارض عذب
يخرج منها من أصل الصخرة الشريفة ثم يتفرق في الارض * وقال تعالى
أن الارض يرثها عبادي الصالحون قيل في أحد الاقوال انها الارض
المقدسة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم * وقال تعالى وآويناهما الى
ربوة ذات قرار ومعين * قال ابن عباس هي بيت المقدس وهو قول قتادة
وكعب * وقال كعب هي أقرب الارض الى السما بثمانية عشر ميلا يعني
لأن الربوة المكان المرتفع من الارض * وقال تعالى واستمع يوم ينادي
المنادي من مكان قريب المنادي هو اسرافيل عليه السلام ينادي من
صخرة بيت المقدس بالحشر وهي وسط الارض * روي ان المكان القريب
هو صخرة بيت المقدس * وقال تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها
اسمه يعني به بيت المقدس * وقال تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه
فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب يعني بين المؤمنين والمنافقين وهو
حائط بين الجنة والنار له أي لذلك السور باب فيه الرحمة وهي الجنة
وظاهره أي من خارج ذلك السور من قبله أي من قبل ذلك الظاهر
العذاب * وعن أبي العوام قال سمعت عبد الله بن عمر يقول ان السور
الذي ذكره الله في القرآن بقوله فضرب بينهم بسور له باب هو سور بيت
المقدس الشرقي باطنه فيه الرحمة المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي
جهنم * وروى الامام أحمد رضي الله عنه في مسنده من حديث أمامة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي على الحق
ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من اللأوا

حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قالوا يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من مدائن الجنة مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس * وعن معاذ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يا شام أنت صفوتي من بلادي وأنا سائق إليك صفوتي من عبادي من كان مولده فيك فاختار عليك غيرك فبذنب يصيبه ومن كان مولده في غيرك فاختارك فبرحمة مني يا شام اتسعي لأهلك بالرزق كما تتسع الرحم للولد وعيني عليك بالطل والمطر مذ خلقت السنين والأيام * من يعدم فيك المال لا يعدم فيك الخير * يا روشلم أنت مقدسة سوري وفيك المحشر والمنشر أزفك يوم القيامة كما تزف العروس إلى بعلها * ومن دخلك استغنى عن الزيت والقمح * وعن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش إلى الفرات رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة فمن اختار منكم ساحلا من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو في جهاد إلى يوم القيامة * وعن كعب الأحبار قال قال الله تعالى لبيت المقدس أنت جنتي وقدسي وصفوتي من بلادي من يسكنك فبرحمة مني ومن خرج منك فبسخط مني عليه ﴿فضل الصلاة في بيت المقدس﴾ روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه إياه وسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه وسأله أيما رجل يخرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه فنحن نرجو أن يكون قد أعطاه إياه * وعن مكحول قال من خرج إلى بيت المقدس لغير حاجة إلا الصلاة فصلى فيه خمس صلوات صبحا وظهرا وعصرا ومغربا وعشاء خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه * وعن كعب قال شكا بيت المقدس إلى ربه الخراب

فأوحى الله إليه لأملكنك جنودا تعدادهم يرون الملك رفع السور إلى أوكارها ويغدون الملك حتى الحمام إلى سقفها فقال رجل أبى الله يا كعب وإن له لسانا قال نعم وقلبا كقلب أحدكم * وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زار بيت المقدس محتسبا أعطاه الله أجر ألف شهيد * وعنه صلى الله عليه وسلم من زارنا فكأنما زار بيت المقدس ومن زار بيت المقدس محتسبا حرم الله لحمه وجسده على النار * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في بيت المقدس غفرت ذنوبه كلها * وعن كعب الأحبار من أتى بيت المقدس فصلى عن يمين الصخرة ومن شمالها ودعا عند موضع السلسلة وتصدق بما قل أو كثر استجيب له دعاؤه وكشف الله حزنه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وإن سأل الله الشهادة أعطاه الله إياها والله أعلم *

مضاعفة الصلاة في مسجد بيت المقدس روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تفضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة وفي مسجدي بألف صلاة وفي مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة رواه الإمام أحمد رضي الله عنه *

مضاعفة الحسنات والسيئات في مسجد بيت المقدس * روي عن جرير بن عثمان وصفوان بن عمرو أنهما قالا الحسنة في بيت المقدس بألف والسيئة بألف * وعن الليث بن سعد عن نافع قال قال لي ابن عمر ونحن في بيت المقدس يا نافع اخرج بنا من هذا البيت فإن السيئات تضاعف فيه كما تضاعف الحسنات وأحرم وخرج من بيت المقدس * قال العلماء معنى ذلك أن عقوبة من اقترف ذنبا في أحد المساجد الثلاثة أعظم عقوبة ممن اقترفه في غيرها لشرف هذه المساجد وفضلها والذنب الواحد في أحدها أعظم من ذنوب كثيرة في غيرها من المواضع ولذلك تضاعف فيه السيئات ومعناه تغلظ عقوبتها إلا أن الإنسان يعمل ذنبا واحدا فيكتب عليه عشرة ذنوب والله تعالى يقول في كتابه العزيز من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها

ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فقد غلظت الدية على من قتل في الحرم أو في الاحرام أو في الاشهر الحرم أو قتل ذا رحم محرم لحرمة هذه الاشياء وعظم شأنها فالتعدد في المعنى من حيث انه انتهك حرمة بيوت الله وقد قال الله تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله * وقد ارتكب المعصية فيها فهذا معنى التضعيف ﴿شد الرحال اليه﴾ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا ﴿كراهية استقبال الصخرة ببول أو غائط﴾ روى أبو داود رحمه الله في سننه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان تستقبل القبلتان ببول أو غائط * وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستقبلوا واحدة من القبلتين ببول أو غائط وروى تحريم ذلك عن الشعبي * فضل الاهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس * عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أهل بحج أو عمرة من المسجد الاقصى الشريف الى المسجد الحرام غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة * وقد أحرم منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم قال لوددت اني ما جئت بيت المقدس * واحرم منه ابنه عبد الله رضي الله عنه أيضا * والماء والرياح يخرجان من تحت صخرة بيت المقدس روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المياه العذبة والرياح اللواقح تخرج من تحت صخرة بيت المقدس * وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانهار اربعة سيحان وجيحان والنيل والفراة فاما سيحان فنهر بلخ واما جيحان

سنده مر روى عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال من تصدق
في بيت المقدس بدرهم كان له فداء من النار ومن تصدق برغيف كان كمن

استغفر للمؤمنين والمؤمنات في بيت المقدس ثلاث مرات كتب له مثل
جميع حسنات المؤمنين والمؤمنات ويدخل على كل مؤمن ومؤمنة من
سعة في كل يوم وليلة سبعين مغفرة (فصل الدفن في بيت المقدس)
حسبما موسى عليه السلام ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر
يت . كريب عنده كر عليه السلام ، وعن كعب أن بيت المقدس
مشحون من قبور الأنبياء عليهم السلام ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه

عن

العجز عن الوصول اليه فانه يقوم مقام الصلاة فيه وفضل عمارته * روى عن ميمونة بنت سعد مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انها قالت يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس فقال أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فان كل صلاة فيه كألف صلاة قلنا يا رسول الله فمن لم يستطع أن يصل اليه قال فمن لم يستطع أن يأتيه فليهد اليه زيتا يسرج في قناديله فان من أهدى اليه زيتا كان كمن أتاه * وقال صلى الله عليه وسلم من أسرج في بيت المقدس سراجا لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام ضوؤه في المسجد وفي نبوة يحيى عليه السلام من بنى في بيت المقدس بناء أو أثر فيه اثرا حسنا أو عمر فيه شيئا زاد الله في عمره خمسة عشر سنة وزاد الله له من المال والولد وان كان ملكا ملكه الله اياها يعني الارض (صفة الدجال) قاتله الله تعالى الدجال لا يدخل بيت المقدس * روى عن الضحاك انه قال الدجال ليس له لحية وافر الشارب طول وجهه ذراعان وقامته في السماء ثمانون ذراعا وعرض ما بين منكبيه ثلاثون ذراعا ثيابه وخفاه وسرجه ولجامه بالذهب والجواهر على رأسه تاج مرصع بالذهب والجوهر في يده طبرزين هيئته هيئة المجوس ترسه فارسية وكلامه الفارسية تطوى له الارض ولأصحابه طيا طيا يطأ مجامعها ويرد مياهها الا المساجد الاربع مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس ومسجد الطور * وعن عبد الله ابن مسعود قال يدخل الدجال الارض كلها الا أربعة مساجد وأربع قرى مكة والمدينة وبيت المقدس وطور سيناء * وروى نحوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص * وروى ثور عن خالد بن صفوان قال عصمة المؤمنين من المسيح الدجال بيت المقدس * وعن ربيعة بن يزيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزالون تقاتلون الكفار حتى تقاتل بقيتكم جنود الدجال ببطن الاردن بينكم النهر أنتم غربيه وهم شرقيه * قال ربيعة فقال المحدث من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما سمعت نهر الاردن الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم * وروى ان نبي الله عيسى عليه

السلام بأخذ من حجارة بيت المقدس لانه أحجار الاول منها يقول بسم اله ابراهيم والثاني يقول بسم اله اسحاق والثالث يقول بسم اله يعقوب ثم يخرج عن معه من المسلمين الى الدجال فاذا رآه انهزم عنه فيدركه عند باب لد فيرميه بأول حجر فيصيبه بين عينيه ثم الثاني ثم الثالث فيقع فيضربه سيدنا عيسى عليه السلام فيقتله ويقتل اليهود حتى ان الحجر والشجر ليقولان يا مؤمن تحتي يهودي فأته فاقتله قال صلى الله عليه وسلم يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم اماما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ﴿فضل الاذان في بيت المقدس﴾ روى عن جابر رضي الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله أي الخلق أول دخولا الى الجنة قال الانبياء قال ثم من قال الشهدا قال ثم من قال مؤذنو بيت المقدس قال ثم من قال مؤذنو المسجد الحرام قال ثم من قال مؤذنو مسجدي قال ثم من قال سائر المؤذنين * وعن العلاء بن هارون قال بلغني ان الشهدا يسمعون أذان مؤذني بيت المقدس لصلاة الغداة يوم الجمعة * وعن كعب قال لم يستشهد شهيد قط في بر ولا بحر الا وهو يسمع أذان مؤذني بيت المقدس وانه يسمع أذان مؤذني بيت المقدس من السما ﴿فضل الصدقة في بيت المقدس﴾ روى عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال من تصدق في بيت المقدس بدرهم كان له براءة من النار ومن تصدق برغيف كان كمن تصدق بجبال الارض ذهبا ﴿فضل الصيام فيه والاستغفار﴾ روى عن كعب أنه قال من صام يوما ببيت المقدس أعطاه الله براءة من النار ومن استغفر للمؤمنين والمؤمنات في بيت المقدس ثلاث مرات كتب له مثل جميع حسنات المؤمنين والمؤمنات وتدخل على كل مؤمن ومؤمنة من دعائه في كل يوم وليلة ستون مغفرة ﴿فضل الدفن في بيت المقدس﴾ قد سأل موسى عليه السلام ربه أن يدنيه من الارض المقدسة رمية حجر وتقدم ذكر ذلك عند ذكره عليه السلام * وعن كعب ان بيت المقدس ألف قبر من قبور الانبيا عليهم السلام * وعن أبي هريرة رضي الله عنه

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات ببيت المقدس فكأنما مات
في السماء ﴿فضل الصخرة﴾ روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
صخرة بيت المقدس من صخور الجنة وعن عبادة بن الصامت رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة بيت المقدس على نخلة
والنخلة على نهر من انهار الجنة وتحت النخلة آسية امرأة فرعون ومريم
ابنة عمران ينظمان سموط أهل الجنة الى يوم القيامة * وعن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيد
البقاع بيت المقدس وسيد الصخور صخرة بيت المقدس * وعن أم عبد الله
ابنة خالد بن سعدان عن أبيها لا تقوم الساعة حتى تزف الكعبة الى الصخرة
فيتعلق بها جميع من حجها واعتمرها فاذا رأتها الصخرة قالت مرحبا
بالزائرة والمزورة * وروى ان الله عز وجل يجعل الصخرة يوم القيامة
مرجانة بيضاء ثم يبسطها عرض السماء والارض ﴿فضل الصلاة عن يمين
الصخرة﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن أبي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي الى بيت المقدس عن يمين الصخرة
قال المشرف ولم يختلف اثنان انه عرج به من عند القبة التي يقال لها قبة
المعراج (البلاطة السوداء) وهي التي من داخل الباب الشامي من ابواب
الصخرة ويعرف هذا الباب باب الجنة * حكي انه رؤي الخضر عليه
السلام يصلي هناك والله أعلم ويقال ان قبر سليمان عليه السلام بهذا
الباب وتقدم عند ذكر وفاته ما قيل ان قبره ببيت المقدس عند الجسمانية
وانه هو وأبوه داود في قبر واحد ﴿اليمين عند الصخرة﴾ حكي عن عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه انه أمر ان يحمل عمال سليمان بن عبد الملك
يستحلفون عند الصخرة فحلفوا الا رجلا واحدا افتدى يمينه بألف دينار
يقال له أهيب بن حنذب فما حال عليهم الحول حتى ماتوا والله أعلم
﴿فضل الصخرة ليلة الرجفة﴾ روى أبو عمير عن جندب عن رستم الفارسي
قال أتت الرجفة فقيل لي قم فأذن فاستهنت بذلك ثم أتت الثانية فقيل لي

ثم نادى فاستيقظت ثم أتيت الثالثة فانتهرت انتهارة شديدة وقيل لي
ثم نادى فأتيت المسجد فإذا الدور قد تهدمت قال فخرج لي بعض حراس
الصخرة فقال لي اذهب فأتني بخبر أهلي وقال حتى أخبرك بالعجب قال
فأتيت منزلي فإذا هو قد تهدم فرجعت فأعلمته فقال لي لما كان من الأمر
ما كان أتى إليها فجعلت حتى نظرنا الى السما والنجوم ثم أغفيت
فسمعتهم يقولون ساووها عدلوها حتى أعيدت على حالها ورواه
عبد الله بن محمد القرماني عن ضمرة عن رشيم نحوه وفيه ان الذي خرج
إليه رجل من حراس الصخرة الشريفة وكان على كل باب عشرة وفيه لما
أخبره عن أهله قال لم نعلم في أول الليل إلا وقد قلعت القبة من موضعها
حتى بدت لنا الكواكب فلما كان قبل نعسنا جميعا وحكم ثم
سمعنا قوما لا يقول ساووها عدلوها بلا تراب فأعيدت على حالها
وروى الوليد بن حماد عن عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت قال
حدثني أبي عن أبيه عن جده ان أبا عثمان الانصاري كان يحيي الليل بعد
انصرافه من الشام في شهر رمضان على البلاطة السودا قال فبينما هو
قائم في الصلاة حتى سمع صوت الهدة في المدينة وصراخ الناس
واستغاثتهم وكانت ليلة باردة مظلمة كثيرة الرياح والامطار قال فسمعت
قائلا يقول أسمع الصوت ولا أرى الشخص ارفعوها رويدا بسم الله
فقلعت القبة قلعا حتى بدى لنا بياض السما والنجوم فأصاب وجهه
من رش المطر حتى أذن رشيم الفارسي فسمع قائلا يقول ردوها رويدا
بسم الله ساووها عدلوها فردت القبة على ما كانت عليه وكان هذا في
الرجفة الاولى وكانت هذه الرجفة في شهر رمضان سنة ثلاثين
ومائة والله سبحانه وتعالى اعلم ﴿فصل في ذكر من فضائل بيت المقدس
الشريف المعظم﴾ قد تقدم ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال أربع من مدائن الجنة مكة والمدينة
ودمشق وبيت المقدس وروى المشرف بسنده عن عمران بن الحصين

قال قلت يارسول الله ما أحسن المدينة قال لو رأيت بيت المقدس قال قلت أهي أحسن منها فقال كيف لا تكون أحسن منها وكل من فيها يزار ولا يزور وتهدى اليه الارواح ولا تهدى روح بيت المقدس لغيرها الا ان الله أكرم المدينة الشريفة وطيبها بي وانا فيها حي وأنا فيها ميت ولولا ذلك ما هاجرت من مكة فاني ما رأيت القمر في بلاد قط الا وهو بمكة أحسن * وروى أن موسى عليه السلام نظر وهو ببيت المقدس الى نور رب العزة ينزل ويصعد الى بيت المقدس * وعن كعب قال باب مفتوح من السماء من أبواب الجنة ينزل منه النور والرحمة على بيت المقدس كل صباح حتى تقوم الساعة والطل الذي ينزل على بيت المقدس شفاء من كل داء لانه من الجنة * وعن مقاتل بن سليمان ان كل ليلة ينزل سبعون ألف ملك من السماء الى مسجد بيت المقدس يهللون الله ويسبحونه ويقدسونه ويحمدونه لا يعودون اليه حتى تقوم الساعة * وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى بقعة من بقع الجنة فلينظر الى بيت المقدس * وقال كعب ان الله ينظر الى بيت المقدس كل يوم مرتين * وقال أنس بن مالك رضي الله عنه ان الجنة لتحن شوقا الى بيت المقدس وبيت المقدس من جنة الفردوس والفردوس بالسريانية البستان وقيل الكرم * وعن خالد بن معدان ان حذو بيت المقدس باب من السماء يهبط منه كل يوم سبعون ألف ملك يستغفرون لمن يجدونه يصلي فيه * وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بيت المقدس بنته الانبياء وعمرته وما فيه موضع شبر الا وقد سجد عليه نبي أو قام عليه ملك وقال مقاتل ان الله تعالى تكفل لمن سكن بيت المقدس بالرزق ان فاته المال * ومن مات مقيما محتسبا في بيت المقدس فكأنما مات في السماء ومن مات حول بيت المقدس فكأنما مات في بيت المقدس وأول أرض بارك الله فيها بيت المقدس والارض المقدسة التى ذكرها الله في القرآن فقال الى الارض التي باركنا فيها للعالمين هي أرض

بيت المقدس * وكلم الله موسى في أرض بيت المقدس * وتاب الله على داود وسليمان عليهما السلام في أرض بيت المقدس * ورد الله على سليمان ملكه في بيت المقدس * وبشر الله زكريا بيحيى في بيت المقدس * وسخر الله لداود الجبال والطير في بيت المقدس وكانت الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم يقربون القرابين ببيت المقدس * ويبعث يأجوج ومأجوج على الارض كلها غير بيت المقدس ويهلكهم الله في أرض بيت المقدس وينظر الله في كل يوم بخير الى بيت المقدس وأوصى ابراهيم واسحاق عليهما السلام لما ماتا ان يدفنا بأرض بيت المقدس وأوصى آدم عليه السلام لما مات بأرض الهند ان يدفن ببيت المقدس * وأوتيت مريم عليها السلام فاكهة الشتا في الصيف وفاكهة الصيف في الشتا في بيت المقدس * وولد عيسى عليه السلام وتكلم في المهد في بيت المقدس * وانزلت عليه المائدة في أرض بيت المقدس * ورفعه الله الى السما من بيت المقدس وينزل من السما الى الارض ببيت المقدس * وماتت مريم عليها السلام ببيت المقدس * وهاجر ابراهيم عليه السلام من كوثا الى بيت المقدس * وصلى النبي صلى الله عليه وسلم زمانا الى بيت المقدس * وأسري به الى بيت المقدس * ويكون الحشر في آخر الزمان الى بيت المقدس * والحشر والنشر الى بيت المقدس * والحساب يوم القيامة ببيت المقدس * وينصب الصراط على جهنم الى الجنة ببيت المقدس * وينفخ اسرافيل في الصور ببيت المقدس * والحوت الذي الارضون على ظهره ورأسه في مطلع الشمس وذنبه بالمغرب ووسطه تحت بيت المقدس * ومن صلى في بيت المقدس فكأنما صلى في سما الدنيا بحرب الارض كلها او بحر بيت المقدس * ومن صبر في بيت المقدس سنة على لأوائها وشدائدها اتاه الله رزقه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن تحته ومن فوقه يأكل رغدا ويدخل الجنة ان شا الله تعالى وأول بقعة بنيت من الارض كلها موضع صخرة بيت المقدس * وتطهر عين موسى

في آخر الزمان بيت المقدس * وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن خيار أمتي من هاجر هجرة بعد هجرة الى بيت المقدس ومن صلى ببيت المقدس بعد ان توضأ واسبغ الوضوء ركعتين أو أربعا غفر له ما كان قبل ذلك * وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه النجاء النجاء الى بيت المقدس اذا ظهرت الفتن قال يا رسول الله فان لم أدرك بيت المقدس قال فابذل واحرز دينك وفي لفظ آخر فابذل مالك واحرز دينك وقال علي رضي الله عنه لصعصعة نعم المسكن عند ظهور الفتن بيت المقدس القائم فيه كالمجاهد في سبيل الله وليأتين على الناس زمان يقول أحدهم ليتني تبنة في لبنة من لبنات بيت المقدس * أحب الشام الى الله تعالى بيت المقدس أحب جبالها اليه الصخرة وهي آخر الارض خرابا بأربعين عاما قال وهي روضة من رياض الجنة * وروي عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني انه قال لا تقوم الساعة حتى يضرب على بيت المقدس سبعة احباط حائط من فضة وحائط من ذهب وحائط من لؤلؤ وحائط من ياقوت وحائط من زبرجد وحائط من نور وحائط من غمام * واما ما يقال ان بيت المقدس طشت من ذهب مملوء عقارب وانه كأجمة الاسد فداخله اما ان يسلم واما أن يدركه العطب فقد حمل ذلك على زمان بني اسرائيل الذين كانوا يعملون فيه بمعاصي الله تعالى فان اللفظ المذكور قيل انه مكتوب في التوراة قال بعض العلماء وظاهر الخطاب يدل على انهم يعني العقارب كانوا موجودين في ذلك الوقت ولو أراد قوما من هذه الامة قال أبناؤها عقارب حتى يكون للمستقبل والله أعلم وأما اليوم فالحمد لله فانه وبأبنائه الطائفة المنصورة كما تقدم * وعن أبي عمرو الشيباني قال ليس بعد من الخلفاء الا من ملك المسجدين المسجد الحرام ومسجد بيت المقدس الشريف وقد أجمعت الطوائف كلها على تعظيم بيت المقدس ماعدا السامرة فانهم يقولون ان القدس جبل نابلس وخالفوا جميع الامم في ذلك * وقد كان بنو اسرائيل اذا نزل بهم خوف من عدو أو أجدبوا صوروا

القدس وجعلوه هيكلا وصوروا ابوابه ومحاريبه واستعملوا به التعبد ويرحمه الله تعالى وكذلك في الجدب اذا صوروه واستعملوا به فلا تزال السما تمطر عليهم حتى يردموا الهيكل وكانوا يعملون ذلك في كل أمر مهم يدهمهم والله سبحانه وتعالى اعلم * ذكر ما يستحب ان يدعى به عند دخول المسجد الشريف والصخرة الشريفة وآداب دخولها ومن أي باب يدخلها * يستحب لمن أراد دخول المسجد ان يبدأ برجله اليمنى ويؤخر اليسرى ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك واذا خرج صلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك * ويستحب لمن أراد الدخول للصخرة الشريفة أن يعطيها غيبة حتى يكون بخلاف الطواف حول البيت الحرام وعدم النية ويقصد التوبة بالاخلاص مع الله تعالى وان أحب ان ينزل تحت الصخرة الشريفة في المغارة فليفعل فاذا نزل يكون بأدب وخشوع ويصلي ما بدا له ويدعو بدعا سليمان عليه السلام الذي دعا به لما فرغ من بنائه وقرب القربان وهو قوله اللهم من أتاه من ذي ذنب فاغفر ذنبه أو ذي ضر فاكشف ضره ثم يدعو بما شا من خيري الدنيا والآخرة ويجتهد في الدعاء تحت الصخرة فان الدعا في ذلك الموضع مقطوع له بالاجابة ان شا الله تعالى * وحكى جماعة من العلما ان الادعية التي يدعى بها ليس فيها خصوصية بهذا الموضع فان الانسان مأمور بالدعا موعود عليه بالاستجابة لقوله تعالى وقال ربكم ادعوني أستجب لكم وقوله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان والمراد من الادعية ما وردت به السنة الشريفة النبوية * فمن ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي عياش زيد بن الصامت الزرقي حين رآه يصلي ويقول اللهم اني اسألك بان لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به

أعطى * ومن ذلك ما رواه عبد الله بن زيد عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم انى أسألك بأنك أنت الله الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه الاعظم الذى اذا سئل به أعطى واذا دعى به أجاب * ومن ذلك ما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو به ويقول انه لن يدعو به ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا عبد صالح الا كان من الدعاء المستجاب اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق احينى ما علمت ان الحياة خير لى وتوفنى ما علمت أن الوفاة خير لى واسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة الحق فى الغضب والرضى والقصد فى الفقر والغنى واسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع وبرد العيش بعد الموت واسألك النظر الى وجهك والشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين * وروى ان ادريس النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذه الدعوة ويأمر ان لا يعلموها السفهاء فيدعوا بها وكان يقول ياذا الجلال والاكرام ياذا الطول لا اله الا أنت ظهر اللاجين وجار المستجيرين ومأمن الخائفين اللهم ان كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقيا أو محروما أو مقترا على فى رزقى فامح اللهم بفضلك شقاوتى وحرمانى واقتار رزقى وأثبتنى عندك فى أم الكتاب سعيدا مرزوقا موفقا للخيرات مستورا مكفيا مؤنة من يؤذينى انك قلت وقولك الحق فى كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقد رأيت منقولا انه يستحب الدعاء بهذا فى ليلة النصف من شعبان وقد ورد فى الاخبار والاحاديث غير ذلك والمراد هنا الاختصار والله الموفق المهدى للصواب

﴿ذكر الفتح العمرى﴾ الذى يسره الله سبحانه وتعالى على يد أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعمارة المسجد الاقصى الشريف على يده * روى عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعدد ستا بين يدي الساعة موتي قال فوجمت عندها وجمة فقال قل إحدى
ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يكون فيكم كقعاص الغنم واستفاضة
المال فيكم حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل لها ساخطا ثم يكون ٣
فيكم فتنة فلا يبقى بيت من بيوت العرب الا دخلته ثم هدنة تكون
بينكم وبين بني الاصفر فيغدرون بكم ثم يأتونكم في ثمانين غاية كل غاية اثنا عشر
الفا * قوله فوجمت وجمة قال الجوهري الواجم الذي اشتد حزنه حتى
امسك عن الكلام * والموتان بضم الميم وسكون الواو هو الموت الكثير
السريع ووقوعه ولذلك شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بقعاص الغنم فهو
داء يأخذها لا يلبثها ان تموت * والقعص أن تضرب الانسان فيموت
مكانه ثم نقل فقيل لهذا الداء قعاص لسرعة الموت ثم شبه به الموتان
وعن عوف قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة
من ادم فقال لي يا عوف أعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت
المقدس * وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لشداد أوس الا ان الشام ٥
سيفتح وبيت المقدس سيفتح ان شاء الله تعالى وتكون أنت وولدك من
ائمتهم ان شاء الله تعالى ثم ان الست المذكورة قد وقع بعضها فوفاته
صلى الله عليه وسلم وفتح بيت المقدس قد وجد ووقع الطاعون وقد تم
بالخاصة وقال انه طاعون عمواس الواقع في سنة ثمانية عشر من الهجرة
الشريفة ثم استفاضة المال في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه قال
الوليد بن مسلم قال سعيد بن عبد العزيز زاد عثمان للناس عامة الديوان
مائة دينار زيادة دينار في عطائهم وكانت الفتنة وهي قتل الوليد وما وقع
بين الناس بالشام والعراق وخراسان من الفرقة والعصبة ولا زال
متتابعة حتى تقع هدنة الروم * ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
استقر الامام أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعده في الخلافة * واسمه
عبد الله ولقبه عتيق الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن
سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي يلتقي مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي وهو أول خليفة في الإسلام وكان يدعى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وله المواقف الرفيعة في الإسلام * ثم ختم ذلك بما هو من أحسن مناقبه وأجل فضائله وهو استخلافه على المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأيد به الإسلام وأعز به الدين وذلك أنه لما حضرته الوفاة شاور الصحابة في ذلك فأشاروا به * ثم دعا أبو بكر عثمان بن عفان رضي الله عنهما فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عاهد عليه أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حين يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب اني مستخلف عليكم عمر بن الخطاب فاسمعوا له واطيعوا فان عدل فذلك ظني به وعلمي فيه وان بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم أمره فختم الكتاب وخرج به الى الناس فبايعوا عمر ورضوا به ولما أراد أبو بكر أن يقلد عمر الخلافة قال له عمر اعفني يا خليفة رسول الله فاني غني عنها قال بل هي فقيرة اليك قال ليس لي بها حاجة قال هي محتاجة اليك فقلده الخلافة على كره منه ثم أوصاه بما أوصاه فلما خرج رفع أبو بكر يديه وقال اللهم اني لم أرد بذلك الا صلاحهم وخفت عليهم الفتنة فوليت عليهم خيارهم وقد حضرني من أمرك ما حضرني فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم في يدك وأصلح لهم ولاتهم واجعله من خلفائك الراشدين يتبع هدى نبي الرحمة وأصلح له رعيته * ثم توفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشر من الهجرة الشريفة وله ثلاث وستون سنة ودفن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت خلافته سنتين وثلاثة اشهر وعشر ليالي وبويع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر رضي الله عنه وهو أول من سمي بأمير المؤمنين * واما

نسبه فهو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن
عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب وفي كعب يجتمع
نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم القرشي العدوي * وأول
خطبة خطبها قال يا أيها الناس والله ما فيكم أحد أقوى من الضعيف
عندي حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق
منه * ثم أول شيء أمر به أن عزل خالد بن الوليد عن الإمرة وولى أبا عبيدة
ابن الجراح على الجيش والشام وأرسل بذلك إليهما فإنهما كانا قبل وفاة
أبي بكر رضي الله عنه في وقعة اليرموك وفرغا منها وقصدا دمشق فلما ورد
عليهما كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه سار أبو عبيدة ونزل دمشق
الشام من جهة باب الجابية ونزل خالد بن الوليد من جهة الباب الشرقي
ونزل عمرو بن العاص من جهة باب توما ويزيد بن أبي سفيان من جهة
الباب الصغير إلى باب كيسان وحاصروها قريبا من ستين ليلة وفتح
خالد ما يليه بالسيف فخرج أهل دمشق وبذلوا الصلح لأبي عبيدة من
الجانب الآخر وفتحوا له الباب فأمنهم ودخل والتقى مع خالد في وسط
البلد * وبعث أبو عبيدة بالفتح إلى عمر ثم بعد دمشق سار ففتح حمص بعد
حصار طويل ثم فتح حماة صلحا وكذلك المعرة ثم فتح اللاذقية عنوة وفتح
جبلة وانطرطوس ثم فتح حلب وانطاكية وفتح بلادا أخر منها قيسارية
وسبسطية ويقال إن بها قبر يحيى وزكريا ونابلس ولد ويافا وتلك
البلاد جميعها حتى دخلت سنة خمس عشرة من الهجرة الشريفة *
ثم سار أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه حتى أتى الأردن فعسكر بها
وبعث الرسل إلى أهل إيليا وكتب إليهم بسم الله الرحمن الرحيم من أبي
عبيدة بن الجراح إلى بطارقة أهل إيليا وسكانها سلام على من اتبع
الهدى وآمن بالله وبالرسول * أما بعد فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله
إلا الله محمد رسول الله وإن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من
في القبور فإن شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم

وكنتم لنا اخوانا وان ابيتم فاقروا لنا باداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون وان أنتم أبيتم سرت اليكم بقوم هم أشد حبا للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ثم لا أرجع عنكم ان شاء الله أبدا حتى اقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم * وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني أحمد الله تعالى اليك الذي لا اله الا هو أما بعد فالحمد لله الذي أهلك المشركين ونصر المسلمين وقديما ما تولى الله أمرهم وأظهر فلجهم وأعز دعوتهم فتبارك الله رب العالمين أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أنا لقينا الروم وهم جموع لم تلق العرب مثلها جموعا فأتوا وهم يرون لا غالب لهم من الناس أحد فقاتلوا المسلمين قتالا شديدا ما قوتل المسلمون مثله في موطن قط ورزق الله المؤمنين النصر وأنزل عليهم الصبر فقتلهم الله تعالى في كل قرية وفي كل شعب وواد وجبل وسهل وغنم الله المسلمين عسكرهم وما كان فيهم من أموالهم ومتاعهم ثم اني تبعتهم بالمسلمين حتى بلغت أقصى بلاد الشأم وقد بعثت الى أهل الشأم عمالي وقد بعثت الى أهل ايليا أدعوهم الى الاسلام فان قبلوا والا فليؤدوا الجزية الينا عن يد وهم صاغرون فان أبوا سرت اليهم حتى أنزل بهم ثم لا أزايلهم حتى يفتح الله تعالى على المسلمين ان شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته * فكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني أحمد الله اليك الذي لا اله الا هو أما بعد فقد أتاني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من اهلاك الله المشركين ونصره المؤمنين وما صنع بأوليائه وأهل طاعته والحمد لله على حسن صنيعه الينا وسيتم الله تعالى ذلك بشكره ثم اعلموا انكم لم تظهروا على عدوكم بعدد ولا قوة ولا حول ولكن بعون الله ونصره ومنه وفضله فلله الطول والمنة والفضل العظيم فتبارك الله احسن الخالقين والحمد لله رب العالمين والسلام عليك * ثم ان أبا عبيدة انتظر أهل ايليا فأبوا

ان يأتوه وان يصالحوه فاقبل سائرا اليهم حتى نزل بهم وحاصرهم حصارا
شديدا وضيق عليهم فخرجوا اليه ذات يوم فقاتلوا المسلمين ساعة ثم ان
المسلمين شدوا عليهم من كل جانب ومكان فقاتلوهم ساعة ثم انهزموا
فدخلوا حصنهم * وكان الذي نزل بساحتهم يومئذ خالد بن الوليد ويزيد بن
أبي سفيان كل رجل منهما على باب فبلغ ذلك سعيد بن زيد وهو على أهل
دمشق فكتب الى أبي عبيدة ابن الجراح بسم الله الرحمن الرحيم الى أبي عبيدة
ابن الجراح من سعيد بن زيد سلام عليك فاني أحمد الله الذي لا اله الا هو
اليك أما بعد فاني لعمري ما كنت لأوثرك وأصحابك بالجهاد على نفسي
وعلى ما يدنيني من مرضاة ربي فاذا أتاك كتابي هذا فابعث الى عملك
من هو أرغب فيه مني فليعمله ما بدا لك فاني قادم اليك وشيكا ان شاء الله
تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال أبو عبيدة حين جاءه
الكتاب لنتركها احلوفا ثم دعا يزيد بن أبي سفيان وقال له اكفني دمشق
فقال له يزيد أكفيكها ان شاء الله تعالى فسار اليها فولاها اياه ولما حصر
أبو عبيدة أهل ايلياء وأوجب على نفسه انه غير مقلع عنهم ولم يجد لهم
طاقة بحربه قالوا نصالحك قال واني قابل منكم قالوا فأرسل الى خليفتكم
فيكون هو الذي يعطينا هذا العهد ويكتب لنا الامان فقبل أبو عبيدة
ذلك وهم ان يكتب وكان أبو عبيدة رضي الله عنه قد بعث معاذ بن جبل
على الاردن ولم يكن سار فقال معاذ لأبي عبيدة أتكتب لامير المؤمنين
تأمره بالقدوم عليك فلعله يقدم ثم يأبى هؤلاء الصلح فيكون مجيئه
فضلا وعناء فلا تكتب حتى توثق منهم واستحلفهم بالايمان المغلظة
والمواثيق المؤكدة ان أنت بعثت الى أمير المؤمنين فقدم عليهم
وأعطاهم امانا على أنفسهم وأموالهم وكتب لهم بذلك كتابا
ليقبلن وليؤدن الجزية وليدخلن فيما دخل فيه أهل الشام فبعث
بذلك اليهم أبو عبيدة فأجابوه اليه فلما فعلوا ذلك كتب أبو عبيدة الى عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير

المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد فإنا أقمنا على أهل إيلياء فظنوا أن لهم في مطاولتهم فرجا فلم يزدهم الله بها إلا ضيقا ونقصا وهزلا وذلا فلما رأوا ذلك سألوا أن يقدم عليهم أمير المؤمنين فيكون هو الموثق لهم والكاتب خشينا أن يقدم أمير المؤمنين فيغدر القوم ويرجعوا فيكون مسيرك أصلحك الله عناء وفضلا فأخذنا عليهم المواثيق المغلظة بأيمانهم ليقبلن وليؤدن الجزية وليدخلن فيما دخل فيه أهل الذمة ففعلوا فإن رأيت أن تقدم فافعل فإن في مسيرك أجرا وصلاحا آتاك الله رشدك ويسر أمرك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعث المسلمون إليه وفدا وبعث الروم وفدا مع المسلمين حتى أتوا المدينة فجعلوا يسألون عن أمير المؤمنين فقال الروم لترجمانهم عمن يسألون فقال عن أمير المؤمنين فاشتد عليهم وقالوا هذا الذي غلب فارس والروم وأخذ كنوز كسرى وقيصر ليس له مكان معروف بهذا غلب الأمم فوجدوه وقد ألقى نفسه حين أصابه الحر نائما فازدادوا تعجبا فلما قدم الكتاب على عمر رضي الله عنه دعا رؤساء المسلمين إليه وقرأ عليهم كتاب أبي عبيدة رضي الله عنه واستشارهم في الذي كتب إليه فقال له عثمان رضي الله عنه إن الله تعالى قد أذلهم وحصرهم وضيق عليهم وهم في كل يوم يزدادون نقصا وهزالا وضعفا ورعبا فإن أنت أقمت ولم تسر إليهم رأوا أنك بأمرهم مستخف ولشأنهم حاقر غير معظم فلا يلبثون إلا قليلا حتى ينزلوا على الحكم ويعطوا الجزية فقال عمر ماذا ترون هل عند أحد منكم رأي غير هذا فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه نعم عندي غير هذا الرأي قال ما هو قال إنهم قد سألوا المنزلة التي فيها الذل لهم والصغار وهو على المسلمين فتح ولهم فيه عز وهم يعطونكها الآن في العاجل في عافية ليس بينك وبين ذلك إلا أن تقدم عليهم ولك في القدوم عليهم الأجر في كل ظمأ ومخمصة وفي قطع كل واد وفي كل نفقة حتى تقدم عليهم فإذا أنت قدمت عليهم كان الأمن

والعافية والصلاح والفتح ولست آمن أن الروم يسألوك الصلح منهم
أن يمسكوا حصنهم فيأتيهم عدو لنا أو يأتيهم منهم مدد فيدخل على
المسلمين بلاء ويطول بهم حصار فيصيب المسلمين من الجهد والجوع
ما يصيبهم ولعل المسلمين يدنون من حصنهم فيرشقوهم بالنشاب
أو يقذفوهم بالمجانيق فإن أصاب بعض المسلمين شيء تمنيت أنك فديته بمشي
رجل من المسلمين تسيره إلى منقطع التراب وكان المسلم لذلك من إخوانه
أهلا فقال عمر رضي الله عنه قد أحسن عثمان النظر في مكيدة العدو
وأحسن علي بن أبي طالب النظر لأهل الإسلام سيروا على اسم الله تعالى
فإني سائر فخرج فعسكر خارج المدينة ونودي في الناس بالعسكر المسير
فعسكر العباس بن عبد المطلب بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ووجوه فرسان والأنصار والعرب رضي الله عنهم حتى إذا تكامل عنده
الناس استخلف على المدينة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسار فجعل
غداة إلا وهو يقبل على المسلمين بوجهه ويقول * الحمد لله الذي أعزنا
بالإسلام وأكرمنا بالإيمان وخصنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهدانا به
من الضلالة وجمعنا به من بعد الشتات وألف بين قلوبنا ونصرنا به على
الأعداء ومكن لنا في البلاد وجعلنا إخوانا متحابين فاحمدوا الله عباد الله
على هذه النعمة واسألوه المزيد فيها والشكر عليها وتمام ما أصبحتم
متقلبين فيه منها فإن الله يزيد المزيدين من الراغبين ويتم نعمته على
الشاكرين وكان لا يدع هذا القول في كل غداة في سفره كله فلما دنا من الشام
عسكر حتى قدم إليه من تخلف من العسكر فما هو إلا أن طلعت الشمس
فإذا الرايات والرماح والجنود قد أقبلوا على الخيول يستقبلون عمر بن
الخطاب رضي الله عنه * قال الراوي فكان أول من سبق لقينا من الناس
سألنا عن المدينة وأخبرناه بصلاح الناس فنادوا هل لكم
يا أمير المؤمنين من علم بنسائنا ومصرنا فقلنا نعم آخر فسألوا ثم سألونا
عن أمير المؤمنين هل لنا به علم فقال لنا الأخير إن القوم عن صاحبكم

علما

فقالوا هذا أمير المؤمنين فذهبوا يرحبون ويقتحمون عن خيولهم فناداهم عمر رضي الله عنه لا تفعلوا ورجع الآخرون الذين مضوا فساروا معنا وأقبل المسلمون يصفون الخيل ويشرعون الرماح في طريق عمر حتى طلع أبو عبيدة في عظيم الناس فإذا هو على قلوص ا كمها بعباءة خطامها من شعر لابس سلاحه متنكب قوسه فلما نظر إلى أمير المؤمنين أناخ قلوصه وأناخ أمير المؤمنين بعيره ونزل أبو عبيدة وأقبل إلى عمر وأقبل عمر إلى أبي عبيدة فلما دنا عمر من أبي عبيدة مد أبو عبيدة يده إلى عمر ليصافحه فمد عمر يده وأخذها أبو عبيدة وأهوى ليقبلها يريد أن يعظمه في العامة وأهوى عمر إلى رجل أبي عبيدة ليقبلها فقال أبو عبيدة مه يا أمير المؤمنين وتنحى فقال عمر مه يا أبا عبيدة وتعانقا الشيخان ثم ركبا يتسايران وسارا وسار الناس أمامهما * وحكى أنهم تلقوا عمر ببرذون وثياب بيض وكلموه أن يركب البرذون ليراه العدو فهو أهيب له عندهم وأن يلبس الثياب البيض ويطرح الفروة عنه فأبى ثم ألحوا عليه فركب البرذون بفروته وثيابه فهملج به البرذون وخطام ناقته بيده فنزل وركب راحلته وقال لقد غيرني هذا حتى خفت أن أتكبر وأنكر نفسي فعليكم يا معشر المسلمين بالقصد وإنما أعزكم الله عز وجل به * وروى عن طارق بن شهاب قال لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع جرموقيه فأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره فقال أبو عبيدة لقد صنعت اليوم صنعا عظيما عند أهل الأرض فصكه عمر في صدره وقال له لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس فأعزكم الله بالإسلام ومهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله تعالى * وروى أنه لما قدم عمر من المدينة ناهضوهم القتال بعد قدومه فظهر المسلمون على أماكن لم يكونوا ظهروا عليها قبل ذلك وظهروا يومئذ على كرم كان في أيديهم لرجل من النصارى له ذمة مع المسلمين في كرمه عنب فجعلوا يأكلونه فأتى الذمي عمر بن الخطاب

رضي الله عنه فقال له يا أمير المؤمنين كرمي كان في أيديهم فلم يبيعوه ولم يعرضوا له وأنا رجل في ذمة مع المسلمين فلما ظهر عليه المسلمون وثبوا فيه فدعا عمر رضي الله عنه ببرذون له فركبه عريانا من العجلة ثم خرج يركض في أعراض المسلمين فكان أول من لقيه أبو هريرة يحمل فوق رأسه عنبا فقال له وأنت أيضا يا أبا هريرة فقال يا أمير المؤمنين أصابتنا مخمصة شديدة فكان أحق من أكلنا من ماله من قاتلنا وتركه عمر ثم أتى الكرم فنظره فإذا هو قد أسرع الناس فيه فدعا عمر رضي الله عنه الذمي فقال له كم كنت ترجو من غلة كرمك هذا فقال له ستا قال خل سبيله ثم أخرج عمر رضي الله عنه ثمنه الذي قال له فأعطاه إياه ثم أباحه للمسلمين * ومن سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان عن خالد وعبادة قالا صالح عمر بن الخطاب رضي الله عنه أهل إيلياء بالجابية وكتب لهم فيها الصلح لكل كورة كتابا واحدا ما خلا أهل إيلياء بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين عمر أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنها لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعلى أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منه شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان * وعن عبد الرحمن بن غنم قال كتبت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين صالح نصارى أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا وأموالنا واهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا أن لا نحدث فى مدينتنا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نحيى منها ما كان فى خطط المسلمين ولا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين فى ليل ولا نهار وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل وان ننزل من مر من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نؤوى فى كنائسنا ولا فى منازلنا جاسوسا ولا نكتم غشا للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شركا ولا ندعو اليه أحدا ولا نمنع أحدا من ذوى قرابتنا الدخول فى الاسلام ان أراده وان نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم فى شئ من لباسهم فى قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمور وان نجز مقادم رؤسنا وان نلزم زينا حيثما كنا وان نشد زنانير على أوساطنا ولا نظهر الصليب على كنائسنا ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا فى شئ من طرق المسلمين ولا فى أسواقهم ولا نضرب نواقيسنا فى كنائسنا الا ضربا خفيا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ولا نطلع عليهم فى منازلهم قال فلما أتيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالكتاب زاد فيه ولا نضرب أحدا من المسلمين شرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا شيئا مما شرطناه لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل لكم منا ما حل من أهل المعاندة والشقاق *

رواه الامام البيهقي وغيره وقد اعتمد أئمة الاسلام هذه الشروط وعمل بها الخلفاء الراشدون * وروى أن عمر رضي الله عنه أمر بني أهل الذمة ان تجز نواصيهم وان يركبوا على الاكف عرضا ولا يركبوا كما يركب المسلمون وان يوثقوا المناطق أي الزنانير * ولما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس نزل على الجبل الشرقي فهو طور زيتا وأتى رسول بطريقها اليه بالبريد وقال انا سنعطي بحضورك ما لم نكن نعطيه لاحد دونك وسأله أن يقبل منه الصلح والجزية وأن يعطيه الامان على دمائهم وأموالهم وكنائسهم فأنعم له عمر بذلك فسأله الرسول الامان لصاحبه ليتولى مصالحته ومكاتبته فأنعم وخرج اليه بطريقها الى جابية فصالحهم واشهد على ذلك والبطريق هو الامير وأما البطرك فهو القاضي وكان اسم البطرك يوم ذلك صفرونيوس وكان قد أخبر النصارى ان الله يفتح البيت المقدس على يد عمر من غير قتال فلما فرغ عمر من كتاب الصلح بينه وبين أهل بيت المقدس قال لبطريقها دلني على مسجد داود قال نعم وخرج عمر متقلدا سيفه في أربعة آلاف من الصحابة الذين قدموا معه متقلدين سيوفهم وطائفة ممن كان عليها ليس عليهم من السلاح الا السيوف والبطريق بين يدي عمر في أصحابه حتى دخلوا بيت المقدس فادخلهم الكنيسة التي يقال لها القمامة وقال هذا مسجد داود فنظر عمر وتأمل وقال له كذبت ولقد وصف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد داود بصفة ما هي هذه فمضى به الى كنيسة يقال لها صهيون وقال له هذا مسجد داود فقال له كذبت فمضى به الى مسجد بيت المقدس حتى انتهى به الى الباب الذي يقال له باب محمد صلى الله عليه وسلم وقد انحدر ما في المسجد من الزبالة على درج الباب حتى خرج الى الزقاق الذي فيه الباب وكثر على الدرج حتى كاد أن يلصق بسقف الزقاق فقال له لا تقدر أن تدخل الا حبوا فقال عمر ولو حبوا فحبا بين يدي عمر وحبا عمر ومن معه خلفه حتى ظهروا الى صحنه واستووا فيه قياما فنظر عمر وتأمل مليا ونظر

يمينا وشمالا ثم قال الله أكبر هذا والذى نفسى بيده مسجد داود عليه
السلام الذى أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أسرى به اليه
ووجد على الصخرة زبلا كثيرا مما طرحته الروم غيظا لبنى اسرائيل فبسط
عمر رداءه وجعل يكنس ذلك الزبل وجعل المسلمون يكنسون معه الزبل
ومضى نحو محراب داود وهو الذى على باب البلد فى القلعة فصلى فيه ثم
قرأ سورة ص وسجد * وروى أنه لما جلا المزبلة عن الصخرة قال لا تصلوا
فيها حتى يصيبها ثلاث مطرات * وروى أنه لما فتح عمر رضى الله عنه
بيت المقدس قال لكعب يا أبا اسحاق أتعرف موضع الصخرة فقال اذرع
من الحائط الذى يلى وادى جهنم كذا وكذا ذراعا ثم احفر فانك تجدها
وكانت يومئذ مزبلة فحفروا فظهرت لهم فقال عمر لكعب أين ترى أن
نجعل المسجد أو قال القبلة فقال اجعله خلف الصخرة فتجتمع القبلتان
قبلة موسى وقبلة محمد صلى الله عليه وسلم فقال له ضاهيت اليهودية يا أبا
اسحاق خير المساجد مقدمها فبناها فى مقدم المسجد * وروى ان عمر
قال لكعب أين ترى نجعل المصلى قال الى الصخرة فقال ضاهيت والله
يا كعب اليهودية بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبلة مساجدنا صدورها اذهب اليك فانا لم نؤمر بالصخرة
ولكن أمرنا بالكعبة ولما فرغ عمر من فتح ايليا وعزل الصخرة من
القمامة وأبقى النصارى على حالهم بأداء الجزية وسمى المسلمون كنيسة
النصارى العظمى عندهم قمامة تشبيها بالمزابل وتعظيما للصخرة
الشريفة ثم ارتحل من القدس الى أرض فلسطين * وكان هذا الفتح فى سنة
خمسة عشر من الهجرة الشريفة قاله ابن الجوزى وغيره من المؤرخين وقيل
كان فى سنة ستة عشر فى ربيع الاول وقيل لخمس خلون من ذى القعدة
والله أعلم * ووجد على رأس بعض التصاوير التى كانت فى المسجد
الاقصى عقب ما استنقذه المسلمون منهم هذه الابيات ويقال انها لابن
صاحر الضمعى بعكا

أدمى الكنائس إن تكن صبت لكم * أيدي الحوادث أو بغير رجال
فلطالما هدت لكن شمامس * شم الأنوف ضراغم أبطال
بعدا على هذا المصاب لأنه * يوم بيوم والحروب سجال

وروى أن أمير المؤمنين عمر لما فتح بيت المقدس وكتب كتاب الأمان والصلح وقبضوا كتابهم وأمنوا دخل الناس بعضهم في بعض وأقام عمر أياما ثم قال لأبي عبيدة لم يبق أمير من أمراء الأجناد غيرك إلا استزارني فقال أبو عبيدة يا أمير المؤمنين إني أخاف إن استزرتك تعصر عينيك في بيتي قال فاستزرني فلما أتاه عمر في بيته فإذا ليس فيه شيء إلا لبد فرسه وإذا هو فراشه وسرجه وإذا هو وسادته وإذا كسر يابسة في كوة فجاء بها فوضعها على الأرض بين يديه وأتاه بملح جريش وكوز خزف فيه ماء فلما نظر عمر إلى ذلك بكى ثم التزمه وقال أنت أخي وما من أحد من أصحابي إلا وقد نال من الدنيا ونالت منه غيرك فقال له أبو عبيدة ألم أخبرك أنك ستعصر عينيك ثم إن عمر قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أهل الإسلام إن الله تعالى قد صدقكم الوعد ونصركم على الأعداء وأورثكم البلاد ومكن لكم في الأرض فلا يكونن جزاؤه منكم إلا الشكر وإياكم والعمل بالمعاصي فإن العمل بالمعاصي كفر للنعم وقلما كفر قوم بما أنعم الله عليهم ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم وسلط عليهم عدوهم ثم نزل وحضرت الصلاة فقال يا بلال ألا تؤذن لنا رحمك الله قال بلال يا أمير المؤمنين والله ما أردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن سأطيعك إذ أمرتني في هذه الصلاة وحدها فلما أذن بلال وسمعت الصحابة صوته ذكروا نبيهم صلى الله عليه وسلم فبكوا بكاء شديدا ولم يكن من المسلمين يومئذ أطول بكاء من أبي عبيدة ومعاذ بن جبل حتى قال لهما عمر حسبكما رحمكما الله فلما قضى صلاته انصرف أمير المؤمنين راجعا إلى المدينة واجتهد فيما هو بصدده من إقامة شعار الإسلام والطريق

مصالح المسلمين والجهاد في سبيل الله ولم يزل كذلك حتى توفي رضي الله عنه ونفعنا به وجمع بيننا وبينه في دار كرامته انه ولي الحسنات وغافر السيئات بمنه وكرمه * وقد حكى المصنفون لفضائل بيت المقدس قصة الفتح من طرق كثيرة بروايات وألفاظ مختلفة فأحسن ما رأيته منها ما نقلته هنا والله الموفق ﴿ذكر وفاة الامام عمر رضي الله عنه﴾ روى انه خرج لصلاة الصبح في جماعة فضربه أبولؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة لما وقف يصلي بخنجر رأسين وطعنه ثلاث طعنات احداها تحت سرته وهي التي قتلته وطعن اثني عشر رجلا من أهل المسجد مات منهم ستة ثم نحر نفسه بخنجره فمات لعنه الله ولما طعنه أبولؤلؤة وقع على الارض ثم قال أفي الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا نعم قال مروه يصلي بالناس وقال لولده عبد الله انظر من الذي قتلني فقال يا أمير المؤمنين ذلك أبولؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمد لله الذي لم يجعل قتلي على يد رجل سجد لله سجدة واحدة ثم بعث ابنه عبد الله الى عائشة رضي الله عنها فقال قل لها يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فاني لست اليوم أمير المؤمنين ويقول لك انه لاحق بربه أفتأذنين له أن يدفن مع صاحبيه فجاء عبد الله الى عائشة فاستأذن عليها وأذنت له فبلغها رسالة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فتأوهت وبكت وقالت لقد كنت أشم رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبي بكر فلما مات أبو بكر كنت أشم رائحته في أمير المؤمنين عمر ما لي والدنيا أفقد فيها الاحباب واحدا بعد واحد ثم قالت له بلغ أمير المؤمنين مني السلام وقل له الا انها كانت قد ادخرت ذلك لنفسها ولكنها آثرتك اليوم على نفسها فلما رجع عبد الله قال له عمر ما وراءك يا عبد الله قال الذي تحب قد أذنت لك عائشة قال الحمد لله ما كان شيء أهم الي من ذلك فاذا انا قبضت فارجع الى عائشة فاستأذنها ثانيا فربما تكون استحيت مني وانا حي فلا تستحي مني وانا ميت وأوصاهم أن يقتصروا في كفنه ولا يتغالوا وتوفي يوم السبت سلخ ذي الحجة سنة

بثلاث وعشرين من الهجرة النبوية ودفن يوم الأحد هلال المحرم سنة
أربع وعشرين وغسله ابنه عبد الله وحمل على سرير رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصلى عليه في مسجده وصلى بهم عليه صهيب وكبر عليه أربعا
ونزل في قبره ابنه عبد الله وعثمان بن عفان وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن
عوف وكانت خلافته رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام
وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح المشهور والصحيح أن عمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر أبي بكر رضي الله عنه وعمر وعلي
وعائشة ثلاث وستون سنة وكان عمر رضي الله عنه طوالا أصلع
أبيض تعلوه حمرة وقيل كان آدم شديد الأدمة كث اللحية وعليه أكثر
أهل العلم وفضائله أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر جاهد في الله
حق جهاده فطمس المجوس وفتح البلاد ومصر الأمصار وأعز الإسلام
وأذل الكفر وأجلى اليهود والنصارى من بلاد الحجاز وفي أيامه فتح
العراق والموصل ومصر والإسكندرية وغيرها وهو الذي اختط الكوفة
ووسع في المسجد الحرام وعمر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسجد الأقصى وهو أول من جمع الناس لصلاة التراويح وأول من كتب
التاريخ وأرخ من السنة التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأول من عس بالليل وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد وأول من
جمع الناس في صلاة الجنازة على أربع تكبيرات وكانوا يكبرون أربعا
وخمسا وستا وأول من حمل الدرة وضرب بها ودون الدواوين ولو لم يكن
من فضائله إلا فتح هذا البيت المقدس وتطهيره من الشرك لكفاه رضي
الله عنه ونفعنا ببركته وبركات علومه في الدنيا والآخرة * وأما من دخل
بيت المقدس من الصحابة رضي الله عنهم فهم خلق كثير لا يحصيهم إلا الله
سبحانه وتعالى ولنذكر جماعة من أعيانهم تبركا بذكرهم ونجعل ترتيب
أسمائهم على الوفيات من غير استقصاء في ذكر تراجمهم فأقول وبالله
التوفيق * أبو عبيدة بن الجراح واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح

الفهري أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وتقدم ذكره عند ابتداء ذكر الفتح توفي في طاعون عمواس في سنة ثمانية عشر من الهجرة الشريفة وقبره في قرية يقال لها عمتا تحت جبل عجلون بين فقارس والعادلية بزاوية دير علا من الغور الغربي ووفاته في خلافة عمر وله ثمان وخمسون سنة * معاذ بن جبل الانصاري رضي الله عنه استخلفه أبو عبيدة على الناس عند موته فمات أيضا بالطاعون بناحية الاردن في سنة ثمان عشرة وله ثمان وثلاثون سنة وقيل ثلاث وثلاثون سنة * وقبره بالقصر الذي من الغور ومات من العسكر في هذا الطاعون خمسة وعشرون ألف نفس وطال مكثه شهرا وطمع العدو في المسلمين * بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق وهو مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح بيت المقدس مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يؤذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى مرة واحدة لما أمره عمر بالاذان بعد الفتح كما تقدم توفي بدمشق في سنة تسعة عشر من الهجرة ودفن عند الباب الصغير وهو ابن بضع وستين سنة وقيل مات بحلب سنة عشرين وقيل ثمانية عشر والله أعلم * عياض بن غنم رضي الله عنه ابن عم أبي عبيدة دخل بيت المقدس وبنى فيها حماما وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم توفي في سنة عشرين من الهجرة * خالد بن الوليد رضي الله عنه سيف الله المسلول توفي سنة احدى وعشرين من الهجرة الشريفة واختلف في موضع قبره فقيل بحمص وقيل بالمدينة * أبو ذر الغفاري واسمه جندب بن جنادة دخل بيت المقدس وكانت وفاته بالربذة في سنة اثنين وثلاثين والله أعلم * أبو الدرداء عويمر رضي الله عنه توفي بدمشق في سنة اثنتين وثلاثين وقيل احدى وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنه * عبادة بن الصامت الانصاري رضي الله عنه وجهه عمر الى الشام قاضيا ومعلما وأقام بحمص ثم انتقل الى فلسطين وهو أول من ولي قضاها سكن بيت المقدس ومات بفلسطين ودفن ببيت المقدس وقيل بالرملة والاول

أشهر وكانت وفاته في سنة أربع وثلاثين للهجرة والآن قبره لا يعرف ببيت المقدس ولا بالرملة واندرس لاستيلاء الافرنج على تلك الساحة * سلمان الفارسي توفي في سنة ست وثلاثين من الهجرة ودفن بالمدائن عن مائتين وخمسين سنة وقال أكثر ذكره النووي في التهذيب والكرماني وابن الجوزي في صفوة الصفوة قال أهل العلم بالسير كان سلمان من المعمرين أدرك وصي عيسى بن مريم ورد بعض العلماء هذا القول وقال انه لم يبلغ المائة والله أعلم * أبو مسعود الانصاري عقبة بن عمرو البدري سكن بدرا ولم يشهدها على الراجح توفي في سنة تسع وثلاثين من الهجرة وقيل سنة أربعين * تميم الداري بن اوس رضي الله عنه وفد هو وأخوه نعيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع وأسلما وصحب تميم رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزا معه وروى عنه ولم يزل بالمدينة حتى تحول الى الشام بعد قتل عثمان وكان أميرا على بيت المقدس وهو الذي أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم أرض حبرون وسنذكر نسخة الاقطاع فيما بعد عند ذكر بلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام ان شاء الله تعالى توفي سنة أربعين من الهجرة الشريفة * عمرو بن العاص السهمي توفي سنة ثلاث وأربعين من الهجرة في خلافة معاوية * عبد الله بن سلام أبو الحارث الامام الحبر الاسرائيلي المشهود له بالجنة قدم بيت المقدس من خواص الصحابة كان اسمه الحصين فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله شهد فتح بيت المقدس توفي سنة ثلاث وأربعين من الهجرة * سعد بن زيد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة قدم بيت المقدس زمن الفتح توفي سنة احدى وخمسين من الهجرة بالعقيق وغسل بالكوفة وله بضع وسبعون سنة * أبو اسحاق سعد بن أبي وقاص واسمه مالك بن وهب رضي الله عنه قدم بيت المقدس وأحرم منه بعمرة احد العشرة المشهود لهم بالجنة مات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة فحمل الى المدينة وصلت عليه ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في حجرهن ودفن بالبقيع

في سنة خمس وقيل ست وخمسين من الهجرة وهو ابن بضع وسبعين سنة *
مرة بن كعب البهزي رضي الله عنه نزل بالشام وتوفي سنة سبع وخمسين
من الهجرة بالأردن * شداد بن أوس ابن أخي حسان بن ثابت نزل بالشام
ناحية فلسطين وكان ممن أوتي العلم والحلم والحكمة * يروى أنه لما دنت
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم قام ثم قام ثم جلس فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا شداد ما سبب قلقك فقال يا رسول الله
ضاقت بي الأرض فقال ألا إن الشام ستفتح وبيت المقدس سيفتح إن
شاء الله تعالى وتكون أنت وولدك من بعدك أئمة بها إن شاء الله فكان
كما أخبر صلى الله عليه وسلم وكان ذا عبادة واجتهاد توفي سنة ثمان وخمسين
من الهجرة وله خمس وسبعون سنة وقيل مات سنة إحدى وأربعين
وقبره ظاهر ببيت المقدس يزار في مقبرة باب الرحمة تحت سور المسجد
الأقصى رضي الله عنه * أبو هريرة رضي الله عنه واسمه عبد الرحمن بن
صخر قدم بيت المقدس وشهد فتحه مات بمدينة رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سنة تسع وخمسين من الهجرة وهو ممن لازم خدمة النبي صلى الله
عليه وسلم وروى عنه الكثير وليس هو المدفون بقرية يبنى التي هي من
أعمال مدينة غزة وإنما بها بعض ولده * معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين
رضي الله عنه قدم بيت المقدس وقدم عليه عمرو بن العاص فبايعه على
طلب دم عثمان وكتبا كتابا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تعاهد
عليه معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ببيت المقدس بعد قتل عثمان
وحمل كل واحد منهما صاحبه الأمانة إن بيننا عهد الله على التناصر
والتخالص والتناصح في أمر الله والإسلام ولا يخذل أحد صاحبه بشيء
ولا يتخذ من دونه وليجة ولا يحول بيننا ولد ولا والد أبدا ما حيينا فيما استطعنا
توفي بدمشق في النصف من رجب في سنة ستين من الهجرة وله ثمان
وسبعون سنة وقيل ست وثمانون سنة وقيل غير ذلك وصلى عليه
الضحاك ودفن بمقبرة دمشق * عبد الله بن عمرو بن العاص أسلم قبل أبيه

ولم يكن أصغر من أبيه إلا باثنتي عشرة سنة وكان يقرأ القرآن والتوراة
ويصوم يوما ويفطر يوما توفي في سنة خمس وستين من الهجرة * عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان كذلك
وكان يسمى الحبر لكثرة علومه وأهل من بيت المقدس في السنا
توفي سنة ثمان وستين من الهجرة بالطائف بقرية تدعى السلامة وقبره
ظاهر يزور بها عليه قبة مبنية وحولها مسجد جامع * عبد الله بن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنهما قدم بيت المقدس وأهل منه بعمرة وتوفي سنة
ثلاث وسبعين من الهجرة بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر وله بضع
وثمانون سنة * عوف بن مالك بن عوف الأشجعي أبو محمد شهد فتح بيت
المقدس ونزل بحمص وهو صحابي جليل توفي سنة ثلاث وسبعين من الهجرة
بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يعبد الله ولا يشرك به شيئا
والصلوات الخمس وأن لا يسأل الناس شيئا * أبو جمعة الأنصاري واسمه
جندب بن سباع وقيل جنيد بن سباع وقيل ابن وهب وقيل ان ددىك
قدم بيت المقدس ليصلي فيه يعد من الشاميين مات بالشام أول المحرم
سنة سبع وسبعين من الهجرة * واثلة بن الأسقع الهواري أسلم والنبي
صلى الله عليه وسلم متوجه إلى تبوك وقال إنه خدمه ثلاث سنين
وهو من أهل الصفة سكن البصرة ثم الشام وشهد المغازي بدمشق
وحمص ثم تحول إلى بيت المقدس ومات به وهو ابن مائة سنة وقيل مات
بدمشق في آخر خلافة عبد الملك بن مروان سنة خمس أو ست وثمانين
من الهجرة رضي الله عنه * أبو أمامة صدي بن عجلان الباهلي سكن بيت
المقدس ودمشق الشام وكان آخر من بقي بالشام من الصحابة رضي الله عنه
شهد حجة الوداع وهو ابن ثلاثين سنة توفي سنة ثمان وقيل ست وثمانين
من الهجرة * محمود بن الربيع أبو نعيم وقيل أبو محمد في الصحيح من حديث
الزهري عن محمود بن الربيع كان يزعم أنه أدرك رسول الله صلى الله عليه

وسلم وهو ابن خمس سنين وزعم أنه عقل مجة مجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم في وجهه نزل بيت المقدس وأهل منه بحج وعمرة وهو حسن
عبادة بن الصامت مات سنة تسع وتسعين من الهجرة وهو ابن ثلاث
وتسعين سنة * يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب كان أميرا بالشام على جند
من الأجناد ولما مات أمر عمر مكانه أخاه معاوية بن أبي سفيان *
أبو ريحانة واسمه شمعون بشين معجمة وقيل بالمهملة شمعون القرظي
من بني قريظة ويقال من بني النضير ويقال له مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانت ابنته ريحانة سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن
أبو ريحانة بيت المقدس وكان يعظ في المسجد الأقصى * الشريد بن سويد
قدم بيت المقدس لأنه كان قد نذر أن يصلي فيه إن فتح الله مكة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنه في ذلك فأذن له * ابن أبي الجدعا
وهو عبد الله بن أبي الجدعا التميمي ويقال له الكناني ويقال له العبدي *
فيروز الديلمي أبو عبد الله ويقال أبو عبد الرحمن ويقال أبو الضحاك ويقال
الحميري لنزوله حمير وهو من أبناء فارس من فرس صنعاء وفيروز من الذين
بعثهم كسرى إلى اليمن فنفوا الحبشة منها وغلبوا عليها سكن بيت المقدس
ويقال إنه مات بها وقبره به مات في خلافة عثمان * ذو الأصابع التميمي
ويقال الخزاعي ويقال الجهني سكن بيت المقدس وهو من أهل اليمن من
المدد الذين نزلوا الشام بيت المقدس * أبو محمد النجاري بالجيم الأنصاري
البدري قال صاحب مثير الغرام أظنه مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم
ابن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك النجاري كذا نسبه الواقدي وغيره وهو
الذي زعم أن الوتر واجب فقال عبادة بن الصامت كذب أبو محمد قيل توفي
في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل شهد صفين مع علي * سلام
ابن قيصر وقيل سلامة له صحبة وكان واليا لمعاوية على بيت المقدس وله
عقب به وأنكر بعضهم صحبته والله أعلم * أبو أبي بن أم حرام ويقال أبي
ويقال عبد الله بن أبي وقيل عبد الله بن كعب وقيل عبد الله بن عمرو بن

شمعون بن خلفة بن دبس وأمه أم حرام بنت ملحان أخت أم سليم أسلم قديما وقدم الشام وسكن بيت المقدس وكان ربيب عبادة بن الصامت وهو آخر من مات من الصحابة ببيت المقدس * وقال الحافظ أبو بكر الخطيب فيمن ذكر أنه كان ببيت المقدس من الصحابة والتابعين زمانه عبادة بن الصامت وشداد بن أوس وأبو أبي بن أم حرام وأبو ريحانة وسلامة بن قيصر وفيروز الديلمي وذو الأصابع وأبو محمد النجاري هؤلاء من أهل بيت المقدس ماتوا به وأعقب منهم عبادة بن الصامت وشداد وسلامة وفيروز وهؤلاء الذين أعقبوا وأولادهم ببيت المقدس وقد ورثهم به ولم يعقب أبو ريحانة ولا ذو الأصابع ولا أبو محمد النجاري والله أعلم * عصيف بن الحارث وهو الصواب في اسمه قدم بيت المقدس هو وأهله فصلى فيه وجماعة من الصحابة * صفية بنت حيي أم المؤمنين رضي الله عنها قدمت بيت المقدس فصلت فيه وصعدت على طور زيتا فصلت وقامت على طرف الجبل فقالت من هاهنا تفترق الناس يوم القيامة إلى الجنة وإلى النار توفيت في سنة خمسين وقيل اثنين وخمسين وقيل ست وثلاثين ودفنت بالبقيع رضي الله عنها * وحكى صاحب مثير الغرام أن حبرا من أحبار بيت المقدس قدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وقال يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لثنتي عشرة خلت من ربيع الأول فلما كانت صبيحة الخميس إذا بحبر أبيض الرأس واللحية معتم بعمامة على قعود له جاء فنزل فعقل بعيره بباب المسجد فنادى السلام عليكم ورحمة الله هل فيكم محمد رسول الله فقال علي ما تريد فقال أنا حبر من أحبار بيت المقدس قرأت التوراة ثمانين سنة يدرسها أربعين سنة صباحا فوجدت فيها ذكر محمد وإنه لنبي لا يكذب ولا يقول الكذب وقد جئت أطلب الإسلام على يديه فذكر أثرا طويلا بكلام علي رضي الله عنه *

﴿ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان بالقدس الشريف﴾ روى صاحب مثير الغرام

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل بأمتي
في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع الناس ببلاء أشد
منه حتى تضيق عليهم الارض بما رحبت وحتى تملأ الارض جورا وظلما
ثم ان الله يبعث رجلا يملأ به الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا
يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض لا تدخر الارض من بذرها
شيئا الا أخرجته ولا السماء من قطرها شيئا الا صبه الله عليهم مدرارا
يعيش فيهم سبع سنين أو ثماني سنين أو تسعا يتمنى الاحياء الاموات
بما صنع الله بأهل الارض من الخير * ورواه أبو القاسم البغوي بنحوه
وفيه وينزل بيت المقدس * وروى عن علي قال المهدي يولد بالمدينة من
أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم واسمه اسم نبي ومهاجره بيت المقدس
وعن محمد بن الحنفية قال تخرج راية سوداء لبني العباس ثم تخرج من
خراسان أخرى سوداء وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب
ابن صالح مولى بني تميم يهزمون أصحاب السفياني حتى ينزل بيت المقدس
يوطئ للمهدي سلطانه ويمد اليه ثلثمائة من الشام يكون بين خروجه وبين
ان يسلم اليه الامر ثلاثة وسبعون شهرا وعن شريح بن عبيد عن راشد
ابن سعد وضمرة بن حبيب ومشايخهم قالوا يخرج شعيب بن صالح مولى
بني تميم مختفيا الى بيت المقدس يوطئ للمهدي منزله اذا بلغه خروجه الى
الشام * وعن محمد بن علي قال اذا سمع العابد الذي بمكة بالخسف خرج
مع اثني عشر ألفا فيهم الابدال حتى ينزلوا ايليا يعني بيت المقدس الاثر *
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رأيتم خليفتين خليفة بيت المقدس يقتل الذي هو دونه يعني بالخليفة
الذي ببيت المقدس المهدي والذي دونه السفياني * وعن سليمان بن
عيسى قال بلغني انه على يد المهدي يظهر تابوت السكينة من بحيرة
طبرية حتى يحمل فيوضع بين يديه في بيت المقدس فاذا نظرت اليه اليهود
أسلموا الا قليلا منهم ثم يموت المهدي * واما ما روى عن أنس بن مالك

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الناس إلا شحا ولا الدنيا إلا إدبارا ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ولا مهدي إلا عيسى بن مريم فقال الحافظ أبو محمد إنه حديث واه جدا لا يعارض ما تقدم * وعن هشام بن عمار قال سمعت أن رجلا انتقل إلى بيت المقدس فقيل له ما نقلك الهنا قال لغني أنه لا يزال في بيت المقدس رجل يعمل عمل آل داود والله أعلم * ذكر بناء عبد الملك بن مروان قبة الصخرة الشريفة والمسجد الأقصى الشريف وما وقع في ذلك * لما توفي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعهد بالخلافة إلى النفر الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وشرط أن يكون ابنه عبد الله شريكا في الرأي ولا يكون له حظ في الخلافة بويع بعده بالخلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه واستقر فيها لثلاث مضت من المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة واستمر إلى أن استشهد في يوم الأربعاء لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما وفضائله ومناقبه مشهورة * ثم استقر بعده في الخلافة * أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبويع له بالخلافة في يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة ووقع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ما هو مشهور مما ليس في ذكره فائدة والسكوت عنه أولى واستمر إلى أن استشهد بالكوفة وكانت وفاته ليلة الأحد تاسع عشر رمضان سنة أربعين من الهجرة وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ثم استقر بعده في الخلافة ولده الحسن رضي الله عنه بويع له يوم وفاة والده واستمر في الخلافة نحو ستة أشهر وفي تمام ثلاثين سنة لوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تعود ملكا عضوضا وكان آخر ولاية الحسن تمام ثلاثين سنة

وسلم الامر لمعاوية فاستقر في الخلافة في شهر ربيع الاول سنة احدى وأربعين من الهجرة الشريفة واستمر في الخلافة نحو عشرين سنة الى أن توفي بدمشق في النصف من رجب سنة ستين من الهجرة وكان يلقب بالناصر لحق الله تعالى فلما توفي استقر بعده في الخلافة ولده يزيد ولقب نفسه بالمنتصر على أهل الزيغ وكان قد بويع له بالخلافة قبل وفاة أبيه ثم جددت له البيعة بعد وفاته فأساء السيرة وجار على الرعية وتجاهر بالمعاصي فلما اشتهر جوره وكثر ظلمه وقتل آل الرسول صلى الله عليه وسلم اجتمع أهل المدينة على اخراج عامله عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومروان ابن الحكم وسائر بني أمية وذلك باشارة عبد الله بن الزبير فلما بلغ ذلك يزيد ابن معاوية سير الجيوش الى اهل المدينة وجهز عليهم مسلم بن عقبة المري فانتهب المدينة الشريفة وقتل أهلها ثم قصد مكة فمات قبل وصوله اليها واستخلف مسلم على الجيش الحصين بن نمير فأتى مكة وحاصر ابن الزبير أربعين يوما ونصب المجانيق وهدم الكعبة الشريفة وأحرقها وكان ذلك قبل موت يزيد بأحد عشر يوما فأهلك الله يزيد ومات وكان موته بحوارين من عمل حمص لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة أربع وستين من الهجرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر وكانت سيرته اقبح السير ولو لم يكن منها الا قتل الحسين في أيامه وما وقع منه في حق ذرية النبي صلى الله عليه وسلم لكفاه ذلك في قبح السيرة واستقر بعده في الخلافة بدمشق ولده معاوية بن يزيد بن معاوية ولقب بالراجع الى الله وكان صالحا لم يعتن بالخلافة ولا باشرها وأقام ثلاثة أشهر وقيل دون ذلك وتوفي رحمه الله وكان الناس حين موت يزيد بايعوا عبد الله بن الزبير بمكة وتلقب بخادم بيت الله وكان مروان بن الحكم بالمدينة فقصد المسير الى عبد الله بن الزبير ومبايعته ثم توجه مع من توجه من بني أمية الى الشام وبايع أهل البصرة ابن الزبير واجتمع له الحجاز والعراق واليمن وبعث الى مصر فبايعه أهلها وبايع له في الشام نمر الضحاك

الشريف وذلك لأنه منع الناس عن الحج لئلا يميلوا مع ابن الزبير فضجوا فقصد أن يشغل الناس بعمارة هذا المسجد عن الحج وكان ابن الزبير يشنع على عبد الملك بذلك * وكان من خبر البناء ان عبد الملك بن مروان حين حضر الى بيت المقدس وأمر ببناء القبة على الصخرة الشريفة بعث الكتب في جميع عمله والى سائر الامصار ان عبد الملك قد أراد أن يبني قبة على صخرة بيت المقدس تقي المسلمين من الحر والبرد وان يبني المسجد وكره ان يفعل ذلك دون رأي رعيته فلتكتب الرعية اليه برأيهم وما هم عليه فوردت الكتب عليه من سائر عمال الامصار نرى رأي أمير المؤمنين موافقا رشيدا ان شاء الله يتم له ما نوى من بناء بيته وصخرته ومسجده ويجري ذلك على يديه ويجعله تذكرة له ولمن مضى من سلفه فجمع الصناع لعمله وأرصد للعمارة مالا كثيرا يقال انه خراج مصر سبع سنين ووضعه بالقبة الكائنة امام الصخرة من جهة الشرق بعد ان أمر ببنائها وهي من جهة الزيتون وجعلها حاصلا وشحنها بالاموال ووكل على صرف المال في عمارة المسجد والقبة وما يحتاج اليه أبا المقدام رجاء بن حياة بن جود الكندي وكان من العلماء الاعلام ومن جلساء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وضم اليه رجلا يدعى يزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان من أهل بيت المقدس وولديه ويقال ان عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع فصنعوا له وهو ببيت المقدس القبة الصغيرة التي هي شرقي قبة الصخرة التي يقال لها قبة السلسلة وأعجبه تكوينها وأمر ببنائها كهيئتها وأمر رجاء ويزيد بالنفقة عليها والقيام بأمرها وأن يفرغا المال عليها افراغا دون أن ينفقاه انفاقا وأخذوا في البناء والعمارة عند القبة من شرقي المسجد الى غربيه حتى اكملوا العمل وفرغ البناء ولم يبق للمتكلم فيه كلام وكان البناء الذي هو في صدر المسجد عند القبلة من شرقي المسجد الى غربيه من السور الذي عند مهد عيسى الى المكان المعروف الآن بجامع المغاربة فكتب رجاء ويزيد الى عبد الملك بدمشق قد أتم

الله ما أمر به أمير المومنين من بنا قبة صخرة بيت المقدس والمسجد الاقصى
ولم يبق لمتكلم فيه كلام وقد بقي مما أمر به أمير المومنين من النفقة عليه
بعد ان فرغ البنا وأحكم مائة ألف دينار فيصرفها أمير المومنين فيما أحب
فكتب اليهما أمير المومنين قد أمرت بها لكما جائزة لما وليتماه من عمارة
البيت الشريف المبارك فكتبا اليه نحن أولى ان نزيده من حلي نسائنا
فضلا عن أموالنا فاصرفها في أحب الاشيا اليك فكتب اليهما بان
تسبك وتفرغ على القبة فسبكت وافرغت عليها فما كان أحد يقدر
ان يتأملها مما عليها من الذهب وهيأ لها جلالا من لبود وأدم يوضع من
فوقها فاذا كان الشتا ألبسها لتكنها من الامطار والرياح والثلوج ثم
بعد انتقال الخلافة الى المنعم لله الوليد بن عبد الملك انهدم شرقي المسجد
ولم يكن في بيت المال حاصل فأمر بضرب ذلك وانفاقه على ما انهدم منه
وكانت ولاية الوليد في شوال سنة ست وثمانين ومات في جمادى الآخرة
سنة ست وتسعين من الهجرة وكان رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام قد جعلا
الصخرة بدرابزين ساسم ومن خلف الدرابزين ستور الديباج مرخاة بين
العمد وكان كل يوم اثنين وخميس يأمران بالزعفران فيدق أو يطحن ثم
يعمل من الليل بالمسك والعنبر والماورد الجوري ويخمر بالليل ثم
يأمر الخدم بالغداة فيدخلون حمام سليمان فيغتسلون ويتطهرون
ثم يأتون الى الخزانة التي فيها الخلوق فيلقون أثوابهم عنهم ثم يخرجون
أثوابا جددا من الخزانة مروية وهروية وشيئا يقال له العصب ومناطق
محلاة يشدون بها أوساطهم ثم يأخذون الخلوق ويأتون به الى الصخرة
فيلطخون ما قدروا أن تناله أيديهم حتى يغمروه كله وما لا تناله
أيديهم غسلوا أقدامهم ثم يصعدون على الصخرة حتى يلطخوا ما بقي منها
وفرغ آنية الخلوق ثم يأتون بمجامر الذهب والفضة والعود القماري
والند المطرى بالمسك والعنبر فيرخى الستور حول الاعمدة كلها ثم
يأخذون البخور ويدورون حولها حتى يحول البخور بينهم وبين القبة من

كثرته ثم تشمر الستور فيخرج البخور بفوح من كثرته حتى يبلغ الى رأس السوق فيشم الريح من يمر من هناك وينقطع البخور من عندهم ثم ينادى مناد فى صف البزازين وغيرهم ألا ان الصخرة قد فتحت للناس فمن أراد الصلاة فيها فليأت فيقبل الناس مبادرين الى الصلاة فى الصخرة فأكثر الناس من يدرك أن يصلى ركعتين وأقلهم أربعا فمن شم رائحته قال هذا ممن دخل الصخرة ثم تغسل آثار اقدامهم بالماء وتمسح بالآس الاخضر وتنشف بالمناديل وتغلق الابواب وعلى كل باب عشرة من الحجبة ولا تفتح الا يوم الاثنين ويوم الخميس ولا يدخلها فى غيرهما الا الخدم * وعن أبى بكر بن الحارث رضى الله عنه قال كنت أسرجها فى خلافة عبد الملك كلها بالبان المدينى والزيت الرصاصى قال وكانت الحجبة يقولون له يا أبا بكر مر لنا بقنديل نتدهن به ونتطيب فكان يجيبهم الى ذلك وكان يفعل بها ذلك فى أيام خلافة عبد الملك بن مروان كلها * قال الوليد وحدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت قال حدثنى أبى عن أبيه عن جده قال كان فى السلسلة التى فى وسط القبة على الصخرة درة يتيمة وقرنا كبش ابراهيم وتاج كسرى معلقات فى أيام عبد الملك بن مروان فلما صارت الخلافة الى بنى هاشم حولوها الى الكعبة حرسها الله تعالى * وكان الفراغ من عمارة قبة الصخرة والمسجد الاقصى فى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة الشريفة وهى السنة التى قتل فيها عبد الله بن الزبير * وكان من خبره أن عبد الملك بن مروان لما صفا له الوقت وثبت أمره فى الخلافة بعث الحجاج ابن يوسف الثقفى الى حرب عبد الله بن الزبير بمكة فأتى الحجاج الطائف فأقام بها شهرا ثم زحف الى مكة فحاصر ابن الزبير فى هلال ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين ودام الحصار حتى غلت الاسعار وأصاب الناس مجاعة وزاد الحجاج فى الحصار والقتال ورمى الكعبة بالمنجنيق فلما رمى به أرعدت السماء وأبرقت وجاءت صاعقة تتبعها أخرى فقتلت من أصحاب الحجاج اثنى عشر رجلا واشتد القتال وخرج ابن الزبير فقاتل قتالا شديدا

وتكاثر أهل الشام ألوفا من كل جانب فشدخوه بالحجارة فانصرع
فأكب عليه موليان له فقتلوا جميعا وتفرق أصحابه وأمر به الحجاج فصلب
وكان ذلك في يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة
ثلاث وسبعين من الهجرة الشريفة بعد قتال سبعة أشهر وكان له من
العمر حين قتل نحو ثلاث وسبعين سنة وهو أول من ولد للمهاجرين بعد
الهجرة لأنه بويع له سنة أربع وستين وكان سلطانه بالحجاز والعراق
وخراسان وأعمال الشرق وكان كثير العبادة مكث أربعين سنة لم ينزع
ثوبه عن ظهره وكانت خلافته تسع سنين وكان رضي الله عنه له جمة
مفروقة طويلة ولما صلب علق الحجاج الى جانبه كلبا ميتا ومنع والدته من
دفنه وكان لها من العمر مائة سنة وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي
الله عنهما وكانت تدعى بذات النطاقين ثم كتب الحجاج الى عبد الملك يخبره
بصلبه فكتب اليه يلومه ويقول هلا خليت بينه وبين أمه فأذن لها
بدفنه وماتت بعده بقليل وبعث الحجاج الى عبد الملك يعلمه بما زاده
ابن الزبير في الكعبة فأمر عبد الملك بهدمه ورده الى ما كان عليه في
حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يجعل له بابا واحدا ففعل الحجاج
ذلك وهو البنا الموجود في عصرنا * وقد تقدم ذكر ما وقع من البنا
والهدم في الكعبة وخلاصة الأمر أن سيدنا ابراهيم الخليل عليه الصلاة
والسلام بنى الكعبة وهي بيت الله الحرام كما تقدم عند ذكره بعد مضي
مائة سنة من عمره واستمر بناؤه نحو ألفي سنة وثمانمائة وخمس وسبعين
سنة الى ان هدمته قريش في سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبنوه كما تقدم وهو البنا الثاني واستمر نحو اثنين وثمانين
سنة ثم هدمه الحصين وأحرقه في أيام يزيد بن معاوية كما تقدم وذلك في
سنة أربع وستين من الهجرة ثم بناه عبد الله بن الزبير على قواعد ابراهيم
وهو البنا الثالث واستمر نحو تسع سنين ثم هدمه الحجاج وقتل ابن الزبير
في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة ثم بناه الحجاج وأخرج الحجر من البيت

وجعله على ما كان عليه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو البناء الرابع وكان في سنة أربع وسبعين من الهجرة واستمر على ما هو عليه الى هذا التاريخ وهو آخر سنة تسعمائة وكانت الكعبة تكسى القباطي ثم كسيت البرود وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف * وأما ذرع جدران الكعبة الشريفة فطول جدارها الشرقي من أعلا الشاخص الى أرض المطاف ثلاثة وعشرون ذراعا وثلث ذراع بذراع الحديد وكذلك جدرانها الثلاث سوى الشامي فانه ينقص عن الشرقي ربع ذراع والجدار الغربي ينقص عن الجدار الشرقي ثمن ذراع والجدار اليماني كالشرقي سواء بسواء ذكر ذلك الفاسي في تاريخه المختصر وذكر هو وغيره من المؤرخين عرض البيت الشريف من كل جهة وحرروا ذلك وليس هذا المحل ذكره خشية الاطالة * وأما أخبار توسعة المسجد الحرام وعمارته فأول من وسعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدور اشتراها ودور هدمها على من أبى البيع وترك ثمنها لأربابها في خزانة الكعبة وذلك في سنة خمس عشرة من الهجرة وكذلك فعل عثمان في سنة ست وعشرين من الهجرة ثم وسع عبد الله بن الزبير من جانبه الشرقي والشامي واليماني ثم وسع المنصور العباسي من جانبيه الشمالي والغربي وكان ما زاده مثل ما كان من قبل وابتدأ في العمل في المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة وفرغ في ذي الحجة سنة أربعين ومائة * ثم ان الخليفة المهدي وهو أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر المنصور العباسي حج في سنة ستين ومائة وجرد الكعبة وطلى جدرانها بالمسك والعنبر من أعلاها الى أسفلها ووسع المسجد من جانبيه اليماني والغربي حتى صار على ما هو عليه اليوم خلا الزيادتين فانهما أحدثا بعده وكانت الكعبة الشريفة في جانب المسجد ولم تكن متوسطة فهدم حيطان المسجد واشترى الدور والمنازل وأحضر المهندسين وصير الكعبة في الوسط وكانت توسعته في نوبتين الاولى في سنة احدى وستين والثانية في سنة سبع وستين ومائة وهي السنة التي

عمرتها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لأحد من الأمراء في
عمارة المسجد الحرام من المنقبة مثل ما للمهدي رحمه الله وممن عمره من غير
توسعة عبد الملك بن مروان رفع جدرانه وسقفه بالساج وعمره ابنه الوليد
وسقفه بالساج المزخرف وأزره من داخله بالرخام وزيد فيه بعد المهدي
زيادة دار الندوة بالجانب الشامي والزيادات المعروفة بزيادة باب إبراهيم
بالجانب الغربي وكان ابتداء زيادة دار الندوة في زمن المعتضد العباسي
وابتدأ الكتابة إليه فيها في سنة إحدى وثمانين ومائتين وكان عمل
الزيادة التي بباب إبراهيم في سنة ست وسبعين وثلاثمائة ووقع في
المسجد الحرام بعد ذلك عمارات كثيرة * وأما ذرع المسجد الحرام غير
الزيادتين فقد ذكره غير واحد من المؤرخين باعتبار ذراع اليد وحرره بعضهم بذراع
العمل الحديد فكان طوله من جداره الغربي إلى جداره الشرقي المقابل
له ثلاثمائة ذراع وستة وخمسين ذراعا وثمن ذراع بالذراع الحديد ويكون
ذلك بذراع اليد ثلاثمائة وسبعة أذرع وذلك من وسط جداره الغربي
الذي هو جدار رباط الخوزي إلى وسط جداره الشرقي عند باب الجنائز
ثم يمر في الحرم ملاصقا جدار الكعبة الشامي وكان عرضه من جداره
الشامي إلى جداره اليماني مائتي ذراع وستا وستين ذراعا بذراع الحديد
ويكون بذراع اليد ثلاثمائة ذراع وأربعة أذرع وذلك من وسط جداره
القديم عند العقود إلى وسط جداره اليماني الذي فيما بين باب الصفا وباب
أجياد ثم يمر فيما بين مقام إبراهيم والكعبة وهو إلى المقام أقرب *
وأما ذرع زيادة دار الندوة فهو أربعة وسبعون ذراعا إلا ربع ذراع
بالحديد وذلك من جدار المسجد الحرام الكبير إلى الجدار المقابل
له الشامي منها وعنده باب منارتها هذا ذرعها طولا وأما عرضها فسبعون
ذراعا ونصف ذراع وذلك من وسط جدارها الشرقي إلى وسط جدارها
الغربي وأما زيادة باب إبراهيم فقدرها طولا تسع وخمسون ذراعا
إلا سدس ذراع وذلك من الإساطين التي هي في إزاء المسجد الكبير

الى العتبة التي هي في باب هذه الزيادة واما ذرعها عرضا فاثنان وخمسون ذراعا وربع ذراع وذلك من صدر باب الحزورة الى جدار رباط رامشت

* واما عدد أبواب المسجد الحرام فتسعة عشر بابا تنفتح على ثمان وثلاثين طاقة فمنها في الجانب الشرقي * باب بني شيبة بثلاث طاقات * وباب السلام * وباب الجنائز طاقتان * وباب العباس ثلاث طاقات وباب علي ثلاث طاقات وفي الجانب اليماني * باب بازان * وباب البغلة * وباب الصفا * وباب أجياد الصغير * وباب المجاهدين * وباب مدرسة الشريف عجلان * وباب أم هانئ وكل من أبواب هذا الجانب طاقتان الا باب الصفا فخمسة وفي الجانب الغربي * باب عزورة وهو تصحيف لانها الحزورة وهو طاقتان * وباب ابراهيم نسبة لابراهيم الخياط كان عندهم وبعضهم نسبه لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهو بعيد وهو طاقة واحدة * وباب العمرة طاقة واحدة وفي الجانب الشمالي * باب السدة * وباب دار العجلة * وباب الزيادة واحدة * وباب السكينة وكل منها طاقتان الا باب الزيادة فهو طاقة * وعدة ما فيه من المنائر خمس منارات وزيدت منارة سادسة لمدرسة السلطان الملك الاشرف قايتباي نصره الله تعالى *

ومما وقع في الكعبة الشريفة في سنة سبع عشرة وثلثمائة في أيام المهدي بالله عبيد الله أول خلفاء الفاطميين وكان خليفة بغداد في ذلك العصر المقتدر بالله أبو الفضل جعفر العباسي أن أبا طاهر سليمان القرمطي صاحب البحرين قصد مكة ودخلها يوم التروية وهو ثامن الحجة فنهب أموال الحجاج وقتل الناس في رحاب مكة وشعابها حتى في المسجد الحرام وفي جوف الكعبة ودفن القتلى في بئر زمزم وفي المسجد الحرام وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها وشققها بين أصحابه وهدم قبة زمزم وأمر بقلع الحجر الاسود وأخذه الى هجر واستمر ببلادهم ثنتين وعشرين سنة ولم يرد الى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ولما صنف الامام أبو القاسم عمر بن الحسين الخرقي الحنبلي كتاب الخلاصة في فقه مذهب الامام أحمد

رضي الله عنه قال في كتاب الحج في باب ذكر الحج ودخول مكة وإذا
دخل المسجد الحرام فالمستحب أن يدخل من باب بني شيبة فإذا رأى
البيت رفع يديه وكبر الله تعالى ثم أتى الحجر الأسود إن كان وإنما قال ذلك
لأن تصنيفه الكتاب كان حال كون الحجر الأسود بأيدي القرامطة
حين أخذوه من مكانه ولم يردوه إلا بعد وفاة أبي القاسم الخرقي في التاريخ
المتقدم ذكره فإن أبا القاسم رحمه الله توفي بدمشق المحروسة في سنة أربع
وثلاثين وثلثمائة قبل إعادة الحجر إلى مكانه بخمس سنين ❊ ذكر صفة
المسجد الأقصى وما كان عليه في زمن عبد الملك وبعده ❊ روى الحافظ
بهاء الدين بن عساكر أنه كان فيه في ذلك الوقت من الخشب المسقف سوى
أعمدة خشب ستة آلاف خشبة وفيه من الأبواب خمسون بابا قال
القرطبي منها باب داود وباب سليمان وباب حطة وباب محمد عليه
الصلاة والسلام وباب التوبة الذي تاب الله عز وجل على داود فيه وباب
الرحمة وأبواب الأسباط ستة أبواب وباب الوليد وباب الهاشمي وباب
الخضر وباب السكينة وكان فيه من العمد ستمائة عمود من رخام وفيه
من المحاريب سبعة ومن السلاسل للقناديل أربعمائة سلسلة إلا خمسة
عشر منها مائتا سلسلة وثلاثون سلسلة في المسجد الأقصى والباقي في قبة
الصخرة الشريفة وذرع السلاسل أربعة آلاف ذراع ووزنها ثلاثة
وأربعون ألف رطل بالشامي وفيه من القناديل خمسة آلاف قنديل
وكان يسرج مع القناديل ألف شمعة في ليلة الجمعة وفي ليلة النصف من
رجب وشعبان ورمضان وفي ليلتي العيدين وفيه من القباب خمسة عشر
قبة سوى قبة الصخرة وعلى سطح المسجد من شقف الرصاص سبعة
آلاف شقفة وسبعمائة ووزن الشقفة سبعون رطلا بالشامي غير الذي
على قبة الصخرة وكل ذلك عمل في أيام عبد الملك بن مروان ورتب له من
الخدم القوام ثلثمائة خادم اشتريت له من خمس بيت المال كلما مات
منهم واحد قام مكانه ولده أو ولد ولده أو من أهاليهم يجري عليهم ذلك أبدا

ما تناسلوا وفيه من الصهاريج أربعة وعشرون صهريجا كبارا وفيه من المنابر أربعة ثلاثة مصاف واحد غربى المسجد وواحدة على باب الاسباط وكان له من الخدم اليهود الذين لا يؤخذ منهم جزية عشرة رجال وتوالدوا فصاروا عشرين لكنس أوساخ المسجد الناشئ فى المواسم والشتاء والصيف ولكنس المطاهر التى حول الجامع وله من الخدم النصارى عشرة أهل بيت يتوارثون خدمته لعمل الحصر ولكنس حصر المسجد وكنس القناة التى يجرى فيها الماء الى الصهاريج وكنس الصهاريج أيضا وغير ذلك وله من الخدم اليهود جماعة يعملون الزجاج القناديل والاقداح والثريات وغير ذلك لا يؤخذ منهم جزية ولا من الذين يقومون بالقش لفتائل القناديل جاريا عليهم وعلى أولادهم أبدا ما تناسلوا من عهد عبد الملك بن مروان وهلم جرا * وتوفى عبد الملك بن مروان بدمشق فى يوم الخميس لخمس عشرة ليلة مضت من رمضان سنة ست وثمانين من الهجرة الشريفة وعمره ستون سنة وكانت خلافته منذ قتل ابن الزبير واجتماع الناس له ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر تنقص سبع ليال وكان بالشام وما والاها قبل قتل ابن الزبير تسع سنين ونحو تسعة أشهر ومات الحجاج فى شهر رمضان وقيل شوّال سنة خمس وتسعين للهجرة وله ثلاث وخمسون سنة وكان موته بواسط وهو الذى بناها وأخفى قبره وأجرى عليه الماء * ومات رجاء بن حيوة الذى تولى بناء الصخرة والمسجد الاقصى فى سنة اثنتى عشرة ومائة وكان رأسه أحمر ولحيته حمراء * ولما ولى سليمان بن عبد الملك الاموى الخلافة بعد أخيه الوليد فى سنة ست وتسعين من الهجرة أتى بيت المقدس وأتته الوفود بالبيعة فلم ير وفادة كانت أهنى من الوفادة اليه فكان يجلس فى قبة فى صحن مسجد بيت المقدس مما يلى الصخرة ولعلها القبة المعروفة بقبة سليمان عند باب الدويدارية وبسط البسط بين يدى قبته عليها النمارق والكراسى فيجلس ويأذن للناس فيجلسون على الكراسى والوسائد والى جانبه

الاموال وكتاب الدواوين وقدّمهم بالاقامة ببيت المقدس واتخاذها منزلا وجمع الاموال والناس بها وكان رحمه الله تعالى يعظم العلما قال ابن سيرين رحمه الله رحم الله سليمان بن عبد الملك افتتح خلافته بخير وصلى الصلوات اوائلها وختمها بخير واستخلف عمر بن عبد العزيز وكان يلقب بالمهدي بالله الداعي الى الله توفي سنة تسع وتسعين من الهجرة وله خمس وأربعون سنة رحمه الله * وعن عطا عن أبيه قال كانت اليهود تسرج بيت المقدس فلما ولي عمر بن عبد العزيز أخرجهم وجعل فيه من الخمس فأتاه رجل من أهل الخمس وقال له اعتقني فقال كيف اعتقك ولو ذهبت انظر ما كان لي شعرة من شعر جسدك وكانت ولاية عمر بن عبد العزيز في صفر سنة تسع وتسعين من الهجرة وكان يلقب بالمعصوم بالله خلافته سنتان وخمسة أشهر وتوفي بدير سمعان من أعمال حمص يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة احدى ومائة رضي الله عنه * وروي عن عبد الرحمن ابن محمد بن منصور بن ثابت عن أبيه عن جده ان الابواب كلها كانت ملبسة بصفائح الذهب والفضة في خلافة عبد الملك بن مروان فلما قدم أبو جعفر المنصور العباسي وكان شرقي المسجد وغربيه قد وقعا فقيل له يا أمير المؤمنين قد وقع شرقي المسجد وغربيه من الرجفة في سنة ثلاثين ومائة ولو أمرت ببنا هذا المسجد وعمارته فقال ما عندي شي من المال ثم أمر بقلع الصفائح الذهب والفضة التي كانت على الابواب فقلعت وضربت دنانير ودراهم وأنفقت عليه حتى فرغ وكانت خلافة المنصور في سنة ست وثلاثين ومائة وهو ثاني الخلفا من بني العباس وهو الذي بنى مدينة بغداد وكان الابتدا في بنائها في سنة خمس وأربعين ومائة وتوفي يوم السبت لست ليال خلت من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وله خمس وستون سنة ودفن بمكة ثم كانت الرجفة الثانية فوقع البنا الذي كان أمر به أبو جعفر ثم قدم المهدي من بعده وهو خراب فرفع ذلك اليه فأمر ببنائه وقال دق هذا المسجد وطال وخلا من الرجال

انقصوا من طوله وزيدوا فى عرضه فتم البناء فى خلافته وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور الملقب بالمهدى بويع بالخلافة لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة بين الركن والمقام ولما قدم المهدى يريد بيت المقدس دخل مسجد دمشق ومعه أبو عبد الله الاشعرى كاتبه فقال له يا أبا عبد الله سبقنا بنو أمية بثلاث فقال وما هى يا أمير المؤمنين فقال بهذا البيت يعنى المسجد لا اعلم على ظهر الارض مثله وبنبل الموالى فان لهم موالى ليس لنا مثلهم وبعمر بن عبد العزيز لا يكون فينا والله مثله أبدا ثم اتى بيت المقدس ودخل الصخرة فقال يا أبا عبد الله وهذه رابعة وتوفى المهدى فى يوم الخميس لثمان بقين من المحرم سنة تسع وتسعين ومائة وله ثمان وأربعون سنة * قال الحافظ ابن عساكر وطول المسجد الاقصى سبعمائة ذراع وخمسة وخمسون ذراعا بذراع الملك وعرضه أربعمائة ذراع وخمسة وستون ذراعا بذراع الملك وكذا قال أبو المعالى المشرف * قال صاحب مثير الغرام أتيت الى زيارة القدس والشام ولكن رأيت قديما بالحائط الشمالى التى فوق الباب مما يلى باب الدويدارية من داخل السور بلاطة فيها طول المسجد وعرضه وذلك مخالف لما ذكرناه فالذى فيها ان طوله سبعمائة ذراع وأربع وثمانون ذراعا وعرضه أربعمائة ذراع وخمسة وخمسون ذراعا قال ووصف فيها الذراع لكنى لم اتحقق ذلك هل هو الذراع المذكور أم غيره لتشعث الكتابة قال وقد ذرع بالحبال طوله وعرضه فى وقت شاهدناه فقدر طوله من الجهة الشرقية ستمائة ذراع وثلاثة وثمانين ذراعا ومن الغربية ستمائة ذراع وخمسين ذراعا وجاء قدر عرضه اربعمائة وثمانية وثلاثين ذراعا خارجا عن عرض سوره انتهى * واما طوله وعرضه فى عصرنا هذا وهو أواخر سنة تسعمائة فسأذكرهما مستوفيا فيما بعد عند ذكر صفة المسجد الاقصى وما هو عليه فى عصرنا فاذكر طوله من جهة القبلة الى جهة الشمال وعرضه من جهة الشرق الى جهة الغرب وكذلك داخل الجامع الاقصى من عند المحراب

المجاور للمنبر إلى باب الدخول له عرضه وصحن الصخرة المربعة وارتفاع القبة وأشياء في ذكر ذلك طولا وعرضا بذراع العمل الذي يذرع به الأئمة في عصرنا وأحرر ذلك حسب الإمكان إن شاء الله تعالى * ومما وجد في بيت المقدس على بعض الصخرات ما نقله أبو سليمان الخطابي في كتاب العزلة عن ذي النون أنه قال وجدت صخرة ببيت المقدس عليها أسطر مكتوبة فجئت ترجمها فإذا عليها مكتوب كل عاص مستوحش وكل مطيع مستأنس وكل خائف هارب وكل راج طالب وكل قانع غني وكل محب ذليل * وعن أبي بكر الطرطوشي رحمه الله قال كنت ليلة قاعدا في المسجد الأقصى فلم يرعني إلا صوت كاد يصدع القلب وهو يقول شعر

أخوف وأمن إن ذا لعجيب * ثكلتك من قلب فأنت كذوب
أما وجلال الله لو كنت صادقا * لما كان للإغماض منك نصيب

فوالله لقد أبكى العيون وأشجى القلوب * وقال سهل بن حاتم وكان من العابدين حدثني أبو سعيد رجل من الإسكندرية قال كنت أمشي في بيت المقدس وكان قليلا ما يخلو من المتعبدين قال فذات ليلة بعد ما مضى من الليل طويل فطربت فلم أر في المسجد متعبدا وذكر أنه سمع قائلا ينشد شعرا

أما عجبا للناس لذت عيونهم * مطاعم غمض بعده الموت منصب

قال فسقطت على وجهي وذهب عقلي فلما أفقت نظرت وإذا لم يبق في المسجد الإمام * وقيل إنه دخل بيت المقدس في زمن بني إسرائيل خمسمائة عذراء لباسهن الصوف يتذاكرن ثواب الله تعالى وعقابه فمتن جميعا من الخوف وروى البيهقي عن ابن شهاب أنه في صبيحة قتل الحسين بن علي رضي الله عنه لم يرفع حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم وكذلك يوم قتل والده علي رضي الله عنهما وكان قتل الحسين رضي الله عنه بكربلا يوم عاشورا سنة إحدى وستين من الهجرة * (ذكر جماعة من أعيان التابعين) والعلماء والزهاد ممن دخلوا بيت المقدس بعد الفتح العمري وعمارة عبد الملك بن مروان فمنهم من دخله زائرا ومنهم من دخله مستوطنا وذلك قبل استيلاء

الا فرح عليه فهم جماعة لم أطلع على تاريخ وفاتهم * وهم أويس بن عامر القرني من بني قرن صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أمر عمر أن يسأله أن يستغفر له * قيل انه اجتمع بعمر رضي الله عنه ببيت المقدس وقيل انه لقيه في الموسم فقال لعمر قد حججت واعتمرت وصليت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووددت لو اني صليت في المسجد الاقصى فجهزه عمر وأحسن جهازه وأتى المسجد الاقصى فصلى فيه ثم أتى الكوفة وخرج غازيا راجلا الى بغداد فأصابه البطن والتجأ الى أهل خيمة فمات عندهم ومعه جراب وقضيب فقالوا لرجلين منهم اذهبا فاحفرا له قبرا قالوا فنظرا في جرابه فاذا فيه ثوبان ليسا من ثياب أهل الدنيا وجاء الرجلان فقالا أصبنا قبرا محفورا في صخرة كأنما رفعت عنه الايدي الساعة فكفنوه ثم دفنوه ثم التفتوا فلم يروا شيئا ويقال قتل بصفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة الشريفة ويقال مات بدمشق ودفن بها والله أعلم * وعبيد عامل عمر رضي الله عنه على بيت المقدس لما وقع الطاعون في بيت المقدس كان عمر استعمله عليه فجعلت الجنائز تغسل وهو يصلي عليها وجعل لا يحمل الجنائز الا الشباب * وعمير بن سعد من عمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على حمص ويعلى بن شداد بن ثابت من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام حضر فتح بيت المقدس وكان ثقة روى عنه جماعة * وأبو نعيم المؤذن أول من أذن ببيت المقدس وكان عبادة بن الصامت واليا على ايلياء فأبطأ بصلاة الصبح وأقام أبو نعيم الصلاة فصلى فحضر عبادة وهو يصلي فصلى بصلاته * أبو الزبير المؤذن الدارقطني مؤذن بيت المقدس قال جاءنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اذا أذنت فترسل واذا أقمت فاحدر * أبو سلام الحبشي واسمه ممطور ويقال الباهلي الدمشقي كان يقدم بيت المقدس ويقرأ على عبادة بن الصامت ويروي عنه * أبو جعفر الجرشي روى عنه انه قال دخلت مع عبادة بن الصامت مسجد بيت المقدس فرأى رجلا يصلي واضعا نعله عن يمينه أو عن شماله فقال له لولا انك

ساجي ربك لعلوت رأسك بهذه العصا تفعل كفعل أهل الكتاب * وخالد بن معدان الكلاعي العبد الصالح الفقيه الكبير كان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة أتى بيت المقدس ونزل من على سبعة أميال ولم يصل فيه غير خمس صلوات * أم الدرداء الصغيرة قال خطبها معاوية بن أبي سفيان فأبت وقالت سمعت أبا الدرداء يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المرأة لآخر أزواجها فإن أردت أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي من بعدي زوجا وكانت تأتي من دمشق إلى بيت المقدس فإذا مرت على الجبال قالت لقائدها أسمع الجبال ما وعدها ربها فيرفع صوته ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وكانت تجالس المساكين ببيت المقدس وتقيم به نصف سنة وبدمشق نصف سنة * وأبو العوام مؤذن بيت المقدس روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن السور المذكور في القرآن هو سور بيت المقدس الشرقي * وقبيصة بن ذويب * وعبد الله بن محيريز * وهانئ بن كلثوم كل هؤلاء كانوا عبادا زهادا فقبيصة كان عالما ربانيا مات سنة ثمان وستين من الهجرة وابن محيريز قرشي جمحي مكي نزل بيت المقدس قال رجاء بن حيوة إن يفخر علينا أهل المدينة بعابدهم ابن عمر فإنا نفخر بعابدنا ابن محيريز إن كنت لأعد بقاءه أمانا لأهل الأرض مات قبل المائة وهانئ عرضت عليه إمارة فلسطين فامتنع وكان الثلاثة يقصرون الصلاة من الرملة إلى بيت المقدس * ومحارب بن دثار وكان قاضيا وهو من العلماء الزهاد وحديثه مخرج في كتب الإسلام قال صحبنا القاسم بن عبد الرحمن إلى بيت المقدس فغلبنا على ثلاث على قيام الليل والبسط في النفقة والكف عن الناس * وعبد الله بن فيروز الديلمي مقدسي ثقة خرج له أبو داود والنسائي وابن ماجه وله أخ يقال له الضحاك بن فيروز ثقة أيضا * وزياد بن أبي سودة مقدسي روى عن عبادة بن الصامت

وأبي هريرة وهو من الثقات * وأبو الحسن الزهري الاندلسي كان مقيما ببيت المقدس سمعه أبو عبد الله محمد الصوري في نقبة بسمع محمد بن العباس العيني قال سمعت الشبلي وقد سأله رجل فقال له يا أبا بكر ما تقول في رجل كان له حظ في قيام الليل وتركه ثم عاد وهو مجتهد ان يناله فلا يقدر قال فانشأ يقول

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا * وأظهرتم الهجران ما هكذا كا

وروى عن جماعة * وابراهيم بن محمد بن يوسف العرباني نزل بيت المقدس وروى عن جماعة وروى عنه جماعة وحديثه في كتاب ابن ماجه * وأبو عتبة الخواص عباد بن عباد الارسوفي قدم بيت المقدس وكان ثقة قال رأيت ببيت المقدس شيخا كأنه محترق سارو عليه مدرعة سوداء وعمامة سوداء طويل الصمت كريه المنظر كثير الشعر شديد الحزن فقلت يرحمك الله لو غيرت لباسك هذا فقد علمت ما جاء في البياض فبكى وقال هذا أشبه بلباس المصاب وانما انا في الدنيا حداد وكأنا قد دعينا ثم غشي عليه * وعابد بعض قرى بيت المقدس في زمن ثور بن يزيد قال محمد بن المعتصم سمعت أبي يقول سمعت مسلمة بن عثمان اللخمي يقول كان ثور بن يزيد قد سكن بيت المقدس وكان رجل متعبد في بعض قرى بيت المقدس يجلس الى ثور بن يزيد وكان يغدو من قريته مع الفجر فيصلي الصلوات كلها في بيت المقدس وينصرف بعد العشاء الآخرة الى قريته وقد سمع ثورا يحدث أن خالد بن معدان حدثه بحديث رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال من رأى شيئا يهوله او يفزعه فليقل ان الله هو الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار ما قالها أحد الا فرج الله عنه ولو كان بين يديه سور من حديد وانصرف ذلك الرجل ليلة من الليالي الى الطريق فاذا بأسود بين يديه قد منعه من المسير فذكر حديث خالد فقاله ففرج الله عنه فمضى فأتى حمار وحش فاتحا فاه يريد ليأكل يده فذكر حديث ثور فقاله فولى الحمار وهو يقول لا يرحم الله ثورا كما علمك * وعبد الله بن عامر العامري قال

سألت راهبًا ببيت المقدس فقلت له يا راهب ما أول الدخول في العبادة قال الجوع قلت وما دليل ذلك قال لأن الجسد خلق من تراب والروح من ملكوت السموات فإذا شبع الجسد ركن إلى الأرض وإذا لم يشبع اشتاق إلى الملكوت قلت ما سبب الجوع قال ملازمة الذكر والخشوع *وأبو عبد الله بن خفيف خرج من شيراز إلى مكة ثم أتى بيت المقدس ثم دخل الشام رحمه الله* وقاسم الزاهد قال رأيت راهبًا على باب بيت المقدس كالواله لا ترقأ له دمعة لهول أمره فقلت يا أيها الراهب أوصني وصية أحفظها عنك فقال كن كرجل احتوشته السباع والهوام فهو خائف مذعور يخاف أن يسهو فتفترسه أو يلهو فتنهشه فليله ليل مخافة إذا أمن فيه المغترون ونهاره نهار حزن إذا فرح فيه البطالون ثم ولى وتركني فقلت لو زدتني شيئًا عسى الله أن ينفعني به فقال يا هذا إن الظمآن يكفيه من الماء أيسره* ومحمد بن حاتم بن محمد بن عبد الكريم الطائي أبو الحسن الطوسي تفقه على إمام الحرمين وكان صدوقًا فاضلًا زاهدًا فقيهًا صوفيًا دخل بيت المقدس وسمع به الحديث* أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري الفقيه المالكي سكن مصر وروى بها عن أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني وغيره قال ابن الوليد أنبأنا أبو محمد بن أبي زيد قال جماع آداب الخير وأزمته في أربعة أحاديث قول النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت وقوله من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقوله للذي اختصر له في الوصية لا تغضب وقوله المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه توفي ابن الوليد ببيت المقدس ووفاة ابن أبي زيد في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة فعلم من ذلك العصر الذي كان فيه ابن الوليد* وجعفر بن محمد النيسابوري قدم بيت المقدس في سنة سبعين وثلثمائة وقال سمعت الحسن بن الصباح البزار يقول سمعت الوليد بن مسلم يقول سمعت بلال بن سعد يقول لا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر من عصيت والله سبحانه وتعالى أعلم* ومنهم

جماعة أرخت وفاتهم وذكرتهم على ترتيب الوفيات * وهم كعب الاحبار
ابن ماتع الحميري أبو اسحاق كان يهوديا فأسلم في خلافة أبي بكر وقيل عمر
قال له العباس ما منعك الاسلام الى عهد عمر فقال ان أبي كتب لي كتابا من
التوراة ودفعه الي وقال اعمل بهذا وختم على سائر كتبه وأخذ علي بحق
الوالد لا افض الخاتم فلما رأيت الاسلام يظهر قالت لي نفسي لعل اباك
غيب عنك علم كتبك فلو قرأته ففضضت الكتاب فوجدت فيه صفة محمد
صلى الله عليه وسلم وامته فأسلمت الآن سكن الشام وروى عن جماعة
من الصحابة كأبي هريرة وتقدم انه دخل بيت المقدس واستشاره عمر
في موضع القبلة توفي بحمص سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة في زمن خلافة
عثمان رضي الله عنه * وابراهيم بن أبي عبلة العقيلي المقدسي روى عن ابي
امامة وانس وروى عنه الامامان مالك وابن المبارك توفي سنة اثنتين
وخمسين من الهجرة * وجبير بن نفير الحضرمي الحمصي في الطبقة الاولى
من التابعين أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم زمن أبي بكر
الصديق رضي الله عنه أتى بيت المقدس للصلاة وروى عن خالد بن الوليد
وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت والنواس بن سمعان قال جبير خمس
خصال قبيحة الحدة في السلطان والحرص في العلماء والشره في الشيوخ
والشح في الاغنياء وقلة الحياء في ذوي الاحساب توفي جبير سنة خمس
وسبعين من الهجرة الشريفة * وعبد الرحمن بن غنم الاشعري كان
مسلما في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يفد اليه لكنه لازم
معاذ بن جبل منذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن حتى
مات معاذ وسمع عمر بن الخطاب قال صاحب مثير الغرام اظنه قدم
بيت المقدس فانه هو الذي فقه عامة التابعين بالشام توفي سنة تسع
وسبعين من الهجرة الشريفة * وخالد كان بصخرة بيت المقدس فجاء
عمر بن عبد العزيز أمير المؤمنين رضي الله عنه فأخذ بيده وقال يا خالد
ما علينا قال عليكم من الله اذن سميعة وعين بصيرة فارتعد عمر خوفا من الله

ورفع يده فقال خالد توسلنا أن تكون هذه أما ما علقلا ولزم خالد بيته في آخر أمره وقال ما بقي من الناس الا حاسد أو شامت توفي سنة تسعين من الهجرة الشريفة * ومالك بن دينار من الائمة الاعلام روى عن انس واخرج له أصحاب السنن أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه توفي سنة ثلاث وعشرين ومائة * ومحمد بن واسع فقيه زاهد من أهل البصرة من الازد روى عن انس بن مالك وغيره اخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وجمعه الطبراني ومالك بن دينار وعبد الواحد بن زيد وساروا الى بيت المقدس توفي سنة تسع وعشرين ومائة * ام الخير رابعة بنت اسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك الصالحة المشهورة كانت من أعيان عصرها أخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة وكانت تقول في مناجاتها الهي أتحرق بالنار قلبا يحبك فهتف بها مرة هاتف ما كنا لنفعل هذا فلا تظني بنا ظن السوء ومن وصاياها اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيآتكم وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب عوارف المعارف

انى جعلتك في الفؤاد محدثي * وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس * وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

توفيت سنة خمس وثلاثين وقيل ثمانين ومائة وقبرها على رأس جبل طور زيتا شرقي بيت المقدس بجوار مصعد السيد عيسى عليه السلام من جهة القبلة وهو في زاوية ينزل اليها من درج وهو مكان مأنوس يقصد للزيارة * ومن النساء العابدات ببيت المقدس امرأة تسمى طاقمه كانت تأتي بيت المقدس تتعبد فيه وامرأة اخرى تسمى لبابة ذكرهما ابن الجوزي وذكر عدة من العابدات المجهولات الاسماء ولم يؤرخ وفاة واحدة منهن * وسليمان بن طرخان التيمي الذي نزل بالبصرة وسمع أنسا وكان يقول اذا دخلت بيت المقدس كأن نفسي لا تدخل معي حتى أخرج منه توفي سنة ثلاث وأربعين ومائة * ومقاتل بن سليمان المفسر قدم بيت المقدس فصلى فيه

وجلس عند باب الصخرة القبلي واجتمع اليه خلق كثير من الناس يكتبون
عنه ويسمعون منه فأقبل بدوي يطأ بنعليه على البلاط وطأ شديدا
فسمع منه ذلك فقال لمن حوله افرجوا له افرج الناس عنه فأهوى بيده
يشير اليه ويرفع صوته أيها الواطئ ارفق بوطئك فوالذي نفس مقاتل
بيده ما تطأ الا على اجنحين الجنة وفي كلام آخر قال الامام الشافعي
رضي الله عنه الناس كلهم عيال على ثلاثة مقاتل بن سليمان في التفسير
وذكر الآخرين توفي مقاتل سنة خمسين ومائة * والاوزاعي عبد الرحمن بن
عمرو احد الائمة الاعلام فقيه الشام كان رأسا في العلم والعبادة قدم بيت
المقدس فصلى فيه ثماني ركعات والصخرة وراءه ثم صلى فيه الخمس وقال
هكذا فعل عمر بن عبد العزيز ولم يأت شيئا من المزارات توفي في الحمام سنة
سبع وخمسين ومائة * وسفيان الثوري هو ابن سعيد بن مسروق الامام
العالم المجمع على جلالته وزهده وورعه أتى المسجد الاقصى فصلى فيه
بموضع الجامع وأتى قبة الصخرة الشريفة وختم فيها القرآن وروى انه
اشترى مورا بدرهم فأكل منه في ظلها ثم قال ان الحمار اذا وفي علفه أو قال
ماءه زيد في عمله ثم قام يصلي حتى رحمه من رآه توفي بالبصرة سنة احدى
وستين ومائة * وابراهيم بن ادهم بن اسحاق من كور بلخ احد الزهاد
وهو من ثقات اتباع التابعين ومن ابناء الملوك خرج يوما يتصيد وأثار ثعلبا
او أرنبا واسرع في طلبه فهتف به هاتف ألهذا خلقت ام بهذا أمرت
ثم هتف به من قربوس سرجه والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فنزل
عن دابته وترك الامارة * ودخل البادية وزهد وصحب الامام أبا
حنيفة وله من الكرامات ما هو مشهور بها قدم بيت المقدس
وقام بالصخرة الشريفة وسكن الشام وتوفي بمدينة جبلة من اعمال
طرابلس وقبره مشهور بها * قال صاحب مثير الغرام انه مات ببلاد
الروم ووفاته في سنة احدى وستين ومائة * الليث بن سعد بن عبد الرحمن
الفهمي مولاهم عالم أهل مصر كان نظير مالك في العلم قيل انه كان دخله

في كل سنة ثمانين ألف دينار فما وجبت عليه زكاة وفي رواية لا يمضي عليه عام إلا وعليه دين من كثرة جوده وزيارته قدم بيت المقدس قال الليث لما ودعت أبا جعفر يعني الخليفة ببيت المقدس قال أعجبني ما رأيت من سدة عقلك فالحمد لله الذي جعل في رعيتي مثلك وقيل إنه كان حنفي المذهب وإنه ولي القضاء بمصر ولد سنة أربع وتسعين من الهجرة النبوية وتوفي يوم الخميس منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ودفن يوم الجمعة بالقرافة الصغرى وقبره أحد المزارات قال بعض أصحابه لما دفن الليث بن سعد سمعنا صوتا يقول

ذهب الليث فلا ليث لكم * ومضى العلم غريبا وقبر

قال فالتفتنا فلم نر أحدا ورحمه الشافعي رحمه الله رحمة عظيمة وكان يأتي إلى قبره بالقرافة كل عشية جمعة واستمر حتى يقرأ على قبره ختما كاملا فاستمر أهل مصر يفعلون ذلك بقبره في عشية كل جمعة إلى يومنا هذا ويحتفلون لذلك ولهم فيه اعتقاد عظيم وله شهرة ظاهرة وأحوال باهرة نفعنا الله به * ووكيع بن الجراح بن مليح أبو سفيان الرؤاسي مولده سنة تسع وعشرين ومائة وكان من الأعلام وهو من الرواة عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وروى عنه الإمام أحمد أيضا وقال عنه ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظ * قدم بيت المقدس وأحرم منه إلى مكة توفي يوم عاشورا ودفن بفيد راجعا من الحج سنة تسع وقيل سنة ثمان وتسعين ومائة * الإمام الأعظم والحبر الأكرم محمد بن إدريس الشافعي المطلبي أحد الأئمة المجتهدين الأعلام وإمام أهل السنة ركن الإسلام ولد بغزة من بلاد الشام على الأصح سنة خمسين ومائة وهي التي توفي فيها الإمام الأعظم أبو حنيفة رضي الله عنه وقيل في اليوم الذي مات فيه * خرج كتاب الأم وكتاب السنن وأشيا كثيرة كلها في أربع سنين قدم بيت المقدس فصلى فيه وقال سلوني عما شئتم أخبركم من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ما تقول في محرم قتل زنبورا

فقال قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا ابن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر وحدثنا ابن عيينة عن مسعود عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب ان عمر أمر المحرم بقتل الزنبور * وتوفي الامام الشافعي رضي الله عنه بمصر يوم الجمعة ودفن من يومه بعد العصر آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين بالقرافة الصغرى وقبره مشهور يزار نفعنا الله به واما الائمة الثلاثة رضي الله عنهم فلم اطلع على شيء يدل على قدوم أحد منهم بيت المقدس * والمؤمل بن اسماعيل البصري صدوق وكان شديدا في السنة قدم بيت المقدس واعطى به قوما شيئا وداروا به ثلاث الاماكن توفي سنة ست ومائتين * وبشر بن الحارث الحافي أحد رجال الطريقة من كبار الصالحين وأعيان الاتقياء المتورعين أصله من مرو من قرية من قراها وسكن بغداد وانما لقب بالحافي لانه جاء الى اسكاف يطلب منه شسعا لاحد نعليه وكان قد انقطع فقال له الاسكاف ما اكثر كلفتكم على الناس فألقى النعل من رجله وحلف لا يلبس نعلا بعدها ولد سنة خمسين ومائة * قيل له لم يفرح الصالحون ببيت المقدس قال لانها تذهب الهم ولا تشغل النفس بها وقال ما بقي عندي من لذات الدنيا الا أن أستلقي على جنبي تحت السماء بجامع بيت المقدس توفي في شهر ربيع الآخر سنة ست وقيل سبع وعشرين ومائتين ببغداد وقيل بمرو * وذو النون المصري أبو الفيض ثوبان بن ابراهيم الصالح المشهور أحد رجال الطريقة قدم بيت المقدس وقال وجدت على صخرة بيت المقدس كل عاص مستوحش وكل مطيع مستأنس وكل خائف هارب وكل راج طالب وكل قانع غني وكل محب ذليل قال فرأيت هذه الكلمات اصول ما استعبد الله به الخلق توفي سنة خمس وأربعين ومائتين * والسري بن المغلس السقطي قدم بيت المقدس وروى عنه جماعة قال خرجت من الرملة الى

بيت المقدس الشريف فزرت تربته وعدت بها وقعت بباب قلت
آكل من العشب وأشرب من الماء فقلت في نفسي ان كنت آكل
أو شربت في الدنيا حلالا فهو هذا فسمعت هاتفا يقول يا ترى بالنفقة
التي بلغتك من أين توفي سنة احدى وخمسين ومائتين * ومحمد بن كرام
المتكلم الذي ينسب اليه الفرقة الكرامية الذي نسب اليهم تجويز وضع
الاحاديث للترغيب والترهيب وكرام بفتح الكاف وتشديد الراء على وزن
جمال أبو عبد الله السجستاني العابد ومنهم من يقول محمد بن كرام بكسر
الكاف وتخفيف الراء روى عن جماعة وكان حبسه طاهر بن عبد الله فلما
أطلقه ذهب الى ثغور الشام ثم عاد الى نيسابور فحبسه محمد بن طاهر بن
عبد الله فطال حبسه وكان يتأهب لصلاة الجمعة فيمنعه السجان فيقول
اللهم انك تعلم ان المنع من غيري اقام ببيت المقدس وكان يجلس للوعظ عند
العمود الذي عند مهد عيسى واجتمع عليه خلق كثير ثم تبين لهم انه يقول
ان الايمان قول فتركه أهل بيت المقدس توفي ببيت المقدس ليلا ودفن
بباب اريحا عند قبور الانبياء عليهم الصلاة والسلام وله ببيت المقدس
نحو عشرين سنة وكانت وفاته في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين قلت
والباب المعروف بباب اريحا قد اندرس لطول المدة واستيلاء الافرنج
ولم يبق له أثر والظاهر انه كان عند ابنيتها البناء الذي كان متصلا بطور زيتا
وكذلك قبور الانبياء لا يعلم مكانها لطول المدة واستيلاء الافرنج على
الارض المقدسة * وصالح بن يوسف أبو شعيب المقنع الواسطي الاصل
يقال انه حج ستين حجة راجلا في كل حجة يحرم من صخرة بيت المقدس
وكان يدخل بادية تبوك على التجريد والتوكل توفي بمدينة الرملة سنة اثنتين
وثمانين ومائتين * حكي انه يستسقى بقبره ويستجاب الدعاء عنده قلت
ولم يعلم الآن قبره لطول الزمان واستيلاء الافرنج على تلك الاراضي مدة
طويلة رحمه الله تعالى * وبكر بن سهل الدمياطي المحدث قدم الى بيت
المقدس فجمعوا له ألف دينار حتى روى لهم التفسير توفي في ربيع الاول

سنة تسع وثمانين ومائتين * وأحمد بن يحيى البزار البغدادي حكى عنه أبو الحسن علي بن محمد الجلال البغدادي انه أخبره انه قدم من مكة الى بيت المقدس فندم على مجيئه وقال تركت الصلاة بمكة بمائة ألف صلاة وهنا بخمسة وعشرين ألف صلاة وبمكة تنزل مائة وعشرون ألف رحمة للطائفين والمصلين والناظرين وأراد الخروج الى مكة فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ما خطر بباله من الفضل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم هناك تنزل الرحمة نزولا وههنا تنصب الرحمة صبا ولو لم يكن لهذا الموضع شان عظيم وأشار بيده الى موضع الاسراء عند قبة المعراج لما أسري بي اليه فأقام الرجل بالقدس الى ان مات به وكانت هذه الرؤيا في رجب سنة احدى وأربعين وثلثمائة * والشيخ سلامة بن اسماعيل بن جماعة المقدسي الضرير صاحب شرح المفتاح لابن القاص وله أيضا مصنف مفرد في التقاء الختانين كان عديم النظير في زمانه لاجل ما خصه الله به من حضور القلب وصفاء الذهن وكثرة الحفظ وقد ذكره جماعة وأثنوا عليه توفي سنة ثمانين وأربعمائة * وشيخ الاسلام الامام العالم الحبر أبو الفرج عبد الواحد بن احمد بن محمد ابن علي بن أحمد الشيرازي ثم المقدسي الانصاري الحنبلي شيخ الشام في وقته وهو من أصحاب القاضي أبي يعلى بن الفراء امام الحنابلة قدم الشام فسكن بيت المقدس وهو الذي نشر مذهب الامام أحمد رضي الله عنه فيما حوله ثم أقام بدمشق فنشر المذهب بها وكان له أتباع وتلامذة ويقال انه اجتمع مع الخضر عليه السلام دفعتين وكان يتكلم في عدة أوقات على الخاطر كما كان يتكلم ابن القزويني الزاهد * له تصانيف منها المبهج والايضاح والتبصرة في اصول الدين ومختصر في الحدود وفي اصول الفقه ومسائل الامتحان ويقال ان له كتاب الجواهر في التفسير وهو ثلاث مجلدات توفي يوم الاحد ثامن عشر ذي الحجة سنة ست وثمانين وأربعمائة بدمشق ودفن بمقبرة الباب الصغير رحمه الله تعالى *

والشيخ العلامة أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي النابلسي الشافعي شيخ المذهب بالشام صاحب التصانيف مع الزهد والعبادة سمع الحديث وأملى وحدث أقام بالقدس مدة طويلة بالزاوية التي على باب الرحمة المعروفة بالناصرية والظاهر أن تسميتها بالناصرية نسبة للشيخ نصر ثم عرفت بالغزالية لإقامة الغزالي بها ثم قدم دمشق فسكنها وعظم شأنه وحكى بعض أهل العلم قال صحبت إمام الحرمين ثم صحبت الشيخ أبا إسحاق فرأيت طريقته أحسن ثم صحبت الشيخ نصرا فرأيت طريقته أحسن منهما ولما قدم الغزالي إلى دمشق اجتمع به واستفاد منه ومن تصانيفه التهذيب وكتاب التقريب وكتاب المقصود وكتاب الكافي وله شرح متوسط على مختصر شيخه سليمان بن أيوب الرازي سماه الإشارة وكتاب الحجة لتارك المحجة توفي يوم عاشورا سنة تسعين وأربعمائة بدمشق ودفن بالباب الصغير رحمه الله * والفقيه أبو الفضل عطا شيخ الشافعية بالقدس الشريف فقها وعلما وشيخ الصوفية طريقة كان في زمن الشيخ نصر المقدسي رحمهما الله تعالى * الشيخ الإمام أبو المعالي المشرف بن المرجى بن إبراهيم المقدسي كان من علماء بيت المقدس له كتاب فضائل البيت المقدس والصخرة وما اتصل بذلك من أخبار وآثار وفضائل الشام وهو كتاب مفيد رواه بالإسناد عنه أبو القاسم مكي الرملي الآتي ذكره بعده ولم أطلع لأبي المعالي على ترجمة ولا تاريخ وفاة ولكنه كان في عصر أبي القاسم المذكور * والشيخ أبو القاسم مكي بن عبد السلام بن الحسين بن القاسم الأنصاري الرملي الشافعي الحافظ مولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة كتب الفتاوى بأي السنة من مصر والشام وغيرهما وكان من الجوالين في الآفاق كثير [illegible] والسهر وكان ورعا جمع بالقدس وبلاد كثيرة وشرع في تاريخ بيت المقدس وفضائله وجمع منه أشياء كثيرة ولما أخذ الإفرنج بيت المقدس في سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة أخذوه أسيرا وبعثوه إلى البلاد ينادى في فكاكه بألف دينار فلما علموا أنه من علما

المسلمين فلم يستفتكه أحد فرموه بالحجارة على باب انطاكية حتى قتلوه رحمه الله * وقال السبكي في طبقات الشافعية انهم قتلوه ببيت المقدس في اليوم الثاني عشر من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة * أبو القاسم عبد الجبار بن أحمد بن يوسف الرازي الشافعي تفقه على الخجندي بأصبهان ثم استوطن بغداد مدة ثم انتقل الى بيت المقدس وسلك سبيل الورع والانقطاع الى الله تعالى الى ان استشهد على يد الافرنج لعنهم الله تعالى حين أخذهم القدس في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة * والغزالي الامام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي * ولد سنة خمسين وأربعمائة ولم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله اشتغل في مبدأ أمره بطوس ثم قدم نيسابور وصار من الاعيان المشار اليهم وارتفعت منزلته * أقام بدمشق ثم انتقل الى بيت المقدس مجتهدا في العبادة والطاعة وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة وأخذ في التصانيف المشهورة ببيت المقدس ويقال انه صنف في القدس احياء علوم الدين وأقام بالزاوية التي على باب الرحمة المعروفة قبل ذلك بالناصرية شرقي بيت المقدس فسميت بالغزالية نسبة اليه وقد خربت ودثرت توفي بطوس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة رحمه الله * والقاضي محمد بن حسن بن موسى بن عبد الله البلاساغوني التركي الحنفي ويعرف بالاستلي ولي قضاء بيت المقدس فشكوا منه فعزل ثم ولي قضاء دمشق وكان عالما في مذهب أبي حنيفة وهو الذي رتب الاقامة مثنى وكان شديد التعصب توفي في جمادى الآخرة سنة ست وخمسمائة * والامام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المعروف بابن القيسراني كذا اسمه في تاريخ ابن خلكان وقيل اسمه علي بن أحمد بن محمد بن طاهر المقدسي الجوال في الآفاق الجامع بين الذكاء والحفظ وحسن التصنيف وجودة الخط ولد ببيت المقدس في سادس شوال سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وحدث

في سنة ستين وأول ما سمعه الفقيه نصر المقدسي وكان من المشهورين بالحفظ والمعرفة بعلوم الحديث وله في ذلك مصنفات مجموعات تدل على غزارة علمه وجودة معرفته وصنف تصانيف كثيرة منها أطراف الكتب الستة وهي صحيح البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأطراف الغرائب تصنيف الدارقطني وكتاب الأنساب في جزء لطيف وهو الذي ذيله الحافظ أبو موسى الأصبهاني وغير ذلك من الكتب وله شعر حسن وكتب عنه غير واحد من الحفاظ منهم أبو موسى المذكور * رحل إلى بغداد في سنة سبع وستين وأربعمائة ثم رجع إلى بيت المقدس وأحرم منه إلى مكة توفي ببغداد يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمسمائة ودفن بالمقبرة العتيقة بالجانب الغربي وكان ولده أبو زرعة طاهر من المشهورين بعلو الإسناد وكثرة السماع قدم بغداد للحج حدث بها بأكثر مسموعاته وسمع منه الوزير أبو المظفر يحيى بن هبيرة والقيسراني بفتح القاف والسين المهملة بينهما ياء مثناة من تحتها ثم راء مفتوحة وبعد الألف نون هذه النسبة إلى قيسرية بلدة على ساحل البحر ببلاد الشام * وأبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون النرسي الكوفي الحافظ كان ذا شأن خيرا ثقة رحل إلى الشام وسمع الحديث ببيت المقدس وتوفي سنة عشر وخمسمائة بعلة وحمل إلى الكوفة * وأبو الفرج ياسين بن سهل القايني الخشاب توفي بنيسابور سنة اثني عشرة وخمسمائة * وأبو الفتح سلطان بن إبراهيم بن المسلم المقدسي الفقيه الشافعي صاحب الذخائر ولد بالقدس سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة وتفقه على الفقيه نصر حتى برع في المذهب ودخل مصر بعد السبعين والأربعمائة وكان من الفقهاء بمصر وقرأ عليه أكثرهم روى عنه السلفي وغيره وصنف كتابا في أحكام العا الد اس توفي سنة ثمان عشرة أو التي بعدها وقيل في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة * الطرطوشي الإمام أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب القرشي الفهري الأندلسي المالكي قدم

بيت المقدس وخ وتفقه على الامام أبي بكر الشاشي المستظهري وكان
اماما عالما زاهدا سكن الشام ودرّس بها مولده سنة احدى وخمسين
وأربعمائة تقريبا وتوفي ليلة السبت لاربع بقين من جمادى الاولى سنة
عشرين وخمسمائة بثغر الاسكندرية والطرطوشي نسبة الى طرطوشه
وهي مدينة بالاندلس في آخر بلاد المسلمين في شرق الاندلس على ساحل
البحر * وأبو عبد الله محمد بن احمد بن يحيى الاموي العثماني المقدسي
المادلسي نزل بغداد وتفقه على الشيخ نصر المقدسي وكان يفتي ويدرس
وهو من أهل العلم والعمل توفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة عن
خمس وستين سنة * وأبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي العثماني المشهور
بالديباجي من أولاد الديباجي بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ومحمد
الديباجي أمه فاطمة بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب سمي الديباجي
لحسنه ولان ديباجة وجهه كانت تشبه ديباجة وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم أصله من مكة وأقام ببيت المقدس وكتب الاحاديث بها
وسمعها وسكن بغداد بدرب السلسلة وهو فقيه فاضل حسن السيرة
قوّال بالحق كان يقال له سمي النبيّ صلى الله عليه وسلم وشبيهه توفي
يوم الاحد سابع عشري صفر سنة تسع وعشرين وخمسمائة ودفن
بالوردية * وأبو الحسن عليّ بن أحمد بن عبد الله الربعي المقدسي الشافعي
اشتغل على الشيخ أبي اسحاق وسمع الحديث من الشيخ نصر المقدسي
والحافظ أبي بكر الخطيب ثم دخل الغرب وسكن البرية توفي
سنة احدى وثلاثين وخمسمائة * وأبو علي الحسن بن فرج بن حاتم
المقدسي الواعظ الشافعي * روى عن القاضي الرشيد المقدسي توفي في
نصف شعبان سنة خمس وثلاثين وخمسمائة * والامام أبو بكر بن
العربي محمد بن عبد الله المغربي المعافري الاندلسي الاشبيلي الحافظ
المشهور رحل مع أبيه الى المشرق سنة خمس وثمانين وأربعمائة ولقي
الامام الطرطوشي وتفقه عليه وصحب الشاشي والغزالي فقدم بيت

المقدس وروى عنه جماعة كثيرة من العلماء توفي سنة ثلاث وأربعين
وخمسمائة * وأبو بكر الجرجاني محمد بن أحمد بن أبي بكر من أهل
جرجان من عمل نيسابور قصد هو وأبو سعد السمعاني زيارة بيت
المقدس فدخلاها ولم يقم بها حتى رجعا الى العراق * وكان شيخا صالحا فيما
يكاد الشديد البكا كثير الحزن مولده سنة خمس وستين وأربعمائة
توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة * وتاج الاسلام أبو سعد عبد الكريم
ابن محمد بن منصور السمعاني الشافعي صاحب كتاب الذيل لتاريخ مدينة
السلام عدة مجلدات وله تاريخ مرو والانساب وطراز الذهب في آداب
الطلب وتحفة المسافر وعز العزلة والمناسك والتحبير في المعجم الكبير
والامالي وغير ذلك قدم بيت المقدس زائره وهو في ايدي الكفار وتوفي
في غرة ربيع الاول سنة اثنين وستين وخمسمائة * ومن عباد بيت
المقدس المشهورين بالصلاح ادريس بن أبي خولة الانطاكي *
وعبد العزيز المقدسي وكانا صالحين ذكرهما ابن الجوزي في صفوة الصفوة
وذكر لهما كرامات ولم يؤرخ وفاتهما * واما من دخل بيت المقدس
واستوطنه من الزهاد والصالحين ممن لم يعرف اسمه فكثير ولهم اخبار
ومناقب لم نذكرها لعدم معرفة اسمائهم وبالله التوفيق * وقد انتهى ذكر
ما قصدته من تراجم الاعيان بالقدس الشريف ممن كان به في الزمن
السالف قبل استيلاء الافرنج عليه ولم أظفر بغير ذلك لطول الازمنة
وانقطاع أخبار السلف باستيلاء الكفار على الارض المقدسة وسأذكر
ما تيسر من اسماء العلماء والاعيان بالقدس الشريف ممن كان به بعد الفتح
الصلاحي كما تقدم الوعد به ان شاء الله تعالى * ولنذكر الآن نبذة يسيرة مما
وقع ببيت المقدس من الحوادث والاخبار في ذلك الزمان فمن ذلك ما وقع
في شهور سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ان الحاكم بأمر الله أبو علي
المنصور بن العزيز الفاطمي خليفة مصر أمر بخراب كنيسة القمامة من
بيت المقدس وأباح للعامة ما كان بها من الاموال والامتعة وغير ذلك وكان

ذلك بسبب ما انهى اليه من الفعل الذي تتعاطاه النصارى يوم الفصح من النار التي يحتالون بها بحيث يتوهم الاغمار من جهالتهم انها تنزل من السماء وانها مصبوغة بدهن البلسان في خيوط الابريسم الرفاع المدهونة بالكبريت وغيره بالصنعة اللطيفة التي تروج على الطغام منهم والعوام وهم الى الآن يستعملونها في القمامة ويسمى ذلك اليوم عندهم سبت النور ويقع فيه من المنكر بحضور المسلمين ما لا يحل سماعه ولا رؤيته من جهرهم بالكفر ورفع أصواتهم يقولون يا دين الصليب واظهار كتبهم ورفع الصلبان على رؤسهم وغير ذلك من الامور التي تقشعر منها الاجساد * ثم لما توفي الحاكم بأمر الله في شوال سنة احدى عشرة وأربعمائة ولي بعده الظاهر لاعزاز دين الله أبو الحسن علي واستمر الى أن توفي في شعبان سنة سبع وعشرين واربعمائة * ثم تولى بعده المستنصر بالله أبو تميم معد فهادن ملك الروم على ان يطلق خمسة آلاف أسير ليمكن من عمارة قمامة التي كان خربها جده الحاكم في أيام خلافته فأطلق الاسرى وأخرج ملك الروم عليها أموالا عظيمة (قلت) والذي يظهر أن تخريبها لم يكن تخريبا كليا بل كان في غالبها والله أعلم * ورأيت في بعض التواريخ انه في سنة سبع واربعمائة في ربيع الاول احترق مشهد الحسين بن عليّ رضي الله عنه بشرارة وقعت من بعض الشعالين من حيث لم يشعر * وورد الخبر بتشعث الركن اليماني من المسجد الحرام وسقوط جدار بين يدي قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم وانه سقطت القبة الكبيرة التي على صخرة بيت المقدس قال الناقل وهذا من أغرب الاتفاقات واعجبها قلت ولم أطلع على حقيقة الحال في سقوط القبة التي على الصخرة ولا اعادتها والظاهر ان السقوط كان في بعضها لا في كلها والله أعلم * وفي سنة خمس وعشرين واربعمائة كثرت الزلازل بمصر والشام فهدمت أشياء كثيرة ومات تحت الردم خلق كثير وانهدم من الرملة ثلثها وتقطع جامعها تقطعا وخرج أهلها منها فأقاموا بظاهرها ثمانية أيام ثم سكن الحال فعادوا

اليها وسقط بعض حيطان بيت المقدس ووقع من محراب داود قطعة
كبيرة ومن مسجد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قطعة * وفي سنة
اثنتين وخمسين وأربعمائة سقط تنور قبة الصخرة ببيت المقدس وفيه
خمسمائة قنديل فتطير المقيمون به من المسلمين وقالوا ليكونن في الاسلام
حادث عظيم فكان أخذ الافرنج له على ما سنذكره ان شاء الله تعالى *
وفي جمادى الاولى سنة ستين وأربعمائة كانت زلزلة بأرض فلسطين
أهلكت بلاد الرملة ورمت شرافتين من مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانشقت الارض عن كنوز من المال وهلك منها خمسة عشر ألف
نسمة وانشقت صخرة بيت المقدس ثم عادت فالتأمت بقدرة الله تعالى
وغار البحر مسيرة يوم فدخل الناس في أرضه يلتقطون منه فرجع عليهم
فأهلك خلقا كثيرا منهم فسبحان من يتصرف في عباده بما يشاء * وفي سنة
ثلاث وستين وأربعمائة في أيام المستنصر بالله العبيدي خليفة مصر
استولى على القدس والرملة آتسز بن أوق الخوارزمي صاحب دمشق * وفي
سنة خمس وستين اقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس وقطعت دعوة
الفاطميين ثم استولى آتسز على دمشق بعد استيلائه على القدس والرملة
وقطع الخطبة العلوية من دمشق ولم يخطب بعدها لهم بها وأقام الخطبة
العباسية يوم الجمعة لخمس بقين من ذي القعدة سنة ثمان وستين وأربعمائة
فلما قتل آتسز في سنة احدى وسبعين وأربعمائة استولى بعده على دمشق
تاج الدولة الامير تتش بن السلطان الب ارسلان السلجوقي وكان
القدس من مضافاته على عادة من تقدمه فقلده للامير أرتق بن اكسك
التركماني جد الملوك أصحاب ماردين واستمر أرتق مالكا القدس الى أن توفي
في سنة اربع وثمانين وأربعمائة * ثم استمر الامر بعده في القدس لولديه
ايلغازي وسقمان ابني ارتق واستمر على ذلك الى ان قتل تتش صاحب
دمشق في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ثم سار الافضل بن بدر الجمالي
أمير الجيوش من مصر بعسكر الخليفة العلوي وهو المستعلي بأمر الله

فاستولى على القدس بالامان فى شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة * وسار سقمان وأخوه ايلغازى من القدس وأقام سقمان ببلد الرها وسار أخوه ايلغازى الى العراق وبقى القدس فى يد المصريين

﴿ذكر تغلب الافرنج على بيت المقدس واستيلائهم عليه﴾

لما فتح الله البيت المقدس على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعمر على يده ثم على يد عبد الملك بن مروان وغيره من الخلفاء كما سبق شرحه استمر بأيدى المسلمين الخلفاء من حين الفتح العمرى فى سنة خمس وعشرين من الهجرة الشريفة الى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة فى خلافة المستظهر بالله هو أبو العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله العباسى خليفة بغداد وكان لبثه بأيدى المسلمين أربعمائة سنة وسبعا وسبعين سنة وكان الفاطميون قد تغلبوا على بنى العباس وادعوا الخلافة بالمغرب من أواخر سنة ست وتسعين ومائتين فى أيام المقتدر بالله أبى الفضل جعفر بن المستنصر العباسى خليفة بغداد ثم بنوا القاهرة واستولوا على الديار المصرية والشام ومكة واليمن وبيت المقدس وأولهم عبيد الله المهدى بالله الذى ينسبون اليه ثم ابنه أبو القاسم محمد القائم بأمر الله ثم ابنه أبو الطاهر اسماعيل المنصور بنصر الله ثم ابنه أبو تميم معد المعز لدين الله بانى القاهرة المحروسة على يد القائد أبى الحسن جوهر المعروف بالكاتب الرومى فانه جهزه من المغرب لاخذ الديار المصرية فاخذها فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وبنى القاهرة المحروسة والجامع الازهر ثم أرسل يستدعى مخدومه المعز لدين الله فحضر الى القاهرة واستوطنها فى شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة واستمر الى ان توفى بها فى يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الاول سنة خمس وستين وثلثمائة وهو الذى تنسب اليه القاهرة فيقال القاهرة المعزية ولما بناها جوهر سماها المنصورية فلما قدم المعز لدين الله اليها سماها القاهرة وقيل ان سبب تسميتها بذلك انها تقهر من شذ عليها ورام مخالفة أمرها * ولما توفى استقر بعده فى الخلافة

عمر أبيه المنصور نزار العزيز بالله * ثم ابنه أبو علي المنصور الحاكم بأمر الله
الذي أمر بخراب كنيسة القمامة كما تقدم * ثم ابنه أبو الحسن علي الظاهر
لإعزاز دين الله * ثم ابنه أبو تميم معد المستنصر بالله الذي مكن الكفار من
إعادة كنيسة القمامة كما تقدم * ثم ابنه أبو القاسم أحمد المستعلي بأمر الله
* وسيأتي ذكر من بقي منهم بعد ابتداء ذكر الفتح الصلاحي إن شاء الله تعالى
فلما آل الأمر إلى المستعلي بأمر الله بعد وفاة أبيه المستنصر في ذي الحجة
سنة سبع وثمانين وأربعمائة ولي الأمر بعد أبيه بالديار المصرية
وكان المتولي لتدبير دولته الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن بدر الجمالي
أمير الجيوش وفي أيام المستعلي بأمر الله اختلفت دولتهم وضعف
أمرهم وانقطعت من أكثر مدن الشام دعوتهم وانقسمت البلاد
الشامية بين الأتراك والإفرنج وكان مدبر دولته الأفضل قد استولى على
بيت المقدس في شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة كما تقدم * وكان
الفاطميون يخافون من الإفرنج خوفا شديدا ولا يطيقون مقابلتهم
بخلاف الدولة الأتابكية فلما دخلت سنة تسعين وأربعمائة سار الإفرنج
إلى الشام وأخذوا انطاكية بعد أن حاصروها تسعة أشهر وملكوها
في ذي القعدة وحصل بينهم وبين المسلمين وقعات وحروب وولى المسلمون
هاربين وكثر القتل فيهم وغنم الإفرنج خيامهم وظفروا بأسلحتهم ثم سار
الإفرنج إلى معرة النعمان فنزلوا عليها ووضعوا السيف في أهلها فقتلوا
فيها ما يزيد على مائة ألف إنسان وسبوا السبي الكثير وأقاموا بالمعرة
أربعين يوما وساروا إلى حمص وصالحهم أهلها وذلك في سنة إحدى
وتسعين فلما دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة قصد الإفرنج بيت
المقدس وهم في نحو ألف ألف مقاتل لعنهم الله وحاصروا بيت المقدس
نيفا وأربعين يوما وملكوه في ضحى نهار الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة
اثنتين وتسعين وأربعمائة ولبث الإفرنج يقتلون في المسلمين بالقدس
الشريف أسبوعا وقتل في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألف

نفس منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وساداتهم وعبادهم وزهادهم ممن جاور فى هذا الموضع الشريف وغنموا ما لا يقع عليه الحصر وجاسوا خلال الديار وكان وعد الله مفعولا ثم حصروا جميع من فى القدس من المسلمين بداخل المسجد الشريف واشترطوا عليهم أنهم متى تأخروا عن الخروج بعد ثلاثة أيام قتلوهم عن آخرهم فشرع المسلمون فى الاسراع والمبادرة الى الخروج فمن شدة ازدحامهم بأبواب المسجد قتل منهم خلق كثير لا يحصيهم الا الله سبحانه وتعالى وأخذ الافرنج من عند الصخرة ألفين وأربعين قنديلا من فضة زنة كل منهم ثلاثة آلاف وستمائة وتنورا من فضة وزنه أربعون رطلا بالشامى وثلاثة وعشرين قنديلا من الذهب وهزم الافضل بن بدر الجمالى أمير الجيوش بظاهر عسقلان أقبح هزيمة وكان عند الافرنج شاعر منقطع اليهم فقال يخاطب ملك الافرنج واسمه صنجيل

نصرت بسيفك دين المسيح * فلله درك من صنجيل
وما سمع الناس فيما روى * بأقبح من كسرة الافضل

فتوصل الافضل الى ذبح هذا الشاعر وذهب الناس هاربين على وجوههم من الشام الى العراق ووصل المستنفرون الى بغداد فى رمضان مستغيثين الى الخليفة والسلطان * منهم القاضى بدمشق أبو سعد الهروى واجتمع أهل بغداد فى الجوامع واستغاثوا وبكوا حتى انهم أفطروا من عظم ما جرى عليهم وندب الخليفة ببغداد وهو المستظهر بأمر الله أبو العباس أحمد العباسى الفقهاء الى الخروج فى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد فخرج الامام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلى وغير واحد من أعيان الفقهاء وساروا فى الناس فلم يفد ذلك شيئا فانا لله وانا اليه راجعون ووقع الخلف بين السلاطين السلجوقية فتمكن الافرنج فى البلاد وارتج المسلمون فى سائر ممالك الاسلام بسبب أخذ بيت المقدس غاية الارتجاج ثم استولى الافرنج على اكثر بلاد السواحل فى أيام المستعلى بأمر الله

فملكوا يافا وقيسارية وغيرهما من القلاع والحصون وكانت محنة فاحشة فالحكم لله العلي الكبير وكان الآخذ لهذه البلاد بيت المقدس وغير بردويل الافرنجي * ثم في سنة احدى عشرة وقيل أربع عشرة وخمسمائة قصد الديار المصرية ليأخذها فانتهى الى غزة ودخلها وأحرقها وأحرق مساجدها ورحل عنها وهو مريض فهلك في الطريق قبل وصوله الى العريش فشق أصحابه بطنه ورموا حشوته هناك فهي ترجم الى اليوم وحملوا جثته فدفنوها بكنيسة قمامة بالقدس الشريف وسبخة بردويل هي التي في سبخة الرمل على طريق الشام وهي مما يلي العريش الى جهة مصر منسوبة الى بردويل المذكور والحجارة الملقاة هناك والناس يقولون هذا قبر بردويل وانما هي الحشوة ولعنة الله عليه ولما أخذت القدس وغيره من المسلمين قال في ذلك المظفر الابيوردي أبياتا منها

مزجنا دما بالدموع السواجم * فلم يبق منا عرضة للمراجم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه * اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايها بني الاسلام ان وراءكم * وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
وكيف تنام العين ملء جفونها * على هفوات أيقظت كل نائم
فاخوانكم بالشام يضحي مقيلهم * ظهور المذاكي او بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم * تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دما قد أبيحت ومن دمى * توارى حيا حسنها بالمعاصم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة * تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها * ليسلم يقرع بعدها سن نادم
سللنا بأيدي المشركين قواضبا * ستغمد منهم في الطلى والجماجم
يكاد لهن المستكن بطيبة * ينادي بأعلى الصوت يا آل هاشم
أرى أمتي لا يشرعون الى العدى * رماحهم والدين واهي الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى * ولا يحسبون العار ضربة لازم
أترضى صناديد الاعاريب بالاذى * ويغضي على ذل كماة الاعاجم

وليتهمو

فليتهمو اذ لم يذودوا حمية * عن الدين شحوا غيرة للمحارم
وان زهدوا فى الاجر اذ حمى الوغى * فهلا أتوه رغبة فى المغانم

واستمرت بيت المقدس وما جاوره من السواحل بيد الافرنج احدى وتسعين سنة فلم ير فى الاسلام مصيبة أعظم من ذلك وعجز ملوك الارض عن انتزاعه منهم حتى اذن الله سبحانه وتعالى وقدر فتحه على يد من اختاره من عباده فى شهر شوال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وأقول وبالله استعين وعليه اتوكل فهو حسبي ونعم الوكيل

﴿ذكر الفتح الصلاحى الذى يسره الله تعالى على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب تغمده الله برحمته﴾

قد تقدم ذكر تغلب الفاطميين على غالب المملكة واستيلائهم عليها وتقدم ان أولهم المهدى بالله عبيد الله وتقدم ذكر من بعده الى المستعلى بأمر الله الذى أخذ الافرنج القدس فى أيامه فلما مات المستعلى بأمر الله استقر بعده فى خلافة مصر ابنه أبو على المنصور الملقب بالآمر بأحكام الله ثم ابن عمه أبو الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله ثم ابنه أبو منصور اسماعيل الظاهر بأمر الله ثم ابنه أبو القاسم عيسى الفائز بنصر الله ثم ابن عمه أبو محمد عبد الله العاضد لدين الله وهو آخرهم وكان استقراره فى خلافة مصر فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكان صاحب دمشق فى ذلك الزمان السلطان الملك العادل نور الدين أبا القاسم محمود بن زنكى الملقب بالشهيد رضى الله عنه فلما دخلت سنة أربع وستين وخمسمائة تمكن الافرنج من البلاد المصرية وتحكموا على المسلمين بها وملكوا بلبيس قهرا فى مستهل شهر صفر ونهبوها وقتلوا أهلها وأسروهم ثم ساروا من بلبيس ونزلوا على القاهرة عاشر صفر وحاصروها وكان وزير العاضد أمير الجيوش شاور فأحرق شاور مدينة مصر خوفا من ان يملكها الافرنج وأمر أهلها بالانتقال الى القاهرة فبقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يوما وأرسل العاضد العلوى خليفة مصر الى السلطان نور الدين الشهيد يستغيث به وأرسل فى الكتب شعور النساء وصانع شاور الافرنج

على ألف ألف دينار يحملونها اليهم فحمل اليهم مائة ألف دينار وسألهم ان
يرحلوا عن القاهرة ليقدر على جمع المال وحمله فرحلوا ولما وصل الى
السلطان نور الدين كتب العاضد جهز الامير اسد الدين شيركوه بن
شادي الى الديار المصرية ومعه العساكر النورية وأنفق فيهم الاموال
واعطى شيركوه مائتي ألف دينار سوى الثياب والدواب والاسلحة وغير
ذلك وأرسل معه عدة امراء منهم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب
الذي تسلطن فيما بعد وكان مسير صلاح الدين على كره منه أحب نور
الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب الملك من بيته وكره صلاح
الدين المسير وفيه سعادته وملكه وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم فان نور الدين أمره بالمسير مع عمه
شيركوه وكان شيركوه قد قال بحضرة نور الدين تجهز يا يوسف فقال والله
لو اعطيتني ملك مصر ما سرت اليها بعدما قاسيت بالاسكندرية ما لا انساه
ابدا فقال شيركوه لنور الدين لا بد من مسيره معي فأمره نور الدين وهو
يستقيل فقال نور الدين لا بد من مسيرك مع عمك فشكى الضيقة فأعطاه
ما جهزه به فكأنما ساق الى الموت ولما قرب شيركوه من مصر رحل الافرنج
من ديار مصر على اعقابهم الى بلادهم فكان هذا لمصر فتحا جديدا ووصل
أسد الدين شيركوه الى القاهرة في رابع ربيع الآخر واجتمع بالعاضد
وخلع عليه وعاد الى خيامه بالخلعة العاضدية وشرع شاور يماطل شيركوه
فيما كان بذله لنور الدين فصل ذلك من تقرير المال وافراد ثلث البلاد له
ومع ذلك فكان شاور يركب كل يوم الى أسد الدين شيركوه ويعده ويمنيه
وما يعدهم الشيطان الا غرورا ثم ان شاور عزم على ان يعمل دعوة
لشيركوه وامرائه ويقبض عليهم فمنعه ابنه الكامل بن شاور من ذلك ولما
رأى عسكر نور الدين من شاور ذلك عزموا على الفتك بشاور واتفق على
ذلك صلاح الدين يوسف ومن معه من الامراء وعرفوا شيركوه بذلك
فنهاهم عنه واتفق ان شاور قصد شيركوه على عادته فلم يجده في المخيم وكان

قد مضى لزيارة قبر الشافعي رضي الله عنه فلقي صلاح الدين شاور وأعلمه برواح شيركوه الى زيارة الشافعي فسارا ومن معهما جميعا الى شيركوه فوثب صلاح الدين ومن معه على شاور وألقوه على الارض عن فرسه وامسكوه في سابع عشر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة فهرب أصحابه عنه وأعلموا شيركوه بما فعلوا فحضر ولم يمكنه الاتمام لذلك وسمع العاضد الخبر فارسل الى شيركوه يطلب منه انفاذ رأس شاور فقتله وأرسل برأسه الى العاضد ودخل بعد ذلك شيركوه الى القصر عند العاضد فخلع عليه خلعة الوزارة ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش واستقر في الامر وكتب له منشورا بالوزارة وتفويض أمور الخلافة اليه ولما لم يبق له منازع أتاه أجله حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وتوفي في يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة فكانت ولايته شهرين وخمسة أيام وهي ابتداء الدولة الايوبية وكان شيركوه وأيوب ابني شادي من بلد دوين وأصلهما من الاكراد وخدما عماد الدين زنكي ثم ولده نور الدين محمود وبقيا معه الى ان أرسل شيركوه الى مصر مرة بعد اخرى حتى ملكها وتوفي في هذه السنة على ما ذكرناه ولما توفي شيركوه طلب جماعة من الامراء النورية التقدم على العسكر وولاية الوزارة العاضدية فأحضر العاضد صلاح الدين وولاه الوزارة ولقبه الملك الناصر وثبت قدمه على انه نائب لنور الدين يخطب له على المنابر بالديار المصرية وكان نور الدين يكتب لصلاح الدين الاسفهسلار ويكتب علامته على رأس الكتاب تعظيما عن ان يكتب اسمه وكان لا يفرده بكتاب بل الى الامير صلاح الدين وكافة الامراء بالديار المصرية يفعلون كذا وكذا ثم أرسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أباه أيوب وأهله ليتم له السرور وتكون قصته مشاكلة لقصة يوسف الصديق عليه السلام فأرسلهم اليه نور الدين فوصل والده اليه في جمادى الآخرة سنة خمس وستين وخمسمائة وسلك مع والده

من الأدب ما جرت به عادته وألبسه الأمر كله فأبى أن يلبسه فحكّمه في
الخزائن كلها وأعطى صلاح الدين أهله الإقطاعات بمصر وتمكن من
البلاد وضعف أمر العاضد * وفي هذه السنة وهي سنة خمس وستين
وخمسمائة سار الفرنج إلى دمياط وحاصروها وشحنها صلاح الدين
بالرجال والسلاح فحاصروها خمسين يوما وخرج نور الدين فأغار على
بلادهم بالشام فرحلوا عائدين على أعقابهم ولم يظفروا بشيء منها * وفي سنة
ست وستين وخمسمائة سار صلاح الدين من مصر فغزا بلاد الفرنج
قرب عسقلان والرملة وعاد إلى مصر ثم خرج إلى أيلة وحاصرها وهي
للفرنج على ساحل البحر الشرقي ونقل إليها المراكب وحاصرها برا وبحرا
وفتحها في العشر الأول من ربيع الآخر واستباح أهلها وما فيها وعاد إلى
مصر وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة ورتب قضاة شافعية وذلك في
العشرين من جمادى الآخرة سنة ست وستين * ثم دخلت سنة سبع
وستين وخمسمائة أقيمت الخطبة العباسية بمصر وقطعت خطبة العاضد
لدين الله وانقرضت الدولة العلوية الفاطمية وكان سبب الخطبة
العباسية بمصر أنه لما تمكن الملك الناصر صلاح الدين من مصر وحكم على
القصر وأقام فيه قراقوش الأسدي وكان خصيا أبيض وبلغ نور الدين ذلك
أرسل إلى صلاح الدين يأمره حتما جزما بقطع خطبة العلويين وإقامة
الخطبة العباسية فراجعه صلاح الدين في ذلك خوف الفتنة فلم يلتفت
إليه نور الدين وأصر على ذلك وكان العاضد قد مرض فأمر صلاح الدين
الخطباء أن يخطبوا للمستضيء بأمر الله وهو أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله
العباسي خليفة بغداد وقطعوا خطبة العاضد فامتثلوا ذلك ولم ينتطح
فيها عنزان وكانت قد قطعت الخطبة لبني العباس من ديار مصر في سنة
تسع وخمسين وثلثمائة في خلافة المطيع لله العباسي حين تغلب الفاطميون
على مصر أيام المعز لدين الله الفاطمي باني القاهرة إلى هذا الآن وذلك مائتا
سنة وثمان سنين وكان العاضد قد اشتد مرضه فلم يعلمه أحد من أهله

بقطع خطبته فتوفي العاضد يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة ولم يعلم بقطع خطبته واستولى صلاح الدين على قصر الخلافة وعلى جميع ما فيه وكانت كثرته تخرج عن الاحصاء ونقل أهل العاضد الى موضع من القصر ووكل بهم من يحفظهم واخلى القصر من سكانه كأن لم يغن بالامس وهذا العاضد هو آخر خلفاء الفاطميين * وجملة مدتهم من حين ظهور جدهم المهدي بالله عبيد الله بسجلماسة في ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين الى ان توفي العاضد في التاريخ المذكور مائتان وسبعون سنة ونحو شهر وهذا دأب الدنيا لم تعط الا واستردت ولم تحل الا وتمررت ولم تصف الا وتكدرت بل صفوها لا يخلو من الكدر وانقرضت دولتهم في خلافة المستضيء بأمر الله العباسي كما تقدم ولما وصل خبر الخطبة العباسية بمصر الى بغداد ضربت لها البشائر عدة أيام وسيرت الخلع مع عماد الدين صندل وهو من خواص الخدام المنسوبة الى نور الدين وصلاح الدين والخطباء وسيرت الاعلام السود * ثم توفي والد الملك صلاح الدين وهو الملك الافضل نجم الدين أبو الشكر أيوب وكان ولده غائبا عن القاهرة في جهة الكرك لانه كان قصدها لغزو الافرنج فلما عاد وجد أباه قد مات وسبب موته انه ركب بمصر فنفرت به فرسه فوقع فحمل الى قصره وبقي أياما ومات في السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وستين وخمسمائة وكان خيرا عاقلا حسن السيرة كريما كثير الاحسان ودفن الى جانب أخيه شيركوه ثم نقلا بعد سنتين الى المدينة الشريفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام * ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة فتوفي فيها الملك العادل نور الدين الشهيد هو ابو القاسم محمود بن الملك المنصور عماد الدين أبي الجود زنكي بن اق سنقر تغمده الله برحمته ومولده في شوال سنة احدى عشرة وخمسمائة وكانت وفاته يوم الاربعاء حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة وكان ملكه لدمشق في سنة تسع وأربعين وخمسمائة بعد أن ملك حلب وغيرها من قبل ذلك وكان ملكا عادلا مجاهدا خيرا

فتح الفتوحات واتسع ملكه وخطب له بالحرمين واليمن ومصر وخطب
له في الدنيا على جميع منابر الإسلام وبنى السبل والمكاتب وأكمل سور
المدينة الشريفة وطبق ذكره الأرض بحسن سيرته وعدله وزهده رضي
الله عنه واستقر بعده في الملك بدمشق ولده الملك الصالح إسماعيل
فقصد الملك الناصر صلاح الدين دمشق وأخذها وكان الصالح توجه إلى
حلب ليقيم بها وسبب قدوم الملك صلاح الدين وقرر أمر دمشق وكان
دخوله إليها في سلخ ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة ثم سار إلى
حمص وحماة وملكهما ثم إلى حلب وحاصرها فلم يقدر على أخذها لأن
أهلها صدوه عنها محبة في الملك الصالح وآخر الأمر وقع الاتفاق أن
يكون للملك الناصر صلاح الدين ما بيده من الشام وللملك الصالح ما بقي
بيده فصالحهم على ذلك ورحل من حلب وأخذ بعده أماكن وقلاع
من شيء بيده ثم عاد إلى مصر * فلما توفي الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين
في سنة سبع وسبعين وخمسمائة استقر بعده في الملك بحلب عمه عز الدين
مسعود * ثم استقر بحلب عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار واستقر
مسعود بسنجار بتراضيهما * ثم في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة في
خامس المحرم سار الملك الناصر صلاح الدين عن مصر إلى الشام ولم يعد
بعد ذلك إلى مصر إلى أن توفي وسار في طريقه على بلاد الإفرنج وغنم ووصل
إلى دمشق في صفر ثم سار في ربيع الأول ونزل قرب طبرية وشن الإغارة
على بلاد الإفرنج مثل بيسان وجينين والغور فغنم وقتل ثم سار إلى بيروت
وحاصرها وأغار على بلادها ثم سار إلى عدة بلاد * وفي السنة المذكورة
وهي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة قصد الإفرنج المقيمون بالكرك
والشوبك المسير لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم لينبشوا قبره
الشريف وينقلوا جسده الكريم إلى بلادهم ويدفنوه عندهم ولا يمكنوا
المسلمين من زيارته إلا بجعل فأنشأ البرنس أرناط صاحب الكرك سفنا
حملها على البر إلى بحر القلزم وركب فيها الرجال وسارت الإفرنج ومضوا

يريدون المدينة الشريفة وكان السلطان صلاح الدين على حوران فلما بلغه ذلك بعث الى سيف الدولة بن منقذ نائبه بمصر يأمره بتجهيز الامير حسام الدين لؤلؤ الحاجب خلف العدو فاستعد لذلك وسار في طلبهم حتى أدركهم ولم يبق بينهم وبين المدينة الشريفة النبوية الا مسافة يوم وكانوا نيفا وثلثمائة وقد انضم اليهم عدة من العربان المرتدة ففرت العربان والتجأ الافرنج الى رأس جبل صعب المرتقى فصعد اليهم في نحو عشرة أنفس وضايقهم فيه فخارت قواهم بعدما كانوا معدودين من الشجعان وقبض عليهم وقيدهم وحملهم الى القاهرة وكان لدخولهم يوم مشهود وتولى قتلهم الصوفية والفقهاء وأرباب الديانة بعدما ساق رجلين من أعيان الافرنج الى منى ونحرهما هنالك كما تنحر البدن التى تساق هديا الى الكعبة * ثم في سنة تسع وسبعين وخمسمائة ملك حمص وآمد وعنتاب وغيرهما ثم سار الى حلب وحاصرها وأخذها من صاحبها عماد الدين زنكى ابن مودود بن عماد الدين وعوضه عنها سنجار وما معها وتسلم حلب في صفر من هذه السنة ومن الاتفاقات العجيبة ان محيى الدين ابن الزكى قاضى دمشق مدح السلطان بقصيدة منها

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر * مبشر بفتوح القدس في رجب

فوافق فتح القدس في رجب سنة ثلاث وثمانين على ما سنذكره ان شاء الله تعالى * وفى سنة ثمانين وخمسمائة غزا السلطان الكرك وضيق على أهلها من الافرنج وملك ربض الكرك وبقيت القلعة وحصل بين المسلمين والافرنج القتال فرحل عنها وسار الى نابلس وأحرقها ونهب ما بتلك النواحى وقتل وأسر وسبى وعاد الى دمشق * وفى سنة احدى وثمانين وخمسمائة ملك ميافارقين * وفى سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة أحضر السلطان ولده الملك الافضل من مصر فاقطعه دمشق ثم أحضر أخاه العادل من حلب وجعل ولده العزيز عثمان نائبا عنه بمصر واستدعى نائبه بمصر وهو ابن أخيه الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه وزاده على

حماة فتح المعرة وكفرطاب ومما قاربها واستقر العزيز عثمان والعادل
أبو بكر في مصر واستمر الحال على ذلك إلى أن دخلت سنة ثلاث وثمانين
وخمسمائة * فيها كانت الوقعة العظيمة التي فتح الله بها بيت المقدس
وغيره على يد السلطان الأعظم والملك الهمام المقدم سلطان الإسلام
والمسلمين محيي العدل في العالمين قاتل الكفرة والمشركين قاهر الخوارج
والمتمردين جامع كلمة الإيمان قامع عبدة الصلبان رافع علم العدل
والإحسان خادم الحرمين الشريفين منقذ البيت المقدس من أهل
الزيغ والطغيان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين هو أبو المظفر يوسف
ابن أيوب بن شاذي تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وجزاه عن
الإسلام والمسلمين خيرا وذلك في أيام الإمام الأعظم والخليفة الأكرم
أمير المؤمنين ابن عم سيد المرسلين وارث الخلفاء الراشدين الإمام
الناصر لدين الله هو أبو العباس أحمد بن الإمام المستضي بالله بن محمد بن
الحسن بن الإمام المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن الإمام المقتفي لأمر
الله أبي عبد الله أبي العباس محمد بن الإمام المستظهر بالله أحمد بن الإمام
المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله بن محمد الذخيرة بن الإمام القائم بأمر
الله أبي جعفر عبد الله بن الإمام القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير
إسحاق بن الإمام المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن الإمام المعتضد بالله
أبي العباس أحمد بن الموفق بالله أبي أحمد طلحة بن الإمام المتوكل على الله
أبي الفضل جعفر بن الإمام المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن الإمام الرشيد
أبي جعفر هارون بن الإمام المهدي أبي عبد الله محمد بن الإمام المنصور
أبي جعفر عبد الله باني مدينة السلام بغداد ابن محمد بن علي بن عبد الله
ابن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وعن أسلافه الطاهرين * وقد
حكي أن السلطان لما كثرت فتوحاته في السواحل وأوقع فيهم شهامته
وسطوته وكان لا يتجاسر على فتح بيت المقدس لكثرة ما فيه من الأبطال
والعدة لكونه كرسي دين النصرانية وكان في بيت المقدس شاب مأسور

من أهل دمشق كتب هذه الابيات وأرسل بها الى الملك صلاح الدين على لسان القدس فقال

يا أيها الملك الذى * لمعالم الصلبان نكس
جاءت اليك ظلامة * تسعى من البيت المقدس
كل المساجد طهرت * وانا على شرفى منجس

فكانت هذه الابيات هى الداعية له الى فتح بيت المقدس ويقال ان السلطان وجد ذلك الشاب اهلية وولاه خطابة المسجد الاقصى * وكان السلطان الملك الناصر رحمه الله لما عزم على الفتح كتب يستدعى للجهاد من جميع البلاد وبرز من دمشق يوم السبت مستهل شهر الله المحرم الحرام سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة قبل اجتماع العساكر عليه وحضور من استنفره للجهاد اليه وسار بمن معه من عسكره وخيم على قصر سلامة من بصرى على سمت الكرك خوفا على الحاج من صاحب الكرك البرنس ارناط فانه كان شديد العداوة للمسلمين مقداما على الشر واثارة الحروب وكان قد عزم على أسر الحاج فلما أحس بنزول السلطان قريبا منه عاد وأقام بحصنه خشية على نفسه ووصل الحاج فى أول صفر الى وطنهم بدمشق واطمأنت فكرة السلطان عليهم وانتظر السلطان وصول العسكر المصرى فابطأ عليه فأمر ولده الملك الافضل نور الدين عليا أن يقيم برأس الماء ويجمع العساكر الواصلة اليه وتوجه السلطان ومن معه الى الكرك وضياعه فأحرق فيها ونهب واسر وسار الى الشوبك ففعل كذلك ووصل اليه عسكر مصر واستمر على هذا الحال شهرين والملك الافضل مقيم برأس الماء فى جمع عظيم ينتظر ما يأمره به والده ثم قوى عزمه على طبرية فسار بمن معه ووصل الى صفورية فخرج اليهم الافرنج فى جمع كبير والتقى الفريقان فنصر الله المسلمين وظفرهم بالمشركين فقتلوا منهم واسروا وعد ذلك من حسن تدبير الملك الافضل فوردت البشائر على السلطان بالكرك ثم سار السلطان واجتمع به ولده

وقد كثر عسكر الاسلام واجتمع واشتد عزمهم على الجهاد وقوي وسمع
الافرنج بما هم فيه من الكثرة وتحققوا انهم مأخوذون وكان بينهم خلف
وشاجر فشرعوا جميعهم في الصلح ووافقوا على اجتماع الكلمة ثم ان
السلطان سار بالعسكر الى ديار الافرنج بعد ان رتب العسكر واستعرضه
ورحل على هيئة عظيمة يوم الجمعة سابع عشر شهر ربيع الآخر وخيم على
خسفين ثم أصبح سائرا ونزل على الاردن وهو نهر الشريعة والافرنج قد
تأهبوا للحرب بصفورية ورسوا بجيوشهم ورفعوا صلبانهم وكانوا
نحو خمسين ألفا وأكثر والسلطان في كل صباح يسير اليهم ويراميهم (فتح
طبرية) ثم قوي عزمه على طبرية فسار اليها ونزل عليها واحضر الحجارين
والنقابين وأمرهم بالهدم والنقب وكان ذلك يوم الخميس فشرعوا في برج
يهدمونه وتسلقوا فيه وتسلموه ودخل الليل فلما بلغ الافرنج ذلك أبدوا
رشد عزمهم وعلموا ان طبرية متى أخذت يؤخذ منهم جميع البلاد
فاجتمع الافرنج مع ملوكهم وساروا بفارسهم وراجلهم نحو السلطان فبلغ
السلطان ذلك يوم الجمعة فما كذب الخبر واستخار الله تعالى وسار بعسكره
وجاء يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر والافرنج سائرون الى طبرية وقرب
السلطان الاطلاب في مقابلتهم فحال الليل بين الفريقين (وقعة حطين)
وهي الوقعة العظمى فلما أسفر الصبح ثارت الحرب بين الفريقين وصاح
المسلمون صيحة رجل واحد فألقى الله الرعب في قلوب الكافرين ووقع
العطش في الافرنج ومكن الله المسلمين منهم فأووا الى جبل حطين وهي
قرية عندها قبر النبي شعيب عليه الصلاة والسلام وانهزم القمص حتى
أحس بالكسرة وذلك قبل اضطراب الجمع فدهمهم المسلمون والتفوا
عليهم من كل جانب فشدوا فأحاط بهم عسكر الاسلام وأوقدوا حولهم
النيران فانه كان تحت اقدام خيولهم حشيش فأمر السلطان بالقا
النار فيه فاجتمع عليهم حر الشمس وحر النار واشتد بهم العطش وضاق
بهم الامر ووقع فيهم السيف واشتد القتال فنصر الله المسلمين واطلعوا

عليهم السهام وحكموا فيهم السيوف وأبادوا الافرنج قتلا وأسرا وأسروا ملكهم ومن معه وسميت هذه الوقعة وقعة حطين وهي من الوقعات المشهورة وقتل من الافرنج ثلاثون ألفا من شجعانهم وفرسانهم ورؤى بعض الفلاحين وهو يقود نيفا وثلاثين أسيرا قد ربطهم في طنب خيمة وباع منهم واحدا بنعل لبسه في رجله فقيل له في ذلك فقال أحببت أن يقال باع أسيرا بمداس وجلس السلطان لعرض أكابر الاسارى فأول من قدم إليه مقدم الداوية وعدة كثيرة منهم ومن الاستبارية وأحضر الملك كى وأخاه جفرى وأود صاحب جبيل وهنفرى والبرنس ارناط صاحب الكرك وهو أول من أسر وكان السلطان قد نذر دمه وأقسم انه اذا ظفر به يقتله بيده لانه كان قد عبر به بالشوبك قوم من الديار المصرية في حال الصلح فغدر بهم وقتلهم فناشدوه الصلح الذي بينه وبين المسلمين فقال ما يتضمن الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وقصد المسير الى المدينة المنورة ومكة المشرفة كما تقدم ذكره وبلغ ذلك السلطان فحملته الحمية الدينية على ان نذر دمه ولما فتح الله عليه بنصره جلس في دهليز الخيمة لانها لم تكن نصبت بعد وعرضت عليه الاسارى فلما حضر بين يديه أجلسه الى جنب الملك والملك بجنب السلطان وقرعه على غدره وقصده الحرمين الشريفين وذكره بذنبه من حلفه وحنثه ونقضه العهود والمواثيق فقال الترجمان انه يقول قد جرت بذلك عادة الملوك وكان الملك كى يلهث من الظما فآنسه السلطان وسكن روعه وأتى بماء مثلوج فشرب منه ثم ناوله البرنس فأخذه من يده فشربه الملعون فقال السلطان للملك ان هذا الملعون لم يشرب الماء باذني فيكون أمانا له ثم نصبت له الخيام فلما جلس في خيمته أحضر البرنس فلما أقبل عليه أوقفه بين يديه وقال له ها أنا انتصر لمحمد منك ثم عرض عليه الاسلام فلم يقبل فبادر وضربه بالسيف فصرعه ثم أمر برأسه فقطع وجر برجله قدام الملك فارتاع وارعج فعرف السلطان منه ذلك فاستدعاه وأمنه وطمنه وقال ذلك لما غدر

غدرا به لانه تجاوز الحد وتجرأ على الانبيا صلوات الله عليهم وسلامه
وكانت هذه النصرة للمسلمين في يوم السبت لخمس بقين من ربيع
الآخر وبات الناس في تلك الليلة على أتم سرور ورفع أصواتهم بحمد الله
تعالى وشكره وتهليله وتكبيره حتى طلع الفجر * وأما الصليب الاعظم
عندهم فان المسلمين استولوا عليه يوم المصاف ولم يؤسر الملك حتى أخذ
صليب الصلبوت وهو الذي اذا رفع ونصب يسجد له كل نصراني
وركع وهم يزعمون انه من الخشبة التي صلب عليها إلههم وقد غلفوه
بالذهب وكللوه بالجوهر وكان أخذه عندهم أعظم من أسر الملك
وعظمت مصيبتهم بأخذه ثم نزل السلطان على صحرا طبرية وندب الى
حصنها من تسلمه بالامان وكانت الست صاحبة طبرية قد حمته رغبت
اليه كل ما تملكه فأمنها على أصحابها وأموالها وخرجت بمن معها الى
طرابلس لزوجها القمص وصارت طبرية للمسلمين وعين لولايتها
صارم الدين قيماز النجمي وكان من الاكابر والسلطان نازل ظاهر طبرية فلما
أصبح يوم الاثنين سابع عشري ربيع الآخر طلب السلطان الاسارى من
الداوية والاسبتارية فاحضر العسكر منهم في الحال مائتين وأمر بضرب
أعناقهم وكان عنده جماعة من أهل العلم والتصوف فسأل كل واحد
في قتل واحد فقتلوا بحضرة السلطان ثم سير ملك الافرنج وأخاه وهنفري
وصاحب جبيل ومقدم الداوية وجميع اكابرهم المأسورين الى دمشق
وسجنهم (فتح عكا) ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثا بمن معه من العساكر
الاسلامية ونزل عشية بأرض لوبيا فلما أصبح سار وكان في صحبته الامير
عز الدين أبو فليتة القاسم بن المهنى الحسيني أمير المدينة النبوية على
ساكنها أفضل الصلاة والسلام وكان حضر تلك السنة صحبة الحجاج وهو
ذو شيبة نيرة وحضر مع السلطان هذا الفتح جميعه فأقبل السلطان على
عكا وخيم قدامها وأصبح يوم الخميس ركب لحربها فخرج أهل البلد
يطلبون الامان فأمنهم وخيرهم بين المقام والانتقال وامهلهم أياما حتى

ينقل

يثقل من يحمار الثقلة فاسرع الافرنج في الخروج منها ودخل الجند
واستولوا على الدور ونزلوا بها وغنموا منها شيئا كثيرا وكان السلطان جعل
للفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري كل ما يتعلق بالداوية من منازل وضياع
فاخذها بما فيها ووهب عكا لولده الملك الافضل ودخلها المسلمون يوم
الجمعة مستهل جمادى الاولى وصليت الجمعة بها وجعلت الكنيسة العظمى
مسجدا جامعا ورتب فيه القبلة والمنبر وخطب جمال الدين عبد اللطيف
ابن الشيخ أبي النجيب السهروردي وتولى بها القضاء والخطابة وأقام
السلطان في خيمة بباب عكا على التل وكتب لاخيه الملك العادل سيف
الدين أبي بكر وهو بمصر يعلمه بالفتح فوصلت البشائر للسلطان بوصوله
وانه فتح في طريقه حصن مجدل يابا ومدينة يافا عنوة وغنم ما فيها فتوجه
اليه القصاد من اخيه السلطان الملك الناصر وانعم عليهم مما غنمه وسباه
بشيء كثير واستمر السلطان مقيما بخيمه وفرق الامراء لفتح البلاد
المجاورة وأمدهم بالعساكر (فتح الناصرة وصفورية) فسار مظفر الدين *
كوكبوري صاحب اربد الملقب بالملك المعظم الى الناصرة ومعه حسام
الدين ابن طومان وفتحها وأخذ ما فيها وسبى نساءها واسر رجالها واما
صفورية فهرب أهلها فلم يجدوا بها أحدا وكان بها من الاموال والذخائر
ما لا يحصى (فتح قيسارية) وتوجه بدر الدين دلدرم وغرس الدين قلج *
وجماعة من الامراء الى قيسارية ففتحوها بالسيف واستولوا على ما فيها
ثم تسلموا ارسوف (فتح نابلس) وسار حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين *
على سمت نابلس ووصل الى سبسطية فتسلمها ووجد مشهد زكريا
عليه السلام قد اتخذوه القسوس كنيسة فاعاده مشهدا كما كان ثم قصد
نابلس ونازلها وحاصرها ولم يزل مقيما عليها حتى استأمنوه ووثقوا
بأمانه ثم سلموها وخلصت له نابلس وأعمالها وكان معظم أهلها وجميع
سكان نواحيها مسلمين وكانوا في شدة عظيمة من الافرنج (فتح الفولة *
وغيرها) وكانت الفولة من أحسن الحصون وفيها من العدد والاموال

سبي كثير وكانت بهم فلما كان يوم المصاف خرجوا بأجمعهم وحصل
لهم ما حصل من القتل والحصر والاسر ولم يبق فيها الا الاراذل فسلموا
الحصن بعد ذلك الى السلطان وتسلموا جميع ما على الساحل مثل دوريه
وحماس ودرعين والطوالة والعفولة وبيسان والقيمون وجميع
ما لطبرية وعكا من الولايات والربض ومعليا والبعنة واسكندرية
(فتح تبنين) ثم أمر السلطان ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر بن
شاهنشاه بقصد حصن تبنين فقصده وأحدق بجانبه وطال حصاره
فارسلوا الى السلطان وسألوه الامان واستمهلوا خمسة أيام فأمهلوا
بعد ان بذلوا رهائن وأطلقوا ما عندهم من الأسرى فسر السلطان بذلك
وأحسن الى المأسورين وكان هذا دأبه في كل بلد فتحه فخلص
في تلك السنة من الأسرى أكثر من عشرين ألف أسير وأخلوا القلعة
ثم ساروا الى صور صحبة جماعة من عسكر السلطان ورتب في الموضع
مملوكه سنقر الدوري وأوصاه بحفظها وكان النزول على تبنين يوم
الاحد حادي عشر جمادى الاولى وتسلمها يوم الاحد الثامن عشر منه
(فتح صيدا) نزل السلطان عليها يوم الاربعاء الحادي والعشرين من
جمادى الاولى وهي مدينة لطيفة على الساحل بها آثار وبساتين
وأشجار فرحل صاحبها عنها وقد أخلاها وتسلمها السلطان
ونصب عليها رايات الاسلام وأقيمت بها الجمعة والجماعة (فتح بيروت)
ثم سار السلطان الى بيروت وكان النزول عليها يوم الخميس ثاني عشر
جمادى الاولى ووقع القتال واشتد ثم نقب السور حتى كاد يقع البرج
وضاق الامر بهم فطلبوا الامان وان يكتب لهم السلطان مثالا بذلك
فكتب لهم وأمنهم وتسلم السلطان بيروت يوم الخميس التاسع والعشرين
من جمادى الاولى (فتح جبيل) ولما كان السلطان على بيروت وصل اليه
كتاب الصفي بن القابض من دمشق يخبر ان اود صاحب جبيل اذعن
بتسليمها واطلاق فرسم السلطان باحضاره وهو مقيد فاحضر بين يديه

وسلم

وسمح بتسليم بلده وتسلمها السلطان وأطلقه ولم تكن عاقبة اطلاقه حميدة فانه كان من أعظم الافرنج واشدهم عداوة للمسلمين وكان معظم أهل صيدا وبيروت وجبيل مسلمين وكانوا في ذل كبير من مساكنة الافرنج ففرج الله عنهم وكان تسليم جبيل في يوم الثلاثاء سابع عشري جمادى الاولى والسلطان يومئذ على بيروت وكان كل من استأمن من الكفار مضى الى صور وصارت منزلهم وهي التي فرّ القمص اليها يوم كسرتهم على حطين (هلاك القمص ودخول المركيس الى صور) لما عرف القمص قرب السلطان منها أخلاها وتوجه الى طرابلس فهلك بها وكان المركيس من أكبر طواغيت الكفر ولم يكن وصل الى بلاد الساحل قبل هذا العام واتفق وصوله الى مينا عكا ولم يعلم بفتحها ولا بما فيها من المسلمين فلما قدم عليها تعجب من أهلها لكونهم لم يتلقوه ورأى من فيها غير هيئة النصارى فارتاب لذلك وسأل عن الحال فاخبروه بما وقع فتفكر في النجاة وقصد الفرار فلم تهب له ريح وسأل من البلد من اليه أمره فقيل له الملك الافضل فقال خذوا لي منه امانا حتى أدخل فجيء اليه بالامان فقال ما أثق الا بخط يده فما زال يردد الرسل ويدبر الحيل حتى وافقته الريح فاقلع وتوجه الى صور وضبطها بمن فيها وأرسل رسله الى الجزائر يستعدي ويستمر وثبت في صور وبقي كلما فتح السلطان بلدا بالامان يسير اهلها في حفظ السلطان الى صور فاجتمع اليه أهل البلاد المفتوحة باجمعهم وشرع المركيس يحفر الخندق ويحكمه وسيذكر ما كان من أمره ان شاء الله تعالى (فتح عسقلان وغزة والرملة والداروم وغيرها) وكان النزول على عسقلان يوم الاحد سادس عشر جمادى الآخرة ولما فرغ السلطان من فتح بيروت وجبيل عاد غازيا على صيدا وصرفند وجاء الى صور ولم يكترث بأمرها وكان قد استحضر ملك الافرنج ومقدم الداوية وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر اذا تمكن من بقية البلاد ففزع المركيس بصور واشتد خوفه واجتمع السلطان باخيه الملك العادل واتفقا على المسير ونزل على

عسقلان وجاء برها وبحرها بالمجانيق واشتد القتال وراسلهم عند ذلك
الملك المأسور وأشار عليهم بعدم مخالفته وترددت الرسل ثم أذعنوا بأنهم
يسلمون عسقلان على أن يخرجوا بأموالهم بعد أخذهم الأمان واليمين
وذلك في يوم السبت سلخ جمادى الآخرة وكان حصارها أربعة عشر يوما
وكان بين فتح عسقلان وأخذ الافرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة
فإنهم كانوا أخذوها من المسلمين في السابع والعشرين من جمادى الآخرة
سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وممن استشهد على عسقلان من الامرا
الكبار إبراهيم بن حسين المهراني وهو أول أمير استشهد وكان السلطان
قد أخذ في طريقه إليها الرملة ويافا وبيت لحم والخليل وأقام بها حتى تسلم
حصون الداروم وغزة والنطرون وبيت جبريل واجتمع بالسلطان ولده
صاحب مصر الملك العزيز عثمان بعسقلان فقرت عينه بقدومه واعتضد
به وكان قد استدعى الأسطول بمصر والحاجب لؤلؤ مقدمها وشرع
يقطع الطريق على سفن العدو ومراكبه وفعله في جزائر البحر وسنذكر
ذلك في محله إن شاء الله تعالى (فتح بيت المقدس) ثم رحل السلطان من
عسقلان إلى القدس الشريف وسمع خبره من في القدس فاشتد رعبهم
وكان بها من مقدمي الافرنج باليان بن بارزان والبطرك الأعظم ومن كلا
الطائفتين الاسبتارية والداوية وضاقت بهم منازلهم فأخذوا في تدبير
أنفسهم وأيسوا وصاروا في هرج ومرج واشتد بهم الكرب وأقبل
السلطان بعساكر الإسلام وهو في أبهة وهيبته المرهبة نزل على القدس
الشريف من جهة الغرب يوم الأحد خامس عشر رجب وكان في القدس
نيف وستون ألف مقاتل من الافرنج وقد وقعدوا دون البلد المبارزة
وقاتلوا أشد القتال واستمر الحرب بين الفريقين فانتقل السلطان
يوم الجمعة لعشرين من رجب إلى الجانب الشمالي وخيم هنالك وضيق على
الافرنج ونصب المجانيق ورمى بها حتى هدم جانب السور ثم أخذ
المسلمون في نقب السور بما يلي وادي جهنم واشتد القتال وتباشر أهل

الاسلام بالفتح وكان يوما عسيرا على الكافرين غير يسير فبرز من الافرنج ابن بارزان ليطلب الامان من السلطان فلم يجبه السلطان الى ذلك وقال لا آخذها الا بالسيف مثل ما أخذها الافرنج من المسلمين فتعرضوا للتضرع وعاودوه في طلب الامان وعرفوه ما هم عليه من الكثرة وانهم ان ايسوا من الامان قاتلوا خلاف ذلك ولا يجرح أحدهم حتى يجرح عشرة ويخربوا الدور وقبة الصخرة ويقتلوا كل من عندهم من أسارى المسلمين وهم الوف ويعدموا ما عندهم من الاموال وكذلك الذراري فعقد السلطان محضرا للمشورة وأحضر اكابر دولته واكثر عساكره وشاورهم في الامر ودار الكلام بينهم واجتمع رأيهم على الصلح بشرط أن يؤدي كل من بها من الرجال عشرة دنانير ومن النساء خمسة ويؤدي عن الطفل دينارين وأي من عجز عن الاداء كان أسيرا فاجاب الافرنج الى ذلك ودخل ابن بارزان والبطرك ومقدم الداوية والاسبتارية في الضمان وبذل ابن بارزان ثلاثين ألف دينار عن الفقراء وسلموا البلد يوم الجمعة قبيل الظهر وقت الصلاة السابع والعشرين من رجب على هذا الشرط ولم تتفق يومئذ صلاة الجمعة لضيق الوقت وكان فيها اكثر من مائة ألف انسان من الرجال والنساء والصبيان واغلقت أبواب المدينة ورتب النواب لعرضهم واستخراج المال منهم ووكل بكل باب أمين ومقدم كبير يضبط من يدخل ويخرج فمن أدى ما عليه مكن من الخروج ومن لم يؤد قعد في الحبس وحصل التفريط من العمال في المال وشرعوا يواطئون الافرنج في ذلك لارتشائهم منهم فمنهم من دلي من السور بالحبال ومنهم من ظهر مختفيا ومنهم من وقعت فيه شفاعة وكانت في القدس ملكة مترهبة ولها مال كثير فمن عليها السلطان بالافراج ولم يتعرض منها الى شئ وكانت زوجة الملك المأسور ابنة الملك أيادي فخلصت بمن معها ومن تبعها وكذلك الارنسانية ابنة فليب ام هنفري أعفيت من الوزن واستطلق صاحب البيرة زهاء خمسمائة أرمني ادعى انهم من بلده وانهم حضروا

للزيارة وطلب مظفر الدين كوكبوري ألف ارمني ادعى انهم من الرها فاطلقهم السلطان وكان السلطان قد رتب عدة دواوين في كل ديوان منها عدة من النواب المصريين ومنهم من الشاميين فمن أخذ من أحد من الدواوين خطا بالاداء اطلق مع الطلقاء بعد عرض خطه على من بالباب من الامناء والوكلاء وحصل من الامناء مواطأة واختلاس كثير في المال ومع ذلك حصل لبيت المال ما قارب مائة ألف دينار وبقي من الافرنج جماعة في الاسر لعدم القيام بما عليهم **﴿ذكر يوم الفتح﴾** * وهو يوم سابع عشري رجب كما تقدم واتفق فتح بيت المقدس في يوم كان مثل ليلة معراج النبي صلى الله عليه وسلم ورفعت الاعلام الاسلامية على اسواره وجلس السلطان للهناء الاكابر والامراء والمتصوفة والعلماء وقد جلس على هيئة التواضع وعليه الابهة والوقار وحوله أهل العلم والفقهاء وعليهم السكينة والجلال وقد ظهر السرور على أهل الاسلام بنصرهم على عدوهم المخذول وزينت بلاد الاسلام لفتح بيت المقدس وتسامع الناس بهذا النصر والفتح فوفدوا للزيارة من سائر البلاد واما الافرنج فشرعوا في بيع امتعتهم واستخراج ذخائرهم وباعوها بالهوان وساعد الناس في الشرا فاشتروها بارخص ثمن وكان ما يساوي عشرة دنانير يباع باقل من دينار وأخذوا ما في كنائسهم من اواني الذهب والفضة والستور وجمع البطرك كل ما كان على القبر من صفائح الذهب والفضة وجمع ما كان في القمامة فقال العماد الكاتب للسلطان هذه أموال جزيلة تبلغ مائتي ألف دينار والامان في أموالهم لا على أموال الكنائس والديارات فلا تتركها لهم فقال السلطان اذا تأولنا عليهم نسبونا الى الغدر فنحن نجريهم على ظاهر الامان ولا ندعهم يشكون في حق المسلمين وينسبونهم الى الغدر والنكث بل ندعهم يثنون عنا بالجميل فاخذ الافرنج ما خف حمله وتركوا ما ثقل واستقل بعضهم الى صور وبقي منهم زهاء خمسة عشر ألفا لم يؤدوا ما شرط عليهم فدخلوا في الرق وكان الرجال نحو سبعة آلاف

فاقتسمهم المسلمون وأحصيت النساء والصبيان ثمانية آلاف نسمة وما أصيب الافرنج من حين خرجوا الى الشام فى سنة تسعين وأربعمائة الى الآن بمصيبة مثل هذه الواقعة ووصل المستنفرون من الكفار الى أقصى بلاد الافرنج ومثلوا صورة المسيح عليه السلام وصورة النبى صلى الله عليه وسلم وهو بيده عصا وهو يقصد المسيح ليضربه والمسيح منهزم منه وأقاموا الشناع والعويل فى بلادهم لذلك واشتد ملوكهم واحتشدوا وجهزوا العساكر لقصد بلاد الاسلام ومحاربة الملك صلاح الدين رحمه الله تعالى ولما استقر بيت المقدس مع المسلمين وطهره الله من المشركين سأل النصارى فى الاقامة به وبذل الجزية وان يدخلوا فى الذمة فأجيبوا الى ذلك * ولما تسلم السلطان القدس أمر باظهار المحراب وكان الداوية قد بنوا فى وجهه جدارا وتركوه هريا وقيل اتخذوه مستراحا وبنوا غربى القبلة دارا واسعة وكنيسة فهدم ما قدام المحراب من الابنية ونصب المنبر وأظهر المحراب ونقض ما أحدثوه بين السوارى وفرش المسجد بالبسط وعلقت القناديل وكان يوما مشهودا ظهر فيه عز الاسلام وعلت كلمة الايمان وبطلت نغمات القسس والرهبان وعلت أصوات أهل التوحيد بالقرآن وخرس الناقوس وسمع الاذان وعزل الانجيل وتولى القرآن وبطل ما كان بالمسجد الاقصى من الكفر والطغيان وعبد فيه الله الديان وقد تقدم ان من الاتفاقات العجيبة ان محيي الدين بن زكى قاضى دمشق لما فتح السلطان صلاح الدين حلب فى صفر سنة تسع وسبعين وخمسمائة مدحه بقصيدة منها

وفتحكم حلبا بالسيف فى صفر * مبشر بفتوح القدس فى رجب

فكان كما قال وفتح القدس فى رجب كما تقدم فقيل لمحيي الدين من أين لك هذا فقال أخذته من تفسير ابن برجان فى قوله تعالى الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين وكان الامام أبو الحكم ابن برجان الاندلسى قد صنف تفسيره المذكور

في سنة ثمانين وخمسمائة وبيت المقدس اذ ذاك في يد الافرنج لعنهم الله تعالى قال ابن خلكان في تاريخه في ترجمة ابن الزكي ولما وقفت انا على هذا البيت وهذه الحكاية لم ازل أطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة قال ولكن رأيت هذا الفصل مكتوبا على الحاشية بخط غير الاصل ولا أدري هل كان من أصل الكتاب أم هو ملحق وذكر له حسابا طويلا وطريقا في استخراج ذلك حتى حرره من قوله في بضع سنين انتهى

﴿ذكر أول خطبة بعد الفتح﴾

* ولما فتح السلطان القدس تطاول الى الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلما الذين كانوا في خدمته حاضرين وجهز كل واحد منهم خطبة بليغة طمعا في أن يكون هو الذي يعين لذلك والسلطان لا يعين الخطبة لاحد فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان واجتمع الناس لصلاة الجمعة حتى امتلا الجامع ونصبت الاعلام على المنبر وتكلم الناس فيمن يخطب والامر مبهم حتى حان الزوال وأذن المؤذن للجمعة فرسم السلطان وهو بقبة الصخرة للقاضي محيي الدين محمد بن زكي الدين علي القرشي أن يخطب وهي أول جمعة صليت بالمسجد الاقصى الشريف بعد الفتح وأعاره العماد الكاتب اهبة سودا كانت عنده من تشريف الخلافة ليتهيأ الحال فلما رقي على المنبر استفتح بسورة الفاتحة فقرأها الى آخرها ثم قال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين * ثم قرأ أول سورة الانعام الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون * ثم قرأ من سورة سبحان الذي اسرى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا * ثم قرأ من سورة الكهف أولها الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات

أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم
به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا
فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا * ثم قرأ
من سورة النمل وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما
يشركون * ثم قرأ من سورة سبأ الحمد لله الذى له ما فى السموات وما
فى الارض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير * ثم قرأ من سورة فاطر
الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولى اجنحة مثنى
وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز
الحكيم * ثم شرع فى الخطبة فقال الحمد لله معز الاسلام بنصره ومذل
الشرك بقهره ومصرف الامور بأمره ومديم النعم بشكره ومستدرج
الكفار بمكره الذى قدر الايام دولا بعدله وجعل العاقبة للمتقين بفضله
وأفاء على عباده من ظله وأظهر دينه على الدين كله القاهر فوق عباده
فلا يمانع والظاهر على خليقته فلا ينازع والآمر بما يشاء فلا يراجع
والحاكم بما يريد فلا يدافع * أحمده على اظفاره واظهاره واعزازه لاوليائه
ونصره لانصاره وتطهير بيته المقدس من ادناس الشرك واوضاره حمد
من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره وأشهد أن لا اله الا الله
وحده لا شريك له الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
شهادة من طهر بالتوحيد قلبه وأرضى به ربه واشهد ان محمدا عبده
ورسوله رافع الشك وداحض الشرك ورافض الافك الذى أسرى به
ليلا من المسجد الحرام الى هذا المسجد الاقصى وعرج به منه الى السموات
العلى الى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى
ما زاغ البصر وما طغى صلى الله عليه وسلم وعلى خليفته أبى بكر الصديق
السابق الى الايمان وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن
هذا البيت شعار الصلبان وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذى

النورين جامع القرآن وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل
الشرك ومكسر الأوثان * وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان * أيها
الناس أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما
يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة وردها الى
مقرها من الإسلام بعدما ابتذلت في أيدي المشركين قريبا من مائة عام
وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه وإماطة الشرك
عن طرقه بعد أن امتد عليها رواقه واستقر فيها رسمه ورفع قواعده
بالتوحيد فإنه بني عليه وشيد بنيانه بالتمجيد فإنه أسس على التقوى من
خلفه ومن بين يديه فهو موطن أبيكم ابراهيم ومعراج نبيكم عليه الصلاة
والسلام وقبلتكم التي كنتم تصلون اليها في ابتداء الإسلام وهو مقر الأنبياء
ومقصد الأولياء ومدفن الرسل ومهبط الوحي ومنزل ينزل به الأمر
والنهي وهو في أرض المحشر وصعيد المنشر وهو في الأرض المقدسة التي
ذكرها الله في كتابه المبين وهو المسجد الأقصى الذي صلى فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين وهو البلد الذي بعث الله اليه عبده
ورسوله وكلمته التي ألقاها الى مريم وروحه عيسى الذي أكرمه برسالته
وشرفه بنبوته ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته فقال تعالى لن يستنكف
المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون كذب العادلون بالله
وضلوا ضلالا بعيدا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل
إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب
والشهادة فتعالى عما يشركون لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن
مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه
ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء
والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
ولله ملك السموات والأرض وما بينهما واليه المصير يا أهل الكتاب

قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير وهو أول القبلتين وثانى المسجدين وثالث الحرمين لا تشد الرحال بعد المسجدين الا اليه ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين الا عليه فلولا انكم ممن اختاره الله من عباده واصطفاه من سكان بلاده لما خصكم بهذه الفضيلة التى لا يجاريكم فيها مجار ولا يباريكم فى شرفها مبار فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية والوقعات البدرية والعزمات الصديقية والفتوحات العمرية والجيوش العثمانية والفتكات العلوية جددتم للاسلام أيام القادسيه والملاحم اليرموكية والمنازلات الخيبريه والهجمات الخالدية فجزاكم الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم فى مقارعة الاعداء وتقبل منكم ما تقربتم به اليه من اهراق الدماء وأثابكم الجنة فهى دار السعداء فاقدروا رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها وقوموا لله قانتين بواجب شكرها فلله تعالى المنة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة وترشيحكم لهذه الخدمة فهذا هو الفتح الذى فتحت له أبواب السماء وتبلجت بأنوار وجوهه الظلماء وابتهج به الملائكة المقربون وقر به عينا الانبياء والمرسلون فماذا عليكم من النعمة أن جعلكم الجيش الذى يفتح على يديه البيت المقدس فى آخر الزمان والجند الذى تقوم بسيوفهم بعد فترة من النبوة اعلام الايمان فيوشك ان يفتح الله على أيديكم امثاله وان يكون التهانى لاهل الخضراء أكثر من التهانى لاهل الغبراء أليس هو البيت الذى ذكره الله فى كتابه ونص عليه فى محكم خطابه فقال تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير أليس هو البيت الذى عظمته الملل وأثنت عليه الرسل وتليت فيه الكتب الاربعة المنزلة من الله عز وجل أليس هو البيت الذى أمسك الله تعالى لاجله الشمس على يوشع ان

يعرب وما بعد من خطوات السمرقندية ويعرب النشر هو البيت الذي
أمر الله عز وجل موسى ان يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه الا رجلان
وغضب الله عليهم لاجله فألقاهم في التيه عقوبة للعصيان فالحمد لله
الذي امضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو اسرائيل وقد فضلت على العالمين
ووفقكم لما خذلت فيه امم كانت قبلكم من الامم الماضين وجمع لاجله كلمتكم
وكانت شتى وأغناكم بما امضته كان وقد عن سوف وحتى فليهنكم ان
الله قد ذكركم به فيمن عنده وجعلكم بعد ان كنتم جنودا لاهويتكم جنده
ويشكر لكم الملائكة المنزلون على ما أهديتم لهذا البيت من طيب التوحيد
ونشر التقديس والتحميد وما اماطتم عن طرقهم فيه من أذى الشرك
والتثليث والاعتقاد الفاجر الخبيث فالآن تستغفر لكم املاك
السموات وتصلي عليكم الصلوات المباركات فاحفظوا رحمكم الله هذه
الموهبة فيكم واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التي من تمسك بها
سلم ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم واحذروا من اتباع الهوى ومواقعة
الردى ورجوع القهقرى والنكول عن العدى وخذوا في انتهاز الفرصة
وازالة ما بقي من الغصة وجاهدوا في الله حق جهاده وبيعوا عباد الله
أنفسكم في رضاه اذ جعلكم من خيار عباده واياكم ان يستزلكم الشيطان
وان يتداخلكم الطغيان فيخيل لكم ان هذا النصر بسيوفكم الحداد
وبخيولكم الجياد وبجلادكم في مواطن الجلاد لا والله ما النصر الا من
عند الله العزيز الحكيم فاحذروا عباد الله بعد ان شرفكم الله بهذا الفتح
الجليل والمنح الجزيل وخصكم بنصره المبين وأعلق أيديكم بحبله المتين
ان تقترفوا كبيرا من مناهيه وان تأتوا عظيما من معاصيه فتكونوا كالتي
نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا وكالذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه
الشيطان فكان من الغاوين والجهاد الجهاد فهو من أفضل عباداتكم
وأشرف عاداتكم انصروا الله ينصركم احفظوا الله يحفظكم اذكروا الله
يذكركم اشكروا الله يزدكم ويشكركم جدوا في حسم الداء وقطع شأفة

الاعداء وطهروا بقية الارض من هذه الانجاس التي اغضبت الله ورسوله واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله فقد نادت الايام بالثارات الاسلامية والملة المحمدية الله اكبر فتح الله ونصر غلب الله وقهر اذل الله من كفر واعلموا رحمكم الله ان هذه فرصة فانتهزوها وفريسة فناجزوها وغنيمة فحوزوها ومهمة فأخرجوا لها هممكم وأبرزوها وسيروا اليها سرايا عزماتكم وجهزوها فالامور باواخرها والمكاسب بذخائرها فقد أظفركم الله بهذا العدو المخذول وهم مثلكم أو يزيدون فكيف وقد أضحى قبالة الواحد منهم منكم عشرون وقد قال تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين أعاننا الله واياكم على اتباع أوامره والازدجار بزواجره وأيدنا معاشر المسلمين بنصر من عنده ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ان أشرف مقال يقال في مقام وأنفذ سهام تمرق عن قسي الكلام وأمضى قول تحلى به الافهام كلام الواحد الفرد العزيز العلام قال الله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصار ثم قال آمركم واياي عباد الله بما أمر الله به من حسن الطاعة فاطيعوه وأنهاكم واياي عما نهى الله عنه من قبح المعصية فلا تعصوه أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه ثم خطب الخطبة الثانية على عادة الخطباء

مقصوره ثم دعا للامام الناصر خليفة العصر ثم قال اللهم وأدم سلطان
عبدك الخاضع لهيبتك الشاكر لنعمتك المعترف بموهبتك
سيفك القاطع وشهابك اللامع والمحامي عن دينك المدافع والذاب
عن حرمك الممانع السيد الاجل الملك الناصر جامع كلمة الايمان وقامع
عبدة الصلبان صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين
مطهر البيت المقدس من أيدي المشركين أبي المظفر يوسف بن ايوب
محيي دولة أمير المؤمنين اللهم عم بدولته البسيطة واجعل ملائكتك
براياته محيطة وأحسن عن الدين الحنيفي جزاءه واشكر عن الملة المحمدية
عزمه ومضاءه اللهم أبق للاسلام مهجته ووق للايمان حوزته وانشر
في المشارق والمغارب دعوته اللهم كما فتحت على يديه البيت المقدس بعد
ان ظنت الظنون وابتلي المؤمنون فافتح على يديه داني الارض وقاصيها
وملكه صياصي الكفر ونواصيها فلا تلقاه منهم كتيبة الا مزقها
ولا جماعة الا فرقها ولا طائفة بعد طائفة الا ألحقها بمن سبقها اللهم
اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سعيه وأنفذ في المشارق والمغارب
أمره ونهيه اللهم وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها وأرجاء الممالك
واكنافها اللهم ذلل به معاطس الكفار وأرغم به انوف الفجار وانشر
ذوائب ملكه على الامصار وابثث سرايا جنوده في سبل الاقطار اللهم
أثبت الملك فيه وفي عقبه الى يوم الدين واحفظه في بنيه الغر الميامين
واخوانه أولي العزم والتمكين وشد عضده ببقائهم واقض باعزاز
أوليائه وأوليائهم اللهم كما أجريت على يده في الاسلام هذه الحسنة التي
تبقى على الايام وتتخلد على مر الشهور والاعوام فارزقه الملك الابدي
الذي لا ينفد في دار المتقين وأجب دعاءه في قوله رب أوزعني ان أشكر
نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحا ترضاه وأدخلني
برحمتك في عبادك الصالحين ثم دعا بما جرت به العادة ونزل وصلى ولما
قضيت الصلاة انتشر الناس وكان قد نصب سرير الوعظ تجاه القبلة

فجلس عليه الشيخ زين الدين أبو الحسن على بن نجا الانصارى الحنبلى المعروف بابن نجيه وعقد مجلسا للوعظ وكان واعظا حسنا بليغا وصلى السلطان الجمعة فى قبة الصخرة وكانت الصفوف ملى ما الصحن ثم رتب فى المسجد الاقصى الشريف خطيبا * وكان الملك العادل نور الدين الشهيد قد عزم على فتح بيت المقدس وعمل منبرا بحلب وتعب عليه مدة وقال هذا لاجل القدس فادركته المنية وكان الفتح على يد من أراد الله فأرسل السلطان صلاح الدين من أحضر المنبر من حلب وجعله فى المسجد الاقصى وهو الموجود فى عصرنا هذا * واما الصخرة فقد كان الافرنج بنوا عليها كنيسة ومذبحا وجعلوا فيها الصور والتماثيل فأمر السلطان بكشفها ونقض البناء المحدث فيها وأعادها كما كانت ورتب لها اماما حسن القراءة ووقف عليها دارا وأرضا وحمل اليها والى محراب المسجد الاقصى مصاحف وختمات وربعات شريفة ورتب للصخرة وللمسجد الاقصى خدمة وكان الافرنج قد قطعوا من الصخرة قطعا وحملوا منها الى قسطنطينية ونقلوا منها الى صقلية قيل باعوها بوزنها ذهبا ولما فتح السلطان القدس كان على رأس قبة الصخرة صليب كبير مذهب فتسلق المسلمون وقلعوه فسمع لذلك صيحة لم يعهد مثلها من المسلمين للفرح والسرور ثم شرع السلطان فى العمارة وأمر بترخيم محراب الاقصى * وكتب عليها بالفصوص المذهبة ما قراءته بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الاقصى الذى هو على التقوى مؤسس عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه فى شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو يسأل الله ايزاعه شكر هذه النعمة واجزال حظه من المغفرة والرحمة * وشرع ملوك بنى أيوب فى فعل الآثار الجميلة بالمسجد الاقصى منهم الملك العادل سيف الدين أبو بكر أخو السلطان * واما الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه فانه فعل فعلا حسنا وهو انه

حضر في قبه الصخره مع جماعه وتولى بيده كنس أرضها ثم غسلها بالماء مرارا ثم أتبع الماء بماء الورد وطهر حيطانها وغسل جدرانها وبخرها ثم فرق مالا عظيما على الفقرا وكذلك الملك الافضل نور الدين علي والملك العزيز عثمان فعلا فيه أنواعا من البر والخير ووضع الاطعمه برسم المجاهدين في سبيل الله *(محراب داود عليه السلام وغيره من المشاهد) المحراب داود عليه السلام فهو خارج المسجد الاقصى في حصن عند باب المدينه وهو القلعه وكان الوالي يقيم بهذا الحصن ويعرف هذا الباب قديما بباب المحراب والآن بباب الخليل فاعتنى السلطان بأحواله ورتب له اماما ومؤذنين وقواما وأمر بعماره جميع المساجد والمشاهد وكان موضع هذه القلعه دار داود عليه السلام وكان الملك العادل نازلا في كنيسه صهيون واجناده في خيامهم على بابها ووقف السلطان جماعه من العلما في مدرسه للفقها الشافعيه ورباط للصلحا الصوفيه فعين للمدرسه الكنيسه المعروفه بصندحنه يقال ان بها قبر حنه أم مريم وهي عند باب الاسباط وعين للرباط دار البطرك وهي بقرب كنيسه قمامه وبعضها راكب على ظهر قمامه ووقف عليهما أوقافا حسنه وأمر باغلاق كنيسه قمامه ومنع النصارى من زيارتها وأشار عليه بعض أصحابه بهدمها ومنهم من أشار بعدم الهدم لان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح بيت المقدس أقرهم عليها ولم يهدمها وأقام السلطان على القدس على تسلم ما بقي بها من الحصون ورحل الملك الافضل الى عكا ثم تبعه الملك المظفر الى عكا أيضا ثم ان السلطان فرق ما جمعه على مستحقيه من الجند والفقها والفقرا والشعرا فقيل له لو ادخرت هذا المال لامر يحدث فقال أملي بالله قوي وجمع الاسارى وكانوا ألوفا من المسلمين فكساهم وأحسن اليهم وذهب كل منهم الى وطنه ومكث السلطان على القدس ينظر في مصالحه وكان في خدمته الامير علي بن أحمد المشطوب وكان معه صيدا وبيروت وغيرها

معرب

تقرب صور وخاف أن يفوته فتحها وكان يحث السلطان على المسير اليها
وكان المركيس عند اشتغال المسلمين بالقدس شرع في احكام سور
حصنها وجعل لها خندقا وضيق طريقها * وكتب السلطان الى الخليفة
الناصر لدين الله يعلمه بالفتح وكتب أيضا الى الآفاق رسائل من انشاء
العماد الكاتب فيها من البلاغة والالفاظ الفائقة مالا يقدر عليه غيره

﴿ذكر رسالة السلطان للخليفة﴾

وكانت الرسالة الى الخليفة على يد ضياء الدين الشهرزوري بخط القاضي الفاضل من انشائه وهي أدام الله أيام الديوان العزيز النبوي ولا زال مظفر الجد بكل جاحد غنيا بالتوفيق عن رأي كل رائد موقوف المساعي على اقتناء مطلقات المحامد مستيقظ النصر والنصل في جفنه راقد وارد الجود والسحاب على الأرض غير وارد متعدد مساعي الفضل وان كان لا يلقى الا بشكر واحد ماضي حكم العدل بعزم لا يمضي الا بنبل غوي وريش راشد ولا زالت غيوث فضله الى الاولياء أنواء الى المرابع وأنوارا الى المساجد وبعوث رعبه الى الاعداء خيلا الى المراقب وخيالا الى المراقد كتب الخادم هذه الخدمة تلو ما صدر عنه مما كان يجري مجرى التباشير لصبح هذه الخدمة والعنوان لكتاب وصف هذه النعمة فانها بحر للاقلام فيه سبح طويل ولطف لتحمل الشكر فيه عبء ثقيل وبشرى للخواطر في شرحها مآرب وبشرى للاسرار في اظهارها مشارب ولله تعالى في اعادة شكره رضا وللنعمة الراهنة به دوام لا يقال معه هذا مضى ولقد صارت أمور الاسلام الى أحسن مصائرها واستتبت عقائد أهله على أبين بصائرها وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط وصدق الله أهل دينه فلما وقع الشرط وقع المشروط وكان الدين غريبا فهو الآن في وطنه والفوز معروضا فقد بذلت الانفس في ثمنه وأمر أمر الحق وكان مستضعفا وأهل ربعه وكان قد عفي حين عفا وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك راغمة وأدلجت السيوف الى الآجال وهي نائمة وصدق وعد الله في اظهار دينه على كل دين واستطارت له أنوار

اما ان الصباح عندها احسان الحسن واستبشر المسلمون برأيا كان
فيهم آتيا وظفروا بغبطة تمام بصدقوا انهم يظفرون به طمعا على الرأى
طارقا واستقرت على الاعلام أقدامهم وخفقت على الاقصى أعلامهم
وتلاقى على الصخرة شفاههم وسعت بها ان كانت صخرة كما سعى بالما
طلبهم ولما قدم الذى عليها غرق فيها سويدا قلبه وهيا كهوها الحجر
الاسود بيت عصمها من الكافر بحربه وكان الخادم لا يسعى سعيه
الا لهذه العظمى ولا يقاسى تلك البؤسى الا رجا هذه النعمى ولا يحارب
من يستطيله فى حربه ولا يعاتب باطراف القنا من يتمادى فى عتبه
الا لتكون الكلمة مجموعة فتكون كلمة الله هى العليا وليفوز بجوهر الآخرة
لا بالعرض الادنى من الدنيا وكانت الالسن ربما سلقته فانضج قلوبها
بالاحتقار وكانت الخواطر ربما تغلب عليه مراجلها فاطفأها بالاحتمال
والاصطبار ومن طلب خطيرا خاطر ومن رام صفقة رابحة جاسر ومن
سما لأن يجلى غمرة غامر والا فان القعود يلين تحت نوب الاعدا المعاجم
فيعصيها ويضعف فى أيديها مهز القوائم فيقصمها هذا الى كون القعود
لا يقضى به فرض الله فى الجهاد ولا يراعى به حق الله فى العباد ولا يوفى به
واجب التقليد الذى تطوقه الخادم من ائمة قضوا بالحق وكانوا به يعدلون
وخلفاء الله كانوا فى مثل هذا اليوم لله يسألون لا جرم انهم أورثوا
اسرارهم وسريرهم خلفهم الاطهر ونجلهم الاكبر وبقيتهم الشريفة
وطليعتهم المنيفة وعنوان صحيفة فضلهم لا عدم سواد العلم وبياض
الصحيفة فما غابوا لما حضر ولا غضوا لما نظر بل وصلهم الاجر لما كان به
موصولا وشاطروه العمل لما كان عنه مسؤلا ومنه مقبولا وخلص اليهم
الى المضاجع ما اطمأنت به جنوبها والى الصفائح ما عبقت به جيوبها
وفاز منها بذكر لا يزال الليل به سميرا والنهار به بصيرا والشرق يهدى
بأنواره بل ان أبدى نورا الى ذاته هتف به الغرب بأن وارده فانه نور لا تكنه
اغساق السدف وذكر لا تواريه أوراق الصحف وكتب الخادم هذا

وقد أشرقت بالعدو الذى نشطت فما نشقا وطارت من فرقه فرقا وفل سيفه فصار عصا وصدعت حصاته وكان الاكثر عددا وحصا وكانت حملاته وكان قدرا يضرب فيه العنان بالعنان وعقوبة من التدليس لصاحبه بابدال وعثرت قدمه وكانت الارض لها حليفة وغضت عينه وكانت عيون السيوف دونها كثيفة ونام حد سيفه وكانت يقظته ترى لطف الكرى من الجفون وجدعت أنوف رماحه وطالما كانت شامخة بالمنا وراعفة بالمنون واضحت الارض المقدسة الطاهرة وكانت الطامث والرب الفرد الواحد وكان عندهم الثالث وبيوت الكفر مهدومة ونيوب الشرك مهتومة وطوائفه المحامية مجمعة على تسليم القلاع الحامية وشجعانه المتواخية مذعنة لبذل القطائع الرافيه لايرون فى ماء الحديد لهم عصره ولا فى نار الأنفة لهم نصره قد ضربت عليهم الذلة والمسكنة وبدل الله مكان السيئة الحسنة ونقل بيت عبادته من أيدى أصحاب المشئمة الى أيدى أصحاب الميمنة وقد كان الخادم لقيهم اللقاءة الاولى فأمده الله بمداركته وانجده بملائكته فكسرهم كسرة ما بعدها جبر وصرعهم صرعة لا ينتعش بعدها بمشيئة الله كفر وأسر منهم من أسرت به السلاسل وقتل منهم من فتكت به المناصل واجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح والكفار وعن المصاف بخيل فانه قتلهم بالسيوف الافلاق والرماح الاكسار فنيلوا ثار من السلاح ونالوه أيضا بثار فكم أهلة سيوف تقارض الضراب بها حتى عادت كالعراجين وكم أنجم قنا تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين وكم فارسية ركض عليها فارسها الشهم الى أجل فاختلسه وفغرت تلك القوس فاها فاذا فوها قد نهش القرن على بعد المسافة وافترسه وكان اليوم مشهودا وكانت الملائكة شهودا وكان الصليب صارخا وكان الاسلام مولودا وكانت ضلوع الكفار لنار جهنم وقودا وأسر الملك وبيده أوثق وثائقه وآكد وصله بالدين وعلائقه وهو

صلب الصلبوت وقائد أهل الحروب ما دهموا قط بأمر إلا وقام بين
دهمائهم يبسط لهم باعه فكان مد المدن في هذه الوقعة وداعه لا جرم أنه
يهاب على ثاره وراسهم ويجتمع في ظل ظلاله حساسهم ويعاملون بحسب
ذلك الصليب أصلب قتال واصدقه ويرونه مساقا يسوقون عليه أشد
عقد أو نية ويعدونه سورا تحصر حوادث الحيل حدقه وفي هذا اليوم
أسرت سراتهم وذهب دهاتهم ولم يفلت منهم معروف إلا القومص
وكان لعنه الله مليا يوم الظفر بالقتال ومليا يوم الخذلان بالاحتيال
فنجا ولكن كيف وطار خوفا من أن يلحقه منسر الرمح أو جناح السيف
ثم أخذه الله بعد أيام بيده وأهلكه لموعده فكان لعدتهم ذلك
واصل من ملك الموت الى مالك وبعد الكسرة مر الخادم على البلاد
فطواها بما نشر عليها من الرايات العباسية السودا صبغا البيضا صنعا
الخافقة في قلوب أعدائها الغالبة في عزائم أوليائها المنصورة
بأبوابها إذا فتح عنها النسر وأشارت بأنامل العذبات الى وجه النصر
فافتتح بلاد كذا وكذا وهذه كلها أمصار ومدن وقد تسمى البلاد بلادا
وهي مزارع وفدن وكل هذه ذوات معاقل ومعاقر وبحار وجرار
وجوامع ومنابر وجموع وعساكر يتجاوزها الخادم بعد أن يحرزها ويتركها
وراءه بعد أن يشهرها ويحصد منها كفرا ويزرع إيمانا ويحط من منابر
جوامعها صلبانا ويرفع أذانا ويبدل المذابح منابر والكنائس مساجد
ويبوئ أهل القرآن بعد أهل الصلبان للقتال عن دين الله مقاعد ويقر
عينه وعيون أهل الإسلام أن تعلق النصرة ومن عسكره بجار ومجرور
وأن يظفر بكل سور ما كان يخاف زلزاله ولا زلزالها الى يوم النفخ في الصور
ولما لم يبق إلا القدس وقد اجتمع إليه كل شريد منهم وطريد واعتصم بمنعه
كل قريب منهم وبعيد وظنوا أنها من الله مانعتهم وأن كنيستها الى الله
شافعتهم فلما نازلها الخادم رأى بلدا كبلاد وجمعا كيوم التناد وعزائم
قد تألبت وألفت على الموت فنزلت بعرصته وهان عليها مورد الـمـ

وإن ثغرت بعينه فداور البلد من جانب فاذا أودية عميقة ولجج وعر غربته وسور قد انعطف عطف السوار وابرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار فعدل الى جهة اخرى كان للطامع عليها معرج وللخيل فيها منفرج فنزل عليها وأحاط بها وقرب منها وضرب خيمته بحيث يناله السلاح باطرافه ويزاحمه السور باكتافه وقابلها ثم قاتلها ونزلها ثم نازلها وبرز اليها ثم بارزها وحاصرها ثم ناجزها وضمها ضمة ارتقب بعدها الفتح وصدع جمعها فاذا هم لا يصبرون على عبودية الجد عن عتق الصفح فراسلوه ببذل قطيعة الى مدة وقصدوا النظرة من شدة وانتظار النجدة فعرفهم الخادم في لحن القول وأجابهم بلسان الطول وقدم المنجنيقات التي تتولى عقوبات الحصون عصيها وحبالها وأوتر لهم قسيها التي ترمي ولا تفارقها سهامها ولكن تفارق سهامها نصالها وصافحت السور فاذا سهمها في ثنايا شرفاته سواك وقدم النصر نسرا من المنجنيق يخلد اخلاده الى الارض ويعلو علوه الى السماك فأباح مرابع أبراجها واسمع صوت عجيجها صم أعلاجها ورفع للدارع ما بين العنق الى المرفق مثار عجاجها فأخلى السور من السيارة والحرب من النظارة فأمكن النقاب أن يسفر للحرب النقاب وأن يعيد الحجر الى سيرته الاولى من التراب فتقدم الى الصخرة فمضغ سردها بأنياب معوله وحل عقدها بضربه الاخرق الدال على لطافة أنمله واسمع الصخرة الشريفة أنينه باستقالته الى أن كادت ترق لمقالته وتبرأ بعض الحجارة من بعض وأخذ الخراب عليها موثقا فلن يبرح الارض وفتح من السور بابا سد من نجاتهم أبوابا وأخذ ينقب في حجره فقال عنده الكافر يا ليتني كنت ترابا فحينئذ يئس الكافر من أصحاب الدور كما يئس الكفار من أصحاب القبور وجاء أمر الله وغرهم بالله الغرور وفي الحال خرج طاغية كفرهم وزمام أمرهم ابن بارزان سائلا أن تؤخذ البلد بالسلم لا بالعنوة وبالأمان لا بالسطوة وألقى بيده الى التهلكة وعلاه ذل الهلكة بعد عز

المملكة وطرح جثته على التراب وكان جسدا لاستعطاه طارح وبذل
مثقالا من القطيعة لا يطمع إليه أمل طامع وقال هذا ما أسارى مسلمون
يجاورون الألوف وقد تعاقد الافرنج على أنه إن ضعفت عليهم الدار
وحملت الحرب على ظهورهم الأوزار بدئ بهم فقتلوا وبنسا الافرنج
وأطفالهم فقتلوا ثم استقتلوا بعد ذلك فلا يقتل خصم الا بعد أن يضعف
ولا يقتل سيف من يد الا بعد أن يقطع أو يقصف فأشار الأمراء بأخذ
الميسور من البلد المأسور فإنه لو أخذ حربا فلا بد أن يهجم الرجال
الأجناد وتبذل نفوسها في آخر أمر قد نيل من أوله المراد وكانت الجراح
في العساكر قد تقدم منها ما أثقل الفتكات وأثقل الحركات فقبل
منهم المبذول عن يد وهم صاغرون وانصرف أهل الحرب عن قدرة وهم
ظاهرون وملك الإسلام خطة كان عهده بها دمنة فكان تقدمها الكفر
إلى أن صارت روضة جنان لا جرم أن الله أخرجهم منها وأهبطهم وأرضى
أهل الحق وأسخطهم فإنهم خذلهم الله حموها بالأسل والصفاح وبنوها
بالعمد والصفاح وأودعوا الكنائس بها وبيوت الدوية والاسبتارية
منها كل غريبة من الرخام الذي يطرد ماؤه ولا يطرد لألاؤه قد لطف
الحديد في تجريده وتفنن في توسعته إلى أن صار الحديد الذي فيه بأس
شديد كالذهب الذي فيه نعيم عتيد فما ترى الا مقاعد كالرياض لها من
بياض الترخيم زهرات وعمدا كالأشجار لها من التنبيت أوراق وأدعى
الخادم برد الأقصى إلى عهده المعهود وأقام له من الأئمة من يوفيه ورده
المورود وأقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شهر شعبان فكادت السموات
يتفطرن للنجوم لا للوجوم والكواكب منها ينتثرن للطرب لا للرجوم
ورفعت إلى الله كلمة التوحيد وكانت طريقها مسدودة وطهرت قبور
الأنبياء وكانت بالنجاسات مكدودة وأقيمت الخمس وكان التثليث
يقعدها وجهرت الألسن بالله أكبر وكان سحر الكفر يعقدها وجهر باسم
أمير المؤمنين في وطنه الأشرف من المنبر فرحب به ترحيب من بر ب

وحفن

يحسن حمله في حاشيته * فلو طار سرور الطائر بصاحبه وكتاب الخادم
وهو يشهد في استفتاح بقية الثغور واستشراح ما ضاق بتمادي الحروب
من الصدور وأن قوى العساكر قد استنفدت مواردها وأيام الشتاء
قد قربت مواردها والبلاد المأخوذة المشار اليها قد حاست العساكر
خلالها ونهبت ذخائرها وأكلت غلالها فهي بلاد ترفد ولا تسترفد وتجم
ولا تستنفد ينفق عليها ولا ينفق منها وتجهز الاساطيل لحفظها وتقام
المرابط لسواحلها ويدأب في عمارة أسوارها ومرمات معاقلها وكل
مشقة بالاضافة الى نعمة الفتح محتملة وأطماع الفرنج بعد ذلك من اهلها
غير منحسمة ولا معتزلة فان يدعو داع ويرجو الخادم من الله أن لا يسمع
ولن يمكنوا أيديهم من أطراف البلاد حتى تقطع وهذه الالفاظ لها تفاصيل
لا تكاد من غير الالسنة تتشخص ولا بما سوى المشافهة تتلخص فلذلك نفذ
الخادم لسانا شارحا ومبشرا صادقا يطالع بالخبر على سياقته ويعرض
تيسير المسرة من طليعته الى ساقته وهو فلان فليسمع منه وليرعه
والرأي أعلى ان شاء الله تعالى والله الموفق * هذا آخر الرسالة الفاضلية

ورحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر شعبان
وودعه ولده الملك العزيز وسار معه قدر مرحلة ثم وصاه وتبعه وصحب
أخاه الملك العادل فوصل الى عكا في أول شهر رمضان فخيم بظاهرها ثم
سار ووصل الى صور تاسع شهر رمضان يوم الجمعة ونزل بعيدا من سورها
ومكث حتى ورد عليه العسكر وتكامل ثم تقدم اليها في يوم الخميس الثاني
والعشرين من رمضان وحاصرها وحضر اليه ولده الملك الظاهر غياث
الدين غازي فشد أزره وزحفوا على الكفار وقطعت الاشجار ورمي
عليهم بالمجانيق واشتد الامر وتعسر الفتح ﴿ذكر ما تم على الاسطول﴾ *
وكان السلطان قد تقدم من صور واحضر اليها من عكا ما كان بها من
مراكب الاسطول ووصلت منها عشر شواني مشحونة بالرجال والعدد
واتصلت بها مراكب المسلمين من بيروت وجبيل فاستشعر المركيس

منها الصغير ونحو الآخر مراكب وكانت مراكب المسلمين بالساحل محفوظة بالعسكر ولا يمكن الفرنج منها كل من الفريقين يقابل الآخر فاطمأن المسلمون واغتروا بالسلامة وبات ليلة خامس شوال وربطوا بقرب مسامر ووسهروا الى قرب الصبح فغلب عليهم النوم فانتبهوا الا وسفن الفرنج محيطة بهم فأخذت شواني المسلمين وأسروا منها جماعة فاغتم السلطان لذلك وكانت هذه أول حادثة حدثت للمسلمين فارتج العسكر الاسلامي واستحزن المسلمين وأشار الناس باعادة بقية الشواني فسيرت الى بيروت وركب العسكر في الساحل مقابلها وهي تجدف في البحر فظهر عليها شواني الفرنج فخرج المسلمون الى البر على وجوههم وتدافعوا الى الماء خوفا على أنفسهم وكانوا لا معرفة لهم بالقتال وكانت في جملة الشواني قطعة رئيسها له خبرة بالامور فأسرع وفات الفرنج ولم يدركوه فنجا بالمركب ومن فيه وبقيت المراكب الباقية حالة من كان فيها فدفعها المسلمون الى البر هدرا والقتال مشتد بين الفريقين ولما ظفر الفرنج على تلك المراكب طمعوا بغير المسلمين وخرجوا للقتال في جمع كثير واشتد الامر وارتفعت الاصوات ووقع المسلمون في الفرنج فولوا مدبرين وعادوا الى البلاد وأسر منهم مقدمان وأسر قمص عظيم عندهم وكان الملك الظاهر غازي لم يحضر شيئا مما تقدم من الوقعات فبادر وحضر ب عمه وكان القمص يسمى المركيس فظنوا انه هو فلما رأى المسلمون هذا الحال وان السلطان مصمم على ما هو فيه وله قدرة وثبات على القتال اجتمع بعض الامراء وشرعوا في تدبير أمر يعرض على السلطان يقتضي ان هذا الامر أمر عسير والاولى تركه والرحيل عن هذا المكان فاطلع السلطان على ما هم فيه فلاطفهم ووعظهم وقال كيف نخلي هذا المكان وندعه واذا اشتغلنا عنه فقد لحقت ثم أخرج الاموال وفرقها على العسكر وأمرهم بالثبات فامتثلوا أمره * (فتح حصن هونين) كان السلطان قد وكل بها بعض أمرائه فاستمر محاصرها حتى طلب أهلها الامان فورد

الخبر على السلطان بذلك وهو على محاصرة صور فندب بدر الدين يلدرم البارزي وهو من أكابر عظمائه فمضى اليهم وتسلمت هونين بما فيها وتسلمها يوم آخر صاحب بانياس ٭ وأقام السلطان على صور يحاصرها فدخل الشتاء وضجر العسكر وكثرت الجرحى وتوالت الامطار والسلطان يحرضهم على القتال والثبات وكثر القتال واشتد الامر وصاروا يراجعون السلطان ويشيرون عليه بالرحيل وكان السلطان أنفق في تلك المدة اموالا كثيرة على آلة القتال ولا يمكن نقلها وان تركها تقوى بها الكفار فنقضها وفك بعضها وأحرق ما تعذر حمله وحمل بعضها الى صيدا وبعضها الى عكا وتأخر السلطان عن قرب صور فشرع العسكر في الانصراف وواعد في المعاودة الى أوان الربيع وودع الملك المظفر تقي الدين من هناك وبقي السلطان يتأسف على الفتح وسار الى عكا وخيم على بابها ثم اشتد البرد فدخل السلطان المدينة وسكن بها وشرع في التأهب الى الجهاد واصلاح العدد واكرام من يفد اليه وكانت رسل الآفاق من الروم وخراسان والعراق عاكفين على بابه فما مر يوم ولا شهر الا ويصل اليه رسول ورتب أحوال عكا وأمورها ووقف نصف دار الاسبتار رباطا للصوفية ونصفها مدرسة للفقهاء وجعل دار الاسقف بيمارستان للضعفاء ٭ ودخلت سنة أربع وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بعكا فلما دخل فصل الربيع سار ونزل على سمت حصن كوكب في العشر الاوسط من المحرم قبل تكامل العسكر وحاصره فرأى أن فيه صعوبة ويطول أمره ثم وكل بقايماز النجمي في خمسمائة مقاتل ورتب على صفد خمسمائة فارس وسيرهم اليها (ذكر حال الكرك من أول الفتح) قد مضى ذكر ابرنس الكرك وقتله وكانت زوجته ابنة فليب صاحب الكرك مقيمة بالقدس وممن أسر ولدها همفري ابن همفري فلما فتح بيت المقدس حضرت الى السلطان وتضرعت له وتذللت وسألت في فك ولدها من الاسر وصحبتها زوجة ابنها ابنة الملك وحضرت الملكة مع صاحبة الكرك تسأل *

في زوجها الملك فأكرمهن السلطان وأحسن اليهن وأما الملكة خلى
سبيلها أما الملك وتقرر مع صاحبة الكرك اطلاق ابنها على تسليم قلعتي
الشوبك والكرك فأحضر همفري من دمشق واجتمع بوالدته وسارا
مع جماعة من الامراء لتسليم القلعتين فلما وصلت هي وولدها لم يطعها
أهل الكرك ولم يسلموا أخسوا في الخطاب لها * ثم وقع لها كذلك
بالشوبك فرجعت الى السلطان فقبل عذرها وطمن قلبها على ولدها
و وجهت الى عكا ثم انتقلت الى صور وجهز السلطان العساكر لحصار
الكرك والشوبك ثم وصل الى السلطان وهو على كوكب بها الدين
قراقوش فندبه لعمارة عكا لعلمه بكفايته وأمده بالاموال والرجال فسار
الى عكا وشرع في عمارتها وتحصين أسوارها وورد على السلطان الرسل من
ملوك الروم وغيرها وأقام السلطان على كوكب الى آخر صفر وتعسر فتحها
ثم رحل السلطان الى دمشق ودخل اليها في يوم الخميس سادس شهر
ربيع الاول فنشر العدل وفصل الحكومات ووصل الخبر بوصول العسكر
من الشرق وأصبح السلطان بكرة يوم الثلاثاء حادي عشر ربيع الاول
على الرحيل ثم سار الى بعلبك ورحل على سمت اللبوة ووصل اليه
عماد الدين صاحب سنجار بالعسكر ولقاه السلطان أحسن لقا وأكرمه
واجمعوا على دخول بلاد الساحل وتجردوا عن الاثقال وساروا فنزل
السلطان على حصن عوروبه وغنم ما فيه ثم عاد الى مخيمه وانقضى شهر
ربيع الآخر وقد وصل قاضي جبلة يحث على قصدها وكان بها خلق كثير
من المسلمين ورحل السلطان يوم الجمعة رابع جمادى الاولى الى جهة
الساحل فوصل الى انطرسوس وحاصرها وهجمها وسبى أهلها فاحتمى
جماعة ببرجين هناك فهدم أحدهما وامتنع الآخر وبعض أسوار
انطرسوس وترك البرج الممتنع ورحل العسكر عنها ونزل على مرقية
وقد أخلاها أهلها وكان الفرنج قد صفوا المراكب في البحر وسار
السلطان بالعسكر ووقع بين المسلمين والافرنج وقعات وأمور يطول

شرحها وقصد جبله * فتح جبله * اشرف السلطان على جبلة بكرة يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى وأحاط بها العساكر وطلبوا الامان على ان يعيدوا ما استرهنوه فى انطاكية من أهلها ويسلموا كل ما لهم من السلاح والعدة والخيل وكان قاضى جبلة هو المتوسط لهم فى أخذ الامان وسلمت الى المسلمين يوم الخميس وأقام السلطان بها أياما يقرر أمورها وكان يعظم قاضى جبلة ويحسن اليه ووقف عليه ملكا نفيسا وأقره على ولايته بمنصب القضاء وكان حصن بكرائل قد سلم من قبل * فتح اللاذقية * ورحل السلطان ثالث عشر جمادى الاولى يوم الاربعاء وبات تلك الليلة بالقرب من اللاذقية بجبل عاصم فلما أصبح يوم الخميس كان حصارها واشتد القتال ونقب أسوارها فطلبوا الامان فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الاولى وصعد اليهم قاضى جبله يوم السبت وفتحت صلحا وسلموا القلاع بما فيها ورحل منها جماعة ودخل جماعة فى عقد الذمة ورتب السلطان فيها جماعة من مماليكه وركب السلطان وطاف بالبلد وقرر أمورها ورحل عنها * فتح حصن صهيون وغيره * رحل السلطان من اللاذقية ظهر يوم الاحد السابع والعشرين من جمادى الاولى وأخذ على سمت صهيون وخيم عليها يوم الثلاثاء التاسع والعشرين وأحاط العسكر بها يوم الاربعاء وحاصرها وملكوا ثلاثة أسوار بما فيها فطلبوا الامان وسلموا البلد ثم سلم حصن صهيون بجميع أعماله وما فيه من الذخائر وتسلم يوم السبت قلعة العيد ويوم الاحد قلعة الجماهريين ويوم الاثنين حصن بلاطنس وسار السلطان فى ثانى يوم فتح صهيون ونزل على العاصى وتسلم حصن بكاس يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة ثم حاصر قلعة الشغر وطال القتال حتى أيس منه فخرج من الحصن من يطلب الامان فى ثالث عشر الشهر يوم الثلاثاء وتسلم قلعة الشغر ثم سار ولد السلطان الملك الظاهر الى قلعة سرمانيه فحاصرها وخربها وفتحها يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى

الآخرة * فتح حصن برزيه * ثم سار السلطان الى قلعة برزيه وهي من أحصن القلاع فسار لها يوم السبت رابع عشري الشهر ثم تجرد يوم الأحد ورقى الجبل فرآها قلعة على تل من الجبل عالية فأحدق بها وبالجبل وزحف عليها في يوم الثلاثاء السابع والعشرين من الشهر ورتب عليها الأمرا نوبا فقاتلوا واشتد القتال وقدم السلطان بنفسه في النوبة الخامسة فلما أيقنوا بأنهم ملكوا طلبوا الأمان وسلموا الحصن فلما حصل الفتح عاد السلطان الى خيامه وكانت صاحبة حصن برزيه أخت زوجة البرنس صاحبة انطاكية وقد سبيت فأمر باحضارها وأمها وكذلك زوجها وأحضر أصناف ضباطها ورجالها وعدة من أصحابهم وأدخلهم معهم في الاطلاق وفاذ الحصن لأمير من جماعته وكان فتح هذا الحصن من آيات الله تعالى لحصانته وعدم القدرة عليه فيسر الله فتحه في أسرع وقت * فتح حصن دربساك * رحل السلطان وأقام أياما على جسر الحديد ثم قصد دربساك وهو حصن مرتفع وكان عند الراوند نزل عليه يوم الجمعة ثامن رجب وحصره ورمى بحجارة السور بالنقب فلما كان يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب طلبوا الأمان وسلم الحصن بأمانه يوم الجمعة ثاني عشري الشهر * فتح حصن بغراس * توجه بكرة السبت الى بغراس وهي قلعة قريبة من انطاكية وهي على رأس جبل عالية حصينة وهي للداوية فجعل ثقله في المرج وقدم جمع كثير من العسكر بينها وبين انطاكية وسار يركب كل يوم ويقف تجاه انطاكية وصعد السلطان متجردا في جماعة من عسكره الى الجبل بإزاء الحصن ونصب عليه المجانيق من جميع جهاته ورمى عليه وحاصره فطلبوا الأمان وسلم القلعة في ثاني شعبان وحرز ما في بغراس من الغلة وكان مقدار اثني عشر ألف غرارة * عقد الهدنة مع انطاكية * ولما فرغ السلطان من فتح هذه الحصون قصد انطاكية وكانت قد تلاشت أحوالها وقل ما بها من القوت وكان البرنس صاحبها قد أرسل أخا زوجته يسأل في عقد الهدنة وطلب

الامان على مالعوولاه لثمانية أشهر من تشرين الى آخر أيار وأجابه السلطان الى ذلك وهادنه وشرط عليه اطلاق من عنده من الاسارى وسار رسول السلطان ومعه شمس الدولة بن منقذ لاجل الاسارى ورحل السلطان ثالث شعبان الى سمت حلب ولما رحل السلطان من بغراس ودع عماد الدين بن زنكي وعساكر البلاد وخلع عليه ومنحه بالتحف النفيسة وأنعم على العسكر بأشياء خلاف ما غنموه وسار فى عسكره ووصل الى حلب ثم سار منها ووصل الى حماه وبات بها ليلة واحدة ثم سار على طريق بعلبك فجاءها قبل رمضان بأيام وكان العسكر قصدهم الصوم فى أوطانهم بدمشق فلما وصل السلطان الى دمشق اشتد عزمه وتحرك للجهاد من أجل صفد وكوكب وغيرهما وخرج من دمشق فى أوائل شهر رمضان * فتح الكرك وحصونه * وردت البشائر بتسليم حصن الكرك فان السلطان لما كان فى بلاد انطاكية لم يزل الحصار على الكرك وكان أخوه الملك العادل بمن معه على تبنين لحفظ البلاد وكان صهره سعد الدين كمشه بالكرك موكلا بحصاره فراسل الافرنج الملك العادل فى الامان فامتنع ثم صالحهم وسلموا الحصن * محاصرة صفد وفتحها * ثم سار السلطان حتى نزل على صفد وجاء الملك العادل وشرعوا فى حصار القلعة ورميها بالمناجنيق واستمر الحال على ذلك الى ثامن شوال وصعب فتحها حتى أذن الله تعالى وسهل فأذعنوا وأخرجوا من عندهم من أسرى المسلمين ليشفعوا لهم فى طلب الامان وسلمت للمسلمين وخرج من فيها من الكفار الى صور ولما أشرفت صفد على الفتح شرع الافرنج فى تقوية قلعة كوكب وأجمعوا على تسيير مائتى رجل من الابطال المعدودين ليكمنوا للمسلمين فى الطريق فعثر بواحد منهم بعض جند المسلمين فأمسكه وأتى به الى صارم الدين قايماز فأخبره بالحال وان الكمين بالوادى فركب اليهم فى أصحابه واقتطعهم عن آخرهم وأحضرهم الى السلطان وهو على صفد وكان فيهم مقدمان من الاسبتارية فأحضرا عند السلطان

فأنطقهما الله تعالى وقالا ما نظن أنا نعذب ما شاهدنا بك طلعة سوء فمال إلى كلامهما وأمر بإعتاقهما فإن تلك الكلمة أوجبت عدم قتلهما فإنه كان لا يبقي على أحد من الإسبتارية والداوية وفتح الله صفد في أثناء شوال * حصار كوكب وفتحها * وسار السلطان إلى كوكب وهي في غاية الحصانة فحاصرها وقاتل من فيها أشد قتال وحصل الضرر الزائد لوقوع البرد الشديد وقوة الشتاء وما زال السلطان ملازماً للحصار بالرمي حتى هدم غالب سوره ونصر الله المسلمين وملكوا كوكب وأخرجوا الكفار وغنموا أموالهم وكان هذا الفتح في منتصف ذي القعدة وعرض السلطان القلعة على جماعة فلم يقبلوها فولاها قايماز النجمي على كره منه ثم تحول السلطان إلى أرض بيسان وأذن للأمراء والجند في الانصراف وسار معه أخوه الملك العادل في مستهل ذي الحجة إلى القدس الشريف ووصل يوم الجمعة ثامن الشهر وصلى في قبة الصخرة وعيد بها يوم الأحد الأضحى ونحر الأضحية وسار يوم الاثنين إلى عسقلان لينظر في مصالحها وتدبير أحوالها وأقام أياماً ثم ودعه أخوه الملك العادل وسار بعسكره إلى مصر ورحل السلطان إلى عكا * دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بعكا يرتب أمورها وتحصينها إلى أن وصل جماعة من مصر فأمرهم بالإقامة فيها وأمر بهاء الدين قراقوش بإتمام بناء سورها ثم سار إلى طبرية ودخل دمشق مستهل صفر ثم خرج منها يوم الجمعة ثالث ربيع الأول متوجهاً إلى شقيف أرنون وأتى مرج عيون وخيم فيه قرب الشقيف وأقام للقتال يوم الجمعة سابع عشر ربيع الأول وكان الشقيف في يد أرناط صاحب صيدا فنزل إلى خدمة السلطان يسأله أن يمهله ثلاثة أشهر لينقل أهله من صور وأظهر أنه يخاف أن يعلم المركيس بحاله فلا يمكنه من أهله فأجابه السلطان لذلك وشرع أرناط في تحصين قلعته واستعداده للحرب فعلم السلطان حقيقة حاله فقرب السلطان من

الشقيف فلما علم صاحب الشقيف بذلك حضر الى خدمة السلطان وشرع في الاستعطاف له وازالة ما عنده وعاد الى حصنه ثم حضر وأبى تحويله على أهله وسأل المهلة سنة فأرسل السلطان من كشف الحصن فوجده قد تحصن زيادة على ما كان فيه فأمسك صاحب الحصن وقيد وحمل الى قلعة بانياس ثم استحضر في سادس رجب وهدده ثم سيره الى دمشق وسجنه وحاصر الحصن في يوم الاربعاء ثامن رجب ورتب عليه عدة من الامراء لمحاصرته الى ان تسلمه بعد سنة وأطلق صاحبه ولما كان السلطان بمرج عيون اجتمع الافرنج واتفقوا على اقامة المركيس بصور وأجمعوا على حرب المسلمين والمركيس يمدهم من صور فبلغ السلطان ذلك في يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاولى وانهم على قصد صيدا فركب في الحال والتقى بعسكره مع الافرنج فهزمهم باذن الله تعالى ونصر الله المسلمين وأسر من أعيانهم سبعة وعاد السلطان الى مخيمه وأقام الى يوم الاربعاء تاسع عشر جمادى الاولى ثم ركب في ذلك اليوم وتواقع هو والافرنج واشتد القتال فاستشهد جماعة من المسلمين وقتل خلق كثير من المشركين ثم قوى عزم السلطان على قصدهم في مخيمهم وشاع هذا الخبر فخاف الافرنج وذهبوا الى صور فاقتضى الحال التأخير وسار السلطان الى تبنين صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين من الشهر ثم سار منها الى عكا ورتب أمورها وعاد الى المعسكر وأقام الى يوم السبت سادس جمادى الآخرة فبلغه ان الافرنج ينتشرون في الارض فأمر السلطان بتكمين كمين لهم وادار أوهم يطاردونهم وسار السلطان يوم الاثنين فتواقعوا واشتد القتال وكان بالعسكر جماعة من العرب لا خبرة لهم بالطريق فتطاردوا بين يدي الافرنج في واد لا يبعد فحصرهم الافرنج فلم يقدروا على السلوك من الوادي فاستشهدوا رحمهم الله تعالى *مسير الافرنج الى عكا* ووصل الخبر يوم الاربعاء ثامن رجب ان العدو على قصد عكا وان جماعة منهم سبقوا الى النواقير ونزلوا باسكندرونة وتواقعوا مع جماعة من المسلمين

فركب السلطان بالعسكر بجمعهم ورحل الافرنج يوم الاحد ثاني عشر
رجب ونزلوا على عين عبد فأصبح السلطان يوم الاثنين على الرحيل وجاء
عصر يوم الثلاثاء والسلطان نازل بأرض كفركنا ثم أصبح يوم الاربعاء
خامس عشر الشهر ونزل على جبل الخروبة ونزل الاثقال بأرض صفورية
ونزل الافرنج على عكا من البر الى البحر محيطين بها محاصرين لها واجتمعت
العساكر فصار العدو حول البلد وأحاط المسلمون بالافرنج ومنعوهم من
الطرق واشتد القتال واستدار الافرنج بعكا ومنعوا من الدخول
والخروج وذلك يوم الاربعاء والخميس سلخ رجب فأصبح السلطان يوم
الجمعة مستهل شعبان على عكا وباشر المسلمون بالمصر ونار الحرب
وأصبحوا يوم السبت على ذلك وحمل الناس من جانب البحر شمالي عكا
حملة شديدة وهزموا الافرنج الى تل الصياصية وأخلوا ذلك الجانب
وانفتح للمسلمين طريق عكا ودخل العسكر اليها وخرج واستطرد اليها
الخوص واطلع السلطان على الافرنج من سورها وخرج عسكر البلد
للقتال وتشاور المسلمون فيما بينهم ودبروا الحيل في قتال العدو المخذول
ولما كان يوم الاربعاء ثامن شعبان ركب الافرنج آخر النهار بأجمعهم
وتقدموا وحملوا على المسلمين فصدمهم المسلمون فولى الكفار هاربين
مدبرين وقتل وجرح منهم ودخل الليل وبات الحرب على حاله وانتقل
السلطان ليلة الاثنين حادي عشر الشهر الى تل العياضية لانه مشرف
عليهم للعلو وعلم السلطان ان الافرنج يخرجون للاحتشاش وينتشرون
في الارض فأرسل جماعة من العربان فأغاروا عليهم وحالوا بينهم وبين
خيامهم ثم كسروهم وأبادوهم قتلا وقطعوا رؤوسهم وأحضروها عند
السلطان وذلك يوم السبت سادس عشر شهر شعبان وسر المسلمون
واستمروا هذا والقتال على عكا متصل * ومن النوادر الواقعة انه أفلت
من بعض مراكب الافرنج حصان من الخيول الموصوفة عندهم فلم
يقدروا على امساكه وما زال يعوم في البحر وهم حوله الى أن دخل مينا

البلد فتسارع المسلمون اليه وأخذوه وأهدوه الى السلطان فتباشر
المسلمون بالنصر ورآه الافرنج من أمارات خذلانهم *الوقعة الكبرى*
وأصبح الافرنج يوم الاربعاء لعشرين من شعبان وقد رفعوا صلبانهم
وتقدموا وزحف أبطالها وقد عبى السلطان الميمنة والميسرة وشرع
يمر بالصفوف ويقوى عزم العساكر واشتد القتال واستشهد
جماعة من المسلمين وولى العسكر الاسلامي منهزما فمنهم من وصل
طريقه ومنهم من وصل دمشق ولقي المسلمون في شدة عظيمة حتى
أدركهم الله تعالى بالنصر وهو انه لما تمت الكسرة على المسلمين وصل
جماعة من الافرنج الى خيمة السلطان ولم يمنعهم من قصدهم وهابوا
الوقوف هناك فانحدروا من التل فاستقبلهم المسلمون وتبعوهم وظفروا
بهم وقتلوا منهم وضربوا رقابهم واشتد الحرب وثبت المسلمون فمالوا على
ميسرة الافرنج ففلوها ووضعوا فيهم السيوف وأبادوهم قتلا وممن قتل
مقدم عسكرهم وتبعهم المسلمون حتى كلت سيوفهم وقتل من الافرنج
خمسة آلاف فارس وقتل مقدم الزاوية وحكى عنه أنه قال عرضنا في
مائة ألف وعشرة آلاف ومن العجب ان الذين تبعوا من المسلمين لم يبلغوا
ألفا فردوا مائة ألف وكان الواحد من المسلمين يقتل من الكفار
ثلاثين وأربعين وأرسل السلطان بهذه النصرة البشائر الى دمشق وعاد
السلطان الى مكانه وعزم على انه يصابح العدو وتفقد العسكر فاذا هو قد
غاب وذلك ان بعض الغلمان والاوباش لما وقعت الوقعة ظنوا ان عسكر
الاسلام انهزم فنهبوا الاثقال وانهزموا وانهزم جماعة من الجند فمضى
العسكر وراء الغلمان فتأخر من أجل ذلك العزم عن المسير وانتعش
الافرنج لذلك وكثرت جيف الافرنج المقتولين فشكى المسلمون نتن
رائحتها فرسم السلطان بحملها على العجل ورميها في النهر فحمل أكثر من
خمسة آلاف جثة ثم في يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان حضر
أكابر الامراء عند السلطان ودار الكلام بينهم في المشورة فاشاروا

بالانصراف لهجوم البرد والشتاء وان أبدانهم وخيولهم قد تعبت وان
السلطان راسل البلاد وجمع الجموع ثم حضر للجهاد في سبيل الله تعالى
هذا والسلطان متشكر من هذه المقالات وليس عنده ملل وفي كل يوم
يطوف على العسكر ويقوي عزمهم فاتفق ليلة السبت رابع شهر رمضان
الى الخروبة لئلا ينال رأسه من ذكاعات الباب وشرع الافرنج في حفر
خندق على معسكرهم حوالي عكا من البحر الى البحر وتحصنوا وتستروا
واقام السلطان بالمخيم ودومه وعافاه الله تعالى بالعافية وصرف الاجناد
الغرباء ليرجعوا الى الربيع وأقام بمن بالحلقة فمضى يوم الاربعاء وفيه
والمماليك ظافرون بالافرنج وفي يوم الاثنين ثالث شهر رمضان اخذ
المسلمون مركباً للافرنج مقلعاً الى صور وفيه ثلاثون رجلاً وامرأة
واحدة وزرمة من الحرير فغنموه واسروا واشتد أزرهم بذلك * وصول
ملك الالمان * ورد الخبر بوصول ملك الالمان الى قسطنطينية في عدد
كثير على قصد الغزو الى بلاد الاسلام وانه في ثلثمائة ألف مقاتل وقد
قطع الروم الى جهة الشام فانزعج المسلمون لذلك وبعث السلطان الرسل
الى جميع الامصار يستنفر للجهاد ووصل الملك العادل سيف الدين
من مصر في نصف شوال في جيش عظيم حصل به السرور وقوي
المسلمون ونزل في خيمته وأرسل السلطان الى رجال دمشق والبلاد
فحضروا وشرع المسلمون في كل يوم يقاتلون الافرنج ولهم معهم في كل ليلة
كبسة وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة وصل الاسطول من مصر
وعدته خمسون شونة فان السلطان لما وصل الافرنج الى عكا كتب الى
مصر بتجهيز الاسطول وتكميل رجاله وعدده فصادف مراكب الافرنج
في البحر فاول ما ظفر الاسطول بشونة للافرنج فقتل مقاتلته ووهب منهم
وغنمة كبرى وغرقت سفن الافرنج وصارت البشارة للمسلمين بوصول
الاسطول ولما اشتد البرد وكثرت الامطار واستظهر البلد برجال
الاسطول وكان عددها عشرة آلاف بحري فامتلأ البلد وشرعوا واسلحة ون

على الكفار وكسروا الليلة سوق الحمارات وسبوا واحدة من النساء الحسان فكان في ذلك نكاية عظيمة للكفار وامكن الله المسلمين منهم وشرع في قتلهم وأسرهم في كل وقت * ذكر نساء الافرنج * ثم وصلت مركب فيها ثلثمائة امرأة افرنجية من النساء الحسان اجتمعن من الجزائر لاسعاف الغرباء وسبلن أنفسهن وفروجهن للغرباء ورأين ان هذه قربة ما ثم أفضل منها وعند الافرنج ان العزباء اذا مكنت منها الاعزب لاحرج عليها وتسامع عسكر الاسلام بهذه القصية فأبق من المماليك والجهال جماعة وذهبوا اليهن ووصلت أيضا في البحر امرأة كبيرة القدر وهي مالكة بلدها وفي خدمتها خمسمائة فارس وفي الافرنج نساء يلبسن هيئة الرجال ويقاتلن * وفي يوم الوقعة أسر جماعة منهن فلم يعرفن حتى سلبن وعرين * وأما العجز فحضر منهن جماعة وهن ينشدن تارة ويحرضن ويحيين الرجال لعنة الله عليهن * وفي هذه السنة ندب السلطان الرسل الى البلاد لاستنفار المجاهدين وتوفي الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري بمنزلة الخروبة سحر ليلة الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة خمس وثمانين وكان من الاعيان وله منزلة عند السلطان وحمل من يومه الى القدس ودفن به * ودخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بعسكره بمنزلة الخروبة وعكا محصورة وخرجت هذه السنة والحصر مستمر ووقعت وقائع وهلك من الافرنج عدد لا يقع عليه الحصر * وقعة الرمل وكان السلطان يركب احيانا للصيد وهو لا يبعد من المخيم فركب يوما في صفر فأبعد والكركية على الرمل وساحل البحر فخرج الافرنج وقت العصر فتسامع المسلمون بهم فخرجوا اليهم وزحموا عليهم وطردوهم وأحاطوا بهم ورموهم حتى فرغ النشاب فلما علم الافرنج بذلك تجاسروا وحملوا حملة واحدة حتى ردوا المسلمين الى النهر فثبت جماعة واستشهد جماعة ودخل الليل وحال بين الفريقين * فتح شقيف أرنون وفي يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول تسلم بالامان شقيف أرنون وكان

فجاءه ارناط صاحب صيدا فيه فلا بد منه لاحتياله بمماطلته واخرج
عنه وسار الى صور ورحل السلطان ونزل على تل كيسان يوم الاربعا
ثاني عشر ربيع الاول * مقابلة الافرنج على عكا وكان السلطان قد رتب
طيورا تحمل البطاقات منه الى من بعكا وتأتيه بالاجوبة منهم وكان
يأتي اليه الخبر ايضا على يد العوامين في البحر وكان الافرنج شرعوا في عمل
ابراج من خشب وانشؤها وزحفوا بها الى السور وساعدوا على طم
الخندق فوصل الى السلطان عوام بخبره بالحال فركب وزحف الى
الافرنج في عشرين من ربيع الاول يوم الجمعة وسار اليهم اثقاله ورجاله
وصابحهم حتى دخل الليل فلما أصبح يوم السبت صدمهم بالحرب واستمر
الى آخر النهار وأصبح يوم الاحد على القتال وأيده الله تعالى بالنصر واستمر
القتال فلما كان يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر بعد الظهر
واذا نار في احد الابراج موقدة فاحدقت النار بالبرج حتى أحرقته ثم
أحرقت البرج الثاني ثم الثالث وسقطت الثلاثة أبراج بقدرة الله تعالى
فحصل للمسلمين السرور بذلك ودمر الله الكافرين والحاصل ان الابراج كانت
متباعدة وقد أنشأها الافرنج في مسافات وكل واحد منها في جانب من
البلد فاحترقت في وقت واحد * وكان سبب حرقها أن رجلا يعرف بعلي
ابن عريف النحاسين بدمشق كان استأذن السلطان في دخول عكا للجهاد
وأقام بها وشرع بعمل النفط وركب عقاقيره والناس يسخرون منه فلما
قربت الابراج الى البلد رمى عليها بالنفوط وغيرها فلم يعد بحصران
العريف الى بها الذي قد اعده استأذن في الرمي فاذن له على كره فان
الصناع قد أيسوا فلما أذن له بها الذي قد اعده رمى احد الابراج فأحرقه
وكان فيه سبعون رجلا تعذر عليهم الخلاص منه ودخل جماعة لاستنقاذ
ما فيه فاحترقوا بدروعهم وترسوتهم وتحول ابن العريف الى مقابلة البرج
الثاني فاحرقه وانتقل الى الثالث فاحرقه ولم يكن ذلك بصنعته بل وفقه الله
تعالى له وخرج المسلمون من البلد فحفروا الخندق وصاروا الى موضع

الحبران

[illegible] الحديد من موضع الحريق وما وجدوه من الزرديات
[illegible] * وصول الاسطول من مصر * كان السلطان أمر
[illegible] مصر فلما كان يوم الخميس ثامن جمادى الاولى
[illegible] وركب السلطان ليشغل الافرنج عن قتال الاسطول فخرج
[illegible] اسطوله ليلاقي هو واسطول المسلمين فجاءت مراكب المسلمين
[illegible] وأخذ المسلمون مركبا للافرنج وأخذ الافرنج مركبا
[illegible] الحرب في البحر الى غروب الشمس فقتل من الافرنج
[illegible] كثيرة وسلم المسلمون * قصة ملك الألمان * صح الخبر أن ملك
الالمان عبر من قسطنطينية بجنوده فقيل انهم أقاموا في قفار ومواضع مدة
شهر لا يجدون الطعام فصاروا يذبحون دوابهم ويأكلونها ويكسرون
[illegible] لعدم الحطب ويشعلونها في البرد الشديد وزمان الثلج
وحصل لهم من الشدة ما لا يكاد يوصف وضعف حالهم وذلك من لطف
الله بالمسلمين فلما وصل الى بلاد قلج أرسلان بن مسعود حصل بينه وبين
[illegible] قتال ثم راسلا واصطلحا وتهاديا واقتضى الحال بينهما أن
[illegible] الالمان يدخل الى البلاد الشامية وانه يسير في بلاده وأعطاه
عشرين مقدما من أكابر امرائه ليكونوا معه حتى يصل المأمن فلما وصل
الالمان الى بلاد الارمن عبر بلادها وتأول عليهم بان التركمان سرقوا
منه في طريقه ونزل على طرطوس وهناك نهر فتواردت عليه العساكر
وازدحموا فقصد ملك الالمان النزول الى النهر ليغتسل فقال هل تعرفون
موضعا يمكن العبور منه فقال له واحد هنا مخاضة ضيقة لا يدخل فيها الا
واحد بعد واحد فدخل في تلك المخاضة فقوي عليه الماء فصدمته شجرة
في وجهه شجت جبينه وتورط في الماء فتعبوا في اخراجه فلما خرج بقي مريضا
ثم هلك لعنه الله [illegible] ولده فقيل انهم سلقوه في قدر حتى تخلص عظمه
وازيل لحمه وجمعوا عظامه في كيس ليدفن في كنيسة قمامة بالقدس
حسب ما وصى به وورد الخبر الى السلطان بهلاك الكافر وأن ولده

خلفه وهو واصل في جمع كثير فرأى السلطان على استعماله رصده ثم
سبب وأرسل العساكر إلى البلاد التي في طريق هذا العدو القادم
ووقع المرض في الافرنج وأمر السلطان بهدم سور طبرية فهدم ويافا
وارسوف وقيسارية فهدم سور صيدا وجبيل ونقل أهلها إلى بيروت
* وأما ولد ملك الالمان فمضى أماما إلى بلاد الارمن وهلك أصحابه من
الجوع ووقع الموت في خيلهم ثم ساروا من بلاد الارمن وحصل له
ولعسكره شدة عظيمة * الوقعة العادلية * كان الافرنج لما صح عندهم
وصول ولد ملك الالمان إلى البلاد في جمع كثير قالوا إذا جاء صار الامر له
ولا يبقى لنا كلام معه فنحن نخرج إلى المسلمين ونظفر بهم قبل قدومه
فخرجوا ظهر يوم الاربعاء لعشرين من جمادى الآخر في جمع كثير وقصدوا
مخيم الملك العادل فوقف الملك العادل ومن معه من الامرا وحمل معه
العسكر الخاص قبل أن يتصل به بقية العساكر فانكسر الافرنج كسرة
فاحشة وركبت العادلية أكتافهم وحكموا فيهم السيوف وكان السلطان
قد ركب وسار مع جماعة من المماليك فوصل وشاهد ما سره
وقتل من الافرنج زهاء عشرة آلاف ولم يبلغ من استشهد من المسلمين
عشرة أنفس وكتب السلطان إلى بغداد ودمشق وغيرهما بشيرا بذلك *
ذكر ما تجدد للافرنج بوصول الكندهري * وما زال الافرنج في وهن
وضعف حتى وصل من البحر رجل يقال له كندهري وهو عندهم عظيم
القدر أفاض عليهم الاموال فقوي أهل الكفر وشاع هذا الخبر
فساء السلطان وأكاره ورحل يوم الاربعاء السابع والعشرين من
جمادى الآخرة إلى منزله الاول بالخروبة واشتغل بتدبير أمره والاخبار
متواردة من عكا مع السباحين وبطاقات الحمام وأخبار ملك الالمان
متواصلة بضعف حاله وتلاشي أحواله * خبر المنجنيقات وفي رجب
من السنة المذكورة أنفق الكندهري على الرجال فأعطى عشرة آلاف
رجل في يوم واحد ليجدوا معه في القتال وضايق عكا ونصب عليها

المجانيق

[illegible] شتد ورأى المسلمين ممن بعكا وخرجوا الفارس والراجل
وقرب الافرنج [illegible] ورجع الزراقون من البلد ورموا النار فيها
[illegible] وقتل في ذلك اليوم من الافرنج سبعون فارسا وأسر منهم
[illegible] بجملة الافرنج بذلك وكان من جملتها مقدمان كبيران معروف
[illegible] ألف وخمسمائة دينار وكان ذلك في الليلة الاولى من شعبان
* ذكر وصول ملك الالمان الذي قام مقام أبيه الى الافرنج بعكا * وصل
[illegible] السلطان [illegible] وحزرله في سادس شعبان وحزرهم من شاهدهم
[illegible] عشر الفا ووصل في أثر الى عكا آخر النهار سادس شهر رمضان
[illegible] الافرنج وليس له وقع فقال البته لم يصل الينا احد يحرصهم ويقوى
[illegible] من المسلمين فاظهر لهم قوة وعزما فلما عرفوا جهله
[illegible] مسلمين لعلما لظفر بهم فاجتمعوا وساروا الى مخيم السلطان
[illegible] من جهة وتقدم الى تل كيسان ووقف بعض العسكر وحال
[illegible] بالليل وحصل الالمان مشقة فلما لم يبلغوا قصدهم من العسكر أخذوا
في قتال البلد وحصاره * ذكر برج الذبان * وغيره مما كان في البرج
يعرف ببرج الذبان * عرد عن البلد فقصد الافرنج حصاره فعملوا عملا
الالمان في الثاني والعشرين من شعبان مراكب جهزوها من الحرو شحنوها
بالآلات والعدد وهم عامر مركب عظيم لما قرب من البرج رميت عليه
النار فاحترق بكل ما فيه وما فرابطة أخرى بالاحطاب فسيرى فيها النفط
[illegible] وكان الافرنج في مراكب من ورائها فانقلب الريح على الافرنج
[illegible] الشرر من بطة الحطب وعاد على الافرنج فالتهبوا وانقلبت بهم
السفن فاحترقوا وغرقوا واحتمى برج الذبان فلم يظفروا منه بشئ * ذكر
الكباش وحرقها * واستأنف الافرنج عمل دبابة في رأسها شكل عظيم
يقال له الكبش وقد سقفوها مع كتفها باعمدة الحديد وألبسوا رأس
الكبش بعد الحديد بالنحاس خشية عليها من النار وسيروها فارعج
[illegible] الدوة لوالبس في هذه حيله ثم نصب المسلمون ما حيق ورموا

بالحجارة فنفر من حولها من الرجال ثم قدموها الى السور فدخلت من الدبابة فاشتعلت النار فيها وخرج منها الافرنج واحتر ورموها بالماحين حتى انهدمت وخرج المسلمون من الثغر وقطعوا الكبس واستخرجوا ما تحت الرماد من الحديد وحملوا امتعة ما وحصل بذلك النصرة للمسلمين والخذلان للمشركين وكان ذلك يوم ثالث عشر رمضان واحترقت البطة يوم الاربعا خامس عشره في يوم الاثنين هدا من العدو على البلد الزحف الشديد بالماحين وخرج المسلمون فطردوهم الى خنادقهم * ذكره الحوادث * وصل الخبر أن صاحب انطاكية كمن عزل على المسلمين له الكمين فخرجوا عليه وقتلوا أكثر رجاله وفي هذا التار الرح بساحل الذيب نطشين خرجا من عكا جماعة من الصبيان والنسا وحصل بين المسلمين والكفار وقائع وغنم من الكفار وفي عشية الاثنين تاسع عشر رمضان رحل ال منزل بسبب عزمهم لمدافعة من عسكر الافرنج ثم عاد وشرع هو والافرنج في كل وقت وغلت الاسعار عند الافرنج واشتد وخرج منهم جماعة ولحقوا الى السلطان مما أصابهم من الجوع وأحسن اليهم فمنهم من اعتذر ومنهم من أسلم وصار في خدمة * نوبة رأس الما * ولما ضاق بالافرنج الامر تشاوروا وعزموا المصادمة فخرجوا في عدد كثير وذلك في يوم الاثنين حادي عشر د دأن رسوا على البلد من عصرها وكان البرك على تل الصبا العدو تلك الا له واتصل خبرهم بالسلطان فرحل الثقل وابقى جرايد الخيل وسار العدو يوم الثلاثا والعساكر في أحسن أهبة الخمس في الميمنة الى الخيل وفي الميسرة الى النهر عرف العروا في القلب فسار حتى وقف على تل صدالخروبة وحوله أولاده وخواص امرائه وأمرا القبائل من الاكراد وسار الافر

النهر

وعلم الافرنج بخروج أهل البلد الى جانب العدو فتشدّدوا وزحفوا الى البلد وأحاطوا به وكانوا أتوا بسلالم فنصبوها في السور وزاحموا على الطلوع في سلم وصاحوا معاً فاندقّ بهم السلّم فتساقطوا فتداركهم المسلمون وفتكوا فيهم وقتلوا منهم جماعة وردّوهم على أعقابهم فلما اشتغل الناس بأمرهم ركبوا المراكب وما فيها من الغلال فهاج البحر فكسرت المراكب وتلف ما فيها وغرق ما كان فيها من الامتعة وهلك بها زها ستين نفساً والحكم لله العلي الكبير * وفي ليلة السبت سابع ذي الحجة وقعت قطعة عظيمة من سور عكا فهدمت منه جانباً فبادر الافرنج طمعاً في الهجوم فجاء أهل البلد فصدّوهم حتى عمر الهدم وخرج من العدو خلق كثير كل ذلك بهمة بها الدين قراقوش * وفي ثالث عشر ذي الحجة هلك ابن ملك الالمان فحصل الوهن في الافرنج بموته وهلك منهم عدد كثير * وفي يوم الاثنين عشري ذي الحجة عاد المستأمنون من الافرنج الذين أنهضهم السلطان ليغيروا في البحر فكسبوا جواسيس فرجعوا وقد غنموا أشيا كثيرة فوهبهم السلطان ذلك ولم يتعرض لشيء منها فلما رأوا ذلك أسلم منهم شطرهم * وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة أخذ من الافرنج مركوسين فيهما نيف وخمسون نفرا * وفي الخامس والعشرين منه أخذ أيضاً مركوساً فيه جماعة من أعيان الافرنج ومعهم ملوطة مكللة باللؤلؤ أزرار من جوهر فقيل انها من ثياب ملك الالمان أسروه وقتل كثير وقيل انه ابن أخته واستشهد في هذه السنة جماعة من الامرا *

ودخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة والشام موجود والسلطان مع الكفار في جهاد وفي أول ليلة من شهر ربيع الاول خرج المسلمون على العدو فكبسوه في خيمه وأسروا من الافرنج وقتلوا وعادوا سالمين ومعهم اثنا عشر امرأة في السبي * وفي يوم الاحد ثالث الشهر المذكور ثار الحرب بين المسلمين والكفار فنصر الله المسلمين وهلك من الافرنج خلق كثير وقتل منهم مقدم كبير ولم يفقد من المسلمين الا خادم صغير ولكن المسلمون

كماش ووصل الى السلطان من بيروت خمسة وأربعون أسيرا من الافرنج وقدم على السلطان جماعة من عسكر الاسلام * وصول ملك الافرنسيس واسمه فليب لنجدة الافرنج بعكا وفى ثانى عشر ربيع الاول يوم السبت وصل ملك الافرنسيس الى الافرنج فى عدد قليل ومن النوادر انه كان مع هذا الملك بازى اشهب فارقه يوم وصوله وطار ووقع على سور عكا فامسكه المسلمون وأحضروه للسلطان فسر بذلك وبذل الملك فيه ألف دينار فما أجيب * ومما وقع انه كان المستأمنون اليبامن الافرنج تسلموا مراكب يغيرون فيها ووصلوا الى ناحية من جزيرة قبرص يوم عيدهم وقد اجتمعوا فى كنيسة يصلوا معهم وأغلقوا باب الكنيسة وأسروهم بأسرهم وسبوهم وأخذوا جميع ما فى الكنيسة وحملوهم الى اللاذقية وباعوا بها كل ما أخذوه ومن جملته سبع وعشرون امرأة سبايا وصبيان فباعوها واقتسموا أثمانها وفى سادس عشرى ربيع الآخر هجم جماعة من العسكر وأخذوا قطيعا من غنم الافرنج وخالطوهم فى خيامهم وركب الافرنج بأسرهم فى أثرهم فلم يظفروا بهم وفى يوم الخميس رابع جمادى الاولى زحف العدو الى البلد وكاد يأخذها فاستنفروا العساكر فاصبح السلطان وركب وسير من كشف حال العدو وهل لهم كمين فلما شاهد الافرنج عسكر المسلمين قد أقبل تركوا الزحف وتأخروا فاذا عاد عادوا (قصة الرضيع) كان لصوص المسلمين فى الليل استلبوا طفلا من الافرنج من يد أمه له ثلاثة أشهر فخرجت والدته والهة عليه فلم يشعر السلطان الا وهى ببابه واقفة فاحضرها السلطان وهى باكية فاخبرته الخبر فطلب الرضيع فقيل له ان من أخذه باعه بثمن بخس فما زال يبحث عنه حتى جىء به فى قماطه ودفعه لامه وشيع معها من أوصلها الى مكانها وما رد الطفل الا بعد ما اشتراه ممن هو فى يده بثمن يرضيه رحمة الله عليه * انتقال السلطان الى تل الصياصية * لما أصر الافرنج على مضايقة عكا انتقل السلطان الى تل

الصاحبة لعساكره وأثقاله واشتد الحرب بينه وبين الكفار في كل وقت وضاق الأمر على من بعكا وجرى فصول وحروب يطول شرحها * وصول ملك الانكتير * وفي يوم السبت ثالث عشر الشهر أشاع الكفار وصول ملك الانكتير في عدد كثير ووقع الارجاف في الناس بأن السلطان دون الحمان لا يريد ذلك وهو معتمد على الله في أموره وأعلم ملك الانكتير ان أهل الموصل لهم قوة وانهم لا يبالون به * غرق البطسة * كان السلطان قد عمر في بيروت بطسة وشحنها بالعدد والآلات ورتبها وشحنها برجال مقاتلة فلما توسطت في البحر صادفها ملك الانكتير وأحاطت بها مراكبه وحصل القتال بين الفريقين وقتل من الافرنج خلق كثير وغرق واحد أحدها فلما رأى مقدمها استيلاء الافرنج خرقها حتى غرقت في البحر ووصل خبرها للسلطان في السادس عشر من جمادى الاولى وكانت هذه الوقعة أول حادثة حصل بها الوهن للمسلمين * حريق الدبابة * وكان الافرنج قد اتخذوا دبابة عظيمة ولها أربع طبقات وهي خشب ورصاص وحديد ونحاس وقربوها الى أن بقي بينها وبين البدنة خمسة أذرع وكانت هذه الدبابة على العجل وارتاع المسلمون لذلك ورموا عليها النفط وهو لا يعمل فيها حتى قدر الله تعالى وجاءها سهم صائب فأحرقها الله تعالى فحصل للمسلمين السرور وزال عنهم ما كان من الغم بسبب غرق البطسة فان حريق الدبابة كان بعد وصول خبر غرق البطسة * ثم وقع وقعات في هذا الشهر وكانت العلامة بين عسكر السلطان وبين المقيمين بعكا عند زحف العدو دق الكوس فاذا سمعت أدركهم العسكر ووقع لهم عدة وقعات في ذلك وقعة في يوم الجمعة تاسع عشر الشهر اشتد بها القتال الى وقت الظهر حتى حجزهما وتفرق الفريقان ورجع كل الى مخيمه * ووقعة في يوم الاثنين الثالث والعشرين من الشهر زحف العدو البلد واستشهد اثنان من المسلمين وقتل جماعة من المشركين * ووقعة في اليوم الخامس والعشرين من الشهر خرج العدو فارسا وراجلا

وركب السلطان واشتد الامر واستشهد من المسلمين بدوى وكردى
وهلك خلق كثير من المشركين واسر منهم فارس بفرسه * ووقعة
فى يوم الاحد التاسع والعشرين من الشهر طال فيها القتال وأسر الكفار
من المسلمين واحدا فاحرقوه وأسر المسلمون منهم واحدا وأحرقوه
* قال العماد الكاتب وشاهدنا النارين فى حالة واحدة يشتعلان
والصفان واقفان يقتتلان * ذكر المركيس ومفارقته * وفى يوم الاثنين
سلخ الشهر ذكر عن المركيس انه هرب الى صور فانه كان بينه وبين
هنفرى عداوة وأحقاد باطنة لامور كانت بينهما فلما جاء ملك الانكتير
تظلم اليه هنفرى واستعداه على المركيس فلما علم المركيس بذلك
ورمه

«فصل» ووصل العساكر الى السلطان من سنجار ومن مصر وحضر
رسول من عند بعض ملوك الافرنج الى السلطان بكلام مهمل لا طائل
تحته ثم حضر رسل ثلاثة فاكرمهم السلطان وأحسن اليهم وكان غرض
الافرنج بتكرير الرسالات الخداع حتى يشتغل المسلمون عنهم وضعف
الثغر من قوة الحصر ولما علم السلطان يوم الثلاثاء سابع جمادى الآخرة
بما عليه البلد من غلبة البلاء زحف بعسكره ودهم الافرنج ونهب من
خيامهم وأمسى تلك الليلة ثم أمر بدق الكوس سحرا حتى ركب العسكر
فجرى ذلك اليوم من القتال أشد ما كان من أمس ووصل الى السلطان
مطالعة من البلد انهم عجزوا ولم يبق الا تسليم البلد وعظم الامر على
السلطان وفى هذا اليوم بعث العساكر وزحف الى خنادقهم
وخالطوهم وحصل بينهم قتال شديد ولما تكاثر الافرنج على عكا وقل
المسلمون لكثرة من استشهد خرج سيف الدين على المشطوب الى
ملك الافرنسيس بامان وقال له قد علمتم ما عاملناكم به عند أخذ بلادكم
من الامان لاهلها ونحن نسلم اليك البلد على أن تعطينا الامان ونسلم
فقال ان اولئك الملوك كانوا عبيدى وأنتم مماليكى أفعل بكم ما يقتضيه

ورأى نغاق المشطوب من عنده مغتاظا وأغلظ له في القول وقال نحن لا نسلم البلد حتى نقتل بأجمعنا ويقتل كل واحد منا ولا يقتل منا واحد حتى يقتل خمسين ولما رجع المشطوب وعلم حاله هرب جماعة من الأمرا والاجناد من البلد وغضب عليهم السلطان وأخرج اقطاعاتهم ثم رجع بعضهم الى البلد فحصل له الرضا ووقع في بعضهم شفاعة واستمروا على المقت عند السلطان وفي يوم الخميس حصلت وقعة عظيمة واشتد فيها الحرب وأصبح العسكر يوم الجمعة على التعبئة في أهبة القتال ولم يحصل شي وانقضى النهار والعسكر محيط بالعدو والعدو محيط بالبلد وأصبح يوم السبت الافرنج قد ركبوا وخرج منهم أربعون فارسا واستدعوا بعض المماليك الناصرية فلما وصل اليهم أخبروه أن الخارج صاحب صيدا في أصحابه وهو يستدعي نجيب الدين أحد أمنا السلطان لأنه كان يتردد في الرسالات للافرنج فلما حضر أرسله الى السلطان ليتحدث في خروج من بعكا بأنفسهم بحكم الأمان وطلبوا في مقابلة ذلك أشيا لا يمكن وقوعها وبعثوا في الاشتراط يتردد من عند السلطان نجيب الدين مرارا وكان الافرنج اشترطوا اعادة جميع البلاد واطلاق أساراهم فبذل السلطان لهم عكا على حالها وأن يطلق لهم في مقابلة كل شخص أسيرا فلم يقبلوا وشنع لهم برد صليب الصلبوت وانفصل الامر على غير اتفاق وضعف البلد وعجز من فيه * استيلا الافرنج على عكا * وفي يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة اجتمعت الافرنج بجموعها وهجمت وطلعت في السور المهدوم فثار عليهم المسلمون وصدوهم وحصلت الوقعة حتى كلت الرجال فخرج سيف الدين علي بن أحمد المشطوب وحسام الدين حسين باريك أخذا أمان الافرنج في أن يخرجوا بأموالهم وأنفسهم على تسليم البلد ومائتي ألف دينار وخمسمائة أسير من المجهولين ومائة أسير من المعروفين وصليب الصلبوت وأشيا ذكروها غير ذلك فلم يشعر الا بالرايات الافرنجية قد نصبت في عكا وما عند

للمسلمين علم بما جرى عليه الحال فارتاع السلطان والمسلمون لذلك ونقل الثقل تلك الليلة الى منزله الاول بشفرعم وأقام فى خيمة لطيفة ثم انتقل سحر ليلة الاحد تاسع عشر الشهر الى المخيم وهو فى غم عظيم فسلاه اصحابه واستعفوا فكره وخرج رسول بهاء الدين قراقوش لطلب ما قدروه من القطيعة فقيل أدركونا بنصف المال وجميع الاسارى وصليب الصلبوت قبل خروج الناس وان تأخر شئ من ذلك أسرنا ونصف المال يسيرون به الى شهر آخر فاحضر الاكابر وفقهم فاشاروا باستفداء اخوانهم من المسلمين فشرع السلطان فى تحصيله وكتب الى الاقطار يعلمهم بالحال ويستنفرهم للجهاد فى سبيل الله وفى يوم الخميس سلخ جمادى الآخرة خرج الافرنج وانتشروا فضربت الكاسات السلطانية فانتدب العسكر واشتد الحرب وانهزم الافرنج فجاءت العرب وحالت بينهم وبين أسوارهم وصرعوا منها خمسين رجلا وكروا عليهم ثم كر الافرنج على المسلمين كرة عظيمة وثبتوا ثم عادوا عليهم حتى طردوهم الى خنادقهم وانتصف الاسلام فى ذلك اليوم بعض الانتصاف وفى يوم الجمعة ثانى رجب جاءت الرسل فى تقرير القطيعة المقررة بخلاص الجماعة وأخبروا ان ملك الافرنسيس توجه الى صور لترتيب أموره ووكل المركيس فى قبض ما يخصه فجهز السلطان رسولا لكشف خبره وعلى يده هدية له ونقل خيمته يوم السبت الى تل بازاء شفرعم وراء التل الذى كان عليه وما زالت الرسل تتردد حتى أحضر مائة ألف دينار والاسارى المطلوبين وصليب الصلبوت ليوصل ذلك الى الافرنج فى الاجل المعين ووقع الخلف فى كيفية التسليم فقال السلطان أسلمه اليكم على أن تطلقوا جميع أصحابنا وتأخذوا باقى المال فوما رهائن فأبوا الا أخذ الجميع بمرة ويحلفون للمسلمين على تسليم من عندهم فقيل لهم تضمنكم الداوية فلم يضمنوا فتحير السلطان وقال متى سلمنا اليهم من غير احتياط بالشرط كان على الاسلام غبن وعار ولو أيقنا بخلاص أصحابنا سمحنا لهم فى الحال

بصليب الصلبوت والاسارى والمال ووقف الامر الى أن مضى الاجل
وجاء الرسل ورأوا الاسارى قد حضروا والمال موفورا وطلبوا ان صليب
الصلبوت قد أرسل الى دار الخلافة فسألوا احضاره لينظروه فلما أحضر
خروا له ساجدين واطمأنوا وظهر للسلطان منهم أمارات الغدر وفي يوم
الاربعاء الحادي والعشرين من رجب أخرج الافرنج الى ظاهر المرج
خياما نصبوها وجلس فيها ملك الانكتير ومعه خلق من جماعته * وغدر
ملك الانكتير وقتل المسلمين المأخوذين بعكا * وفي عصر يوم الثلاثا
سادس عشري رجب ركب الافرنج بأسرهم وجاؤا الى المرج الذي بين تل
العياضية وتل كيسان فعلم السلطان بذلك فركب العساكر نحوهم
وكانوا قد أحضروا أسارى المسلمين وهم واقفون في الحبال وحملوا عليهم
وقتلوهم جميعهم فحمل عليهم العسكر وقتل منهم خلقا كثيرا وانصرف
العدو الى خيامه فلما وقع هذا الغدر تصرف السلطان في ذلك المال
وأعاد أسارى الافرنج الى دمشق وأعاد صليب الصلبوت * رحيل الافرنج
صوب عسقلان * وفي سحر الاحد غرة شعبان عزم الافرنج على التوجه
الى عسقلان وساروا فعلم السلطان بذلك وكانت نوبة اليزك في ذلك اليوم
للملك الافضل فوقف في طريقهم وسدت سبلهم وأرسل يستنجد والده
أن يمده بعسكر حتى يقاتلهم فاستشار من حضر من عسكره فقيل
للسلطان ان العسكر لم يتأهب للقتال والافرنج قد قاربوا الحرب فاتم قصد
قيساريه وقصده أولى فصرف السلطان عزمه وتوجه نحو قيساريه
ونزل على النهر الذي يجري الى قيساريه وأقام هناك وأتى من ارابا أسارى
فأمر باراقة دمائهم * وقعة قيساريه * وفي يوم الاثنين تاسع شعبان وصل
الخبر للسلطان برحيل الافرنج وانهم سائرون في جمع فركب السلطان
ومن معه وسار العدو بأثقاله وكانت هناك بركة كبيرة مملوءة من الما
والافرنج على عزم ورودها فصدهم عسكر الاسلام عنها وطردوهم فولوا
مدبرين وانهزموا نحو الساحل ونزلوا على نهر يقال له نهر القصب بعد

مسعه

مشقة حصلت لهم من المسلمين ونزل العسكر بعد انقضاء الحرب على البركة ثم رحل ونزل على أعلى نهر القصب في أوّله وهو الذي نزل العدوّ في أسفله وقربت المسافة وكان شخص من الامراء اسمه عز الدين ابن المقدم أبصر جماعة من الافرنج مقبلين لكشف حال العسكر فعبر اليهم النهر وقتل منهم عدّة وأسر ثلاثة فركب الافرنج وحملوا عليه وكانت وقعة عظيمة وأحضر الاسارى عند السلطان ورحل وقت الظهر قاصدا نحو ارسوف ونزل على قرية تقربها وأقام بها يوم الاربعاء والعدوّ في مكانه الاول * اجتماع الملك العادل وملك الانكتير * كان في اليزك علم الدين سليمان ابن جندر وراسله العدوّ أن يتحدّث مع الملك العادل فاجتمعا يوم الخميس فتكلما في الصلح واخماد الفتنة فقال له الملك العادل ما الذي تريده فقال ردّ البلاد فقال العادل هذا لا سبيل اليه وأغلظ له في القول وكان الترجمان بينهما همفرى ابن هنفرى فلما سمع ملك الانكتير ذلك غضب وتفرقا على غير شئ * وقعة أرسوف * لما عرف السلطان من أخيه الملك العادل ما جرى بينه وبين ذلك الملعون جمع يوم الجمعة العساكر وسير الثقل وركب فلما أسفر صباح السبت رابع عشر شعبان ركب العدوّ على صوب أرسوف فهجم عليهم عسكر الاسلام وأحاط بهم واشتدّ القتال بينهم فحملوا على اطلاب المسلمين حملة واحدة فاستشهد جماعة من المسلمين ثم كر العسكر على الكفار وصدّوهم وكسروهم وقتل منهم جماعة وأسر جماعة وهرب الافرنج ودخلوا أرسوف ونزلوا قريبا من الماء وبات السلطان تلك الليلة على نهر العوجاء وأقام العدوّ يوم الأحد في موضعه ثم رحل يوم الثلاثاء سائرا الى يافا فعارضهم العسكر في طريقهم ثم رحل السلطان يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان ونزل بالرملة واجتمع عنده الأثقال كلها ثم رحل ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر * خراب عسقلان * لما نزل السلطان بالرملة أحضر عنده أخاه الملك العادل وأكابر الامراء وشاورهم في أمر عسقلان فأشار بعضهم بخرابها للعجز عن حفظها فان

الافرنج نزلوا يافا وهي مدينة بين القدس وعسقلان متوسطة ولا سبيل الى حفظ المدينتين الا بعسكرين وخشي انهم اذا وصلوا الى عسقلان يأخذوها كما وقع في عكا واقتضى الحال هدمها فوصل السلطان الى عسقلان وشرع في هدمها بكرة يوم الخميس تاسع عشر شعبان نقض أسوارها وهدم منارتها وكانت من أحسن البلاد وأطيبها فصارت خرابا داثرة وحصل لاهلها اسف زائد بهدمها وباعوا امتعتهم باخس الاثمان وتفرقوا في البلاد

﴿فصل﴾ فلما هدمها رحل يوم الثلاثاء ثاني شهر رمضان ونزل على يبنا ونزل يوم الاربعاء ثالث الشهر بالرملة ثم خرج الى لد وأشرف عليها وأمر بخرابها وخراب قلعة الرملة ففعل ذلك ثم توجه الى بيت المقدس وأتاه يوم الخميس وخرج منه يوم الاثنين ثامن شهر رمضان بعد الظهر وبات في بيت نوبة وعاد الى المخيم يوم الثلاثاء ضحوة * وفي هذا التاريخ خرج ملك الانكلتير متنكرا فخرج له الكمين وجرى قتال عظيم حتى كاد يؤسر الملك وقد أسر منه جماعة وجرى يوم الجمعة ثاني عشر الشهر بين اليزكية وأهل الكفر وقعة قتل منهم مقدم كبير * ورحل السلطان يوم السبت ثالث عشره ونزل على تل قريب عند النطرون وهي قلعة منيعة فهدمها وأشاع الاقامة هناك وأفاض الانعام على العسكر * ذكر ما تجدد لملك الانكلتير * وصلت رسل ملك الانكلتير الى العادل بالمصالحة وترددت الرسل واستقر الحال على ان العادل يتزوج أخت ملك الانكلتير ويحكم العادل في البلاد وتكون المرأة مقيمة بالقدس ويعطي العادل مقدمي الافرنج والداوية والاسبتارية بعض القرى ولا يمكنهم من الحصون ولا يقيم معها في القدس الا قسيس ورهبان فاستدعى العادل جماعة من الاعيان منهم العماد الكاتب وغيره وسألهم في المضي الى السلطان واعلامه بذلك وسؤاله في ذلك فحضروا الى السلطان وأخبروه بالحال فسمع ورضي وذلك في يوم الاثنين تاسع عشري رمضان وعاد الرسول الى ملك الانكلتير

ثم ان أكابر الافرنج عرضوا ذلك على قسيسهم فلم يرضوه وخبثوا المرأة ونددموها وعنفوها بتزويجها بالمسلم فانثنى عزمها عن التزويج وقالت أتزوجه بشرط أن يوافقنى على دينى فأنف العادل من ذلك واعتذر الملك بامتناع أخته وبطل الاتفاق وكان ذلك ثانى يوم العيد وفى يوم العيد خلع السلطان على أكابره ومد لهم سماطا ونزل السلطان بالرملة ليقرب من العدو وتواتر الخبر بان الافرنج على عزم الخروج وسار يوم الاثنين سابع شوال وخيم خارج الرملة وجاء الخبر أن العدو قد خرج الى يازور وتسارع العسكر اليهم وقربوا من خيامهم وأحاطوا بهم فركب الافرنج وحملوا على الناس حملة واحدة فاندفعوا بين أيديهم فاستشهد ثلاثة وكان السلطان فى كل يوم يركب ولا يخلو من وقعة يقتل فيها من الكفار * وقعة الكمين * وفى ليلة الاربعاء سادس عشر شوال أمر السلطان رجال الحلقة المنصورة بان يكمنوا فى جهة عينها وخرج الافرنج للاحتشاش ولقيهم اعراب فتواقعوا معهم وخرج الكمين واقتتلوا معهم وقتل جماعة من الكفار واستشهد ثلاثة من المماليك الخواص وأسر من الافرنج فارسان وأحضرا للسلطان وانفصل الحرب وقت الظهر * اجتماع الملك العادل بملك الانكتير * وفى يوم الجمعة ثامن عشر شوال ضرب الملك العادل بقرب اليرك لاجل ملك الانكتير ثلاث خيام وجهز فاكهة وحلوى وطعاما وحضر ملك الانكتير وطالت بينهما المحادثة وافترقا عن غير موافقة ومضى الملك وكان قد وصل صاحب صيدا من صور رسالة المركيس لطلب الصلح مع السلطان حتى يقوى يده على ملك الانكتير وبلغ ذلك ملك الانكتير ووصل رسوله أيضا يخطب هذا الامر ومضى القول مع صاحب صيدا الى المركيس على شرائط شرطت عليه وأمور اسلة الملك فلم يتح منها أمر وكلما حصل الاتفاق معه على شئ نقضه وكلما قال قولا رجع عنه فلعنة الله عليه وفى يوم الاحد سابع عشرى شوال عاد السلطان الى المخيم بالنطرون ورحل الافرنج يوم السبت

ثالث ذي القعدة وتقدموا الى الرملة ونزلوا بها ولم يستقل امرهم على قصد
القدس وأقام السلطان في كل يوم له سرايا وصار لهم في كل يوم وقعة وما
يخلو من أسرى بحمد الله ثم هجم الشتا وتوالت الامطار فعزم على الرحيل
* رحيل السلطان الى القدس * وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من ذي
القعدة ركب السلطان والعسكر نازل وسار من معه حتى وصل الى
القدس قبل العصر ونزل بدار الاقساء المجاورة لكنيسة قمامة وشرع في
تحصين المدينة وصلى يوم الجمعة مستهل ذي الحجة في قبة الصخرة وفي يوم
الاحد ثالث الحجة وصل اليه عسكر من مصر وسائر العساكر المصرية
ووصل الخبر بنزول الافرنج بالنطرون ووقع الارجاف في الناس وجرت
يوم الخميس سابع الشهر وقعة قرب بيت نوبة من سرية جهزها السلطان
فوقعوا على سرية الافرنج فأسروها وقتلوها ووصلوا بها خمسين أسيرا الى
القدس وكانت بشرى عظيمة ثم وقعت وقعة أخرى قتل من الكفار ستة
وأسر أربعة وصلى السلطان عيد الاضحية بالقدس يوم الاحد وكانت
الوقفة بمكة يوم الجمعة لكن لم ير الهلال بالقدس ليلة الخميس وفي يوم الجمعة
خامس عشر ذي الحجة وقعت وقعة بالرملة من أمرى أغاروا على الافرنج
وأخذوا أموالا وأغناما وخيلا وجمالا وبغالا وأسرا ممن كان في القافلة
لا سيما وأحضرهم للسلطان وأحاط بالافرنج البلا وكثرت عليهم
الغارات فرحلوا وعادوا الى الرملة وطابت قلوب المسلمين * ذكر ما اعتمده
السلطان في عمارة القدس * ووصل من الموصل جماعة للعمل في الخندق
جهزهم صاحب الموصل صحبة بعض حجابه وسير معه مالا ينفقه عليهم في
رأس كل شهر وأقاموا مدة في العمل وأمر السلطان بحفر خندق
عميق وأنشأ سورا وأحضر من أسرى الافرنج فرسانا ألفين ورتب منهم في
ذلك وجدد أبراجا جديدة من باب العمود الى باب المحراب وباب المحراب
هو المعروف الآن بباب الخليل وأنفق عليها أموالا جزيلة وبناها بالاحجار
الكبار وكان الحجر يقطع من الخندق واشتغل في بناء السور وقسم بناء

السور

[illegible] من أولاده وأصحابه [illegible] وأمرائه وسار يركب كل يوم [illegible]
[illegible] يركب الى الخندق على فرس [illegible] ويخرج الناس لموافقته في
[illegible] ووضع [illegible] وشد [illegible] دوابه والامراء
[illegible] والفقهاء والقضاة والصوفية والاولياء وجد في العساكر
[illegible] عوام الناس حتى في أقرب مدة ما يتعذر [illegible] في سنين
[illegible] السلطان لصاحب الموصل يشكره على تجهيز الرجال لحفر
[illegible] بخدمة أنشأها العماد الكاتب رحمه الله تعالى * ودخلت سنة
ثمان وثمانين وخمسمائة والسلطان مقيم بالقدس في دار الاقساء بجوار
[illegible] لعمارة البلد وتشييد أسواره وجد في عمارة الصخرة المقدسة واكمل
السور والخندق وصار في غاية الاتقان واطمأن أهل الاسلام * ذكر
الفرنج مع الانفرنج * رحل الانفرنج يوم الثلاثاء ثالث المحرم من الرملة
الى بلد عسقلان ونزلوا بظاهرها يوم الاربعاء وتشاوروا في اعادة عمارتها
وكان شخص من الامراء بالرملة في بعض أعمالها فركب ملك الانكتير
[illegible] يوم الخميس فشاهد خيامهم على البعد فساق متوجها الى تلك الجهة
فما شعر المسلمون الا بالكبسة عليهم فلم ينج [illegible] كان وقت المغرب
وهم [illegible] ولم ير العدو الا أحد القسمين من المسلمين فقصده فعرف
القسم الآخر هجوم العدو فركبوا الى العدو فدفعوه حتى ركب رفقاؤهم
[illegible] واجتمعوا وردوا العدو ثم تكاثر الانفرنج وتواصلوا ووقعت
الوقعة فلم يفقد من المسلمين الا أربعة وجاء الباقون وكانت نوبة عظيمة
ولكن الله سلم * وفي يوم الثلاثاء عاشر المحرم ركب السلطان على
[illegible] نقل الحجارة والعمارة ومعه الملوك وأولاده والامراء والقضاة
والعلماء والصوفية والزهاد والاولياء وخرج كل من بالبلد وهو قد حمل
على سرجه والناس ينقلون معه ولما دخل الظهر نزل في خيمة بالصحراء
[illegible] السماط ثم صلى الظهر وانصرف الى منزله وأما سراياه فكانت
لا تزال تغير على الكفار في ذلك سرية أغارت يوم الاربعاء الحادي عشر

من المحرم في ساوتها الافرنج نعمـانى عشر أسيرا وحملا ودواب
وأثاثا كثيرا وفي يوم الثلاثاء ثاني صفر أغارت السرية على طاهرة علان
وغنمت ثلاثين أسيرا سوى الخيل والبغال وفي ليلة الاحد رابع عشر
صفر ضربت سرية على ساوطورن على قافلة الافرنج فأخذتها بأسرها
مع رجالها وبغالها وأحمالها ثم أغارت على نافذ ملك ومنك وعادت
بالغنيمة والسبايا وتخرجها من الاسارى من السبي بصير ـ أء ابهم
وأوجـد ذلك عن النادى رلما خرج سيف الدين على بن أحمد المعروف
بالمشطوب من الاسر رعلى مسه قطيعه خمسين ألف دينار فأدى منها
لا ين ألفا وأعطى رهائن على عشرين ألفا ووصل الى القدس راجع
بالسلطان يوم الخميس مستهل شهر ربيع الآخر فقام اليه واعتنقه ولقاه
وأقطعه نابلس وأعمالها وعاش الى آخر شوال من هذه السنة وتوفي رحمه
الله في السلطان لنابلس وأعمالها لمصالح البيت المقدس وعمار
سوره وأبقى باقيها لولده * هلاك المركيس بصور * أصابه الاسعف
بصور يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الآخر فأكل وجرح وركب دون علمه
رجلان وقتلاه بالسكاكين فأمسكا وسئلا من هو الآمر لهما به فقالا
ملك الانكتير فقتلا شر قتلة ولما هلك المركيس تحكم ملك الانكتير
في صور وولاها الكند هري وأرسل الملك يطلب من السلطان نصف
البلاد سوى القدس فانه يبقى للمسلمين بعد ... سوى كنيستهم
قمامة فأبى السلطان ولم يرض * استيلاء الافرنج على قلعة الداروم *
وقلعة الداروم هذه على حد مصر خاصرة وكان بها ذخيرة كثيرة فلما
شرع الافرنج في عمارة عسقلان ترددوا اليها ثم نزل الافرنج عليها
وأخذوها بعد حصار التاسع جمادى الاولى بعد أن نقبوها
وطلب أهلها الامان فلم يؤمنوا ولما عرف الوالي بها انهم ما خرجوا عمد
الى الخيل والجمال والدواب فعرقبها والى الذخائر فأحرقها وفتحوها
بالسيف وقتلوا من بها وأسروا منهم عدة أسرى كثيرة على

الاسلام ثم رحل الافرنج عنها ونزلوا على ماء يقال له الحسى يوم الخميس رابع عشر الشهر ثم تركوا خيامهم وساروا على قصد قلعة يقال لها مجدل الحباب فخرج عليهم المسلمون وقاتلوهم قتالا شديدا وقتل منهم خلق كثير وانهزموا ثم رحلوا من الحسى يوم الاحد سابع عشر الشهر وتفرقوا فريقين فبعضهم عاد الى عسقلان وبعضهم جاء الى بيت جبريل فتقدم السلطان الى العساكر بمبارزتهم وفى يوم السبت الثالث والعشرين نزلوا تل الصافية ونزلوا يوم الثلاثاء السادس والعشرين بالنطرون فارجف بقصدهم القدس ثم ضربوا خيامهم يوم الاربعاء على بيت نوبة وأظهر السلطان الاقامة بالقدس وفرق الامراء على الابراج وجرت وقعات وكبسات وفى يوم السبت نزل الناس اليهم وقاتلوهم فى خيامهم وركب العدو وساق الى قلونية وهى ضيعة من القدس على فرسخين وعاد منهزما وفى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة خرج كمين فى طريق يافا على قافلة فاخذوها واسروا من فيها * كبسة الافرنج على عسكر مصر الواصل * كان السلطان يستحث عسكر مصر بكتبه ورسله ويدعوه نجدة لاهل القدس فضرب خيامه على بلبيس مدة حتى اجتمعوا وانضم اليهم التجار فاغتروا بكثرتهم والعدو منتظر قدومهم وجاء الخبر للسلطان ليلة الاثنين تاسع جمادى الآخرة ان ملك الانكتير ركب فى جمع كبير وسار عصر يوم الاحد فجرد السلطان أميرا وجماعة لتلقى الواصل وأمرهم بان يأخذوا بالناس فى طريق البرية فعبروا على ماء الحسى قبل وصول العدو اليه وكان مقدم العسكر المصرى فلك الدين أخو العادل فلم يسأل عن المنزلة وقصد الطريق الاقرب وترك الاحمال على طريق أخرى ونزل على ماء يعرف بالخويلفة ونادى تلك الليلة انه لا رحيل الى الصباح وناموا مطمئنين فصبحهم العدو عند انشقاق الصبح فى الغلس فلما غشيهم ركب كل منهم على وجهه ومنهم من ركب بغير عدة وانهزموا وتركوا العدو وراءهم ووقع العدو فى أمتعتهم وتفرق العسكر فى البرية فمنهم من رجع الى مصر ومنهم

من توجه على طريق الكرك فأخذ الكفار من الجمال والاحمال ما لا يعد
ولا يحصى وكانت نكبة عظيمة ووصل الجند مفلسين مكسورين
فسلاهم السلطان ووعدهم بكل جميل واشتغل الكفار بالمال عن
القتال * رحل ملك الانكتير صوب عكا مظهرا انه على قصد بيروت *
لما قدر على الافرنج قصد القدس ورأوا ان بيروت فرغ منهم وقطع عليهم
طريق البحر فقالوا هذا البلد أخذ منا واذا قصدناها جا السلطان
وعسكره الينا وخلا القدس فبادر اليه من يافا وعسقلان ويملكه فلما
عرف السلطان ما عزموا عليه أمر ولده الملك الافضل بمبادرتهم في
الرمل وسبقهم الى مرج صفول حتى اذا سمعوا بقصدهم سبقت العساكر
الى بيروت ودخلها وكتب السلطان الى العساكر الواصلة الى دمشق أن
يكونوا مع ولده فنزل بمرج عيون والافرنج بعكا لم يخرج منها * ونزل
السلطان على مدينة يافا فتحها لما رحل ملك الانكتير ونزل في مدينة
يافا وعسقلان جماعة من العسكر انتهز السلطان الفرصة لقلتهم ونهض
بعسكره الحاضر ونزل على يافا وحصرها ورماها بالمجانيق وزحف عليها
وهجم على المدينة وقتل من بها ووجدت الاحمال المأخوذة من قافلة مصر
فأخذت واملاك الذمي المسلمين ونهبت العامة وطلب أهلها الامان
وتسلموها وكان قرب الاستيلاء عليها فلما طلبوا الامان كف الناس عنها
فخرج البطرك الكبير ومعه جماعة من المقدمين والاكابر على أن يدخلوا
تحت طاعة السلطان ويسلموا المال والذخائر حتى دخل الليل فاستمهلوا
الى الصباح رطا وأمن بعضهم من المسلمين وما زال يخرج من يستدعي
زيادة القوة حتى وصل ملك الانكتير في البحر في مراكب في الليل
ودخل القلعة من الجانب البحري وبادروا الكفار فقتلوا منهم من
أسر وندم المسلمون على ما وقع من الامان ولولا أن السلطان توقف في
أمانهم لأخذت القلعة وكان ذلك فجاعة عظيمة وأخذ المسلمون من
الاموال والغنائم ما لا يحصى واستعادوا من الكفار ما نهبوه من القافلة

المصرية وقتل من أقام بالبلد وأسر وحصل فى أيدى المسلمين من مقدمى القلعة بضع وستون وكان القصد فى الاول رجوع الكفار عن قصد بيروت وضعف الافرنج من هذه الوقعة وعاد السلطان وخيم على النطرون وأقام السلطان حتى تكاملت العساكر ورحل السلطان ونزل بالرملة وقد اجتمع العساكر من سائر البلاد وقوى واشتد عزم المسلمين وحصل لهم السرور بفتح يافا وأخذ ما فيها وباشروا النصر وخذلان العدو * الهدنة العامة * لما عرف ملك الانكتير اجتماع العساكر واتساع الخرق عليه وان القدس قد امتنع أخذه فقصر عما كان فيه وخضع وأظهر انه لم يهادن السلطان وأقام وجد فى القتال ثم طلب المهادنة وكاتب الملك العادل يسأله الدخول على السلطان فى الصلح فلم يجب السلطان لذلك وأحضر السلطان الامراء وشاورهم وقال لهم نحن بحمد الله فى قوة وقد ألفنا الجهاد وما لنا شغل الا العدو وحرضهم على التثبت والتصميم وحثهم على الجهاد فقالوا له رأيك سديد والتوفيق فى كل ما تريد غير ان البلاد تشعثت وقلت الاقوات واذا حصلت الهدنة فى مدتها استريح ونستعد للحرب والصواب القبول عملا بقول الله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتعود البلاد الى العمارة واستيطان أهلها ونكثر فى مدة الهدنة الغلة واذا عادت أيام الحرب عدنا وما زالوا بالسلطان حتى رضى وأجاب ثم حصل الصلح والمهادنة بين السلطان وبين الافرنج لشفاعة جماعة من أعيان جماعة السلطان وعقد الهدنة عامة فى البحر والبر وجعل مدتها ثلاث سنين وثمانية أشهر أولها يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة الموافق لأول أيلول وحسبوا ان وقت الانقضاء يوافق وصولهم من البحر واستقر أمر الهدنة وتحالفوا على ذلك ولم يحلف ملك الانكتير بل أخذوا يده وعاهدوه واعتذر بان الملوك لا يحلفون وقنع السلطان بذلك وحلف الكندهرى ابن أخته وخليفته فى الساحل وحلف غيره من عظماء الافرنج ووصل ابن الهنفرى

ومالا إلى خدمة السلطان ومعهما جماعة من المقدمين وأخذوا يد السلطان على الصلح واستحلفوا الملك العادل أخا السلطان والملك الأفضل والظاهر ابني السلطان والملك المنصور صاحب حماة محمد بن تقي الدين عمر والملك المجاهد شيركوه صاحب حمص والملك الأمجد بهرام شاه صاحب بعلبك والأمير بدر الدين يلدرم الياروقي صاحب تل باشر والأمير سابق الدين عثمان ابن الداية صاحب شيزر والأمير سيف الدين علي بن أحمد المشطوب وغيرهم من المقدمين الكبار وكتبت الهدنة على أن يستقر بيد الفرنج من يافا إلى قيسارية إلى عكا إلى صور وأن تكون عسقلان خرابا واشترط السلطان دخول بلاد الإسماعيلية في عقد هدنته واشترط الفرنج دخول أنطاكية وطرابلس في عقد هدنتهم وأن تكون لد والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين * فاستقرت الهدنة على ذلك وحضر العماد الكاتب لإنشاء عقد الهدنة وكتبها ونادى المنادي بانتظام الصلح وأن البلاد النصرانية والإسلامية واحدة في الأمن والمسالمة فمن شاء من كل طائفة يتردد إلى بلاد الطائفة الأخرى من غير خوف ولا محذور وكان يوما مشهودا نال الطائفتين فيه من المسرة ما لا يعلمه إلا الله تعالى وكان ذلك مصلحة في علم الله تعالى لأنه اتفقت وفاة السلطان بعد الصلح بيسير فلو اتفق ذلك في أثنا وقائعه كان الإسلام على خطر * ذكر ما جرى بعد الصلح * عاد السلطان إلى القدس واشتغل في إكمال السور والخندق وفسح للفرنج كافة في زيارة قمامة فجاؤوا وزاروا وقالوا إنما كنا نقاتل على هذا الأمر وكان ملك الأنكتار أرسل للسلطان يسأله منع الفرنج من الزيارة إلا من وصل معه كتابه أو رسوله وقصد بذلك رجوعهم إلى بلادهم بحسرة الزيارة لتشتد حميتهم على الجهاد والقتال إذا عادوا فاعتذر السلطان إليه بوقوع الصلح والهدنة وقال له أولى بردهم وردعهم فإنهم إذا جاؤوا لزيارة كنيستهم ما يليق بنا ردهم ومرض ملك الأنكتار وركب البحر وأقلع

وسلم الامر الى الكندهرى ابن أخته من أمه وهو ابن أخت ملك افرنسيس من أبيه وعزم السلطان على الحج وصمم عليه وكتب الى مصر واليمن بذلك فما زال الجماعة به حتى انثنى عزمه فشرع فى ترتيب قاعدة القدس فى الولاية والعمارة وكان الوالى بالقدس حسام الدين شاروخ وهو تركى وفيه دين وخير وكان قد أحسن السيرة وفوض ولاية القدس الى عز الدين جرديك وكان أميرا معتبرا شجاعا وولى علم الدين قيصر أعمال الخليل وعسقلان وغزة والداروم وماوراءها وسأل الصوفية عن أحوالهم وزاد فى أوقاف المدرسة الصلاحية والخانقاه وجعل الكنيسة المجاورة لدار الاسبتارية بقرب قمامة بيمارستانا للمرضى ووقف عليه مواضع ووضع فيه ما يحتاج من الادوية والعقاقير وفوض النظر والقضاء فى هذا الوقف الى القاضى بهاء الدين يوسف ابن رافع ابن تميم المشهور بابن شداد لعلمه بكفاءته * رحيل السلطان الى دمشق * وخرج السلطان من القدس ضحوة الخميس خامس شوال ونزل على نابلس ضحوة يوم الجمعة فشكى أهلها على صاحبها سيف الدين على المشطوب أنه ظلمهم فأقام السلطان بها الى ظهر يوم السبت حتى كشف ظلامتهم ورحل بعد الظهر وأصبح على جينين ثم رحل الى بيسان ثم الى قلعة كوكب ثم سار ونزل بظاهر طبرية ولقيه هناك بهاء الدين قراقوش وقد أخرج من الاسر ثم رحل ونزل بقرب قلعة صفد تحت الجبل وصعد السلطان اليها وأمر بعمارتها ثم سار الى أن خيم على مرج تبنين وتفقد أحوالها وأمر بعمارة قلعتها ثم سار ونزل على عين الذهب ورحل وخيم بمرج عيون ثم سار وعبر من عمل صيدا وكلما نزل فى مكان يدبر أمره ويرتب أحواله ويأمر بعمارته الى أن وصل الى بيروت فتلقاه واليها عز الدين أسامه وقدم للسلطان ولاركان دولته الهدايا والتحف النفيسة * وصول البرنس صاحب انطاكيه * لما أراد السلطان الرحيل من بيروت فى يوم السبت الحادى والعشرين من شوال قيل له ان

الابرنس الانطاكي قد وصل الى الخدمة فأقام السلطان وأذن للابرنس
في الدخول عليه فلما مثل بين يديه أكرمه وأظهر البشاشة وسكن روعه
وكان معه من مقدمي فرسانه أربعة عشر بارو وسار خلع عليه وعليهم
وأجزل لهم العطا وودعه يوم الاحد وفارقه وهو مسرور مجبور * وصول
السلطان الى دمشق * لما خرج السلطان من بيروت يوم الاحد بات بالمخيم
على البقاع ثم سار ووصل اليه أعيان دمشق لملاقاته وجاءه فواكه دمشق
وأطايبها وأصبح يوم الاربعاء فدخل دمشق لخمس بقين من شوال سنة
ثمان وثمانين وخمسمائة زينت البلد وخرج كل من في المدينة وفرح
الناس به وكانت غيبة السلطان عن دمشق أربع سنين في الجهاد فحصل
لهم الفرح والسرور وكان يوما مشهودا لدخوله وجلس السلطان في دار
العدل ونظر في أحوال الرعية وأزال المظالم وأقام بها الدين قراقوش الى
أن خلص أصحابه من الاسر ثم توجه الى مصر واطمأن الناس في أوطانهم
وخرجت السنة والامر على ذلك * ودخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة *
والسلطان مقيم بدمشق في داره ورسل الامصار واردون عليه وهو
يجلس كل يوم وليلة بين أصحابه ومجالسة العلماء والفضلاء والظرفاء
والادباء وسار الى الصيد شرقي دمشق وصحبته الملك العادل ثم عاد يوم
الاثنين حادي عشر صفر ووافى عود الحاج الشامي فخرج لتلقيه فلما رآه
فاضت عيناه لفوات الحج وسألهم عن أحوال مكة وأمرائها وسر بسلامة
الحاج ووصل اليه من اليمن ولد أخيه سيف الاسلام فلقاه وأكرمه
وتوجه الملك العادل الى الكرك * ذكر وفاة السلطان رحمة الله عليه *
جلس ليلة السبت سادس عشر صفر في مجلسه على عادته وحوله خواصه
منهم العماد الكاتب حتى مضى من الليل ثلثه وهو يحدثهم ويحدثونه ثم
صلى وانصرفوا الباقون لحقه كسل عظيم وغشيه نصف الليل حمى
صفراوية وأصبحوا يوم السبت وجلسوا في الايوان لانتظاره فخرج بعض
الخدام وأمر الملك الافضل أن يجلس موضعه على السماط ونظر الناس

من تلك الحال ودخلوا اليه ليلة الاحد لعيادته وأخذ المرض فى التزايد وحدث به فى السابع رعشة وغاب ذهنه واشتد الارجاف فى البلد وغشى الناس من الحزن والبكاء عليه ما لا يمكن شرحه واشتد به المرض ليلة الثانى عشر من مرضه فتوفى رحمه الله تعالى صبح تلك الليلة وهى المسفرة عن نهار الاربعاء السابع والعشرين من شهر صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة بعد صلاة الصبح وغسله الفقيه ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد الدولعى الشافعى خطيب جامع دمشق وأخرج بعد صلاة الظهر من نهار الاربعاء فى تابوت مسجى بثوب وجميع ما احتاج اليه فى تكفينه أحضره القاضى الفاضل من جهة حل عرفه وصلى عليه الناس وكثر عليه التأسف من الخلق واشتد حزنهم لفراقه ودفن فى قلعة دمشق فى الدار التى كان مريضا فيها وكان نزوله الى قبره وقت صلاة العصر وكان يوم موته لم يصب الاسلام بمثله منذ فقد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وغشى القلعة والدنيا وحشة لا يعلمها الا الله قال العماد الكاتب مات بموت السلطان رجاء الرجال وفات بفواته الافضال وغاضت الايادى وفاضت الاعادى وانقطعت الارزاق وادلهمت الآفاق فجع الزمان بواحده وسلطانه ورزئ الاسلام بمشيد أركانه وأرسل الملك الافضل الكتب بوفاة والده الى أخيه العزيز عثمان بمصر والى أخيه الظاهر الغازى بحلب والى عمه الملك العادل بالكرك ثم ان الملك الافضل عمل لوالده تربة بالقرب من الجامع الاموى وكانت دارا لرجل صالح ونقل اليها السلطان يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ومشى الافضل بين يدى تابوته وأخرج من باب القلعة على دار الحديث الى باب البريد وأدخل الى الجامع ووضع قدام النسر وصلى عليه القاضى محيي الدين بن القاضى زكى الدين بالجامع الاموى ثم دفن وجلس ابنه الملك الافضل فى الجامع ثلاثة أيام للعزاء وأنفقت ست الشام بنت أيوب أخت السلطان فى هذه النوبة أموالا عظيمة

وكان عمر السلطان حين وفاته في نيف وخمسين سنة لأن مولده بتكريت في شهور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة لما كان عمه وأبوه بها وكان خروجهم منها في الليلة التي ولد فيها فتشاءموا به وتطيروا منه فقال بعضهم لعل فيه الخيرة وما تعلمون فكان كما قال * واتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من دوين بضم الدال المهملة وكسر الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون وهي بلدة في آخر عمل أذربيجان وأنهم أكراد روادية ولم يزل صلاح الدين تحت كنف أبيه حتى ترعرع ولما ملك نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي دمشق لازم نجم الدين أيوب خدمته وكذلك ولده الملك صلاح الدين ولم تزل مخايل السعادة عليه لائحة والنجابة له ملازمة تقدمه من حالة إلى حالة ونور الدين يرى له ويؤثره ومنه تعلم صلاح الدين طرق الخير وفعل المعروف والجهاد إلى أن كان من بقدر الله ما سبق شرحه من أمر سلطنته وسيرته وكانت مدة ملكه بالديار المصرية نحو أربع وعشرين سنة وملك الشام قريبا من تسع عشرة سنة وهو أول الملوك بالديار المصرية بعد انقراض الدولة الفاطمية قال العيني وهو أول من لقب بالسلطان والذي يظهر أن مراده أول من لقب بالسلطان من ملوك مصر والله أعلم فإني رأيت في التواريخ من لقب بالسلطان من ملوك العراق قبل الملك صلاح الدين وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا وابنة صغيرة ولم يخلف في خزانته سوى دينار واحد وستة وثلاثين درهما ناصرية وهذا من رجل له الديار المصرية والشام وبلاد الشرق واليمن دليل قاطع على فرط كرمه ولم يخلف دارا ولا عقارا ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موعود به وكانت مجالسه منزهة عن الهزء والهزل ولم يؤخر صلاة عن وقتها ولا صلى إلا في جماعة وكان شافعي المذهب يكثر من سماع الحديث النبوي وقرأ مختصرا في الفقه تصنيف سليم الرازي وكان إذا عزم على أمر توكل على الله وكان حسن الخلق صبورا على ما يكره كثير التغافل عن ذنوب أصحابه يسمع من أحدهم

ما يكره ولا يعلمه بذلك ولا يتغير عليه وكان يوما جالسا فرمى بعض المماليك بعضا بسرموزة فأخطأته ووصلت الى السلطان فأخطأته ووقعت بالقرب منه فالتفت الى الجهة الاخرى ليتغافل عنها * وكان طاهر المجلس فلا يذكر أحد في مجلسه الا بخير وطاهر اللسان فلا يولع بشتم قط وقد أخبرت ان الدعاء عند قبره مستجاب وكذلك عند قبر الملك العادل نور الدين الشهيد رحمة الله تعالى عليهما وقد رثى الملك صلاح الدين الشعراء وأكثروا فيه ومن أحسن المراثي مرثية العماد الكاتب وهي مائتان واثنان وثلاثون بيتا منها

شمل الهدى والملك عم شتاته * والدهر ساء وأقلعت حسناته
بالله اين الناصر الملك الذى * لله خالصة صفت نياته
أين الذى ما زال سلطانا لنا * يرجى نداه وتتقى سطواته
اغلال أعناق العدى أسيافه * أطواق أجياد الورى مناته
من في الجهاد صفاحه ما أغمدت * بالنصر حتى أغمدت صفحاته
من في صدور الكفر صدر قناته * حتى توارت بالصفاح قناته
ألف المتاعب في الجهاد فلم يكن * مذ عاش قط لذاته لذاته
مسعودة غدواته محمودة * روحاته ميمونة ضحواته
في نصرة الاسلام يسهر دائما * ليطول في روض الجنان سباته
لاتحسبوه مات شخص واحد * فممات كل العالمين مماته
ملك عن الاسلام كان محاميا * ابدا الى أن أسلمته حماته
قد أظلمت منذ غاب عن أنواره * لما خلت من بدره داراته
دين السماح فليس ينشر بعد ما * ووري الى يوم النشور رفاته
الدين بعد أبي المظفر يوسف * أقوت قواه وأقفرت ساحاته
بحر خلا من وارديه ولم تزل * محفوفة بوفوده حفاته
من لليتامى والارامل راحم * متعطف مفروضة صدقاته
فعلى صلاح الدين يوسف دائما * رضوان رب العرش بل صلواته

من للثغور وقد عداها حفظه * من للجهاد ولم يعد عاداته
بكت الصوارم والصواهل إذ خلت * من سلها وركوبها غزواته
يا وحشة الإسلام يوم تمكنت * في كل قلب مؤمن روعاته
ما كان أسرع عصره لما انقضى * فكأنما سنواته ساعاته
لم أنس يوم السبت وهو لما به * شدّ المصاب وقد بدت غمراته
والشمس منه بكسف أنواره * والوجه منه بلألاء سماته
ويقول لله المهيمن حكمه * في مرضه حصلت بها مرضاته
هذي مناشير الممالك تقتضي * توقيعه فيها فأين دواته
قد كان يدرك في الربيع جميعها * هذا الربيع وقد دنا ميقاته
والجند في الديوان جدد عرضه * وإذا أمرت تجددت نفقاته
والقدس طامحة إليك عيونه * عجل فقد طمعت إليه عداته
والغرب منتظر طلوعك نحوه * حتى تبين إلى هداك هداته
والشرق يرجو عزمك راضيا * في ملكه حتى تطيع عصاته
مغري بإسداء الجميل كأنما * فرض عليه كالصلاة صلاته
هل للملوك مضاؤه في موقف * شدت على أعدائه سطواته
كم جاد بالموجود في أوقاته * من كان بالوعدين بودماته
ما راعنا في الدين حين تمكنت * منه الذئاب وأسلمته رعاته
فارقت ملكا غير باق متعبا * ووصلت ملكا باقيا راحاته
أبني صلاح الدين إن أباكم * ما زال يأبى ما الكرام أباته
لا تعدوا الا سنة نصله * لتطيب في مهد النعيم سناته
وردوا موارد عدله وسماحه * لتردعن مع السحاب سماته

ذكر ما استمر عليه الحال بعد وفاة الملك صلاح الدين تغمده الله برحمته واستقر في الملك بدمشق وبلادها المنسوبة إليها* الملك الأفضل* نور الدين أبو الحسن علي أكبر أولاد السلطان بعهد من أبيه وبالديار المصرية* الملك العزيز* عماد الدين أبو الفتح عثمان* وبحلب الملك

الظاهر * غياث الدين أبو الفتح غازى * وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية * الملك العادل * سيف الدين أبو بكر بن أيوب أخو السلطان * وبحماة وسلمية والمعرة ومنبج * الملك المنصور * ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب * وببعلبك الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه ابن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب * وبحمص والرحبة وتدمر * الملك المجاهد * شيركوه بن محمد شيركوه ابن شادى * وبيد الملك الظافر * خضر ابن السلطان صلاح الدين بصرى وهو فى خدمة أخيه الملك الافضل * وبيد الملك الزاهر * مجير الدين داود ابن السلطان صلاح الدين البيرة وأعمالها واستقر اقليم اليمن للملك ظهير الدين * سيف الاسلام * طغتكين بن أيوب أخى السلطان ولم يزل الملك الافضل بالشام والملك العزيز بمصر الى ان وقع الخلاف بينهما وجرى بينهما وقائع يطول شرحها * ثم فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة اتفق العادل وابن أخيه الملك العزيز على ان يأخذا دمشق وان يسلمها العزيز الى العادل لتكون الخطبة والسكة للعزيز كسائر البلاد كما كانت لابيه فخرجا وسارا من مصر الى دمشق وأخذاها فى يوم الاربعاء السادس والعشرين من رجب من هذه السنة وكان الملك الظافر خضر صاحب بصرى مع أخيه الملك الافضل معاضدا له فأخذت منه بصرى فلحق بأخيه الملك الظاهر فأقام عنده بحلب وأعطى الملك الافضل صرخد فسار اليها بأهله واستوطنها وسلم العزيز دمشق لعمه العادل على حكم ما وقع عليه الاتفاق ورحل العزيز من دمشق يوم الاثنين تاسع شعبان فكانت مدة الافضل بدمشق ثلاث سنين وأشهرا وكانت ولادته يوم الفطر وقت العصر سنة خمس وستين وخمسمائة بالقاهرة ووالده يومئذ وزير المصريين وتوفى فى صفر سنة اثنتين وعشرين وستمائة فجأة بسميساط ونقل الى حلب ودفن بتربته بظاهرها * وأما العزيز عثمان * فاستقر بمصر وفى أيامه فى شهور سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وصل جمع عظيم من الافرنج الى الساحل واستولوا على قلعة

بحرب فسار الملك العادل ونزل تل العجول وأتته النجدة من مصر ووصل
اليه سنقر الكبير صاحب القدس وميمون القصري صاحب نابلس ثم
سار الملك العادل الى يافا وهجمها بالسيف وملكها وقتل الرجال
المقاتلة وكان هذا الفتح بالـ حرطار بارك الافرنج بيمن فارسل الملك
العادل الى الملك العزيز صاحب مصر فسار بنفسه فيمن بقي معه من
عساكر مصر فاجتمع بعمه الملك العادل على تبنين فرحل الافرنج على
أعقابهم الى صور وعاد العزيز الى مصر وترك غالب العسكر مع العادل
وجعل اليه أمر الحرب والصلح ومات في هذه المدة سنقر الكبير فجعل
الملك العادل أمر القدس الى صارم الدين قطلو مملوك عز الدين فرخشاه
ابن شاهنشاه بن أيوب وتوفي الملك العزيز صاحب مصر في ليلة الاربعا
الحادية والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة وكانت مدة
ملكه ست سنين الا أشهرا وكان عمره سبعا وعشرين سنة وأشهرا وكان
حسن السيرة رحمه الله * ثم استقر بعده في السلطنة ولده * الملك المنصور *
* محمد وعمره تسع سنين وتشاور الامرا واتفقوا على احضار الملك
الافضل من صرخد ليقوم بالملك فسار مجدا ووصل الى مصر على انه
اتابك المنصور وخرج المنصور لملاقاته ثم ترجل له الافضل ودخل بين يديه
الى دار الوزارة وكان مدبر السلطنة ثم برز الافضل من مصر وسار الى
الشام ليأخذها لاشتغال عمه الملك العادل بحصار ماردين فبلغ العادل
ذلك فسار الى دمشق ودخلها فنزل الافضل عليها وحصل بينهما
قتال ثم سار الافضل الى مصر فخرج الملك العادل في أثره فخرج اليه الافضل
واقتتلا فانكسر الافضل وانهزم الى القاهرة ونزل العادل القاهرة وتسلمها
ودخل اليها في الحادي والعشرين من ربيع الآخر سنة ست وتسعين
وخمسمائة ثم سار الافضل الى صرخد وأقام العادل بمصر على انه اتابك
الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان مدة يسيرة ثم أزال الملك المنصور
واستقر * الملك العادل * في السلطنة وخطب له بالقاهرة ومصر يوم الجمعة

[illegible] والعشرين من شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة وخطب له ابنه الملك الظاهر بحلب وضرب السكة باسمه وانتظمت الممالك [illegible] والشرقية والديار المصرية كما في سلك مالك وخطب له على [illegible] * وفى الشهر الذى دخل فيه العادل القاهرة توفى القاضى الفاضل [illegible] عبد الرحيم بن القاضى الاشرف بهاء الدين ابى المجد على اللخمى [illegible] الشافعى الملقب محيى الدين وزير السلطان صلاح الدين وكان [illegible] فى صناعة الانشاء وسيرته مشهورة وكانت وفاته فى ليلة الاربعاء [illegible] عشر وقيل سادس عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة بالقاهرة فجأة ودفن بتربته بسفح المقطم فى القرافة الصغرى رحمه الله وله [illegible] سنة وأرخ السبكى مولده فى منتصف جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وخمسمائة * وتوفى العماد الكاتب هو ابو عبد الله محمد بن [illegible] الاصفهانى الشافعى الذى كان فى خدمة الملك صلاح الدين له الفتح المسمى فى الفتح القدسى كله رجز مسجع وهو من كتب الدنيا لما فيه من البلاغة والصناعة * ووفاته فى ثانى جمادى الآخرة وقيل فى شعبان سنة سبع وتسعين وخمسمائة وله نحو تسعين سنة وكان بينه وبين القاضى الفاضل مكاتبات ومحاورات لطيفة فمن ذلك ما يحكى عنه انه لقيه يوما وهو راكب على فرس فقال له العماد * سر فلا كبا بك الفرس * فقال له الفاضل * دام علا العماد * وهذا مما يقرأ مقلوبا ومستقيما بالسواء وكانت وفاة العماد بدمشق ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله * وفى سنة ستمائة * كان الملك العادل بدمشق واجتمع الافرنج لقصد بيت المقدس فخرج السلطان الملك العادل من دمشق وجمع العساكر ونزل على الطور قبالة الافرنج بالقرب من نابلس ودام ذلك الى آخر السنة * ثم دخلت سنة احدى وستمائة * فيها كانت الهدنة بين الملك العادل والافرنج وسلم الى الافرنج يافا ونزل عن مناصفة لد والرملة ثم سار الى مصر * ثم فى سنة ثلاث وستمائة سار الملك العادل من مصر الى الشام ونازل

في طريقه عكا فصالحه أهلها على إطلاق جميع من بها من الأسرى ثم سار
إلى طرابلس وحصرها ورحل عنها * ثم في سنة أربع وستمائة وقعت
الهدنة بينه وبين صاحب طرابلس وعاد العادل إلى دمشق * ولما كانت
سنة أربع عشرة وستمائة والملك العادل بالديار المصرية اجتمع
الافرنج في داخل البحر ووصلوا إلى عكا في جمع عظيم فلما بلغ الملك العادل
ذلك خرج بعساكر مصر وسار حتى نزل على نابلس فسار الافرنج إليه ولم
يكن معه من العساكر ما يقدر به على ملتقاهم فاندفع قدامهم فأغاروا
على بلاد المسلمين ووصلت غاراتهم إلى نوى من بلد السواد ونهبوا ما بين
بيسان وبانياس وبثوا سراياهم فقتلوا وأسروا وغنموا من المسلمين
ما يفوق الحصر وعادوا إلى مرج عكا وكانت مدة هذا النهب ما بين
منتصف رمضان وعيد الفطر وانقضت السنة والافرنج مجموعون في عكا
* ثم دخلت سنة * خمس عشرة وستمائة والملك العادل بمرج الصفر
وجموع الافرنج بمرج عكا ثم ساروا منها إلى الديار المصرية ونزلوا على دمياط
وسار الملك الكامل ابن العادل من مصر ونزل قبالتهم واستمر الحال على
ذلك أربعة أشهر وأرسل العادل العسكر الذي عنده إلى ابنه الملك
الكامل فلما اجتمعت العساكر أخذ في قتال الافرنج ودفعهم عن دمياط
ثم رحل الملك العادل من مرج الصفر إلى عالقين قرية ظاهر دمشق فنزل
بها ومرض واشتد مرضه * وتوفي بها رحمه الله في سابع جمادى
الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة وكان مولده سنة أربعين وخمسمائة
وكان عمره خمسا وسبعين سنة وكانت مدة ملكه لدمشق ثلاثا
وعشرين سنة ولمصر نحو تسع عشرة سنة وكان رحمه الله حازما متيقظا
غزير العقل سديد الآراء ذا مكر وخديعة حليما صبورا وأتته السعادة
واتسع ملكه وكثرت أولاده وخلف ستة عشر ولدا ذكرا غير البنات ولم
يكن أحد من أولاده حاضرا عنده فحضر إليه ابنه الملك المعظم عيسى
وكان بنابلس فكتم موته وأخذه ميتا في محفة وأتى به إلى دمشق واحتوى

على جميع ما كان مع أبيه من الجواهر والسلاح فلما وصل الى دمشق حلف الناس واظهر موت أبيه وكتب الى الملوك من اخوته وغيرهم يخبرهم بموته * واستقر بعده في السلطنة بالديار المصرية ولده الملك الكامل * أبو المعالي محمد واستقر في الشام اخوه * الملك المعظم * عيسى ابن الملك العادل أبي بكر وكانت مملكته من حدود بلد حمص الى العريش يدخل في مملكته بلاد السواحل الاسلامية وبلاد الغور وفلسطين والقدس والكرك والشوبك وصرخد وغير ذلك * تخريب أسوار بيت المقدس * لما توفي الملك العادل عاد الافرنج لجهة القاهرة وملكوا دمياط وشحنوها في عاشر رمضان سنة ست عشرة وستمائة وأسروا من بها وجعلوا الجامع كنيسة واشتد طمعهم في الديار المصرية فلما رأى الملك المعظم عيسى ذلك خشي أن يقصدوا القدس فلا يقدر على منعهم فأرسل الحجارين والنقابين وشرعوا في تخريبه في سنة ست عشرة وستمائة فخرب أسواره وكانت قد حصنت الى الغاية وانتقل منه عالم عظيم وهرب أهله منه خوفا من الافرنج ان تهجم عليهم ليلا أو نهارا وتركوا أموالهم وأثقالهم وتمزقوا في البلاد كل ممزق حتى قيل انه بيع القنطار الزيت بعشرة دراهم والرطل النحاس بنصف درهم وضج الناس وابتهلوا الى الله تعالى عند الصخرة وفي الاقصى وكان الملك المعظم عالما فاضلا وكان حنفيا متعصبا لمذهبه وخالف جميع أهل بيته فانهم كانوا شافعية وله بالقدس مدرسة الحنفية عند باب المسجد الاقصى المعروف الآن بباب الدويدارية وبنى على آخر صحن الصخرة من جهة القبلة مكانا يسمى النحوية للاشتغال بعلم العربية ووقف على ذلك أوقافا حسنة وفي أيامه جددت عمارة القناطر التي على درج الصخرة القبلي عند قبة الطومار وغير ذلك بالمسجد الاقصى وغالب الابواب الخشب المركبة على أبواب المسجد عملت في أيامه واسمه مكتوب عليها وعمر مسجد الخليل عليه السلام ووقف عليه قريتي دورا وكفر بريك ولما غاب عن القدس كتب اليه

بعض أصدقائه

عيني القدس فأوحشه * لما غدا باسمك مأنوسا
وكيف لا تبكيه وحشته * وأنت روح القدس يا عيسى

* وفي سنة سبع عشرة وستمائة فتح الملك المعظم قيسارية وهدمها

* وفي سنة ثماني عشرة قوي طمع الافرنج المالكين دمياط في ملك الديار المصرية وتقدموا عن دمياط الى جهة مصر ووصلوا الى المنصورة واشتد القتال بين الفريقين برا وبحرا وكتب السلطان الملك الكامل متواترة الى اخوته وأهل بيته يحثهم على انجاده فسار الملك المعظم عيسى صاحب دمشق بعسكره وأخوه الملك الاشرف مظفر الدين موسى صاحب البلاد الشرقية بعساكره واستصحب عسكر حلب والملك الناصر قلج ارسلان صاحب حماه وصاحب بعلبك الملك الامجد بهرام شاه وصاحب حمص أسد الدين شيركوه ووصلوا الى الملك الكامل وهو في قتال الافرنج على المنصورة فركب الى لقائهم مع اخوته ومن في صحبتهم من الملوك وأكرمهم فقويت نفوس المسلمين وضعفت نفوس الافرنج لما شاهدوه من كثرة العساكر الاسلامية وتجمعهم واشتد القتال بين الفريقين وترسل الملك الكامل واخوته مترددة الى الافرنج في الصلح وبذل لهم المسلمون تسليم القدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبلة وجميع ما فتحه السلطان صلاح الدين من الساحل ما عدا الكرك والشوبك على ان يجيبوا الى الصلح ويسلموا دمياط للمسلمين فلم يرض الافرنج بذلك وطلبوا ثلثمائة ألف دينار عوضا عن تخريب أسوار القدس وقالوا لا بد من تسليم الكرك والشوبك وبقي الامر مترددا في الصلح والافرنج يمتنعون اذ عبر جماعة من عسكر المسلمين في بحر المحلة الى الارض التي عليها الافرنج من بر دمياط ففجروا فجوة عظيمة من النيل وكان ذلك في قوة زيادته والافرنج لا خبرة لهم بأمر النيل فركب الماء تلك الارض وصار حائلا بين الافرنج وبين دمياط وانقطعت عنهم الميرة والمدد فهلكوا جوعا وبعثوا

غريبة

يطلبون

يسئلون الامان على أن يرحلوا عن جميع ما بذله المسلمون لهم ويسلموا دمياط ويعقدوا مدة الصلح وكان فيهم عدة ملوك كبار نحو عشرين ملكا واختلفت الآراء فى ذلك ثم حصل الاتفاق على اجابتهم لتضجر العسكر وطول المدة لانهم كان لهم ثلاث سنين وأشهر فى القتال فأجابهم الملك الكامل وطلب الافرنج رهينة فبعث ابنه الملك الصالح أيوب وعمره يومئذ خمس عشرة سنة الى الافرنج وحضر من الافرنج رهينة ملك عكا وصاحب رومة الكبرى وغيرهما من الملوك وكان ذلك فى سابع رجب سنة ثمانى عشرة وجلس الملك الكامل مجلسا عظيما ووقف بين يديه الملوك من اخوته وأهل بيته جميعهم وسلمت دمياط للمسلمين فى تاسع عشر رجب وهنأت الشعراء الملك الكامل بهذا الفتح العظيم ثم دخل الملك الكامل الى دمياط بمن معه وكان يوما مشهودا ثم توجه الى القاهرة وانصرف الملوك الى بلادهم * وفاة الخليفة الناصر الذى فتح القدس فى أيامه وتوفى الامام الناصر لدين الله العباسى المتقدم ذكره فى أول شوال سنة اثنتين وعشرين وستمائة وكانت خلافته نحو سبع وأربعين سنة وعمى فى آخر عمره وكان عمره نحو سبعين سنة * ولما دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة وقع تشاجر بين الملك الكامل صاحب مصر وأخيه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق لأمور بينهما فكاتب الملك الكامل الانبرطور ملك الافرنج فى أن يقدم الى عكا ليشغل سر أخيه الملك المعظم عما هو فيه ووعد الانبرطور بان يعطيه القدس فسار الانبرطور الى عكا وبلغ الملك المعظم ذلك * ثم توفى الملك المعظم عيسى * فى هذه السنة يوم الجمعة مستهل ذى الحجة سنة أربع وعشرين وستمائة ودفن بقلعة دمشق ثم نقل الى جبل الصالحية ودفن فى مدرسته هناك المعروفة بالمعظمية وكان نقله ليلة الثلاثاء مستهل المحرم سنة خمس وعشرين وستمائة وكانت مدة ملكه دمشق تسع سنين وشهورا ولما توفى الملك المعظم ترتب فى مملكته بعده ولده * الملك الناصر * صلاح الدين داود * فلما دخلت سنة خمس وعشرين

وستمائة أرسل الملك الكامل صاحب مصر يطلب من ابن أخيه الناصر داود حصن الشوبك فلم يعطه اياه ولا أجابه اليه فسار الملك الكامل من مصر الى الشام في رمضان من هذه السنة ونزل على تل العجول بظاهر غزة وولى ابن يوسف على نابلس والقدس وغيرهما من بلاد ابن أخيه ووقع بينهما أمور ومراسلات وقدم الانبرطور الى عكا وكان قد مات الملك المعظم فاستولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين والافرنج وسورها خراب فعمر الافرنج سورها واستولوا عليها والانبرطور معناه ملك الامرا بالافرنجية وكان صاحب جزيرة صقلية وكان فاضلا يحب الحكمة والمنطق والطب يميل الى المسلمين * ذكر تسليم بيت المقدس الى الافرنج * لما دخلت سنة ست وعشرين وستمائة استهلت وملوك بني أيوب مفترقون مختلفون قد صاروا أحزابا بعد أن كانوا اخوانا وأصحابا فقوي الافرنج بذلك وبموت المعظم عيسى ر ن وقد اليهم من الغير وكان الملك الكامل قد عزم على انتزاع دمشق من ابن أخيه الناصر داود وسير الملك الكامل أخاه الملك الاشرف موسى لحصار دمشق والكامل مشتغل بمراسلة الانبرطور ولما طال الامر ولم يجد الكامل بدا من المهادنة أجاب الانبرطور الى تسليم القدس اليه على ان يستمر أسواره خرابا ولا يعمره الافرنج ولا يتعرضوا الى قبة الصخرة ولا الى الجامع الاقصى وتكون المرجوع في الرساتيق الى والي المسلمين ويكون لهم من القرى ما هو على الطريق من عكا الى القدس فقط ووقع الامر على ذلك وتحالفا عليه وتسلم الانبرطور القدس في ربيع الآخر على القاعدة المذكورة وعظم ذلك على المسلمين وحصل به وهن شديد وارجاف في الناس ولما وقع ذلك كان الناصر داود في الحصار لانتزاع دمشق منه فأخذ في التشنيع على عمه الكامل بذلك وكان بدمشق الشيخ شمس الدين يوسف سبط أبي الفرج الجوزي وكان واعظا له قبول عند الناس فأمره الناصر داود أن يعمل مجلس وعظ يذكر فيه فضائل بيت

المقدس

الكامل الى دمشق ومعه الناصر داود صاحب الكرك ونزل عليها فى
جمادى الاولى من هذه السنة وحصلت أمور ووقائع ثم سلم الصالح
اسماعيل دمشق الى أخيه الكامل لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى
الاولى وتعوّض عنها بعلبك ولم يلبث الكامل غير أيام حتى مرض واشتدّ
مرضه وتوفى لتسع بقين من رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة وعمره
نحو ستين سنة وكانت مدة ملكه مصر من حين مات والده عشرين سنة
وكان ملكا مهيبا حسن التدبير يحب العلماء ويجالسهم وهو الذى بنى القبة
على قبر الامام الشافعى رضى الله عنه واستقر بعده فى السلطنة بمصر ولده
الملك العادل * أبو بكر بن الكامل فانه كان نائبه بمصر واتفق الامراء
بدمشق حين وفاة والده على تحليف العسكر له وأقاموا فى دمشق الملك
الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب نائبا عن
الملك العادل ابن الكامل ورحل الناصر داود الى الكرك وتفرّقت
العساكر * فلما دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة استولى * الملك
الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل على دمشق وأعمالها بتسليم

الملك الجواد يونس في جمادى الآخرة * ثم دخلت سنة سبع وثلاثين
وستمائة وكان الملك الصالح أيوب سار من دمشق واستخلف بها ولده
*الملك المغيث * فتح الدين عمر ووصل الصالح أيوب الى نابلس لقصد
الاستيلاء على الديار المصرية فسار الصالح اسماعيل صاحب بعلبك
ومعه شيركوه صاحب حمص بجموعهما وهجموا على دمشق وحاصروا
القلعة وتسلمها الصالح اسماعيل وقبض على الملك المغيث في صفر
فلما بلغ الصالح أيوب ذلك رحل من نابلس الى اا وتفرقت
عنه عساكره وبقي به الامر فقصد نابلس ونزل بها من
معه فسار اليه الناصر داود بعسكره من الكرك
وأمسك الصالح أيوب وأرسله الى الكرك واعتقله
بها وأمر بأنه يقوم في خدمته كل ما يختاره ولما
اتصل بالكرك أرسل أخوه الملك العادل
أبو بكر صاحب مصر يطلبه من
الناصر داود فلم يسلمه الناصر داود
فأرسل العادل يتهدد
الناصر بأخذ بلاده
ولم يلتفت
الى ذلك

تم الجزء الاول من تاريخ الانس الجليل ويليه الثاني أوله (الفتح الناصري
الداودي)